د. محمد علي البار

القدس
والمسجد الأقصى عبر التاريخ

مع دراسة تحليلية للقضية الفلسطينية



القدس

والمسجد الأقصى عبر التاريخ

مع دارسة تحليلية للقضية الفلسطينية

الدكتور محمد علي البار

مقدمة الطبعة الثانية

لقد ظهرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب عام ٢٠٠٢ ولاقى الكتاب قبولا بفضل الله تعالى ، وانتهت نسخه من عدة سنوات . وحالت الظروف دون اعادة طباعته واخراجه .

والكتاب يتعرض لتاريخ القدس الشريف والمسجد الاقصى عبر التاريخ منذ عصر اليبوسيين والكنعانيين الى العهد الحاضر . والقدس (بيت المقدس) هي أرض الانبياء والمرسلين ومسرى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال تعالى { **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** } [الاسراء / ١] .

والصلاة في المسجد الاقصى بخمسمائة صلاة " ولا تشدّ الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى " رواه البخاري ومسلم .

وقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أيّ مسجد وضع في الارض أول ؟ قال المسجد الحرام . قلت : ثم أيّ ؟ قال : المسجد الاقصى . قلت : كم كان بينهما ؟ قال : اربعون سنة . ثم أينما أدركت الصلاة بعد ، فصلِّه ، فإن الفضل فيه " .

وأول من رفع قواعد البيت الحرام في مكة المكرمة هو ابراهيم عليه السلام ومعه ابنه اسماعيل قال تعالى { **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** } [البقرة / ١٢٧] .

وقام ابراهيم عليه السلام وفي رواية اسحاق ابنه عليه السلام ببناء المسجد الاقصى (بعد أربعين عاما من بناء البيت الحرام في مكة) . وبينما بقي البيت الحرام والكعبة في مكة يحج اليهما الناس منذ ان أذن ابراهيم عليه السلام بالحج الى يومنا هذا ، فإن المسجد الاقصى اندثر لمدة ألف عام تقريبا . ثم أراد داود عليه السلام أن يعيد بناءه فعاجلته المنيّة ، وأوصى ابنه سليمان عليه السلام ففعل ذلك (حوالي عام ٩٥٠ قبل الميلاد) .

وقد جاء في سفر صموئيل الثاني (الاصحاح ٧/ ١-٨) : وكان لما سكن الملك داود (لا يعترف اليهود بأن داود وسليمان من الانبياء وإنما يعتبرانهما من الملوك السفاكين ويعتبرون سليمان من السحرة وعبّاد الاوثان) في بيته واراحه الرب من كل الجهات من جميع أعدائه أن الملك قال لناثان النبي : انظر اني ساكن في بيت من الارز وتابوت الله ساكن داخل الشقق . فقال ناثان للملك : أفعل كل ما بقلبك لان الرب معك . . وقال الرب : انت تبني لي بيتا لسكناي ؟ لاني لم أسكن في بيت منذ يوم اصعدت بني اسرائيل من مصر الى هذا اليوم ، بل كنتُ أسير في خيمة ، وفي مسكن

في كل ما سرت مع بني اسرائيل هل تكلمت بكلمة واحدة الى احد قضاة اسرائيل قائلا : لماذا لم تبنوا لي بيتا من الارز ؟ "

" وقال الرب لناثان النبي: هو (اي داود) يبني لي بيتا لاسمي وأنا اثبت كرسي مملكته الى الابد . أنا اكون له أبا وهو يكون لي ابنا . . ورحمتي لا تنزع منه ويامر بيتك ومملكتك الى الابد أمامك . كرسيك يكون ثابت الى الابد . . فدخل الملك داود وجلس امام الرب : من أنا يا سيدي الرب ، وما هو بيتي حتى أوصلتني الى هنا " (صموئيل الثاني ٧/ ١٢ – ١٨) .

وقد يستغرب القارئ هذا الكلام عن الرب سبحانه وتعالى ولكن أسفار التوراة والعهد القديم بأكمله تصف الرب بأنه اله حقود يحب اللحم المشوي جدا فإن قدم له الانبياء والاحبار المحروقات تنسمّ الرب الرضاعند رائحة اللحم المشوي فيعطيهم أرض كنعان لهم ولأجيالهم الى أبد الآبدين أرضا تفيض لبنا وعسلا وقد قام الرب حسب زعمهم الكاذب بجعل روح الله في آدم ثم انتقلت روح الله الى شيت ثم نوح ثم سام ثم ابراهيم ثم اسحاق ثم يعقوب وبنيه .

واليهود هم ابناء الله وأحباؤه على الحقيقة والمجاز . . وقد جاء في سفر التثنية (الاصحاح ٧) : انتم أولاد الرب الهكم "

وجاء في سفر التكوين الاصحاح (٦) : " وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الارض وولد لهم بنات أن ابناء الله رأوا ان بنات الناس حسنات ، فاتخذوا لانفسهم نساء من كل ما اختاروا ، فقال الرب : لا يدين روحي في الانسان لزيغانه ، فأمر باغراق الارض ومن عليها ما عدا نوح .

وقد شرح التلمود هذه القصة الغريبة بقوله أن آدم وحواءكانت فيهما روح الله ولكن حواء كان لها عشاق من الجن فولدت منهم ، كما كان لآدم عشيقة من الجن اسمها ليليت فولدت منه . وهؤلاء تسميهم التوراة أبناء الناس ، اما ابناء آدم وحواء فهم ابناء الله وفيهم روح الله . ولكن هؤلاء تزوجوا من بنات الناس فغضب الرب لاختلاط نسبه بنسب الناس وقال لا يدين روحي في الانسان ولذا أغرق الارض ما عدا نوح الذي لم يتزوج من بنات الناس وسكن الله في خيام سام ابن نوح ولعن حام الذي تحول الى اللون الاسود ليكون عبد العبيد(النظرة العنصرية) ولعن الله ايضا كنعان ابن حام . ثم اعطى ارض كنعان لابراهيم لان ابراهيم قدّم لحما مشويا كثيرا للرب وسر الرب بذلك فأعطاه أرض كنعان له ولنسله الى ابد الابدين . ونسل ابراهيم هو فقط من اسحاق لانه باسحاق فقط يدعى لك نسل كما تقول التوراة . جاء في سفر التكوين (الاصحاح ١٣/ ١٣-١٧) : قال الرب لابرام ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي انت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا لان جميع الارض التي ترى لك اعطيها ولنسلك الى الابد، واجعل نسلك كتراب الارض حتى اذا استطاع أحد ان يعدّ تراب الارض فنسلك ايضا يعدّ ".

ووثّق الله عهده مع ابراهيم بالختان لان الرب لا يعرف ابناءه وشعبه الا بالختان (التكوين ١٧/ ٩ – ١٤) .

وكرر الرب عهده مع اسحاق ثم يعقوب الذي صارع الرب ولم يستطع الرب ان ينتصر على يعقوب واضطر ان يعطيه ارض كنعان (فلسطين) ملكا أبديا له ولنسله . جاء في سفر التكوين (الاصحاح ٣٢/ ٢٣ – ٣٢) : " فبقي يعقوب وحده ، وصارعه انسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقَّ فخذه فانخلع حُقّ فخذ يعقوب في مصارعته معه . وقال الرب : أطلقني لانه قد طلع الفجر . فقال يعقوب : لا أطلقك إن لم تباركني ، فقال الرب : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب . فقال الرب : لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل اسرائيل ، لانك جاهدت (أي صارعت) مع الله والناس وقَدَرْتَ ؟

ويعتقد اليهود كما جاء في التلمود : ان أرواح اليهود تتميز عن باقي البشر بأنها جزء من الله كما ان الابن جزء من أبيه . وأن أرواح اليهود عزيزة عند الله بينما باقي الارواح من البشر تعتبر شيطانية . وأن نطفة غير اليهودي هي كنطفة باقي الحيوانات . والاسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة . وإذا ضرب أممي

(غير يهودي ،جوييم) اسرائيليا فكأنما ضرب العزة الالهية ويستحق الموت . ولو لم يخلق الله اليهود لانعدمت البركة في الارض . والفرق بين درجة الانسان والحيوان كالفرق بين اليهودي وباقي الشعوب . والاجانب (غير اليهود) كالكلاب .

والكلب أفضل من الاجنبي لانه مصرّح لليهودي في الاعياد ان يطعم الكلب وليس له ان يطعم الاجنبي .

" الخارجون عن دين اليهود خنازير نجسة ، وقد خلق الله الاجنبي على هيئة انسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من اجلهم " .

" وليس من العدل ان يشفق الانسان على أعدائه ويرحمهم ، ويحق لليهودي ان يغش الكفار ، كما يحق له ان يسرق مال غير اليهودي ، ولا تعتبر سرقة ، بل استردادا لمال اليهودي ، إذ أن العالم كله لم يخلق الا من أجل اليهود ، ويجب على كل يهودي ان يبذل جهده لمنع استملاك باقي الامم في الارض لتبقى السلطة لليهود وحدهم ، وقبل ان يحكم اليهود العالم بصورة نهائية يلزم ان تقوم الحرب على قدم وساق ، وعندما يأتي المسيح (الدجال) تكون الامة اليهودية إذ ذاك في غاية الثراء ، لانها قد حصلت على جميع أموال العالم ، وتحفظ هذه الكنوز في سرايا واسعة ..

وحياة غير اليهودي ملك لليهودي فكيف بماله ؟ " لليهودي لا تقرض بربا ، للاجنبي لا تقرض الا بربا " . وإذا احتاج الاجنبي بعض النقود ، فعلى اليهودي ان يغلظ له الربا ، حتى يعجز عن سداد ما عليه ، ويتنازل لليهودي عن جميع ممتلكاته .

وهكذا ثبت في التوراة المحرفة وأسفار العهد القديم وفي التلمود ان الله لم يخلق العالم الا من اجل اليهود . وأنهم ابناء الله وأحباؤه على الحقيقة والمجاز . وأنه أعطاهم أرض كنعان أرض فلسطين من البحر الى النهر أرضا أبدية ، ووثق الله ذلك العهد مع ابراهيم بدم الغرلة ، دم الختان . ثم كرر العهد مرة آخرى مع اسحاق ، ثم

مع يعقوب الذي صارع الرب ذاته وأخذ العهد بالقوة ولهذا سماه الرب اسرائيل اي الذي صارع الرب وقدر !! (اسرائيل : القوى وهي من الازر وايل معناها الله) .

وقد كرر الله عهده لبني اسرائيل مرات عديدة على لسان موسى وهارون ويوشع بن نون والقضاة الذين قضوا لبني اسرائيل ثم أقام مملكتهم علي يد شاول (طالوت) وبلغت اوجها في عهد داود ثم في عهد سليمان . وما ان مات سليمان حتى انقسمت المملكة الى مملكتين صغيرتين متحاربتين هما مملكة اورشليم (القدس) وفيها سبطا يهوذا وبنيامين ،ومملكة اسرائيل وموقعها الضفة الغربية وعاصمتها شكيم (اي نابلس) ومعهم بقية الاسباط وهم عشرة .

وكلا المملكتين عبدت الاوثان . . وكان الاحبار كما تقول اسفار العهد القديم يستاجرون العاهرات للعمل في بيت الرب وكذلك المأبونين (اي المخنثين) حتى صاح الانبياء : أبلغت منكم الوقاحة ان تجعلوا بيت الرب ماخورا فقتلوا الانبياء (ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) . وقد قتلت الملكة ايزابيل وزوجها آخاب المئات من انبياء بني اسرائيل . ولهذا سلّط الله الدولة الآشورية على مملكة الشمال اسرائيل فأبادتها على يد الملك سرجون الثاني سنة ٧٢١ قبل الميلاد ابادة تامة .

وأما مملكة يهوذا في اورشليم فقد بقيت فترة أطول لانه ظهر منهم الملك حزقيال الذي تاب على يد النبي اشعيا وترك عبادة الاوثان وتقديم القرابين البشرية وطهر

الهيكل من العاهرات والمأبونين . ولكن من أتى بعده عاد مرة آخرى الى الوثنية والفجور وظهور الملك منّسي الذي نشر جسد النبي أشعيا بالمنشار وعبد الاوثان وأعاد العاهرات واللوطية الى الهيكل . . وظهر آرميا بعد أشعيا وتنبأ بخراب اورشليم وتحطيم الهيكل فظهر نبوخذ نصر البابلي فأنهى وجود هذه المملكة الفاسقة الفاجرة ، وقضى عليها قضاء مبرما ، وهدّم الهيكل ونقل الالاف من بني اسرائيل عبيدا الى مملكته في بابل في العراق . وذلك عام ٥٨٦ قبل الميلاد . وانتهت بذلك اورشليم وهيكلها الذي بناه سليمان عليه السلام .

وفي مملكة بابل ظهر عدد من انبياء بني اسرائيل مثل دانيال وحزقيال الذي تنبأ بالامور التالية :

١- عودة بني اسرائيل الى فلسطين كما تعود الطير الى اوكارها .
٢- عودة اورشليم الى حكم اسرائيل وازدياد العمران فيها .
٣- بناء الهيكل .

وهذه الثلاث كلها تحققت بعد انتهاء الدولة البابلية على يد الفرس ، واستطاع دانيال وعزرا وحنانيا أن تكون لهم حظوة لدى الملك الفارسي داريوس الاول . وقد اعاد الملك الفارسي قورش اليهود الى فلسطين وأعاد بناء اورشليم والهيكل ، وامدّهم بالاموال ، وطلب من كل رعايا المملكة مساعدتهم لاعادة بناء اورشليم والهيكل .

وقد تنبأ حزقيال أيضا بظهور المسيح الذي ظهر بعد مرور أكثر من خمسة قرون من أيام حزقيال أما النبؤات الثلاث الاولى فقد تحققت في حياة حزقيال نفسه على يد الملك الفارسي قورش ، وقد تزعم عزرا ونحميا العودة الى فلسطين وبناء اورشليم والهيكل .

والغريب حقا ان نجد ملايين الانجيليين وخاصة في الولايات المتحدة ومنهم الرئيس ريجان والرئيس ترومان يؤمنون بأن نبوة حزقيال تتحقق الآن مع انها قد تحققت قبل أكثر من ٢٥٠٠ عام . وكان الرئيس ترومان يقول عن نفسه انه قورش الذي سيعيد مملكة يهوذا في اورشليم ويعيد بناء الهيكل . . وكان الرئيس ريجان يدعو بقوة الى بناء الهيكل لان حزقيال قال ان المسيح لن ياتي الا بعد بناء الهيكل . .

ونتيجة الغباء المتناهي لم يعرف ريجان وأمثاله ان هذه النبوؤات كلها تحققت وأن اليهود عادوا الى فلسطين على يد قورش الذي قام أيضا باعادة بناء اورشليم واعادة بناء الهيكل وان المسيح عيسى عليه السلام ظهر قبل الفي عام ، وقد قام اليهود كما تزعم الاناجيل ، بتعذيب المسيح (ابن الله حسب زعمهم) والبصق عليه ، وضربه بالاحذية ثم قاموا بصلبه وقتله .

ومن اعجب العجب ان يتعصب هؤلاء النصارى لقوم قاموا بقتل ربهم وتعذيبه وصلبه !! والانجيل كله يفضح هؤلاء اليهود .

جاء في انجيل متى (الصحاح ٢١/ ١٢-٤٣) : ودخل اليسوع الى هيكل الله واخرج جميع الذي كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل . وقلب موائد الصيارفة (المرابين) وقال لهم : مكتوب بيتي بيت الصلاة يدعى ، وانتم جعلتوه مغارة لصوص .. " وقال لهم : ان العشارين والزواني يسبقونكم الى ملكوت الله لان يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به وأما العشارون والزواني فآمنوا به " وقال لهم : ويل لكم ايها الكتبه والفريسيون المراؤون لانكم تغلقون ملكوت السموات قدّام الناس فلا تدخلون انتم ولا تدعون الداخلين يدخلون .

ويل لكم : أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تأكلون بيوت الارامل ولعلّة تطيلون صلاتكم . لذلك تأخذون دينونة أعظم . . .

ويل لكم : ايها القادة العميان الذين يصفّون عن البعوضة ويبلعون الجمل ..

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملؤان اختطافا ودعارة . . ايها الحيات والافاعي كيف تهربون من دينونة جهنم . . فكم تقتلون من انبياء وتصلبون .. يأتي عليكم دم كل زكي سفك على الارض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح . . . يا اورشليم يا اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين .

وقد انتهى العداء القديم بين اليهود والنصارى بظهور البروتستانتيه على يد مارتن لوثر الالماني الذي نشر كتاب "عيسى ولد يهوديا " سنة ١٥٢٣ والذي قال فيه : ان الروح القدس انزل كل اسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم . ان

اليهود هم ابناء الله ، ونحن الضيوف الغرباء ، ولذلك فإن علينا أن نرضى بان نكون كالكلاب التي تاكل مما يتساقط من فتات مائدة أسيادها " .

ورغم ان مارتن لوثر نفسه عرف كيد يهود وأكاذيبهم وأصدر بعد ٢١ سنة من كتابه الاول كتابا جديدا بعنوان " فيما يتعلق باليهود وأكاذيبهم " سنة ١٥٤٤ الا ان كتابه الاخير لقى اهمالا تاما من اعمدة المذهب البروتستانتي ، واستمر انصاره ينشرون كتابه الاول ، عيسى ولد يهوديا ويخفون كتابه الاخير . وفي عام ١٩٨٣اصدر الاتحاد العالمي للوثريين بيانا من استكهولم بالسويد جاء فيه عدم التزامهم بكل ماصدر عن لوثر بشأن اليهود وأنهم متمسكون بكتابه الاول ويرفضون كتابه الاخير بشأن اليهود .

وكان تأثير كالفن السويسرى اليهودي الذي اسس مذهبا نصرانيا جديدا هو الكالفينية شديدا في كل فرق النصارى البروتستانت . وكانت العقائد البروتستانتيه تؤكد على ثلاثة أمور :

١) ان اليهود هم شعب الله المختار وهم أبناؤه وأحباؤه .
٢) ان الله قد اعطى لليهود بواسطة آبائهم ابراهيم واسحاق ويعقوب عهدا ابديا في ارض كنعان (فلسطين)
٣) ان السيد المسيح لن يعود الى الارض مرة ثانية ليحكم الألفية السعيدة الا بتحقق ثلاثة شروط هي عودة بني اسرائيل الى فلسطين واستيلاؤهم عليها والثاني استيلاؤهم على اورشليم والثالث هو اعادة بناء الهيكل .

ولهذا صار العهد القديم هو المرجع الاعلى لفهم العقيدة المسيحية عند جميع الفرق البروتستانتيه . . واعتبروا اللغة العبرية هي اللغة المقدسة . ولذا صارت هي اللغة المعتمدة للدراسات الدينية . وكان المهاجرون من البروتستانت الاوائل الى أمريكا الشمالية يتخيلّون أنفسهم وكأنهم من بني اسرائيل الذين امرهم الرب باحتلال أرض كنعان وإبادة سكانها وأسقطوا ذلك في أوهامهم على الهنود الحمر المساكين . وقد أبادوا على مدى قرنين من الزمن ما يقارب من مائة مليون من الهنود الحمر من سكان أمريكا الشمالية والجنوبية (اشترك الاسبان والبرتغال في هذه المجازر ضد السكان الاصليين رغم أن الاسبان والبرتغال كاثوليك متعصبين) .

والغريب حقا ان بعض البروتستانت أمثال الفيلسوف الهولندي هوجو جروبتوس هاجم وسفّه ماورد في الاناجيل على لسان يسوع المسيح الذي شتم الفريسيين والكتبة اليهودونشر ذلك في كتابه " حقيقة الدين المسيحي . وانتشر لدى البروتستانت خاصة الدفاع عن اليهود وتسفيه ما جاء من كلام من يدعونه ربهم (يسوع المسيح).

وظهر مجموعة من البروتستانت واليهود المتنصرين الذين يبشرون بعودة شعب الله المختار من فجاج الارض الى فلسطين وبناء دولة اسرائيل . وقد طالبت مجموعة ليفلرز (Levelers) من المتطهرين البروتستانت حكومة بريطانيا أن تعلن العهد القديم والتوراة دستورا للبلاد . وتقدم العالمان اللاهوتيان يوحنا واليزر كارترايت بمذكرة

الى الحكومة البريطانية والهولندية ليكون لهما شرف حمل ابناء وبنات اسرائيل على متن سفنهم الى ارض كنعان التي أعطاها الله لليهود . وتقدما بالمذكرة سنة ١٦٥٥ .

وتغنّى الفلاسفة والادباء الاوربيون بأورشليم اليهودية . وقد وصل الامر الى ان دعا نابليون بونابرت لاقامة مملكة اورشليم القديمة وهجم على عكا سنة ١٧٩٩ ولكن الوالي العثماني أحمد سلطان باشا الجزار أحسن الدفاع عنها وصد هجوم نابليون .

وكثرت الجمعيات المسيحية التي تنادي باعادة اليهود الى فلسطين واقامة دولتهم فيها . وقام الرئيس الامريكي جون آدامز بالدعوة الى اعادة اليهود لوطنهم المسلوب في فلسطين وذلك منذ عام ١٨١٨ .

وفي عام ١٨٣٩ نشر ايرل شافتسبري دراسة طالب فيها بعودة اليهود الى ارض الميعاد واظهر شعار " وطن بلا شعب (اي فلسطين) لشعب بلا وطن اي اليهود " .

وساند اللورد شافتسبري عدد من كبار الساسة ورجال الفكر منهم دوق كنت والسياسي البارز جلادستون واللورد بالمرستون ووزير البحرية البريطاني هنري إنس الذي دعا دول أوربا الشمالية والولايات المتحدة للاقتداء بقورش الفارسي الذي اعاد اليهود الى فلسطين وبنى اورشليم والهيكل سنة ٥٣٨ قبل الميلاد .

واستمر الضغط على السلطان عبد الحميد الثاني كي يسمح لليهود بالعودة الى فلسطين ، ولكنه رفض ذلك بقوة فتآمروا عليه وأقاموا جمعية جون تورك وجمعية الاتحاد والترقي حتى اخرجوه من بلده وعرشه .

والكتاب يستعرض هذه الجهود الاوربية والامريكية لاقامة دولة اسرائيل ثم قيام هرتزل باقامة الحركة الصهيونية وعقد مؤتمر بال في سويسرا في اغسطس ١٨٩٧ ووضع خريطة لدولة اسرائيل التي يريدها فأخذ كل فلسطين وجنوب لبنان وجنوب سوريا والجولان وبحيرة طبريا وأخذ شمال سيناء وغزة والعريش وتعدى شرق نهر الاردن وبذلك ضمن جميع مصادر المياه في المنطقة للدولة الجديدة .

وظهر وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا في ٢/ ١١/ ١٩١٧ بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وقد دعم الرئيس الامريكي ويلسون وعد بلفور واحتلت بريطانيا فلسطين بمساعدة القوات العربية التي حاربت الاتراك وانخدعت بوعود بريطانيا المعسولة . وأكد لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا تعهده باقامة دولة لليهود في فلسطين . .

وعندما دخل اللنبي القائد البريطاني الى فلسطين بعد ان ساعده العرب في معركة العقبة وشغلوا أكثر من نصف القوات التركية ، قال في يوم ١١/ ١٢/ ١٩١٧ يوم دخوله القدس : " الآن انتهت الحروب الصليبية " . وعندما دخل دمشق وقف على قبر صلاح الدين الايوبي وقال : ها قد عدنا يا صلاح الدين . وقامت بريطانيا بجعل

هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني المتعصب رئيسا لدولة الانتداب على فلسطين حتى يحقق استقدام اليهود واعطائهم الاراضي الفلسطينية .

وفي يناير ١٩١٩ عقد مؤتمر السلام في باريس وحضر مندوب الحركة الصهيونية وتقدم بخريطة هرتزل لأخذ كل فلسطين وما حولها ولكن تشرشل اعترض على أخذ شرق الاردن وقال لهم : " حدودكم الى نهر الاردن ولن تتجاوزوا الى الضفة الشرقية . وهكذا اعترفت أمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا . . . الخ بأرض فلسطين كلها لليهود .

وصارت مسألة الاستيلاء على فلسطين من البحر (الابيض المتوسط) الى النهر (نهر الاردن) مسألة وقت فقط . وقد تمت على مراحل متعددة أهمها : قيام دولة اسرائيل في ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧ ثم ما تلاها من توسع متتالي بلغ قمته في حرب يونيه ١٩٦٧ والتي احتل اليهود بموجبها كل اراضي فلسطين وجنوب لبنان وجنوب سوريا والجولان ووصلوا الى نهر الاردن واحتلوا القدس (اورشليم) كاملة والضفة الغربية وسيناء ومضايق تيران وايلات ...الخ .

وتنازل اليهود عن سينا في معاهدة السلام مع مصر عام ١٩٧٨ مقابل تحول مصر الى سلام دائم معها واعطاء اسرائيل بترول وغاز سيناء بسعر لا يزيد عن سعر التكلفة .

واصبح الامر يسير بخطوات حثيثة لتهويد القدس كاملة وتهويد الضفة الغربية والنقب بصورة تامة ، ودعا الرئيس ريجان الى بناء الهيكل (وهدم المسجد الاقصى)

حتى تكتمل نبؤة حزقيال التي ظهرت قبل اكثر من ٢٥٠٠ عام في اثناء النفي في بابل في العراق . . وذلك حتى يظهر المسيح لان النبؤة تقول انه سيلقي موعظته الاولى في الهيكل ، فلا بد من بناء الهيكل بعد ان استولت اسرائيل على كل ارض فلسطين وعلى كامل اورشليم التي جعلوها العاصمة الابدية لدولة اسرائيل ..

ولم يكن ريجان الوحيد في هذا المضمار وانما نرى كل ساسة الولايات المتحدة الامريكية الكبار ورؤوساها يسيرون على نفس المنوال ويصرحون مرارا وتكرارا " ان الله يبارك أمريكا لانها باركت اسرائيل وساندتها " ويقول احدهم : " لا اعتقد ان في وسع امريكا ان تدير ظهرها لشعب اسرائيل وتبقى في عالم الوجود ، والربّ يتعامل مع الشعوب بقدر ما تتعامل هذه الشعوب مع ابنه البكر اسرائيل " .

وكان الرئيس ترومان يقول : " أنا قورش الذي سيبني اورشليم والهيكل من جديد .. وافتخر بأنه لعب دورا أساسيا في قيام دولة اسرائيل " . . ويقول هو وغيره من الرؤساء الذين تبعوه مثل جونسون وريجان وجورج بوش الابن : ان اسرائيل اليوم هي اسرائيل الله التي وعد بانشائها على تلة جبل صهيون " .

وعندما زار الرئيس كارتر اسرائيل في مارس ١٩٧٩ قال : ان علاقة أمريكا باسرائيل هي اكثر من مجرد علاقة خاصة . لقد كانت علاقة فريدة لا يمكن تقويضها لانها متأصلة في وجدان واخلاق وديانة الشعب الامريكي . . اننا نتقاسم معا ميراث التوراة . . وأدان الرئيس كارتر كل من اتهم اليهود بقتل المسيح يسوع وقال عنهم

انهم معادون للسامية . وأيد الرئيس كارتر وكل رؤساء الولايات المتحدة ما قاله مناجم بيجن في ديسمبر ١٩٧٨ : " ان هذا البلد (فلسطين) قد وعدنا به من قبل الرب ولناكل الحق فيه " وقال : " لست اخجل من تأسيس حق اسرائيل في يهودا والسامرة فقد وعدنا الرب نفسه بها وهي الان في يدنا ، أما اورشليم (القدس) فهي العاصمة الابدية لدولة اسرائيل .

وقد صرّحت جولدا ما بير في ١٥ اكتوبر ١٩٧١ لصحيفة لوموند الفرنسية " وجد هذا البلد – اسرائيل – تنفيذا لوعد الرب ذاته ، ولهذا لا يصحّ ان نسأله عن شرعية هذا الوجود " .

وقالت للصناي تايمز اللندنية في ١٥ يونيه ١٩٦٩ " لا وجود للفلسطينين. . ليست المسألة أننا أتينا وطردناهم وأخذنا بلادهم . انهم لم يوجدوا اصلا ، والتوراة شاهد على ذلك ، فالوعد بهذه الارض من الرب لنا منذ عهد ابراهيم " . وصرّح موشى ديان في الجيروزالم بوست في ١٠ اغسطس ١٩٦٧ (اي بعد هزيمة يونيه بشهرين فقط) : اذا كنا نملك الكتاب المقدس ، واذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فينبغي ايضا ان نمتلك ايضا بلاد التوراة (كل ارض فلسطين) وبلاد القضاة (كل الاردن واجزاء من شمال غرب السعودية) . . ارض اورشليم وحبرون (مدينة الخليل) وأريحا (في الضفة الغربية) وأماكن أخرى كثيرة .

وكتب بيرسون دينور أول وزير للتعليم في اسرائيل : " ليس في بلادنا مكان الا لليهود . وسنقول للعرب ارحلوا فإن لم يرضوا بذلك وعمدوا الى المقاومة فسنرحلهم بالقوة " .

وكتب جوزيف فايتز مدير الاستيطان غداة حرب يونيه ١٩٦٧ : " من الواضح انه لا مكان في هذه البلاد لشعبين والحل الوحيد هو اسرائيل اليهودية التي تضم على الاقل اسرائيل الغربية (الضفة الغربية) بلا عرب ، ولا مخرج الا بنقل العرب الى مكان آخر في البلدان المجاورة " .

وقد صرّح جميع قادة اسرائيل من بن جوريون وجولدا مايير الى بيجن وشارون وبيريز ورابين ونتنياهو : ان الضفة الغربية هي يهودا والسامرة . ولا يمكن مطلقا التنازل عن ارض يهودية بمقتضى أوامر الرب . . ولهذا فإن قيام دولة فلسطينية في يهودا والسامرة أمر مرفوض تماما . . واستمرت مع هذا مفاوضات كامب دافيد وأوسلو وما تبعها عشرين عاما . . ولا تزال المفاوضات العبثية مستمرة . ورغم أن كل قادة اسرائيل صرحوا مرارا وتكرارا بأن الضفة الغربية هي ارض يهودا والسامرة وهي ارض اسرائيل ولا يمكن التنازل عنها مطلقا ولا حل الا بطرد هؤلاء الفلسطينيين الى البلاد العربية الاخرى مثل الاردن والعراق والسعودية أو اي مكان اخر يختارونه . . ولكن هؤلاء القادة في اسرائيل لم يحددوا تاريخا وموعدا لهذا الطرد .

وأخيرا في مارس ٢٠١٣ ظهر نتنياهو في تلفزيون BBC باللغة الانجليزية وقال له المذيع : لماذا تصرّون على بناء المستوطنات في الضفة الغربية وتخالفون القانون الدولي

؟ فقال نتنياهو : لا يوجد شيء اسمه الضفة الغربية . هذه هي ارض اسرائيل (يهودا والسامرة والتي قامت فيها دولة اسرائيل بعد ان انقسمت مملكة سليمان بعد وفاته وتحولت الى مملكتين صغيرتين متحاربتين هما مملكة اسرائيل ومملكة اورشليم) .

فسأل المذيع : ولماذا تطردون الفلسطينيين من اورشليم (القدس) وتستولون على منازلهم وتبنون المستوطنات العديده فيها وفيما حولها ؟ فأجاب نتنياهو : ان اورشليم هي العاصمة الابدية لاسرائيل . ولا بد ان تكون اسرائيل كلها وليس اورشليم فقط يهودية . وعلى العرب ان يرحلوا الى اي مكان شاؤوا .

فسأل المذيع : وهل تنوون بناء الهيكل ؟ قال : نعم بكل تأكيد فسأله مرة آخرى : متى ؟ فقال مابين ٢٠٢٠ و٢٠٢٤ وهذا أول تحديد رسمي لاقامة الهيكل وهدم المسجد الاقصى وطرد الفلسطينيين . وبما ان هدم الاقصى وبناء الهيكل وطرد أربعة ملايين فلسطيني في الضفة الغربية والقدس سيكون امرا صعبا للغاية ويثير ليس العالم العربي والاسلامي فحسب . ولكن العالم بأكمله فلا بد ان تدخل منطقة الشرق الاوسط بالذات في مرحلة الفوضى الخلاقة التي تحدثت عنها كوندليزا رايس وزيرة الخارجية في عهد بوش الابن .

وقد قامت الولايات المتحدة الامريكية بتنفيذ هذا المخطط بتحطيم العراق الذي كان في فترة سابقة من افضل الدول العربية تنظيما وقوة عسكرية وذلك منذ عهد الرئيس بوش الاب ثم الغزو الامريكي للعراق في عهد ابنه دبليو بوش الابن عام ٢٠٠٣ . ولا شك ان الرئيس صدام حسين مكّن لهم بذلك بدخوله في مغامرات

حربية عديدة أخطرها غزو الكويت البلد الذي ساندە بقوة في حربه مع ايران .
وانتهت العراق وتفتت واصبحت بيد شيعة ايران ما عدا مناطق الاكراد شبه المستقلة
بينما وقع السنّة في وضع مزري أدى بهم الى مقاومة الاحتلال وظهور قاعدة العراق .

ثم بدأت ثورات الربيع العربي في تونس أولا وتبعتها مصر وليبيا ثم سوريا . . .
وكانت هذه الثورات في أول أمرها سلمية ، ثم تحولت سوريا بالذات الى حرب أهلية
طاحنة وهي معرّضة للتقسيم الى كانتونات صغيرة متناحرة . . والاوضاع في مصر
بعد الانقلاب العسكري منذرة بالتحول الى حرب اهلية خطيرة رغم ان المتظاهرين
في رابعة العدوية وغيرها من الميادين مصرين على كونها سلمية والله نسأل ان لا
تتحقق هذه الخطط الجهنمية . . ولبنان على شفير حرب اهلية وليبيا كذلك .
والاوضاع في تونس غير مطمئنة . . واليمن في فوضى عارمة . . وأوار حرب بين
السنة والشيعة يحضّر لها لتدمر ما بقي من العالم العربي والاسلامي . . ووضع
باكستان وافغانستان حرج جدا والقتل فيهما لا يتوقف اما بين السنة والشيعة او
المتفجرات أو طالبان أفغانستان وباكستان أو الطائرات الامريكية بدون طيار (
الدرونس Drones) .

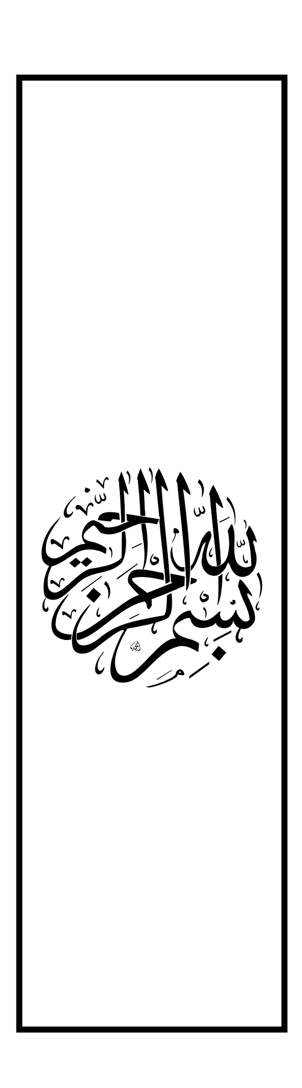
ومن المنطقي والطبيعي ان تسعى اسرائيل وانصارها لادخال المنطقة في فوضى
عارمة وحروب اهلية حتى يمكن تطبيق مخططات اسرائيل في طرد الفلسطينيين من
الضفة الغربية والقدس . وتهويد هذه المنطقة تهويدا كاملا وهدم المسجد الاقصى
وبناء الهيكل . . وذلك كله قد تقرر رسميا وموعده ما بين عامي ٢٠٢٠ و ٢٠٢٤

كما صرح بذلك نتنياهو مع الـ BBC وتبعه وزير خارجيته ليبرمان وصرّح بنفس تلك المعلومات لتلفزيون الـ BBC في مقابلة آخرى بعد بضعة ايام من مقابلة نتنياهو .

والله غالب على امره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

محمد علي البار

جدة ١٤/ ٨/ ٢٠١٣



القدس والمسجد الأقصى

عبر التاريخ

الطبعَـة الثانيـَة
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

القدس

والمسجد الأقصى عبر التاريخ

مع دارسة تحليلية للقضية الفلسطينية

الدكتور محمد علي البار



❁ قال تعالىٰ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء].

❁ وقال عزَّ من قائل: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝٥ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ۝٧﴾ [الإسراء].

❁ وقال تعالىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨﴾ [المائدة]

❁ قال عيسىٰ عليه السلام: يا أورشليم يا أورشليم!! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين، كم أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هو ذا بيتكم يترك لكم خرابًا، لأني أقول لكم إنه لا يترك حجر علىٰ حجر هاهنا لا ينقض». [إنجيل متىٰ ٢٤: ٢].



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

القدس أو الأرض المقدَّسة، جعلها اللهُ مسرى خِيرة أنبيائه وأصفيائه محمد صلى الله عليه وآله وسلم.. وهي أرض الرِّسالات ومثوى الأنبياء عليهم السلام جميعًا.. وهي مدينة السلام، وإليها يُحشر الناسُ ومنها يُبعثون(١)، وفضائلها لا تُعدُّ كثرةً، ومسجِدُها أُولى القبلتين وأرضُها ثالث الحرمين، والصلاةُ في مسجدها بخمسمائة صلاة فيما سواه، فقد روى البزَّارُ والطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الصلاةُ في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاةُ في مسجدي بألف صلاة، والصلاةُ في بيت المقدس بخمسمائة صلاة**». قال البزَّارُ: إسناده حسن.

وروى البيهقي عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**صلاة في المسجد الحرام مائة ألف صلاة، وصلاة في مسجدي ألف صلاة، وفي بيت المقدس خمسمائة صلاة**». وقد حسَّنه السيوطي. وقد صحَّ عن النبي ﷺ قوله: «**لا**

---

(١) أخرج ابن ماجه بسندٍ حسن عن ميمونة رضي الله عنها قالت: يا نبيَّ الله أفتنا في بيت المقدس؟ فقال: «**أرض المحشر والمنشر، ائتوه فصلُّوا فيه فإن صلاةً فيه كألف صلاة فيما سواه**». قال العجلوني في «كشف الخفاء ومزيل الإلباس» ج١/٣٤٥: هو عندي حسن إلا أن الصحيح أن صلاة فيه كخمسمائة صلاة.

تُشدُّ الرِّحالُ إلا إلىٰ ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصىٰ» رواه البخاري ومسلم.

وهي مسرىٰ رسول الله ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]، فالبركة فيه وفيما حوله من أرض فلسطين بل وأرض الشام بأكملها، وحديث الإسراء قد رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وقد تمَّ الإسراء برسول الله ﷺ جسَدًا ورُوحًا من مكَّةَ المكرمة إلىٰ بيت المقدس حيث جَمع الله له الأنبياء فصلَّىٰ بهم إمامًا، ثم عُرِجَ به إلىٰ السماء واحدة بعد أُخرىٰ حتىٰ وصل إلىٰ سِدْرَةِ المُنتهىٰ حيث سمع صَرِير الأقلام، فكان قابَ قوسين أو أدنىٰ مما سجَّله المولىٰ عزَّ وجل قرآنًا يُتلىٰ علىٰ مدىٰ الدُّهور والأيام. قال تعالىٰ: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾**﴾ [النجم].

وفي رواية الإمام أحمد عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«أُتيتُ بالبُراق وهو دابة أبيض، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهىٰ طرفه، فركبته فسار بي حتىٰ أتيتُ بيت المقدس، فربطتُ الدَّابَّة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء** (هو اليوم حائط البراق الذي يسمِّيه

اليهود حائط المبكىٰ أو الحائط الغربي بزعم أنه من بقايا الهيكل) **ثم دخلتُ فصلَّيتُ فيه ركعتين..**» ثم يذكر عُروجه ﷺ إلىٰ السماء، ومن رأىٰ في كلِّ سماء من الأنبياء، حتىٰ وصل إلىٰ سدرة المنتهىٰ، ثم فُرضت عليه الصلاة خمسون صلاة في اليوم والليلة، فقال له موسىٰ عليه السلام: «**يا محمد ماذا عهدَ إليك ربك؟ فقال: عهد إليَّ خمسين صلاة كل يوم وليلة، فقال له موسىٰ: إن أُمَّتك لا تستطيع ذلك، فارجع إليه فليخفف عنك ربك**»، وما زال ﷺ يراجع ربَّه بمشورة من موسىٰ عليه السلام ويطلب منه التخفيف حتىٰ صارت خمسًا. فقال الجبار تبارك وتعالىٰ: «**إنه لا يُبدَّلُ القول لديَّ، كما فرضت عليك في أمِّ الكتاب، فكل حسنة بعشر أمثالها، فهي خمسون في أمِّ الكتاب، وهي خمسٌ عليك**».

وهكذا حطَّ الله عنَّا الخمسين حتىٰ صارت خمسًا بمشورة موسىٰ عليه السلام الذي عرف بني إسرائيل، فطلب من رسول الله ﷺ أن يُراجع ربَّه ويسأله التخفيف، فجزىٰ الله سيدنا موسىٰ عن أمَّة الإسلام خيرَ الجزاء، وقد أوضح حديث الإسراء وحدة الأنبياء وقوَّة الرابطة بينهم وشفقتهم علىٰ أمَّة محمد ﷺ، وتمنِّيهم أن يكونوا من هذه الأمة المرحومة، ولهذا فنحن نتولىٰ الأنبياء الكرام من لدن آدم عليه السلام إلىٰ خاتمهم وسيدهم وإمامهم محمد ﷺ.. ونحن أحقُّ بموسىٰ عليه السلام من بني إسرائيل الذين آذَوهُ أشدَّ الأذىٰ، ونحن لا شكَّ أحقُّ بداود وسليمان منهم، فقد لعنهم داود وعيسىٰ ابن مريم، قال تعالىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾ [المائدة]، كما أنهم اتَّهموا سليمان

عليه السلام بالسِّحر، واتَّهموه بأنه عَبَدَ الأوثان وبنىٰ لها المعابد كي يُرضي زوجاته مما سنعرضه من كتبهم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وهم الذين آذَوا موسىٰ فبرَّأه الله مما قالوا، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب]، وهم الذين قتلوا الأنبياء وكذَّبوهم، قال تعالىٰ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة].

وقال عنهم ربُّ العزَّة يصِفُ ذلتهم وهوانهم عندما يجِدُون مَن هو أقوىٰ منهم، وتكبُّرهم وتجبُّرهم عندما يجدون من هو أضعف منهم: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران].

وبعدُ: فهذا كتاب عند القدسِ والمسجد الأقصىٰ الذي يرزح تحت نير الاستعمار الاستيطاني اليهودي الصهيوني، والذي يتعرَّضُ لهجمة شرسة تسعىٰ إلىٰ تدنيسه وإلىٰ هدمه من قِبَل هؤلاء اليهود، تدعمهم أمريكا والصهيونية المسيحية التي يعتنقها عشرات الملايين من البروتستانت، كما يساندهم بعض الكاثوليك في الآونة الأخيرة، وكلهم يسعون إلىٰ تحقيق نبوءات العهد القديم وبالذَّاتِ ما جاء في سفر حزقيال التي تشير إلىٰ:

١ ـ عودة بني إسرائيل إلىٰ فلسطين كما تعود الطير إلىٰ أوكارها.

٢ ـ عودة أورشليم إلىٰ حكم إسرائيل وازدياد العمران فيها.

٣ ـ بناء الهيكل.

وهذا النبوءات الثلاث قد تحققت بعد أن هدم بنوخذ نصر البابلي الهيكل وأورشليم عام ٥٨٦ قبل الميلاد، وذلك بعودة المنفيين في أيام قورش الفارسي، وتزعَّم عزرا ونحميا وغيرهما من أنبياء بني إسرائيل وقادتهم أمر العودة إلىٰ أورشليم وبناء الهيكل، وقد تم ذلك كله سنة ٥٣٨ قبل الميلاد، ولكن هؤلاء اليهود والنصارىٰ المتصهينين يُسقطون نبوءات العهد القديم علىٰ الوضع الحاضر، ويعتقدون اعتقادًا جازمًا أن ملك اليهود المسيح (الدجال) الذي يطلقون عليه الماشيح لن يأتي إلا بتحقق هذه النبوءات الثلاث، ولذا فهم يدعمون دعمًا كاملاً عودة اليهود إلىٰ فلسطين، وقد كان لبريطانيا البروتستانتية أكبر الأدوار في إعادة اليهود إلىٰ فلسطين، وتحمَّسوا لذلك حماسًا شديدًا، وأتمُّوه فعلاً بالاستيلاء علىٰ فلسطين عام ١٩١٧ عندما دخلت جيوش اللنبي إليها، وقد كانت فلسطين والشام بأكمله والجزيرة العربية تنضوي تحت الدولة العثمانية التي حوَّلها أصحاب تركيا الفتاة وجون ترك إلىٰ دولة قومية متعصبة، مهَّدت لقيام الثورة العربية كردٍّ فعل بقيادة الشريف حسين، وأدىٰ ذلك إلىٰ وقوف كل العرب ضِدَّ تركيا المسلمة مع انجلترا الكافرة، وصدَّقوا وعود الإنجليز لهم بالاستقلال والحريَّة. مما أدَّىٰ إلىٰ فقدان استقلال الشام وانضوائه تحت الاستعمار الفرنسي.. وضاعت فلسطين بوعد بلفور لليهود في ١٩١٧/١١/٢ وتحوَّلت تحت الانتداب البريطاني إلىٰ مشروع قيام دولة إسرائيل، وكان

أول مندوب سامي هو هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني لينفذ المخططات الرهيبة التي تآمرت فيها دول أوربا وأمريكا، ولكن بريطانيا حَمَلت الوزر الأكبر في التنفيذ.

وفي هذا الكتاب تعرَّضنا أولاً لأسماء القدس العديدة ومن أين جاءت هذه الأسماء، ثم انتقلنا إلىٰ جغرافية القدس والآثار الإسلامية والمسيحية الهامَّة فيها، ومن ثمَّ دلفنا إلىٰ تاريخها الطويل من العهد الكنعاني اليبوسي قبل خمسة آلاف عام إلىٰ ظهور بني إسرائيل ثم ما تمَّ من نفيهم.. وظهور النصرانية وبقاء سُكَّان القدس من العرب الكنعانيين القدماء إلىٰ يومنا هذا مع رفدهم بهجرات عربية جديدة قبل الفتح العمري وبعده.

وتعرَّضت لهذا التاريخ الإسلامي ثم الغزو الصليبي ثم استعادة صلاح الدين لها ودوره في تحريرها من رجسهم، ثم كيف أضاع أحد أحفاد صلاح الدين هذا الجهد المبارك وسلَّم القدس بنفسه إلىٰ الإمبراطور الألماني لكي يدعمه في محاربة إخواته وأبناء عمومته، فيالها من صفقة خاسرة، ولكن ذلك لم يدم سوىٰ عشر سنوات عادت بعدها القدس إلىٰ رحاب الحكم الإسلامي المتسامح مع جميع الديانات، وبقيت كذلك حتىٰ دنَّسها اللنبي بأقدامه النجسة حيث قال: «الآن انتهت الحروب الصليبية»، وحيث قال لصلاح الدين في قبره في دمشق: «ها قد عدنا يا صلاح الدين!!»[1]، رغم أنه لم يعد إلا بِحِراب العرب الذين صدَّقوا

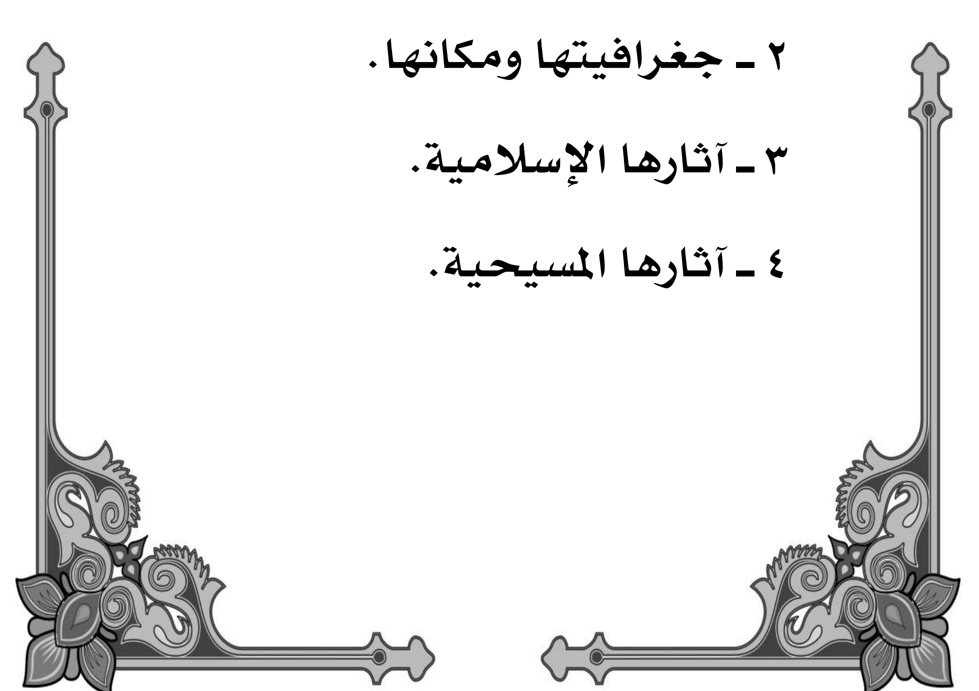
(١) وهو ما قاله القائد الفرنسي الجنرال جورو عام ١٩٢٠ عند دخوله دمشق أيضًا، وهذا يوضح العقلية الصليبية العدائية للإسلام والمسلمين، وعندما دخلت قوات اللنبي القدس في ١٩١٧/١/١٠ دقت أجراس الكنائس في كل أوربا (بما في ذلك ألمانيا عدوة بريطانيا آنذاك) فرحًا وابتهاجًا.

وعود الانجليز علىٰ لسان اللورنس ومكماهون وأمثالهم، فجازوهم جزاء سنمار وأعطوا أرضهم ليهود لتكون مسرحًا لهذه الجماعات الخبيثة المتجمعة من كافة أصقاع الأرض لتحقق نبوءات وخزعبلات آمن بها عدد كبير من ساسة الغرب في أوروبا والولايات المتّحدة، ولتحقق أهدافهم الاستعمارية ولتمزيق الأمة حتىٰ لا تعود إلىٰ مكانتها.

واستعرض الكتاب الوضع إلىٰ انتفاضة الأقصىٰ المباركة في سبتمبر (أيلول) ٢٠٠٠ وما تبعها من صور الفِداء والمقاومة التي توضح مدىٰ استعداد هذا الشعب للبذل والفداء حتىٰ يقترب الموعد الذي يقول فيه الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله تعالَ هاهنا يهودي ورائي فاقتله، وإنه لموعد قريب مهما طال في ظنِّ المغرورين والمخدوعين، والله غالبٌ علىٰ أمره، ولينصرنَّ الله من ينصره.



التعرف على القدس



١ ـ أسماؤها.

٢ ـ جغرافيتها ومكانها.

٣ ـ آثارها الإسلامية.

٤ ـ آثارها المسيحية.

القدس وأسماؤها

للقدس أسماء كثيرة سنذكر أشهرها فيما يلي:

١ ـ أورسالم:

وهو أقدم أسمائها، وأور تعني مدينة، وسالم أو شالم أو شاليم قيل إله السلام عند الكنعانيين.. وقد ذكرها الأكاديون الذين نزلوا العراق في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد.. وفي لوحات تل العمارنة التي اكتشفت في محافظة أسيوط، والتي ترجع إلىٰ عهد الفرعون أمنوفيس (أمنحتب) الثالث (من ١٤١١ ـ ١٣٧٥ قبل الميلاد) ذكر لمدينة أورسالم، ففي رسالة كتبها عبد يحيبا (هبه) حاكم القدس من قبل الفرعون أمنوفيس يستنجد فرعون ليمدَّه بمدد عسكري حتىٰ يواجه غزوات البدو (الحبيرو: الهابيرو: العابرون) الذين عرفوا أيضًا باسم العبريون وهو قوم عبروا النهر وغزوا فلسطين، ولا يبدو أن لهم علاقة مباشرة ببني إسرائيل.

ويتكرر اسم أورسالم أو أورشليم في نقوش الإمبراطور الآشوري سنحاريب (٧٠٠ قبل الميلاد) حيث ورد اسمها أوروسليمو كما يقول الدكتور حسن ظاظا في كتابه «القدس مدينة الله أم مدينة داود».

وتحول الاسم عند اليونان بعد غزو الإسكندر المقدوني لها

(٣٣٠ ق.م) إلىٰ هيروسوليما أو سوليما، واشتهرت باسم أورشليم وحرَّفها الغربيون المحدثون إلىٰ Jerusalem.

وقد ذكر الأعشىٰ أورسالم بلفظ أُورىٰ سَلِمْ حيث قال:

وقــد طُفــتُ للمــالِ آفاقــهُ   دمشــقَ فحمـصَ فـأُوري سَـلِمْ

٢ ـ القدس

يقول الدكتور حسن ظاظا في كتابه «القدس مدينة الله أم مدينة داود» أن اسم القدس قديم أيضًا، حيث ذكر المؤرِّخ اليوناني هيرودوت المشهور لديهم بأبي التاريخ (٤٨٤ ـ ٤٢٥ ق.م) مدينة كبيرة في فلسطين سماها (قديتس)، ويقول المستشرق الفرنسي سالومون مونك في كتابه «فلسطين» أن هذا الاسم محرَّفٌ علىٰ الأرجح من اسم القدس.

وفي سفر أشعيا ٤٨/٢ وسفر نحميا ١١/١ من التوراة المحرَّفة سُمِّيت أورشليم باسم «مدينة القدس»، وذُكِرَ أيضًا جبل القدس (سفر أشعيا ٢٧/١٣).

وظهر اسم القدس عند العرب متأخرًا، فقد كانت تذكر باسم بيت المقدس، وقال ناصر خسرو في رحلته سنة ٤٣٨هـ: «وأهل الشام وأطرافها يسمُّون بيت المقدس (القدس)» [نقلاً عن محمد حسن شُرَّاب في كتابه القَيِّم: «بيت المقدس والمسجد الأقصىٰ»].

وذكرها أبو العلاء المعرِّي في قوله:

واخلـع حـذاءكَ إذا حاذَيتهـا وَرَعًـا   كفعلِ موسىٰ كليم الله فـي القُـدُسِ

وهل كان المعري يقصد بيت المقدس أو يقصد طور سيناء؟ لأن

موسىٰ خلع نعليه بالوادي المقدس طُوىٰ في طور سيناء؟ ولعل الثاني هو الأصوب.

وقد أطلق علىٰ القدس لقب القدس الشريف، ويبدو ـ كما يقول الأستاذ محمد حسن شُرَّاب ـ أنَّ أول من وصف القدس بالشريف هو يحيىٰ بن سعيد الأنطاكي في كتابه «تاريخ الذيل» الذي ألَّفه عام ٤٥٨هـ. ثم ذكرها بعد ذلك ابن بطوطة وغيره بهذا الوصف.

٣ ـ بيت المَقْدِس[(١)]:

(بسكون القاف) وقد جاء في حديث الإسراء الذي رواه مسلم وأحمد في مسنده: «**فركبته** ـ أي البراق ـ **حتىٰ أتيتُ بيت المقدس**» قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: أمَّا بيتُ المقْدِس، ففيه لغتان مشهورتان غاية الشهرة: إحداهما بفتح الميم وإسكان القاف وكسر الدال المخففة (المَقْدِس) والثانية: بضم الميم وفتح القاف والدال المشدَّدة (المقَدَّس).

وقال الواحدي: أما من شدَّده، فمعناه المطهَّر، وأما من خفَّفه فقال أبو علي الفاسي: لا يخلو، إما أن يكون مصدرًا أو مكانًا، فإن كان مصدرًا كان كقوله تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ ونحوه من المصادر، وإن كان مكانًا فمعناه «بيت المكان الذي جعل فيه الطهارة، أو بيت مكان الطهارة» وتطهيره: إخلاؤُه من الأصنام.

---

(١) نقلاً عن محمد حسن شُرَّاب: «بيت المقدس والمسجد الأقصىٰ»، دار القلم ـ دمشق، والدار الشامية ـ بيروت ١٩٩٤م، ص٣٤ وما بعدها، بتصرف وزيادات.

وقال الزَّجَّاج: البيت المُقدَّسُ: المُطَهَّر. وبيتُ المَقْدِس: أي المكان الذي يُطهَّر فيه من الذنوب.

وذكرها ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان»(١) باسم المَقْدِس: «وفي اللغة المنزَّه». وقال قتادة: المراد بأرض المقدس أي المبارك، إليه ذهب ابن الأعرابي، قال تعالىٰ: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ۝٧١﴾ [الأنبياء]، قال مقاتل: هي بيت المقدس، وقوله تعالىٰ لبني إسرائيل: ﴿وَوَٰعَدْنَـٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ [طه: ٨٠]، يعني بيت المقدس، وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾ [المؤمنون]، قال: هو بيت المقدس، وقال تعالىٰ: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] هو بيت المقدس، ورفع الله عيسىٰ بن مريم عليه السلام إلىٰ السماء من بيت المقدس، وفيه مهبطه إذا هبط.. وعن النبي ﷺ: «**لا تُشدُّ الرجال إلا إلىٰ ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، ومسجد البيت المقدس**».

وذكر من فضائلها أنها أقرب بقعة في الأرض من السماء، ويمنع الدجال من دخولها، ويهلك دونها يأجوج ومأجوج، وأن آدم عليه السلام أوصىٰ أن يدفن بها، وكذلك إسحاق وإبراهيم، وحُمِلَ يعقوب من أرض مصر حتىٰ دفن بها، وأوصىٰ يوسف عليه السلام حين مات بأرض مصر أن يحمل إليها (هؤلاء جميعًا دُفنوا في فلسطين في مدن مختلفة خارج القدس، فالخليل إبراهيم وزوجته وإسحاق ويعقوب كلهم مدفونون في

(١) ياقوت الحموي: «معجم البلدان» ج٥/١٩٥٧، دار صادر ـ بيروت، ص١٦٦ ـ ١٧٢.

مدينة الخليل التي كانوا يدعونها حبرون) ونقل عن كعب الأحبار اليهودي الذي أسلم في زمن عمر رضي الله عنه كثيرًا من الأخبار والحكايات، وبعضها يصِحُّ وأكثرها مبالغات، ومن الصحيح عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: قلتُ لرسول الله ﷺ: أيُّ مسجد وُضع علىٰ وجه الأرض أولاً؟ قال: «**المسجد الحرام**». قلتُ: ثُمَّ أي؟ قال: «**البيت المقدس، وبينهما أربعون سنة**».

قال ياقوت: «والذي شاهدته أنا منها أن أرضها وضياعها وقُراها كلها جبال شامخة، وليس حولها ولا بالقربِ منها أرض وطيئة البتة، وزروعها علىٰ الجبال.. وأما نفس المدينة فهي علىٰ فضاء في وسط الجبال وأرضها كلها حجر من الجبال التي عليها، وفيها أسواقٌ كثيرة وعمارات حسنة، وأما الأقصىٰ فهو في طرفها الشرقي نحو القبلة، أساسه من عمل داود (عليه السلام)، وهو طويل عريض، وطوله أكثر من عرضه، وفي نحو القبلة المُصلَّىٰ الذي يُخطب فيه للجمعة، وهو علىٰ غاية الحُسن والإحكام، مبنيٌّ علىٰ الأعمدة الرخام الملونة والفسيفساء التي ليس في الدنيا أحسن منها، لا جامع دمشق ولا غيره».

ووصف قبه الصخرة التي تزار وعلىٰ طرفها أثر قدم النبي ﷺ، وتحتها مغارة ينزل إليها بعدة درج مبلطة بالرخام.. ولهذه القبة أربعة أبواب، وفي شرقيها برأسها قبة أخرىٰ علىٰ أعمدة مكشوفة يقولون أنها قبة السلسلة.. ثم وصف المدينة ومياهها وأسواقها وعين سلوان المشهورة بالماء الذي شبهوه بزمزم. وذكر أطرافًا من تاريخها وغزو الصليبيين لها واستيلاؤهم عليها والمذابح التي أقاموها للمسلمين حتىٰ أنهم ذبحوا أكثر من سبعين ألفًا لجؤوا إلىٰ المسجد الأقصىٰ.. وذلك مما سنذكره فيما بعد، وبهذا القدر نكتفي هاهنا.

٤ ـ يبوس:

ويبوس هي القبيلة العربية القديمة التي سكنت القدس، وهم سُكَّان القدس من الكنعانيين الأقدمين ـ بل قيل إنهم أول من سكنها ـ واليبوسيون، كما قيل هم أول من بنىٰ مدينة القدس وسَمّوها أورسالم (أوري سلم) كما قد مرَّ معنا من اسمها، أي مدينة السلام، أو مدينة إله السلام.

وبقيت هذه القبيلة الكبيرة تسكن القدس لفترة طويلة من الزمان حتىٰ أننا نجِدُ أن يوشع بن نون رغم فتوحاته الكثيرة إلا أنه لم يستطع أن يهزمهم أو يدخل ديارهم، ففي سفر يوشع (١٥/٦٣) جاء ما يلي: «وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا علىٰ طردهم، فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلىٰ هذا اليوم» والمقصود بهذا اليوم إلىٰ عهد مؤلف السفر المجهول.

وبقيت أورشليم تسمىٰ يبوس أو مدينة اليبوسيين لفترة طويلة بعد عهد يوشع بن نون عليه السلام، فقد جاء في سفر القُضاة (١٩) من التوراة المحرَّفة: «وفيما هم عند يبوس انحدر النهار جدًّا، قال الغلام لسيِّده: تعالَ نميلُ إلىٰ مدينة اليبوسيين هذه ونبيتُ فيها، فقال له سيِّده: لا نميل إلىٰ مدينة غريبة حيث لا أحد من بني إسرائيل هنا».

ويبدو أن يوشع بن نون فتح مدينة القدس، أو اصطلح مع أهلها، ثم كانت الغلبة بعده لأهلها اليبوسيين حتىٰ أنهم طردوا اليهود منها، وهذا ما قاله هذا الرجل من سبط بنيامين لغلامه بعد زمن طويل من وفاة يوشع، وبقيت كذلك حتىٰ زمن داود عليه السلام الذي فتحها وبقي أهلها فيها من اليبوسيين وأسكن معهم سبط يهوذا. وفي سفر القضاة ـ الإصحاح ٢١:

١٢ «وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان أورشليم فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في أورشليم إلىٰ هذا اليوم».

٥ ـ إيليا كابيتولينا (إيلياء):

كانت القدس (أورشليم) خاضعة للإمبراطورية الرومانية ولكن اليهود قاموا بثورات عدة منها ثورة بركوكبا (أي ابن الكوكب، وهو شخص ادَّعىٰ أنه المسيح المنتظر) الذي هاجم الرومان واحتلَّ بعض المناطق من فلسطين من سنة ١٣٠ إلىٰ سنة ١٣٥ ميلادية فأرسل له الإمبراطور إيليوس هدريان جيشًا قويًا فقتله، وأباد اليهود، ولم يترك في أورشليم يهوديًا واحدًا، وجاء إلىٰ مكان الهيكل فأقام عليه معبدًا لجوبتير كبير آلهة الرومان (وهو مقابل زيوس كبير الآلهة عند اليونان)، وغيَّر اسم المدينة إلىٰ إيلياء أي مدينة إيليوس نسبة إليه، وأكمله باسم كابيتولينا أي الكابيتول وهو اسم معبد جوبتير الكبير، ولا يزال اسم الكابيتول يطلق في الولايات المتحدة علىٰ المبنىٰ الكبير في واشنطن (عاصمة الولايات المتحدة) حيث يجتمع الكونجرس، وقد أسموه كذلك تيمُّنًا باسم المعبد الضخم المقام علىٰ تل الكابيتول في روما لكبير الآلهة جوبتير. وقد بنيت روما علىٰ سبعة تلال أحدها يعرف باسم الكابيتول أو كابيتولينا.

ومنع اليهود من دخول القدس (أورشليم أو إيلياء) وجُعِلَ الموت عقوبة لمن يدخلها، ثم سُمِحَ لهم بالدخول إليها يومًا واحدًا في السنة، وقد ذكر ذلك اليهود أنفسهم في تفاسيرهم القديمة ـ المدراش في تفسيرهم لسفر الجامعة كما ذكر ذلك المؤرِّخ يوزيبوس الذي زار إيليا في القرن الميلادي الثاني.

وقد اشتهر اسم إيلياء لدىٰ المسلمين حيث جاء في العهد الذي كتبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل إيلياء، وتكتب بالمدِّ والقصر كما تكتب (الإليا) بالتعريف، وفي رواية البخاري في كتاب الجهاد: «أن هرقل لما كشف الله عنه جنود فارس، مشىٰ من حمص إلىٰ إيلياء شكرًا لله»، وفي عهد عمر رضي الله عنه: «**هذا ما أعطىٰ عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان**، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أن لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها.. **ولا يسكن بإيلياء أحد من اليهود، وعلىٰ أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يُعطي أهل المدائن**».

وتكرر في هذه المعاهدة اسم إيلياء عدة مرات «فمن أحبَّ من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويخلِّي صلبهم وبيعهم فإنهم آمنون علىٰ أنفسهم وعلىٰ بيعهم وصلبهم حتىٰ يبلغوا مأمنهم» الخ، ومنها قوله: «ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما علىٰ **أهل إيلياء** من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلىٰ أهله».

ومن أسماء القدس غير المشهورة ما ذكره ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري شرح صحيح البخاري»:

٦ ـ كُورة:

بضم الكاف، ويطلق علىٰ كل مدينة، وهي صفة لبيت المقدس لكونها مدينة كبيرة وتحيط بها القُرىٰ.

٧ ـ بيت إيل:

إيل بمعنىٰ الله أي بيت الله، وهو البيت الذي قالوا أن يعقوب عليه

السلام بناه لله فصار مدينة حوله، وقد أخطأ ابن حجر وكثير من المفسِّرين في جعلها من أسماء القدس، فبيت إيل كما يقول الأستاذ محمد حسن شُرَّاب تقع في قضاء رام الله علىٰ بُعد ثلاثة كيلو مترات من البيرة، وجاء في التوراة أيضًا أن إبراهيم عليه السلام بناه.

٨ ـ صِهيون:

(بكسر الصاد وسكون الهاء وفتح الياء) وهو اسم جبل من جبال القدس. ويقع في الجنوب الغربي منها، وقد أقام عليه اليبوسيون أول حصن لهم، ومن معانيه الحصن أو الجبل.

٩ ـ مصروث:

قال الأستاذ محمد حسن شُرَّاب: لعلها «المصرارة» وهي حي من أحياء القدس، قلتُ: والمصَرَّة: قرية في قضاء بيت لحم.

١٠ ـ بابوس:

ويبدو أنه تحريف لاسم «يابوس» أو «يبوس».

١١ ـ كورشيلا:

قال الأستاذ محمد حسن شُرَّاب في كتابيه القيِّم «بيت المقدس والمسجد الأقصىٰ» أنه لم يجدها بهذا الاسم ولعلَّها مركَّبة من اسم الإمبراطور الفارسي كورش (قورش) الذي أعاد اليهود إلىٰ فلسطين بعد السبي البابلي وأمر بإعادة بناء القدس والهيكل، ولفظ إيل بمعنىٰ إلٰه أو الله، وفي سفر عزرا يقول: «إن الربَّ نبَّه روح كورش ملك فارس فأطلق

نداء في مملكته قائلاً: إن الرب إله السماوات أعطاني جميع ممالك الأرض وأوصاني بأن أبني له بيتًا في أورشليم».

١٢ ـ كير كومش carchemush:

وكير تعني مدينة أي مدينة كومش.

١٣ ـ مدينة قادس:

وهو اسم سامي ويعني المقدس أو القدس.

١٤ ـ حور اشليم:

أي غار المتوحدين أو المتعبدين، حورا: مغارة، ومنه بالعربية حراء، وشليم: جمع شليو وهو المتعبد في لغة الكلدانيين.



جغرافية القدس

تقع القدس علىٰ خط طول ٣٥ درجة و١٣ دقيقة شرقًا، وخط عرض ٣١ درجة و٥٢ دقيقة شمال خط الاستواء، وترتفع نحو ٧٥٠ مترًا عن سطح البحر الأبيض المتوسط، وهي تقع في وسط فلسطين، وكأنها قلبها النابض، فمن الشرق تقع مدينة أريحا وغور الأردن، ومن الشمال تقع رام الله ونابلس، وفي الجنوب تقع مدينة خليل الرحمن (حبرون)، ومن الشمال تقع اللد والرملة ثم يافا علىٰ البحر الأبيض المتوسط.

وتبعد القدس ٢٢ كيلو مترًا عن البحر الميت، و٥٢ كيلو مترًا عن المتوسط، وعلىٰ بُعد ٨٨ كيلو مترًا من عمَّان.

وجو القدس قاري حيث ترتفع الحرارة صيفًا إلىٰ الثلاثين مئوية أو ما فوقها، وتنخفض في ليل الشتاء البارد إلىٰ ما تحت الصفر، والتفاوت كبير كذلك ما بين الليل والنهار في درجات الحرارة، ومطرها مثل منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط شتوي.

وليس بالقدس أو حولها أنهار، وإنما تحيط بها عيون كثيرة تتفاوت في غزارة الماء وعذوبته، وتندفع بعض الجداول المؤقتة في موسم الأمطار، وكانت المدينة تعتمد علىٰ تجميع مياه الأمطار في صهاريج وآبار أعدت لهذا الغرض.

وتقع القدس علىٰ هضبة متوسطة الارتفاع تتراوح ما بين ٢١٣٠ قدمًا و٢٤٦٩ قدمًا (حوالي ٧٥٠ مترًا)، وتتوزع إلىٰ عدة مرتفعات أو جبال أهمها:

١ ـ جبل الزيتون:

أو جبل الطور (وهو قطعًا غير طور سيناء الذي كلَّم الله عليه موسىٰ عليه السلام) ويقع جنوبي جبل المشارف، وارتفاعه ٢٧١٠ قدمًا ويطلُّ علىٰ المنطقة الجنوبية الشرقية من القدس، ويواجه أسوار الحرم الشرقية، ويفصله عنه وادٍ عميق سريع الانحدار هو وادي قدرون (وادي جهنم).

وفي أسفل هذا الجبل توجد حديقة المعصرة (جتسماني) التي يقول النصارىٰ أن عيسىٰ عليه السلام صلىٰ عندها وهو في النزع الأخير (حسب زعمهم)، وفي أعلاه مغارة التقىٰ فيه المسيح عليه السلام بالحواريين قبل صعوده إلىٰ السماء كما يقول النصارىٰ، وقابله الحواريون بأغصان الزيتون الخضراء.

وفي هذا الجبل دفن جماعة من شهداء المسلمين في الفتح العمري (محاولة الفتح قبل الصلح) والفتح الأيوبي علىٰ يد صلاح الدين بعد ذلك بأكثر من خمسة قرون.

٢ ـ جبل المشارف:

دعي بذلك لأنه يشرف علىٰ القدس ويسمىٰ أيضًا جبل المشهد، أما اسمه الروماني القديم فهو جبل سكوبُس، ويقع إلىٰ الشمال من القدس وارتفاعه ٢٨٤٠ قدمًا، ويطل علىٰ كل المنطقة الشمالية المتصلة بمدينة رام الله.

ويسمِّيه التلمود جبل المراقبين (هارهاصوفيم) وهو امتداد لجبل الزيتون من الشمال الشرقي يفصل بينهما منخفض يسمىٰ عقبة الصوان.

٣ ـ جبل النبي صموئيل:

يقع في الشمال الغربي من القدس وارتفاعه ٨٨٥ مترًا/٢٩٢٠ قدمًا وهو علىٰ بُعد خمسة أميال من وسط القدس القديمة ويُشرف علىٰ المنحدرات الغربية ويطل بالتالي علىٰ المنطقة الساحلية.

٤ ـ جبل المكبّر:

يقع في جنوب القدس، ومنه دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند دخوله القدس يوم فتحها صلحًا، وتصل قمَّته إلىٰ ٧٩٥ مترًا/ ٢٦٢٣ قدمًا، ويقال أن عمر رضي الله عنه عندما علاه كبَّر فكبَّر المسلمون، ولذا سُمِّي جبل المكبر، وعلىٰ جانب من جبل المكبر يقوم قبر الشيخ أحمد أبي العباس الملقب بأبي ثور لأنه كان يركب ثورًا، وهو من المجاهدين الذين اشتركوا في فتح القدس مع صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م.

٥ ـ جبل العاصور:

وهو «بعل حاصور» بمعنىٰ «قرية البعل» حيث كانت عبادة البعل منتشرة هناك، ويصل ارتفاعه إلىٰ ١٠١٦ مترًا فوق سطح البحر (٣٣٥٢ قدمًا) ويقع بين قريتي جرير وسلواد[١].

(١) نقلاً عن محمد حسن شُرَّاب «بيت المقدس والمسجد الأقصىٰ»، دار القلم، ص٤٤ ولم يذكره غيره من المصادر.

٦ ـ جبل بطن الهوا[١]:

وهو امتداد لجبل الزيتون في الزاوية الجنوبية الشرقية للقدس ويفصله عنها وادي سلوان الذي يتصل في هذه النقطة بوادي قدرون (جهنم) ويسميه اليهود الجبل الفاضح (هارهامشحيت) ويزعمون فيه كذبًا وبهتانًا أن سليمان عليه السلام أقام عليه المعابد الوثنية لنسائه الأجنبيات كما جاء في سفر الملوك الأول ١/١١ ـ ٨: «وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون.. فأمالت نساؤه قلبه وراء آلهة أخرىٰ، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلها كقلب داود، فذهب سليمان وراء عشتروت آلهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين، وعمل سليمان الشرَّ في عيني الربّ» لعنةُ الله علىٰ اليهود الذين كذَبوا علىٰ سليمان وغيره من الأنبياء.

❖ وأما الجبال التي تقع في داخل سور المدينة فهي أربعة:

١ . جبل موريا:

أو جبل الحرم القدسي، وقد ورد اسم موريا في التوراة في سفر التكوين (٢/٢٢) في قصة الذبيح الذي أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يقدِّمه قُربانًا وحَدَّد له هذا الموضع ليذبح فيه ابنه إسحاق عليه السلام، ويرىٰ اليهود السامرة أن المكان هو في جبل جرزيم بالقرب من نابلس علىٰ عكس الطوائف الأخرىٰ من اليهود الذين يعتقدون أن المكان هو جبل موريا في القدس، وأما المسلمون فيرون أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، وموقع الذبح في منىٰ بالقرب من مكة، حيث ظهر الشيطان

---

(١) ذكره الدكتور حسن ظاظا في كتابه «القدس مدينة الله أم مدينة داود» دار القلم، ص٥٣ ـ ٥٤، ولعل هو نفسه جبل العاصور لارتباطه بالبعل وعبادة الأوثان.

لسيدنا إبراهيم ليثنيه عن ذبح ابنه ثلاث مرات، وفي كل مرة يرميه بسبع حصيات، وهو ما يفعله الحُجَّاج في رمي الجمرات وهي المواقع التي ظهر فيها الشيطان لسيدنا إبراهيم عليه السلام، ويقع جبل موريا في شرق القدس وفيه المسجد الأقصىٰ وقبة الصخرة والساحات.

٢ ـ جبل بزيتا:

وهو متصل بجبل الزيتون في الشمال الشرقي للمدينة بين باب الساهرة (الزاهرة) وباب حِطَّة، كما أنه متصل بجبل موريا (الحرم القدسي).

٣ ـ جبل أكرا:

يقع في الجنوب ويتصل بجبل موريا وكان يفصله عن جبل صهيون وادٍ ضيِّق يعمل فيه أصحاب الجُبن فسمِّي وادي الجبَّانة (التيروبيرون) أي صانعي الجبنة، وقد بنىٰ انطوخيوس الرابع (١٧٥ ق.م) قلعة سماها أكرا، ومن ثمَّ أصبح هذا الجبل يسمىٰ أكرا.

٤ ـ جبل صهيون:

ويقع في الجنوب الغربي للقدس القديمة، وكانت عليه قلعة اليبوسيين وهو من أقدم، وربما أقدم أجزاء مدينة القدس، إذ كان أول بناء يبنيه اليبوسيون قبل خمسة آلاف عام، وصهيون تعني جبل أو تل بلغة اليبوسيين كما يقال، ثم استولىٰ داود عليه السلام علىٰ هذا الحصن والجبل، ومنه دخل القدس، وقد سمي آنذاك جبل داود أو مدينة داود، وهناك مقام علىٰ هذا الجبل يدعىٰ مقام النبي داود.

والجدير بالذكر أن جبل «صهيون» يضمُّ معالم أثرية عربية، ففيه بنىٰ

صلاح الدين الأيوبي مسجدًا باسم النبي داود، يُعتقد أنه موضع قبره عليه السلام، واستولت إسرائيل علىٰ هذا الموقع وحوَّلت المسجد إلىٰ كنيس يهودي، وتوجد علىٰ هذا الجبل كنيسة مريم، وهي موقع العشاء الأخير للمسيح عليه السلام ـ حسب قولهم ـ مع تلاميذه.

وعلىٰ الجبل مقابر للمسلمين وأرض لعائلات فلسطينية، ولكن إسرائيل استولت علىٰ الموقع بكامله بعد حرب ١٩٦٧، وإن كان المجلس الدولي للآثار يعترف بأهمية الآثار الإسلامية فيه، وأن الموقع بكامله فلسطيني عربي، وليس لليهود فيه أي آثار.

❖ وديان القدس:

للقدسِ وديان عديدة تفصل بين جبالها ومرتفعاتها، وأهمها:

١ ـ وادي سُلْوان:

وهو اسم النبع الموجود في هذا الوادي، وينساب منه مجرىٰ ماء بعد هطول الأمطار يسمىٰ جيحون، ولا علاقة له بنهر جيحون (أموداريا) الذي ينبع في جبال البامير في شمال أفغانستان ثم ينتقل إلىٰ جمهورية أوزبكستان فيما كان يسمىٰ الاتحاد السوفيتي سابقًا.

وتقع عين أم الدَّرج في قرية سلوان، وتُعرف أيضًا بعين «ستنا مريم».

وهذه العين نبع منخفض يخرج من الصخر الصلد في الجانب الشرقي من تل الضهور «أوفل» وينزل إليها بواسطة درجات توصل إلىٰ كهف طبيعي عند منتصف وادي هَنّم (جهنم)[1].

(١) محمد حسن شُرَّاب «بيت المقدس والمسجد الأقصىٰ» ص٣٨.

وقد شبهت عين سلوان بماء زمزم، قال أبو العلاء المعري:

وبعينِ سُلوان التي في قُدسها   طعمٌ يُوهم أنه من زمزَمِ

وهكذا شُبِّهتْ سلوان بعين زمزم كما شُبِّه الماء الجاري منها بنهر جيحون، وزمزم لما شرب له وفضله علىٰ بقية المياه معروف مشهور، ونهر جيحون جاء في الحديث أنه من أنهار الجنة لعذوبته، وهكذا ارتبط هذا النبع بالسيدة مريم العذراء عليها السلام حتىٰ عُرف «بستنا مريم» ولعله هو النبع الذي أجراه الله لمريم عليها السلام بعد أن ألجأها المخاض إلىٰ جذع النخلة، قال تعالىٰ: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم].

والسريُّ هو الجدول، قيل أنه كان جافًّا فأجرىٰ الله فيه الماء لمريم كما كانت النخلة لا ثمر فيها، فأورقت وأثمرت من ورقها، فهزَّتها فتساقط عليها رطبًا جنيًّا، فأكلت وشربت وقرَّت عينًا، وكان محدثها جبريل عليه السلام، وقيل: بل كان ابنها عيسىٰ المولود لوقته، معجزة من المعجزات[1].

وما أكثر المعجزات في قصة مولد عيسىٰ عليه السلام وفي حياته، وقد ذكر ياقوت الحموي في «معجم البلدان» أن عثمان ﷺ وقف هذه العين علىٰ ضعفاء بيت المقدس.

---

(١) محمد حسن شُرَّاب «بيت المقدس والمسجد الأقصىٰ» ص٣٨.

٢ ـ وادي جهنم:

ذكر الدكتور حسن ظاظا في كتاب «القدس مدينة الله أم مدينة داود» أن هذا الوادي يحمل اسم قبيلة سكنته قبل بني إسرائيل تُدعىٰ هَنَّم، فكان يقال وادي هَنَّم.

وكلمة الوادي في لغات سامية متعددة هي كلمة (جي) فيقال: جي هَنّم، فصارت جهنم.

وبما أن هذه القبيلة الوثنية كانت تقدم الضحايا البشرية إلىٰ إلهها «مولك» حيث كانت تُذْبَحُ تلك الضحية وتُلقىٰ في النار في ذلك الوادي، فكانت تسميتها بجهنم ملائمة كل الملاءمة لهذا الوادي.

ويمتد هذا الوادي علىٰ طول جنوبي القدس حتىٰ الطرف الجنوبي الشرقي من جبل صهيون، وكان من أسماء هذا الوادي «حقل الدماء» و«وادي النار» و«وادي ستي مريم» و«وادي سلوان».

وتعتقد العامة أن الصراط سينصب يوم القيامة فوق وادي جهنم، وهو اعتقاد باطل حيث أنه من اعتقادات بعض اليهود والنصارىٰ، وهو متعلق بوادي يهوشافاط الذي جاء في سفر يوئيل (٣: ٢ و١٢): «أحمل كل الأمم وأنزلهم إلىٰ وادي يهوشافاط وأحاكمهم هناك»، ويقول: «تنهض الأمم وتصعد إلىٰ وادي يهوشافاط، لأني هناك أجلس لأحاكم جميع الأمم من كل ناحية».

ولهذا ورد عند المسلمين في كثير من الكتب أن أرض بيت المقدس هي أرض المحشر والمبعث.

وقد جعل الأستاذ محمد حسن شُرَّاب في كتابه «بيت المقدس والمسجد الأقصىٰ» وادي جهنم هو نفسه وادي قدرون، بينما جعله الدكتور حسن ظاظا مستقلاً عنه[١].

٣ ـ وادي قدرون:

اسم لجدول الماء الذي يجري عند سقوط المطر، وهو نفسه وادي يهوشافاط المتقدم ذكره، والذي جاء في سفر يوئيل أنه تحشر الناس إليه ويحاكمهم الرب فيه.

٤ ـ وادي الربابة:

قال عنه محمد حسن شُراب أنه هو نفسه وادي هنّوم (وادي هَنَّم): ينحدر من باب الخليل في السور الغربي لمدينة القدس إلىٰ بئر أيوب، ويفصل جبل صهيون عن تل أبي ثور، ويلتقي بوادي جهنم عند بئر أيوب.

٥ ـ وادي تيروبيون:

أو الجبَّانة (صانعي الجبن) يفصل جبل صهيون عن غرب القدس، ويبدأ حيث ينتهي وادي سلوان، وكانت تُرمىٰ فيه القمامات، ولذا سمي وادي القمامات أو وادي الزبالة، ويقول المؤرخ اليهودي يوسفوس (من القرن الأول الميلادي) أن وادي التيروبيون هو وادي صانعي الأجبان، ويمتدُّ من الشمال الغربي إلىٰ الجنوب الشرقي حيث يتَّصل بوادي سلوان.

٦ ـ وادي الأرواح:

(رفائيم) أو العفاريت وبه مدافن للموتىٰ، ويقع غرب جبل صهيون من الجهة الجنوبية.

---

(١) د. حسن ظاظا «القدس مدينة الله أم مدينة داود»، ص٦٠.

وتعتبر القدس مدينة حصينة حيث تحيط بها الجبال والأودية من جميع جهاتها ما عدا الجهة الشمالية، ولذا فإن جميع من غزا القدس في الماضي والحاضر دخلها من الناحية الشمالية.

وقد احتل اليبوسيون التلال المشرفة علىٰ المدينة القديمة، وبنوا قلعة حصينة علىٰ الرابية الجنوبية الشرقية سمِّيت حصن يبوس الذي عرف بحصن صهيون، ويعرف الجبل الذي أقيم عليه الحصن بهضبة أوفل، ثم تحول الحصن ومبانيه إلىٰ مدينة، وهي أقدم مباني القدس في التاريخ المسجَّل، ويبلغ عمرها أكثر من خمسة آلاف عام، وكانت تقع شرق جبل موريا (موقع الحرم القدسي).

وكانت منازل القدس من الحجارة وفي وسط باحة البيت حوض تتجمع فيه مياه الأمطار للاستفادة، وتمكن اليبوسيون من حفر الأحواض الكثيرة والأنفاق، ومنها نفق تحت الأرض في الصخر يصل ما بين المدينة اليبوسية وعين أم الدرج (سلوان) وذلك منذ عام ٢٠٠٠ ق.م.

❖ سور مدينة القدس وأبوابها:

لقد بنىٰ اليبوسيون سورًا منيعًا علىٰ مدينتهم، وكان أول بنائها قلعة هي قلعة يبوس أو قلعة صهيون، كما أسلفنا. وكلما اتَّسعت المدينة كان يُبنىٰ حولها سور، فإذا جاء الغُزاة هدموه ثم أُعيد بناؤه.

وآخر من جدَّد بناء سور القدس السلطان العثماني سليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦م/ ٩٢٣ ـ ٩٧١هـ) وقد بنىٰ السور عام (١٥٤٢م/٩٤٧هـ) بطول أربعة كيلومترات، وله سبعة أبواب، وبنيت الأحياء بداخل السور

علىٰ ثلاث مرتفعات هي جبل الزيتون (الطور) في الشمال الشرقي، وجبل موريا (ساحة الحرم القدسي) في الشرق، وجبل صهيون في الجنوب الغربي، ويحيط السور بالمدينة القديمة إحاطة السوار بالمعصم، ويبلغ ارتفاعه ١٢ مترًا، ولا يزال بناء سليمان القانوني علىٰ حاله لم يجدَّد منذ أكثر من أربعة قرون ونصف.

وأبوابه المفتوحة هي: باب الساهرة (الزاهرة) وباب العمود من الشمال، وباب الخليل من الغرب، وباب النبي داود، وباب المغاربة من الجنوب، وباب الأسباط من الشرق، والباب الجديد من الشمال الغربي، وهناك باب ثامن مغلق يسمىٰ الباب الذهبي من الشرق، ويسمىٰ أيضًا باب الرحمة بالإضافة إلىٰ أبواب أخرىٰ مغلقة هي باب الواحد، والباب المثلث، والباب المزدوج من بابين يعلو كليهما سور.

وقد وضع الأستاذ محمد حسن شُراب في كتابه «بيت المقدس والمسجد الأقصىٰ» جدولاً بهذه الأبواب والتي لبعضها أكثر من اسم كالآتي:

❊ باب العمود أو باب دمشق.

❊ باب الساهرة (الزاهرة) أو باب هيرودوس.

وكلاهما في الحائط الشمالي، وهما قديمان.

وفي الحائط الشمالي أيضًا **الباب الجديد** الذي فتح أثناء زيارة الإمبراطور غليوم الثاني (الألماني) لمدينة القدس سنة ١٨٩٨ علىٰ عهد السلطان عبد الحميد، وقد كانت العلاقات وطيدة بين ألمانيا والدولة

العثمانية، وهو آخر ما فتح من الأبواب في مدينة القدس، ويسمى أيضًا **باب عبد الحميد**، وفي الحائط الجنوبي يفتح باب **النبي داود**، ويسمى أيضًا لدى الغربيين واليهود باب صهيون، كما يفتح في الحائط الجنوبي باب المغاربة المؤدي إلى حي المغاربة، وفي الحائط الشرقي يفتح باب الأسباط ويسمى أيضًا باب القديس اصطفان عند النصارى.

وقد وصف مختلف الرحالة أبواب مدينة القدس التي كانت تختلف في عددها وفي وصفها من زمن إلى زمن، ففي عام ٤٤٠ ميلادية زار القدس الرحالة يوخيروس فذكر أن للقدس ثلاثة أبواب مألوفة هي الغربي والشرقي والشمالي. بينما ذكر زركولف عام ٦٧٠م (٥٠هـ) أن للسور ستُّ بوابات هي باب النبي داود، وباب القصار (الخليل فيما بعد)، والقديس استيفن (اصطفان) وهو باب الأسباط، وباب بنيامين، وبوابة شرقية تؤدي إلى وادي يوسف (أويوشفاط) وتسمى أيضًا بوابة تكيوتس.

وأما المقدسي (٨٩٥م/٢٨١هـ) فقد ذكر ثمانية أبواب هي باب صهيون، وباب التِّيه، وباب البلاط، وباب جب أرميا، وباب سلوان، وباب أريحا، وباب العمود، وباب محراب داود عليه السلام، ونقل ياقوت الحموي (١٢١٩م) ما ذكره المقدسي. وفي عام ١٣٦٦م (٧٦٧هـ) ذكر الرحالة بنيامين أن للقدس أربعة أبواب فقط، أما مجير الدين الحنبلي ١٤٩٦م (٩٠٠هـ) فقد ذكر أحد عشر بابًا للقدس كثيرٌ منها مغلق حسب قوله.

وقال العلامة والرحالة عبد الغني النابلسي (١٧١٠م/١١٢١هـ) في كتابه «الحضرة الأنسية بالرحلة القدسية» أن لمدينة القدس عشرة أبواب.

أما العلامة سعد اللقيمي الدمياطي الذي زار القدس سنة ١٧٣١م/ ١١٤٢هـ فقد قال في كتابه «موانح الأنس برحلتي لوادي القدس»: «وللمدينة سور محكم البنيان، بديع الشكل في الصناعة والإتقان، له ستة أبواب منيعة غريبة في الوضع، بديعة هي باب الأسباط، وباب الساهرة، وباب العمود، وباب الخليل، وباب النبي داود، وباب المغاربة» وكلها موجودة إلىٰ اليوم.

ويصعب تفسير الاختلاف بين النابلسي والدمياطي لأن الفرق بين زيارتهما لا يعدو عشرين عامًا.

أما الزيَّاني (أبو القاسم) الذي زار القدس عام ١٧٧٨م/١١٩٠ﻫ فقد قال أن أبوابها سبعة. والغريب حقًا أن الخليفة هارون الرشيد أهدىٰ مفاتيح بوابات القدس إلىٰ الإمبراطور شارلمان بعد أن توطدت العلاقات بينهما[١]، وهذا لا يعني التملك وإنما يعني المودَّة. وهو أمر يحتاج إلىٰ مزيد من البحث.

* وتقسم القدس إلىٰ قسمين:

١ ـ القسم القديم:

وهو المدينة التاريخية المحاطة بالسور من جميع جهاتها، وهو السور الذي كان آخر من بناه السلطان القانوني سنة ١٥٤٢م/٩٤٧هـ، ويبلغ طوله أربعة كيلومترات وارتفاعه ١٢ مترًا، وله سبعة أبواب مفتوحة

---

(١) د. محمد هاشم غوشة «بوابات القدس القديمة بحوث الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافي» المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافية (الإسيسكو) الرباط ١٩ ـ ٢١ أكتوبر ١٩٩٣، ص٣٤٧ ـ ٣٧٤.

كما سبق الإشارة إليها وأربعة أبواب مقفلة، ويظهر من السور والبوابات الأبنية القديمة التي تمتد إلىٰ عهد الرومان والعهود الإسلامية، وسكانه كلهم من الفلسطينيين ما عدا بضع مئات كانوا في الحي اليهودي الذي طردوا منه عام ١٩٤٨م[١].

٢ ـ القسم الجديد:

ويمتدُّ خارج الأسوار القديمة، وكان ينقسم إلىٰ منطقتين، القسم الشرقي يسكنه العرب الفلسطينيون، والقسم الغربي وكان للعرب فيه أغلبية إلىٰ عام ١٩٤٨م ثم طردوا منه عام ١٩٤٨م ولم يبق منهم عربي واحد رغم أنهم كانوا يمتلكون حوالي ثلثي الأراضي والمنازل فيه.

وفي حرب حزيران (يونيه) ١٩٦٧م احتلَّ اليهود القدس الشرقية والجزء القديم من القدس وهدموا حيَّ المغاربة الملاصق للحائط الغربي للسور المعروف لدىٰ المسلمين بسور البراق لأن الرسول ﷺ ربط البُراق فيه عند دخوله أرض المسجد الأقصىٰ في ليلة الإسراء والمعراج، ويزعم اليهود أنه من بقايا الهيكل الثاني، ولذا ينوحون عنده ويسمُّونه حائط المبكىٰ، وقد قام اليهود عشية دخولهم القدس في ٥ حزيران ١٩٦٧ بهدم حيِّ المغاربة بعد أن أنذروا السكان بمغادرته خلال ساعتين فطردوهم منه

(١) قام اليهود باحتلال حي المغاربة بعد أن هدموا الحي العربي غداة حرب الخامس من حزيران/يونيه ١٩٦٧. وبنوا فيه العديد من المساكن، وأقاموا العديد من المدارس الدينية بالقرب من المسجد الأقصىٰ مثل مدارس تورات حاييم، وعطرات كوهانيم، وتوارت ليوشنه، وجمعية أمناء جبل الهيكل.. ويعملون متكاتفين مع مجموعات من المسيحيين المتصهينيين من الولايات المتحدة وغيرها لهدم المسجد الأقصىٰ وبناء الهيكل المزعوم، وقد صادرت إسرائيل ٥٦,٠٠٠ دونمًا من أصل ٦٣,٠٠٠ دونم هي كل مساحة القدس الشرقية حسب الحدود البلدية للمدينة.

وهدموه عن بكرة أبيه (١٣٥ دارًا) وقد وجدت جثث بعض النساء العواجيز اللائي لم يستطعن الخروج في الوقت المحدد بين الأنقاض، وبذلك تمَّ طردُ ألف شخص تقريبًا في خلال ساعتين وتمَّ هدم ديارهم ومنازلهم التي كانوا يعيشون فيها منذ أيام صلاح الدين الأيوبي وابنه الملك الأفضل الذي جعل هذه المنطقة وقفًا (حبسًا) عليهم، وقد عرف بوقف أبي مدين الغوث العلامة المغربي المشهور.

❖ سكان القدس بعد ١٩٦٧م:

قام اليهودُ بطرد السكان من العرب الذين سكنوا فيما كان يُسمَّىٰ قبل حرب ١٩٤٨م الحيَّ اليهودي وطردوهم منه وصادروا ممتلكاتهم وديارهم، ووسَّعوا هذا الحيَّ توسيعًا كبيرًا.

وازداد السكان اليهود في القدس الشرقية التي لم يكن فيها يهوديٌّ واحد منذ عام ١٩٤٨ حتىٰ عام ١٩٦٧ حتىٰ بلغوا عام ١٩٩٣ قرابة ١٥٣,٠٠٠ وفي ذات الوقت كان السكان العرب يبلغون ١٥٠,٠٠٠[(١)]

(١) تقول التقارير الموثقة أن ٥٥ ألفًا من عرب القدس فقط هم من يملكون وثائق إثبات الشخصية التي تقدمها إسرائيل، وأن ما يقرب من مائة ألف لا يملكون هذه الوثائق، وبالتالي يتعرضون لمضايقات مستمرة من أجل ترحيلهم، وقد ازداد عدد اليهود في القدس الشرقية من صفر قبل حرب يونيه ١٩٦٧ إلىٰ أكثر من ١٦٠ ألفًا في عام ١٩٩٣م في بعض التقديرات، وقد استولت إسرائيل علىٰ العديد من المناطق في القدس الشرقية وأقامت العديد من الأحياء، مثل حي بسفات زيف الموجود بين التل الفرنسي ونيف باكوب، ومستوطنة بسفات زيف، ومستوطنة هورهوما، والبناء مستمر دون توقف، وهناك العديد من الحركات الاستيطانية مثل جوش امونيم، وحركة كاخ، وجمعية العاد، وحركة إسرائيل الفتاة، وحركة أمناء جبل الهيكل، وغيرها كثير، وكلها تعمل من أجل تهويد القدس الشرقية وما حولها من القرىٰ والمدن.

ولأوَّلِ مرة في تاريخ القدس (الشرقية) يزيد السكان اليهود عن السكان العرب من الفلسطينيين، هذا بالإضافة إلىٰ سكان القدس الغربية الذين صاروا منذ حرب ١٩٤٨م يهودًا فقط، لأن العرب قد طُردوا منها.

ويوضح التقرير السنوي لسكان القدس لعام ١٩٩٣م الحقائق التالية:

ـ سكان القدس (الشرقية والغربية) ٥٦٤٫٣٠٠.

ـ السكان العرب ١٥٠٫٦٠٠.

ـ السكان اليهود ٤١٣٫٧٠٠ منهم ٢٦٠٫٩٠٠ في القدس الغربية و١٥٢٫٨٠٠ في القدس الشرقية.

وقد تزايد عدد اليهود منذ ذلك التاريخ، وذلك بإضافة أكثر من ثلاثين ألف وحدة سكنية لليهود المستوطنين.

ويتركَّزُ العرب في الأحياء التالية: البلدة القديمة (بأحيائها) والقدس الشرقية: شعفاط، ومخيم شعفاط، والعيسوية، والشيخ جراح، وباب الساهرة، وبيت حنينا، وبيت نسيبه، والطور، والشباح، وادي الجوز، وادي حلوة، سلوان، رأس العامود، الثوري وجبل مكبر، عرب السواحرة وصور باه، وأم طوبا، ومناطق أخرىٰ.

وقد بنىٰ اليهود العديد من الأحياء الاستيطانية في القدس الشرقية وفي البلدة القديمة، ووسَّعوا الحيَّ اليهوديَّ القديم في البلدة القديمة، كما أقاموا عشرات المستوطنات الجديدة في القدس الشرقية، نذكر منها: جيلو، النبي يعقوب، بسغت زائيف، رموت، تلبيوت شرق، التلة الفرنسية، جبل اسكوبس، رمات اشكول، وجبعات همبحار، ومعلوت دفنه.

والخطر يتزايد كل يوم، والضغط علىٰ المَقْدِسيين مستمِرٌّ بكافَّة الوسائل لطردهم من بيوتهم ومصادرة ممتلكات الغائبين، ومصادرة جميع ممتلكات الأوقاف.. الخ.

وتعمل إسرائيل علىٰ تنفيذ ما تسمِّيه القدس الكبرىٰ بحيث تشمل مدينة القدس (الشرقية والغربية) ومدن رام الله والبيرة وبيت جالا وبيت ساحور بالإضافة إلىٰ ٤٥ قرية عربية تابعة لها، وبحيث تشكل القدس الكبرىٰ قرابة ٣٠ بالمئة مما بقي من الضفة الغربية، وبحيث يتمُّ عزل مدينة القدس (الموحدة واليهودية حسب قولهم) عن باقي الضفة الغربية، لتصبح قسمين: أحدهما شمال القدس ومركزه نابلس، والآخر جنوب القدس ومركزه مدينة الخليل (حبرون) التي تواجه أيضًا هجمة استيطانية شرسة.

وقد تمَّ بناء ٦٠ مستوطنة جديدة ضُمَّت إلىٰ مشروع القدس الكُبرىٰ، وتواجه بيت جالا وبيت ساحور هجمات بالمدافع طوال فترة انتفاضة الأقصىٰ من أجل إرعاب سكَّانها ـ وأغلبهم من العرب المسيحيين ـ ودفعهم إلىٰ الهجرة، تمامًا كما فعلوا مع سكَّان القدس من المسيحيين الذين انخفض عددهم من ٤٠ ألفًا سنة ١٩٤٨ إلىٰ أقل من عشرة آلاف في عام ١٩٩٣م.

ويبلغ طول مشروع القدس الكبرىٰ ٤٥ كيلو مترًا من الشمال إلىٰ الجنوب، وبعرض ١٥ كيلو مترًا من الغرب إلىٰ الشرق، وتبلغ المساحة الكلية لهذا المشروع ٤٤٦,٢٧٩ دونمًا، وتدخل فيه خمس مدن عربية سيتمُّ تهويدها قسرًا، وهي: رام الله، والبيرة، وبيت لحم، وبيت ساحور، وبيت جالا، وتتبعها ٤٥ قرية.

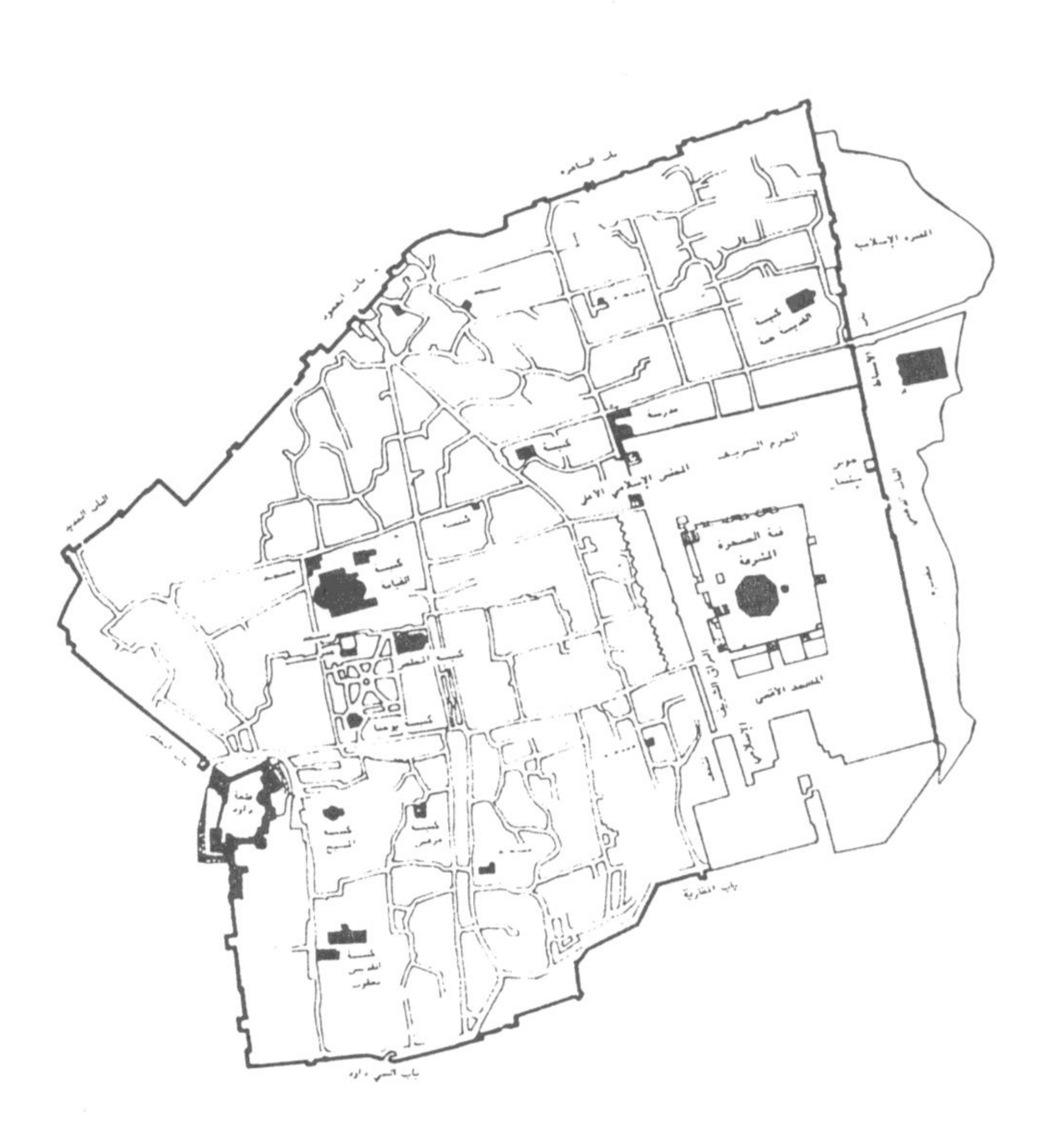
وهدف إسرائيل هو تحويل هذه القرىٰ والمدن العربية إلىٰ مدن وقرىٰ تمتلأ بالمستوطنين اليهود حتىٰ تصبح ما يقرب من ٨٠ بالمئة من سكان القدس الكبرىٰ يهودًا، في مقابل ٢٠ بالمئة من العرب، ومن أجل ذلك تقوم بمصادرة الأراضي باستمرار وهو أمر قد دأبت عليه إسرائيل منذ قيامها في ١٥/٥/١٩٤٨ وازدادت الوتيرة بعد حرب يونيه (حزيران) ١٩٦٧م، وتفاقمت بعد اتفاقية أوسلو ١٩٩٣م.

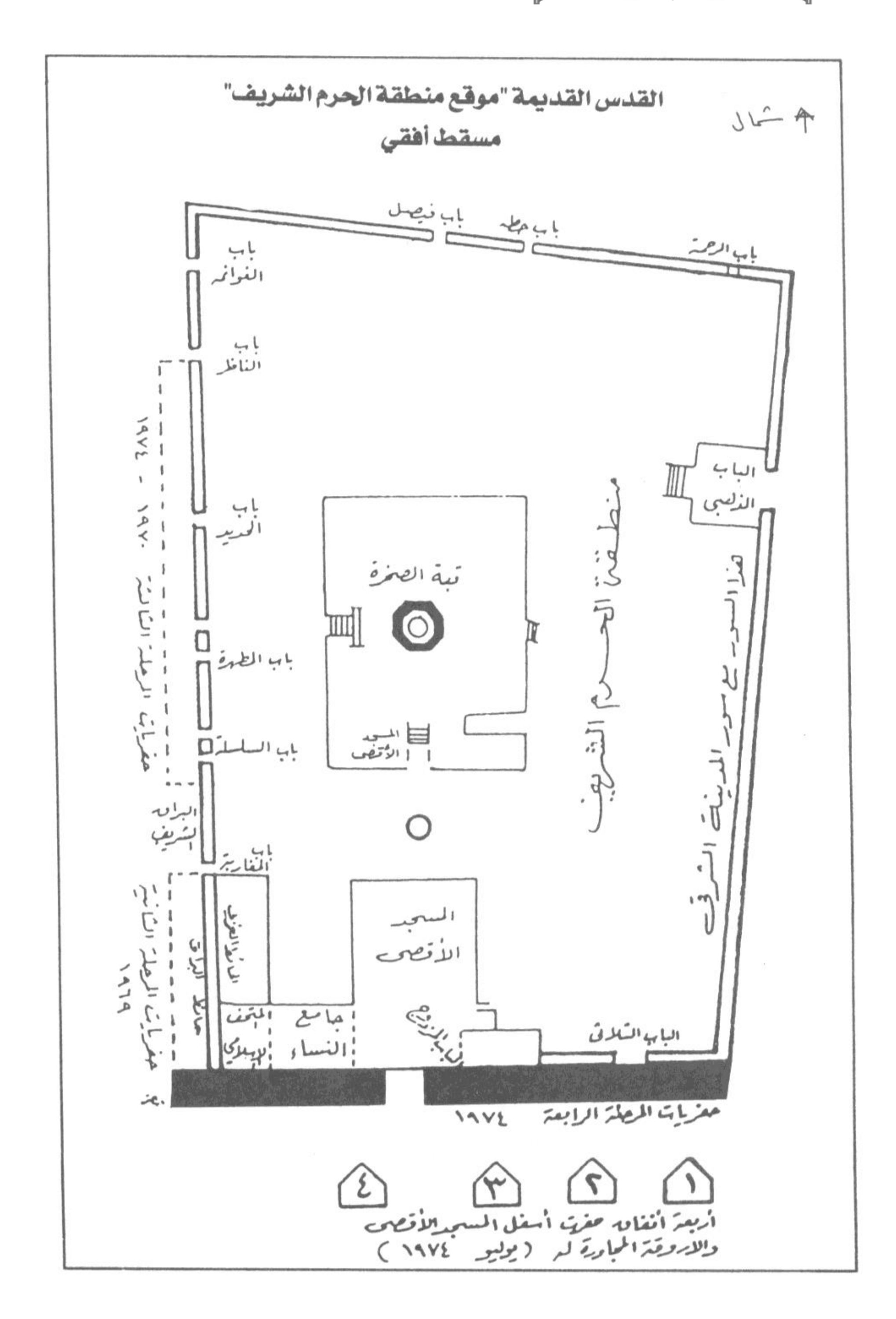
وقد أعلن بن جوريون وجميع قادة إسرائيل: لا معنىٰ لإسرائيل بدون أورشليم، ولا معنىٰ لأورشليم بدون الهيكل، وهو مخطط مستمر بدون توقُّف منذ أيام الانتداب البريطاني ١٩٢٠ إلىٰ يومنا هذا (٢٠٠١) بخطوات مدروسة متتالية.



خريطة تفصيلية للقدس القديمة بآثارها الهامة وسورها وأبوابها ومنطقة الحرم الشريف وما حولها

خريطة للقدس القديمة مع ذكر أبوابها والأماكن المقدسة
عند المسلمين والمسيحيين فيها



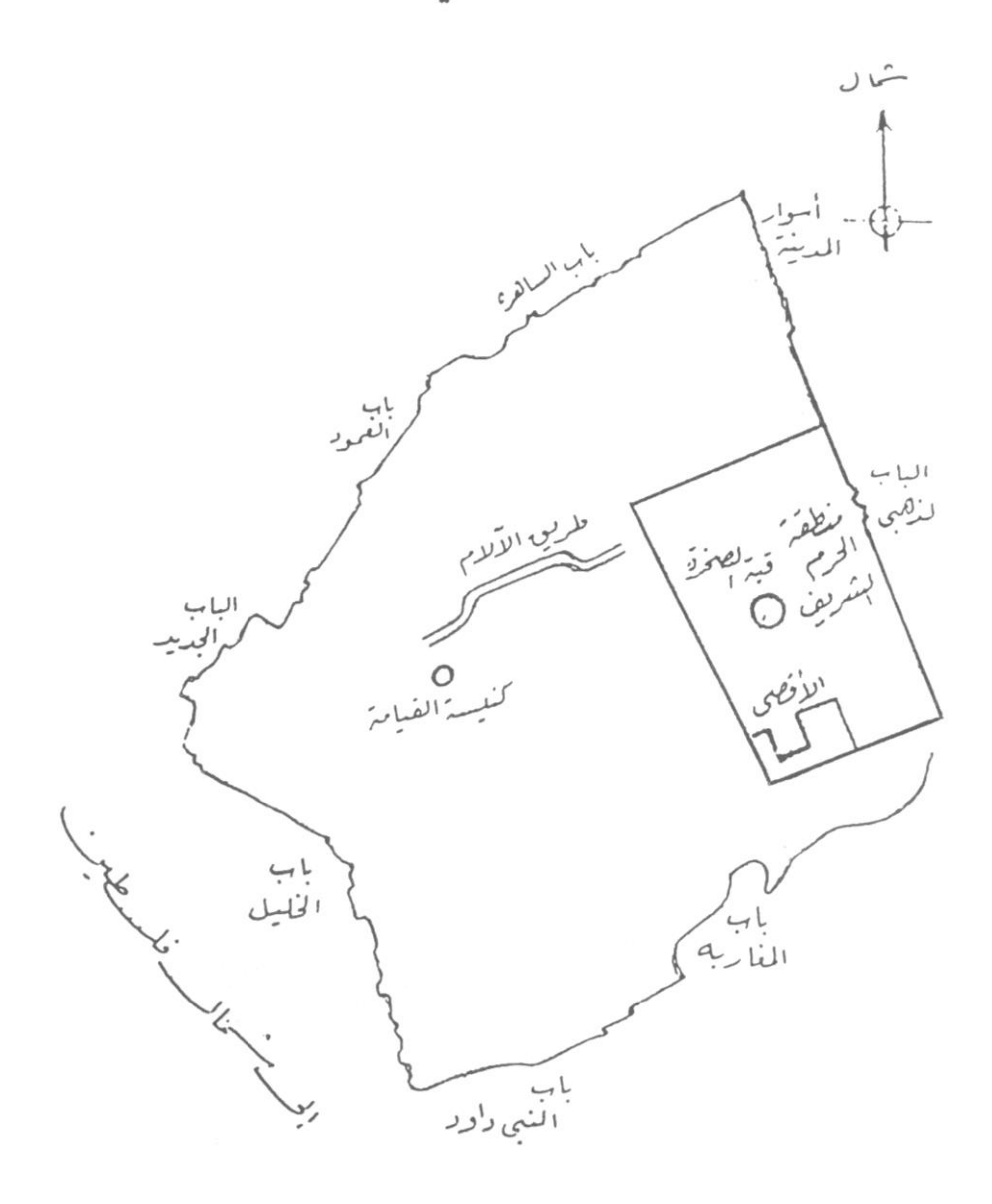

القدس القديمة "موقع منطقة الحرم الشريف"
مسقط أفقي
شمال
باب فيصل
باب حطة
باب الرحمة
باب الغوانمة
باب الناظر
باب الحديد
باب المطهرة
باب السلسلة
البراق الشريف
باب المغاربة
قبة الصخرة
المسجد الأقصى
الباب الذهبي
منطقة الحرم الشريف
جامع النساء
المتحف الإسلامي
حائط البراق
الباب الثلاثي
حفريات المرحلة الرابعة ١٩٧٤
١
٢
٣
٤
أربعة أنفاق حفرت أسفل المسجد الأقصى
والأروقة المجاورة له (يوليو ١٩٧٤)

منطقة الحرم الشريف وأبواب السور

مدينة القدس

الحفريات اليهودية بالمنطقة

" مسقط أفقي"



أهم الآثار والمعالم الإسلامية في القدس

في القدس أكثر من مائتي أثر إسلامي، أهمها ما يلي:

❖ **المسجد الأقصى:**

يطلق اسم المسجد الأقصى كما يقول مجير الدين الحنبلي في «الأنس الجليل»[1] على المسجد الموجود في القبلة وكل ما دار عليه السور «فإن هذا البناء الموجود في صدر المسجد وغيره، من قبة الصخرة والأروقة وغيرها محدثة، والمراد بالأقصى ما دار عليه السور (يشمل المسجد الأقصى في الجهة الجنوبية من الساحة وهي جهة القبلة، ومسجد قبة الصخرة، ومسجد النساء والأروقة وجميع الساحات.

وقال أنه قاس المسجد الأقصى فكان طوله قبلة بشمال (من الجنوب إلى الشمال) من السور القبلي (الجنوبي) عند المحراب، إلى صدر الرواق الشمالي عند باب الأسباط ستمائة وستون ذراعًا (بذراع البناء في زمنه)، وعرضه شرقًا بغرب من السور الشرقي المطل على مقابل باب الرحمة إلى صدر الرواق الغربي الذي هو سفل مجمع المدرسة التنكزية، أربعمائة ذراع وستة أذرع (٤٠٦) وكان هذا سنة ٩٢٠هـ/١٥١٥م.

وذكر محمد كرد علي مقاسات المسجد الأقصى (أي الشامل

---

(١) مجير الدين الحنبلي العلي المقدسي «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» ج٢/٢٤.

للساحات وقبة الصخرة) سنة ١٩٢٥ كالآتي: طول الجهة الغربية ٤٩٠ مترًا، والشرقية ٤٧٤ مترًا، والشمالية ٣٢١ مترًا، والجنوبية ٢٨٣ مترًا، ويحيط به من جميع الجهات سور يختلف ارتفاعه بين ٣٠ و٤٠ مترًا[١].

وذكر الدَّبَّاغ في كتابه «القدس» أن الحرم القدسي يتألف من المسجدين مسجد قبَّة الصخرة، والمسجد الموجود في القبلة (الجهة الجنوبية وهو الذي يطلق عليه اسم المسجد الأقصىٰ) وما بينهما حتىٰ الأسوار، وأن المسافة الكلية تبلغ ١٤٠,٩٠٠ مترًا مربعًا.

وقد صلىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في موقع المسجد في القبلة بعد أن نظَّفه بنفسه من الزبالة التي كان النصارىٰ يرمونها فيه.. وهذا هو الموقع الذي صلَّىٰ فيه ﷺ بالأنبياء ليلة الإسراء.. ولم يكن في موقع المسجد الأقصىٰ بناء قائم. وكذلك كانت الصخرة مكشوفة وليس عليها بناء.

وقد بُني المسجد بسيطًا بعد زيارة عمر له، ثم تمَّ توسيعه في عهد معاوية حيث كان مربع الشكل ويتَّسع لثلاثة آلافِ مصلٍّ، ثم قام عبد الملك بن مروان ببنائه وبناء القبة كما سيأتي معنا، وأنفق أموالاً طائلة. وزاد عليها ابنه الوليد فجعله تحفة معمارية، وتعتبر قبة الصخرة ومسجدها أعظم أثر معماري إسلامي من الناحية الهندسية إلىٰ اليوم.

وقام المنصور العباسي والمهدي ابنه وحفيدهما المأمون بإصلاحات كثيرة في المسجد والقبة، ويُقال أن الصخرة التي عليها القبة هي المكان الذي عرج منه النبي ﷺ إلىٰ السماء، ولكن ذلك لم يثبت عن النبي ﷺ.

---

(١) نقلاً عن محمد حسن شُراب «بيت المقدس والمسجد الأقصىٰ» ص٣٥١.

❖ **الصخرة وقبتها:**

قال مجير الدين الحنبلي في كتابه «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» أن تحت الصخرة مغارة من جهة القبلة يتوصل إليها من سُلَّم حجر يُنزلُ فيه إلىٰ المغارة.. وهناك عمود من رُخام مُلقىٰ طرفه الأسفل علىٰ طرف الصُفَّة من جهة القبلة (الجنوب) مُسندًا إلىٰ جدار المغارة القبلي، وطرفه الآخر الأعلىٰ مسندًا إلىٰ طرف الصخرة.. وهذه المغارة من الأماكن المأنوسة عليها الأبَّهةُ والوقار.

وقد تسرَّبت كثير من الحكايات الإسرائيلية عن هذه الصخرة وأنها متَّصلةٌ بعرش الرحمن، ومنها أو من تحتها تخرج جميع مياه الأرض، وأنها معلَّقة ما بين الأرض والسماء، ومن الحكايات المضافة أن الرسول عندما عُرج به أتبعته الصخرة إلىٰ السماء فأمسكتها الملائكة فوقفت بين السماء والأرض...[(١)].

«وبناء مسجد الصخرة مثمَّن (له ثمانية أضلع) يعلوه قبة خشبية، ولِقُبَّة الصخرة أربعة أبواب يطبق عليها أربعة أبواب، وعلىٰ كل باب دكانين» كما يقول ابن الفقيه في كتاب «مختصر كتاب البلدان»[(٢)]، وقد

---

(١) ومن ذلك ما أورده ابن كثير في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ [ق]، «عن كعب الأحبار أنه الملك الموكل بقبة الصخرة ينادي من قبة الصخرة، وقد قال عمر بن الخطاب لكعب الأحبار عندما طلب من عمر أن يصلي خلف الصخرة: ضاهيت اليهودية» أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية»: هذا إسناده جيد. وفي رواية عن عمر أنه قال لكعب الأحبار: يا ابن اليهودية. وكم أدخل هذا اليهودي الذي أظهر الإسلام من أباطيل وحكايات إسرائيلية.

(٢) ابن الفقيه، «مختصر كتاب البلدان»، طبعة ليدن، ص١٠٠.

أنفق عليها عبد الملك بن مروان (وقيل الذي أنفق ذلك هو ابنه الوليد) خراج سبع سنوات من مصر علىٰ هذه القبة، وقالوا أن المشرِفَيْن اللَّذَيْن جعلهما الخليفة قيِّمَيْن علىٰ البناء أعادا للخليفة مائة ألف دينار فاضت عن حاجة البناء، وهما رجاء بن حياة الكندي من بيسان، ويزيد بن سلام من القدس، ولكن الخليفة أعطاهما المبلغ مكافأة لهما علىٰ حُسن صنيعهما، فقالا لأمير المؤمنين: نحن أولىٰ أن نزيده (أي المسجد الأقصىٰ) من حُليِّ نسائنا فضلاً عن أموالنا فاصرفها في أحبِّ الأشياء إليك، فأمر الخليفة بسبك الدنانير وأفرغت علىٰ قبة الصخرة، فما كان أحدٌ يقدر أن يتأملها مما عليها من الذّهب[١]، وخاصة عند وقوع أشعة الشمس عليها.

وقد وصف كريزول بناء القبة بقوله: «بناء دائري وتتألف.. من قبة خشبية قطرها ٢٠,٤٤ مترًا قائمة فوق رقبة عالية فيها ١٦ نافذة، وترتكز علىٰ أربع دعائم واثني عشر عمودًا موضوعة في دائرة تكفي للإحاطة بالصخرة، ومرتبة بحيث تنتصب كل ثلاثة أعمدة بين دعامتين، وهكذا تشكل دائرة مركزية ارتفاعها يساوي قطرها.. هذه الدائرة من الأعمدة والدعائم قائمة في وسط مثمن كبير يبلغ طول كل ضلع من أضلاعه حوالي ٢٠,٦٠ مترًا»[٢].

والعجيب حقًّا أن تصميم قبة الصخرة علىٰ هيئة مثمَّن داخلي ومثمَّن خارجي، والجدران الخارجية مثمَّنة أيضًا، فالمثمَّن الخارجي يتكوَّن من

(١) مجير الدين الحنبلي، «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل».

(٢) نقلاً عن د. مصطفىٰ عبد الله شيحة، «المقدسات والمآثر الإسلامية والمسيحية في القدس»، بحوث ندوة القدس وتراثها الثقافي (منظمة الإسيسكو) الرباط ١٩٩٣م، ص٣٠٣ - ٣١٥.

ثمانية دعائم تحصر بينها ١٦ عمودًا، والداخلي من أربع دعائم تحصر بينها ١٢ عمردًا تحمل القبة الخشبية التي كسيت بألواح الرصاص[١].

وزينت زخارف القبة بالفسيفساء المكونة من فصوص صغيرة أو مكعبات دقيقة من الزجاج وصفائح من الصدف ألصقت بجانب بعضها علىٰ طبقة من الجصِّ، مع فصوص مذهَّبةٍ بألوان مختلفة، مع وجود عناصر نباتية وهندسية، توضح عظمة الفن المعماري الإسلامي في فترة الوليد بن عبد الملك الذي أبدع في إنشاء المساجد والقصور.

وكُسيَت القبَّة بالذهب من الخارج كما كسيت الصخرة بالستور والديباج (الحرير) وأنفقت عليها المبالغ الضخمة لتطييبها بالمسك والبخور والعنبر.

وقد ذكر محمد كرد علي في كتابه «خطط الشام»[٢] أن هناك كتابة علىٰ المدخل الجنوبي لقبة الصخرة مكتوب فيها: «بنىٰ هذه القبة عبد الملك... أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه»، وقد ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية»[٣]: أن البناء تهدَّم بسبب زلزالٍ في أيام المنصور العباسي فجدد بناء القبة، وذلك سنة ١٤١هـ/٧٥٧م، وتهدَّمت القبة بعد ذلك عدة مرات فأعيد بناؤها.

❖ بناء المسجد الأقصىٰ:

وهو المسجد الموجود في الجهة الجنوبية من ساحة الحرم القدسي (جهة القبلة) وهو الذي صلَّىٰ فيه عمر بعد أن نظَّفه من القاذورات هو

(١) المصدر السابق.

(٢) محمد كرد علي، «خطط الشام» ج٥/٢٥١.

(٣) «البداية والنهاية» ج٨/٢٨١.

ومن معه علىٰ اعتبار أنه المكان الذي صلَّىٰ فيه النبي محمد ﷺ بالأنبياء ليلة الإسراء والمعراج.

وبُنِيَ مسجد بسيط من الخشب في عهد عمر ﷺ، ثم وسَّعه معاوية ليسع ثلاثة آلاف مصلٍّ، ثم بناه عبد الملك بن مرواه بناءً عظيمًا، وأكمل البناء ابنه الوليد، وأنفق علىٰ المسجد وقبة الصخرة ملايين الدنانير الذهبية، وقال ابن عساكر أن للمسجد خمسون بابًا، وفيه من الخشب ستة آلاف خشبة، ومن العُمُدِ ستمائة عمود رخام، وفيه خمسة آلاف قنديل، ويُسرجُ مع القناديل ألفا شمعة كل ليلة جمعة وكل ليالي رمضان وأيام العيد وغيرها من الأيام المباركة، وعلىٰ سطح المسجد سبعة آلاف وسبعمائة شقفة من الرصاص، وزن كل واحدة منها سبعون رطلاً شاميًّا، وقد تمَّ ذلك العمل (بعد إضافات الوليد بن عبد الملك) سنة ٩٢هـ/٧٠٩م.

وقد تعرَّض المسجد لزلزالٍ في آخر عهد بني أمية سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م ونتيجة اضطراب أمور الدولة لم يتمَّ إصلاحه إلا في عهد أبي جعفر المنصور العباسي سنة ١٤١هـ/٧٥٧م، وحدث زلزال آخر في أيام المهدي بن المنصور سنة ١٥٨هـ/٧٧٤ فجدَّد بناءه وأنفق عليه أموالاً كثيرة، وحصلت زلزلة أخرىٰ أيام المأمون بن هارون الرشيد سنة ٢١٥هـ/٨٣١م، فجدد البناء للمسجد الأقصىٰ ولقبَّة الصخرة.

وفي العهد الفاطمي حدث زلزال سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م، وسقطت القبة فأعاد بناءها الظاهر الفاطمي سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢ كما أصلح المسجد، ثم حدث زلزال سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٤م فأعاد البناء الظاهر لإعزاز دين الله، وزاد جامع النساء الملحق بالمسجد الأقصىٰ، وتقول الموسوعة

الفلسطينية أن القسم الأعظم من هيئة المسجد الأقصىٰ اليوم هو من عمل الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله[١].

والمسجد الأقصىٰ علىٰ هيئة مستطيل يبلغ طوله ٨٠ مترًا، وعرضه ٥٥ مترًا، وبه سبعة أروقة، ويتميَّز الرواق الأوسط باتِّساعه وارتفاعه عن بقية الأروقة الأخرىٰ، وللمسجد قبة زرقاء وهي من ألواح خشبية مصمتة تغطيها ألواح الرصاص وتتقدم محراب المسجد، وإلىٰ جانب المحراب المنبر المشهور الذي أمر بصنعه نور الدين زنكي قبل استعادة القدس والأقصىٰ، فبقي في حلب حتىٰ استعاد صلاح الدين القدس وحرَّرها من نير الصليبيين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، فنقل المنبر العجيب المطعم بالعاج والمصنوع من الأبنوس إلىٰ المسجد الأقصىٰ محققًا بذلك رغبة قائده وأستاذه الشهيد نور الدين زنكي، وبقي المنبر حتىٰ أحرقه اليهودي الاسترالي جولد نشتاين عند إحراقه المسجد الأقصىٰ في ١٩٦٩/٨/٢١م، وقد تمَّ إصلاح ما تهدَّم من المسجد والحريق ولكن المنبر لم يتم إصلاحه حتىٰ اليوم.

وللمسجد الأقصىٰ أربع مآذن هي مئذنة باب المغاربة (المنارة الفخرية) ومئذنة باب السلسلة (منارة الحكمة) ومئذنة باب الغوانمة (منارة السرايا) ومئذنة باب الأسباط[٢]، ويتَّصل بالمسجد القصىٰ في الزاوية الجنوبية الشرقية بمسجد صغير يعرف بمسجد عمر، كما يتصل من الناحية الغربية بجامع النساء.

---

(١) «الموسوعة الفلسطينية»، ج٣/٥٣٤.

(٢) د. مصطفىٰ عبد الله شيحه، «المقدَّسات والمآثر الإسلامية والمسيحية في القدس» من بحوث الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافي، الرباط ١٩٩٣م، منظمة الإسيسكو، ص٣٠٣ ـ ٣١٥.

وعندما تسلم الحاج أمين الحسيني مسؤولية المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية في فلسطين وجدوا المسجد الأقصىٰ في حاجة شديدة للترميم، وسافر وفدٌ من المسؤولين عن المسجد والشؤون الإسلامية إلىٰ الهند والبلاد الإسلامية لجمع التبرعات، ووصل الوفد إلىٰ الهند في شهر تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢٣م، وتبرَّع نظام ملك حيدر أباد بمبلغ مائة ألف روبية وهو مبلغ كبير في ذلك الزمن، وتبرَّع غيره بمبالغ كبيرة، وفي العام التالي ١٩٢٤ ذهب وفدٌ آخر برئاسة الحاج أمين الحسيني وجمع مبالغ طائلة من الهند وغيرها، وكان علىٰ رأس المتبرِّعين لإعمار الحرم الشريف الملك حسين بن علي ملك الحجاز، وطاهر سيف الدين سلطان بومباي، ونظام حيدر أباد (كلاهما من الهند) والملك فيصل بن الحسين ملك العراق، والملكة بيجوم من بوبال بالهند، وبالفعل تمت إعادة إعمار المسجد الأقصىٰ، واحتُفل بذلك في ١٩٢٨/٨/٢٧م، وحضر الحفل عدد من الشخصيات الإسلامية في ذلك الوقت.

ومن آثار الحرم الشريف قبة السلسلة، وهي تقع شرق قبة الصخرة، وبها صفَّان من الأعمدة، وكانت أولاً قبَّة الخزنة (لبيت المال) ثم جعلت مصلَّىٰ، وقد جدَّدها الظاهر بيبرس عام ٦٦١هـ.

وهناك مجموعة من القباب الأخرىٰ مثل قبة المعراج بجانب قبة الصخرة (لا يعلم بالضبط من أين عرج الرسول محمد ﷺ إلىٰ السماء، ولذا قيل أنها من الصخرة، وقيل من هذا الموقع بالقرب من الصخرة، ولم يثبت في ذلك شي). وهناك قباب أخرىٰ مثل القبة النحوية، وقبة الشيخ الخليلي، وقبة الخضر، وقبة موسىٰ، وقبة سليمان.

وكان يمدُّ الحرم بالمياه عدد من الآبار (٢٧ بئرًا حتىٰ عام ١٩٤٧م)، وعدد من الأسبلة، كسبيل قايتباي، وسبيل شعلان وكلاهما من العصر المملوكي، وسبيل باب الحبش من أعمال السلطان قايتباي أيضًا، وسبيل البديوي من عصر السلطان محمود الأول عام ١١٥٣هـ/ ١٧٤١م في العهد العثماني.

المدارس في القدس

حظيت القدس منذ العهد الأموي بالعديد من المدارس، وانتشرت في العهد العباسي والفاطمي، ولكن ظهورها الأكبر كان علىٰ يدِ صلاح الدين الذي بنىٰ المدرسة الصلاحية للفقهاء الشافعية، ورباطًا للصوفية، وكان صلاح الدين شافعيًا صوفيًّا، ولكنه لم يهمل المذاهب الأخرىٰ، فبنىٰ لكل واحدٍ منها مدرسة ما عدا المذهب المالكي لعدم وجود مالكية بأعداد كبيرة في زمنه في القدس، ولكنهم كثُروا في عهد ابنه الملك الأفضل علي بن يوسف حيث كثر المغاربة فبنىٰ لهم المدرسة المالكية.

وظهرت العديد من المدارس والربط في عهد المماليك، مثل المدرسة التنكزية، ومدرسة دار الحديث، ومدرسة الكريمية، والمدرسة الجاولية، والمدرسة اللؤلؤية، والمدرسة الأمينية، إلىٰ غير ذلك من المدارس والأربطة وسُبُل المياه العذبة والأوقاف العديدة للحفاظ علىٰ هذه المبرَّات.

الآثار الأخرىٰ

تمَّ تجديد بناء سور القدس في عهد السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٢م، وجعلها سورين أحدهما للمدينة والآخر للحرم، ولا

يزالان باقيان حتىٰ اليوم، وبنىٰ عدة سُبُلٍ للمياه من الطرق المؤدية إلىٰ المسجد الأقصىٰ، وجدد قبة الصخرة بالقيشاني بعد أن تخربت الزخرفة الفسيفسائية بفعل الزمن.

واهتمَّ السلاطين العثمانيُّون بالمسجد الأقصىٰ مثل أو قريب من اهتمامهم بالحرم المكي والحرم المدني، وأقاموا قبة شمال قبة الصخرة عُرفت باسم قبة الأرواح، وأخرىٰ هي قبة يوسف، وأقاموا عددًا من المحاريب مثل محراب قبة النبي بين بناء قبة الصخرة وقبة المعراج، كما تمَّ ترميم المسجد الأقصىٰ وقبَّة الصخرة مرات عديدة، وجُدِّدت عمارات السبيل الكبير الذي بناه قايتباي بالإضافة إلىٰ العناية بالمدارس القديمة وإصلاحها وتعهدها، كما أن هناك العديد من الأربطة والخانقاهات والمستشفيات التي بنيت في عصور مختلفة.

الآثار النصرانية في القدس

يذكر الدكتور نوَّاف حامد في بحثه «المعالم التاريخية والحضارية في مدينة القدس»[١] أنَّ بالقدس ٢٧٤ مَعْلَمًا تاريخيًّا كلها في القدس القديمة في مساحة كيلو متر مربع فقط، وهي المحاطة بالسور القديم الذي كان آخر من جدَّده السلطان العثماني سليمان القانوني سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٢م، وهو موجود بحاله دون أن يتغيَّر سوىٰ فتح باب واحدٍ هو الباب الجديد (أو باب السلطان عبد الحميد) وقفل بعض الأبواب التي كانت

(١) د. حامد (نواف)، «المعالم التاريخية والحضارية في مدينة القدس»، أبحاث الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافي ـ الرباط ١٤١٤/١٩٩٣، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ الإيسيسكو، ص٣٧٥ ـ ٣٨٥.

مفتوحة، وفي القدس ٢٧٤ معْلَمًا هامًّا، منها ٢٠٠ من الآثار الإسلامية (مساجد ومدارس وزوايا وأربطة وسقايات.. الخ) و٥٩ أثَرًا مسيحيًّا (كنائس وأديرة ومستشفيات) قديمة، و١٤ كنيسًا يهوديًّا كلّها بنيت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين (أي أنها كلها مبانٍ حديثة).

وأهم الآثار المسيحية كالتالي:

١ ـ كنيسة القيامة:

وهي من المعالم الدينية المسيحية في العالم، حيث يزعمون أن السيد المسيح عيسىٰ عليه السلام صُلِبَ ودُفِنَ فيه، وكان ذلك يوم الجمعة، ثم قام من قبره يوم الأحد ولذا سميت كنيسة القيامة.

وأول من شيَّد هذه الكنيسة الملكة هيلانه أم الملك قسطنطين، ويدعونها بالقديسة لأنها ذهبت إلىٰ القدس، وكانت تتخيل مواضع صلب المسيح وقيامته والتقائه بالحواريين إلىٰ غير ذلك، ومن المعلوم أن قسطنطين هو أول من دخل في الديانة المسيحية من الأباطرة البيزنطيين، وهو الذي بنىٰ مدينة القسطنطينية علىٰ اسمه، والتي جعلها عاصمة ملكه، ثم بعد ذلك تحولت إلىٰ إسلامبول (استانبول) بعد فتح محمد الفاتح السلطان العثماني الشاب لها.

وقد شيَّدت هيلانه كنيسة القيامة سنة ٣٣٥م، ثم دمَّرها الفرس بالتعاون مع اليهود أيام كسرىٰ الثاني عندما انتصروا علىٰ البيزنطيين سنة ٦١٤م، وقد أحرق اليهود والفرس جميع المعالم المسيحية عندما دخلوا القدس بقيادة كسرىٰ الثاني.

وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحادثة في سورة الروم في قوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الروم]، وبالفعل كما جاء في القرآن انتصر الروم في بضع سنين، وقام هرقل بهزيمتهم في كل مدن الشام، وتمَّ طردهم مع اليهود من القدس سنة ٦٢٤م، بعد أن قتل الآلاف منهم.

وقد بنت هيلانه كل المعالم المسيحية في القدس وفي فلسطين، فهي التي بنت كنيسة القيامة عام ٣٣٥، وكنيسة الجلجلة عام ٣٣٦، وكنيسة المهد في بيت لحم، وكنيسة الصعود في جبل الزيتون، وكل الكنائس الهامة عند النصارىٰ بنتها لهم هذه المرأة التي وُصفت بلقب القدِّيسة.. وكانت تحدد الأماكن بناء علىٰ رؤىٰ ومنامات تظهر لها حسب زعمهم.

تعتبر كنيسة القيامة أهم المعالم المسيحية في العالم، وتشمل مجمعًا كبيرًا من المباني ضمن مساحة أبعادها ٨٠ × ٦٦ مترًا، والمباني الحالية تعود لعام ١٨٦٩ بعد أن شبَّ فيها حريق، وقد أصاب مبانيها عدد من القذائف اليهودية عام ١٩٤٨، وقد تعرَّضت ممتلكات الكنيسة للسرقة من اليهود بعد احتلال كامل القدس عام ١٩٦٧م.

وقد دمِّرت كنيسة القيامة مرات عديدة أولها عام ٦١٤م، ثم أعاد بناءها هرقل عام ٦٢٤م، وزارها عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند فتحه للقدس سنة ٦٣٧م/١٧هـ، وقد طلب منه صفرونيوس بطريرك القدس أن يصلي

فيها عندما أدركته الصلاة، ولكن عمر ﵁ قال: لا، حتىٰ لا يقول المسلمون فيما بعد هاهنا صلىٰ عمر فيتخذون ذلك ذريعة لبناء مسجد في موضع الكنيسة، ثم انتحىٰ عمر ناحيةً خارج الكنيسة فصلىٰ هناك.

وكان المسلمون يرعون حرمة الكنائس والمعابد ويتركون للنصارىٰ حريَّتهم كاملة في عبادتهم وشؤونهم، ولم يحدث أن اعتدىٰ أحدٌ من حُكَّام المسلمين علىٰ هذه الكنائس إلا في حالة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله المصاب بلوثة في عقله، وقد قام بهدم كنيسة القيامة بسبب مهاجمة الصليبيين لمصر واعتداءاتهم المتكررة عام (١٠١٠م)، وعمرت مرة أخرىٰ في عهد خليفته الظاهر عام (١٠٢٢م/٤١٢هـ)، وبقيت هذه الكنيسة مثل غيرها من الكنائس في رعاية المسلمين حتىٰ أنَّ النصارىٰ نتيجة اختلافاتهم الشديدة حول من يمتلك مفاتيح هذه الكنيسة وقتالهم المرير بسببها جعلوا هذه المفاتيح لأسرتين مقدسيَّتين مسلمتين، وهما آل جودة (وكانوا يدعون قديمًا آل غضيَّة وهم من الأشراف)[1]، وآل نسيبة (وهم من الخزرج ينتسبون إلىٰ امرأة تدعىٰ نسيبة).

ويتكوَّن بناء الكنيسة من أربعة أقسام رئيسية هي: الأناستاسيس Anastasis وهي القبة القائمة علىٰ الأعمدة فوق الصخرة التي يزعمون

(١) نشرت صحيفة «الشرق الأوسط» العدد ٧٨٤٢ بتاريخ ٢٠٠٠/٥/١٨م، ص١٥ تحقيقًا عن عائلة آل غضيَّة، ونسبها إلىٰ الرسول الكريم ﷺ، وقد تولوا مناصب هامة في القدس وغيرها، وأن مفتاح كنيسة القيامة عندهم منذ عام ٨٠٠ ميلادية إلىٰ اليوم، وحامل مفتاح كنيسة القيامة حاليًا هو السيد عبد القادر أديب جودة آل غضيَّة، وتنتشر الأسرة في السعودية (في بريدة والرياض وغيرهما) وفي فلسطين والأردن وفي غيرها من البلدان.

أن المسيح قبر تحتها، ثم الباحة التي تحيط بها الأعمدة من ثلاث جهات (الباحة المعمدة) وفي زاويتها الشمالية الشرقية صخرة يزعمون أن المسيح قد صُلب عليها مع اللصين، وتلي الباحة الكنيسة الكبيرة والمكوَّنة من خمسة أروقة، ويطلق عليها مارتيرون Martyrion وهي بطول ٤٥ مترًا وعرض ٢٦ مترًا، وكانت مزخرفة بالفسيفساء والأيقونات الجميلة، ويأتي بعد الاتريوم Atrium وهي الساحة الخارجية للكنيسة والتي يوصل إليها من خلال درج علىٰ الشارع، ويسمىٰ Pyleum.

وقد وصف الرحالة ناصر خسرو في رحلته المسمَّاة «سفر نامة» كنيسة القيامة عندما دخل القدس (٤٣٨هـ/١٠٤٧م) فقال:

«وهذه الكنيسة فسيحة تسع ثمانية آلاف رجل، وهي عظيمة الزخرف من الرخام الملوَّن والنُّقوش والصور، وهي مزدانة من الداخل بالدِّيباج (الحرير) الرومي والصور، وزُيِّنت بطلاء من الذهب، وفي أماكن كثيرة منها صورة عيسىٰ عليه السلام راكبًا حمارًا، وصور الأنبياء الآخرين.. وفي هذه الكنيسة لوحة مقسَّمة إلىٰ قسمين، فنصف يصِفُ الجنَّة وأهلها، ونصف يصِفُ النار وأهلها.. وليس لهذه الكنيسة نظير في أي جهة في العالم».

وذكرها الإدريسي الرحالة المتوفىٰ عام ٥٦٠هـ/١١٦٥م، وقال أنها كانت تسمىٰ كنيسة القمامة لأنها بنيت موضع قمامة قبل دخول قسطنطين النصرانية، لأن اليهود جعلوا موضع صلب المسيح قمامة نكاية في النصارىٰ، ووصف القبة التي تعلو الكنيسة، وقال أنها من عجائب الدنيا، وللكنيسة باب ينزل إليه ثلاثين درجة، ويسمىٰ باب سانت ماريه، وعند

نزول الداخل إلىٰ الكنيسة تلقاه المقبرة المقدسة عندهم، ولها بابان وعليها قبة معقودة قد أُتقن بنيانها وحُصِّن تشييدها وأبدع تنميقُها، وهذان البابان أحدهما يقابل الشمال حيث باب سانت ماريه، والباب الآخر يقابله من جهة الشرق كنيسة عظيمة جدًا، وفي شرقي هذه الكنيسة مكان يزعمون أن المسيح حُبِس فيه ومكان المصلوبية، وفي القبَّة صورُ المسيح والسيدة مريم والأنبياء ويوحنا المعمدان.

ويقوم القبر المقدَّس Holy Sepulcher تحت قبة كنيسة القيامة، ويُقسم القبر المزعوم إلىٰ غرفتين، في وسط إحداهما حجر يقال أنه كان باب القبر، فدحرجته الملائكة حتىٰ يخرج منه عيسىٰ عند قيامه منه، وفيها ١٥ قنديلاً، والقبر مغطَّىٰ ببلاطة كبيرة من الرخام، وقد عُلِّق في سقف القبر ٤٣ قنديلاً.

وتحتوي الكنيسة علىٰ العديد من التحف والجواهر الكريمة وسيف بطرس الأكبر قيصر روسيا، وإنجيل قديم، وتحف عديدة.

٢ ـ كنيسة الجشمانية (كنيسة كل الأمم):

وتقع خارج أسوار القدس في وادي سلوان، ويعود البناء الحالي إلىٰ عام ١٩٢٤م، وقد بنت هذه الكنيسة أيضًا الملكة (القديسة) هيلانه والدة الإمبراطور قسطنطين، ويزعمون أن المسيح قضىٰ آخر أيامة متعبِّدًا في هذا المكان قبل أن يقبض عليه بسبب خيانة يهوذا الاسخريوطي أحد الحواريين الاثني عشر، وفيه لوحة تصويرية لهذا المشهد، وفيها ١٣ قبة، أكبرها ترمز للمسيح والاثني عشر ترمز لتلاميذ المسيح الاثنىٰ عشر.

٣ ـ كنيسة ستنا مريم:

وتحتوي علىٰ قبر مريم عليها السلام، وقبر والديها عمران وحنَّة، والكنيسة للروم الأرثوذكس والأرمن، وتقع علىٰ طريق سلوان، ويزورها النصارىٰ والمسلمون.

٤ ـ كنيسة سانت ماري (دورميتون):

وهي حديثة أقامها الإمبراطور الألماني غليوم الثاني خلال زيارته للقدس عام ١٨٩٨م، وقد أهداه الأرض صديقه السلطان عبد الحميد الثاني، فبنيت علىٰ الطراز الأوربي الكلاسيكي، ولكن تزيينها الداخلي علىٰ الطريقة القديمة وهي بالفسيفساء.

ويعتقدون أن مريم عليها السلام قضت آخر أيامها في هذا الحقل تبكي ابنها، ولذا يسمُّون المكان بستان النِّياحة، وقد استولت القوات الإسرائيلية عام ١٩٤٨م علىٰ هذه الكنيسة وغيَّرت معالمها.

٥ ـ كنيسة مريم المجدلته:

وهي التي يزعمون أنها جاءت لزيارة القبر ولكنها وجدت عيسىٰ المسيح أمامها علىٰ جبل الزيتون حيث طلب منها أن تدعو له الحواريين، فاجتمع بهم وأعطاهم العشاء الأخير ثم صعد إلىٰ السماء، وقد شيِّدت هذه الكنيسة علىٰ نفقة العائلة الروسية الحاكمة سنة ١٨٨٩م، ولذا فهي مبنية علىٰ الطراز الروسي الضخم.

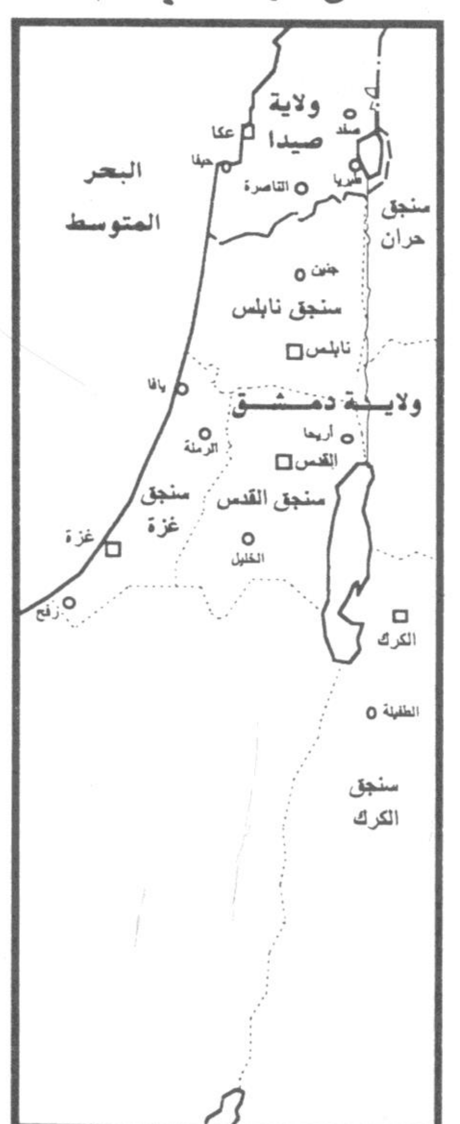
** ** ** ** ** **

خرائط لفلسطين عبر العصور

فلسطين
صدر الإسلام فى القرن الـ (٧) م

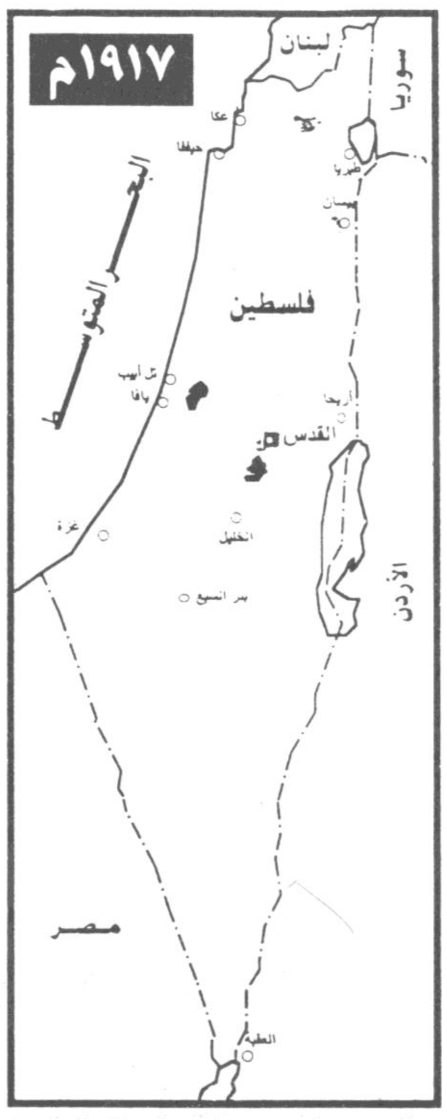


فلسطين في العهد العثماني
فى القرن الـ (١٧) م



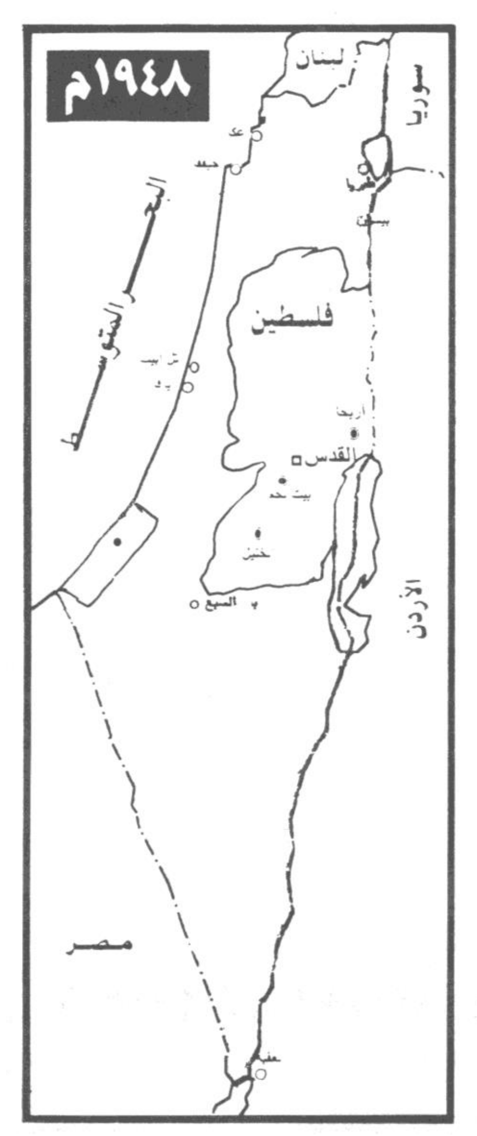
فلسطين

بعد الاحتلال البريطاني وفترة الانتداب



فلسطين المحتلة

بعد حرب ١٩٤٨



فلسطين المحتلة بعد حرب ١٩٦٧م

١٩٦٧م

لبنان

سوريا

البحـــر المتوســـط

فلسطين

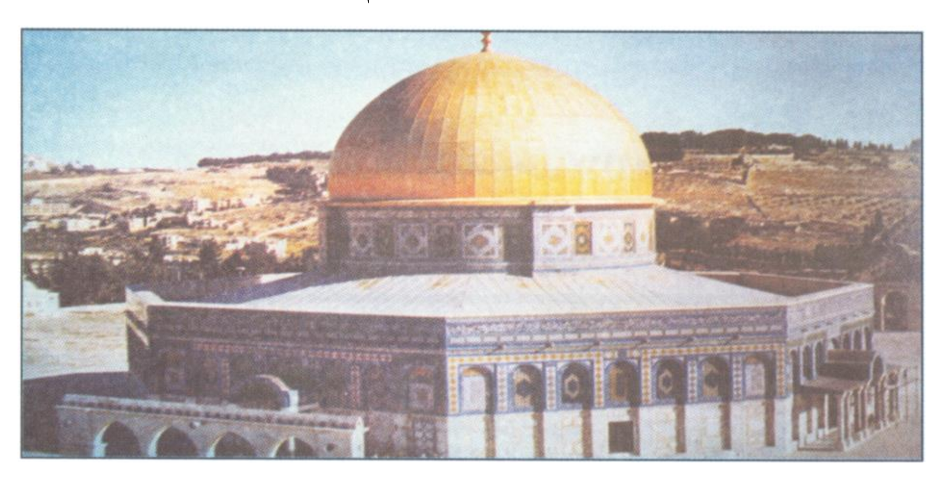
القدس

الأردن

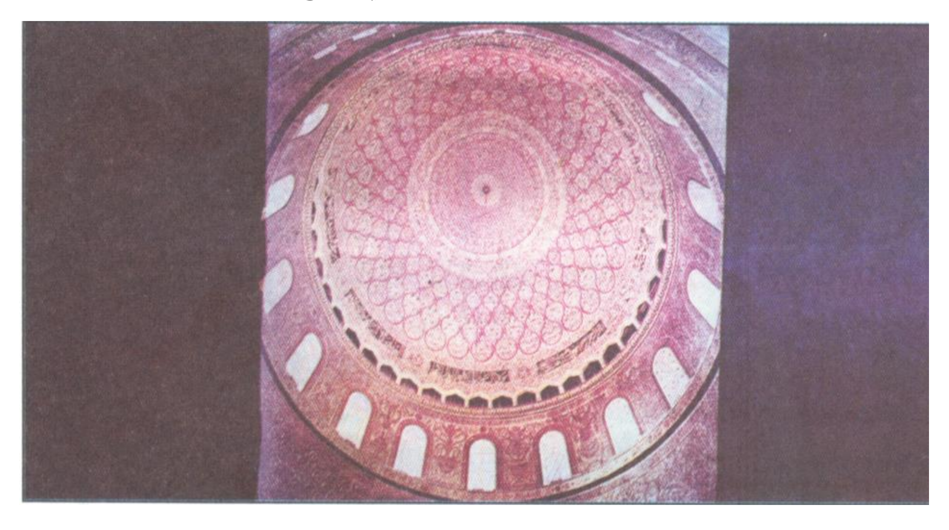
مصـر

السعودية

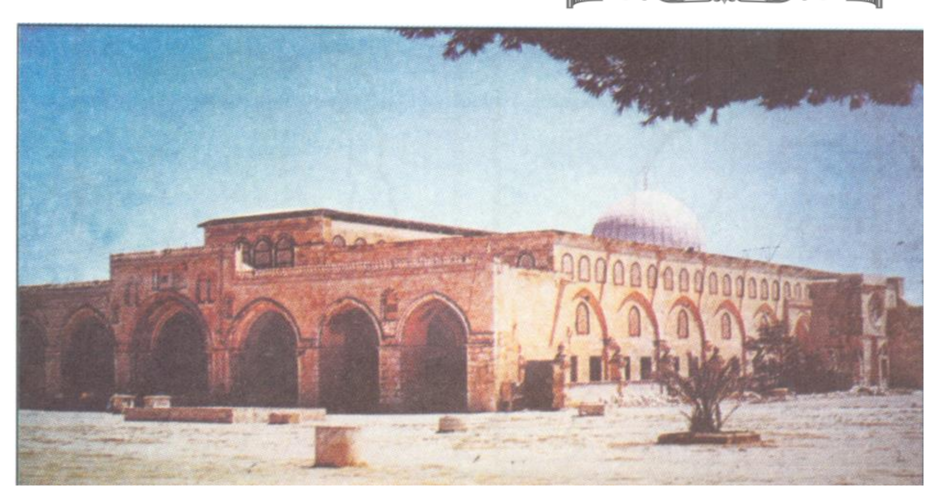
«كنوز القدس» تأليف المهندس رائف نجم والدكتور عبد الجليل عبد المهدي والمهندس بسام الحلاق والسيد يوسف النتشه والسيد عبد الله كلبوته، مؤسسة آل البيت، عمان ١٩٨٣م.



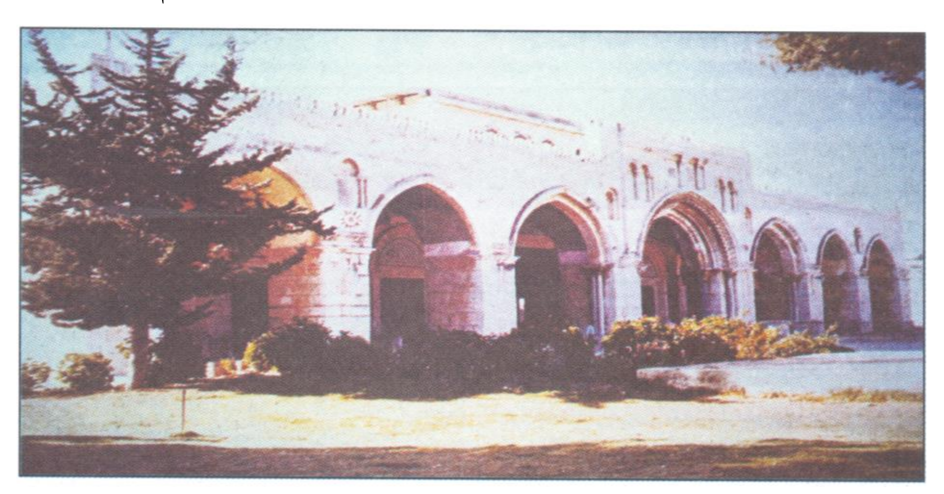
مسجد قبة الصخرة الذي بناه عبد الملك بن مرواه وأكمله علىٰ أروع طراز ابنه الوليد بن عبد الملك، وهو يقع علىٰ الصخرة التي يقال أن النبي ﷺ عرج منها إلىٰ السماء بعد أن صلَّىٰ بالأنبياء جميعًا في موقع المسجد الأقصىٰ



قبة الصخرة من الداخل، وفيها النقوش البديعة بالفسيفساء والقيشاني



المسجد الأقصىٰ المبارك الذي اجتمع في رسول الله ﷺ بالأنبياء فيه وصلىٰ بهم إمامًا، ولم يكن مبنيًّا آنذك، ثم عُرج بالنبي ﷺ إلىٰ السماء، ولما فَتح عمر القدس وجد مكانه مزبلة فنظفها بنفسه وصلىٰ هناك بهم إمامًا

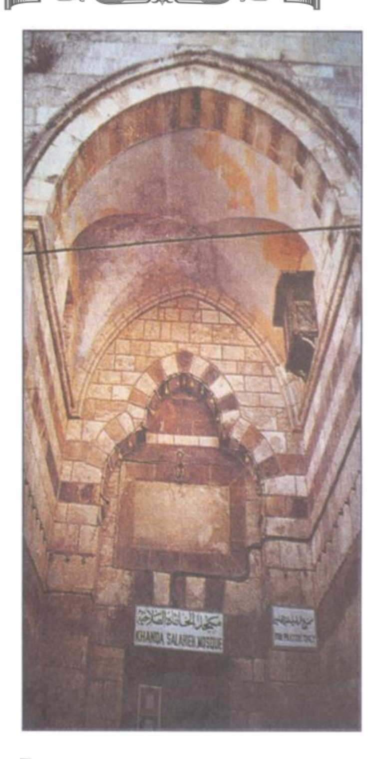


صورة أخرىٰ للمسجد الأقصىٰ الذي باركه رب العزَّة وبناه إبراهيم عليه السلام، وقيل بل ابنه إسحاق، ثم ضاعت معالمه وأعاد بناءه سليمان عليه السلام، ثم هدم ثم بناه عمر رضي الله عنه بناء بسيطًا، ثم توسع قليلاً في أيام معاوية، وبناه أروع بناء عبد الملك بن مروان

منبر صلاح الدين الموجود في المسجد الأقصىٰ ، والذي أحرقه الاسترالي دينس مايكل في١٩٦٩/٨/٢١ ضمن حريق الأقصىٰ الإجرامي المتعمد والمدعوم من الحكومة الإسرائيلية ، وقد بقي المنبر إلىٰ اليوم دون إصلاح رغم تعهد الدول العربية بإصلاحه ، والمنبر أمر ببنائه نور الدين زنكي أستاذ صلاح الدين ورئيسه ناويًا أن ينقله إلىٰ المسجد الأقصىٰ بعد أن يحرر القدس ، واستشهد نور الدين قبل أن يحقق أمنيته ، وأتم الله ذلك علىٰ يد تلميذه صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م ، ونقل صلاح الدين المنبر من حلب إلىٰ المسجد الأقصىٰ في القدس محقِّقًا بذلك رغبة أستاذه الشهيد نور الدين زنكي

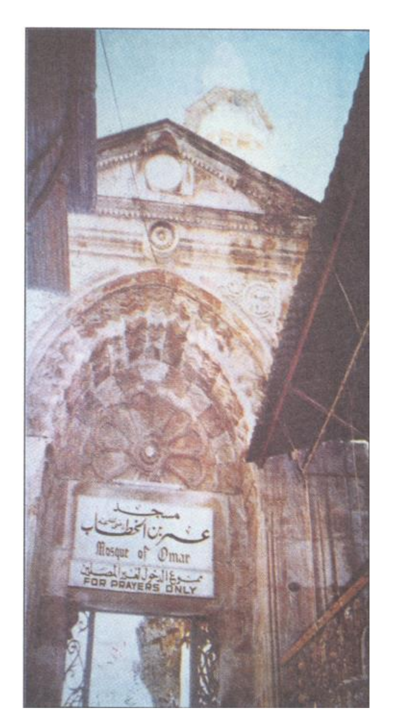


منظر من باحة الحرم الشريف مطلة علىٰ قبة الصخرة عبر مدخل بديع من العقود والبايكات ، وهذه البائكة هي الشرقية ، وقد أنشئت في العصر العباسي ، ثم جددت في العصر الفاطمي ، وتمَّ ترميمُها سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م بواسطة المجلس الإسلامي الأعلىٰ ، وتتكون من دعامتين حجريتين بينهما أربعة أعمدة رخامية ، تعلوها أقواس حجرية نصف دائرية .



مسجد الخانقاه الصلاحية، والخانقاه مبنىٰ يعيش فيه الصوفية وطلبة العلم للدراسة والعبادة. وقد أسس صلاح الدين الكثير من الخانقات في مملكته، وكان صلاح الدين صوفيًّا زاهدًا مجاهدًا محبًّا للعلم والعلماء والزهاد، وقد بنىٰ العديد من المدارس التي بقي الكثير منها إلىٰ العصور الحديثة، وقد أنشأ صلاح الدين هذه الخانقاه سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م وأوقفها علىٰ الصوفية سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م وهي أول خانقاه أنشئت في القدس بعد تحريرها، وتولىٰ مشيختها عدد كبير من العلماء، وهي عبارة عن مجمع معماري يتكون من المسجد، وغرف للسكن، ومرافق عامة.

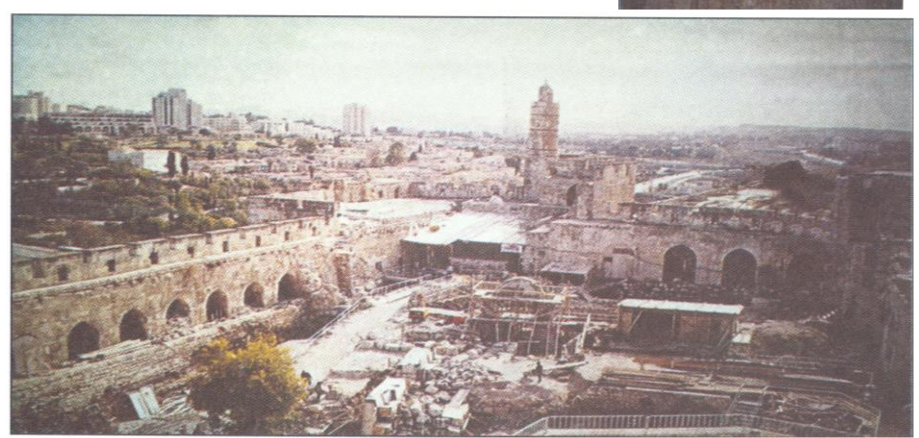
وفي العصر المملوكي بنىٰ شيخها برهان الدين بن غانم مئذنة لها وذلك سنة ٨٤٠هـ/١٤١٧م.



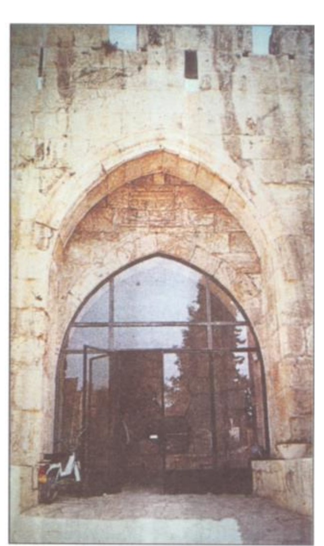
مسجد عمر بن الخطاب، وهو المكان الذي صلَّىٰ فيه عمر رضي الله عنه خارج كنيسة القيامة، فقد طلب منه بطريرك القدس صفرونيوس أن يصلي في الكنيسة عندما حانت الصلاة، ولكن عمر أبىٰ ذلك حتىٰ لا يأتي المسلمون بعده فيقولون: صلىٰ عمر هاهنا فيجعلون المكان مسجدًا، فخرج من الكنيسة علىٰ رمية حجر - كما يقولون - وصلىٰ هناك، فبنىٰ المسلمون بعده مسجدًا في ذلك الموقع.

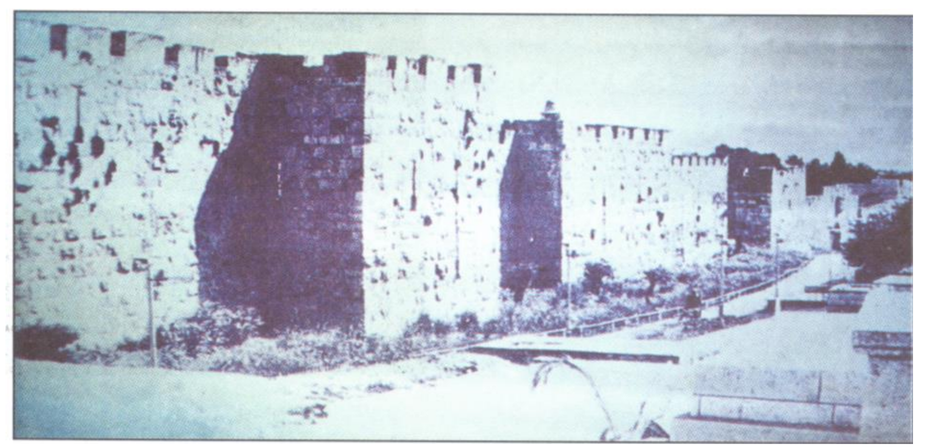


مئذنة مسجد عمر، وقد بنيٰ المسجد لأول مرة في أوائل العهد الأموي، ثم جُدِّد بناءه سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م، في العصر الأيوبي، وأعادوا بناء المئذنة في العهد المملوكي سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٥م، وهي مئذة مربعة الشكل جميلة التكوين، كما تراها في الصورة، وتقع المئذنة في الناحية الشرقية من الساحة المكشوفة.



القلعة: بنيت هذه القلعة قبل العهود الإسلامية ثم اندثرت. وتم تجديدها في العهود الإسلامية، وهي حصن عظيم البناء، وفيه برج للمراقبة ومسجد للصلاة، وبنىٰ الملك المعظم عيسىٰ الأيوبي سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م برجًا حربيًّا جميل الشكل في وسطها، وأضيف إليها مسجد في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون المملوكي سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م، ورمم البناء في عهد السلطان سليمان القانوني وأضيفت إليها المئذة سنة ٩٣٨هـ/١٥٣١م، ورممت القلعة ومسجدها وخندقها عدة مرات آخرها سنة ١١٥١هـ/ ١٧٣٨م، ثم أهملت بعد ذلك نسبيًا، وأصبحت مخزنًا عسكريًا، وقد احتلَّتها إسرائيل بعد أن استولت علىٰ القدس بكاملها في حرب حزيران (يونيه) ١٩٦٧م.

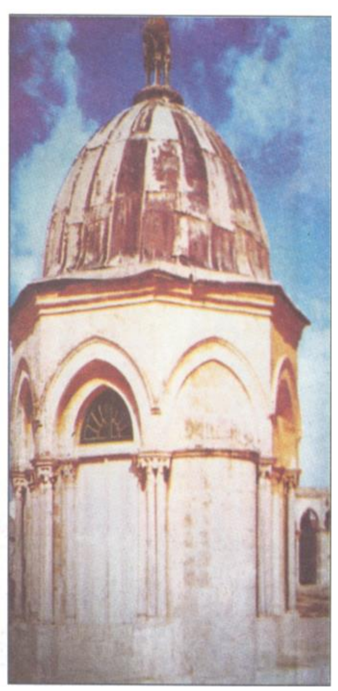




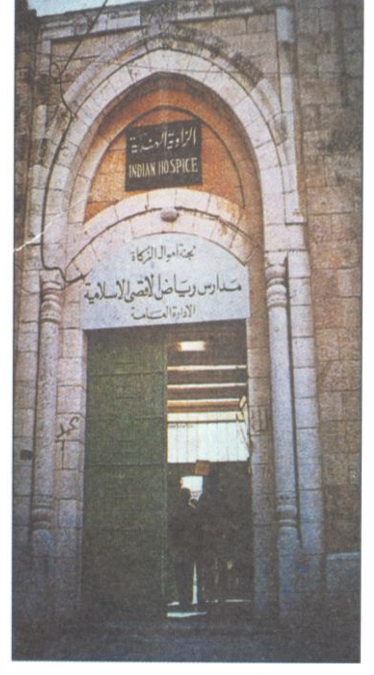
سور القدس: وهو سور قديم جَدد بناءه صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م ولكنه خُرب في عهد الملك عيسىٰ الأيوبي سنة ٦١٠هـ/١٢١٤م، خوفًا من استيلاء الصليبيين علىٰ القدس، وأعاده مرة أخرىٰ السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٢ ولا يزال بناؤه قائمًا إلىٰ اليوم، وإن كان يحتاج إلىٰ ترميمات.

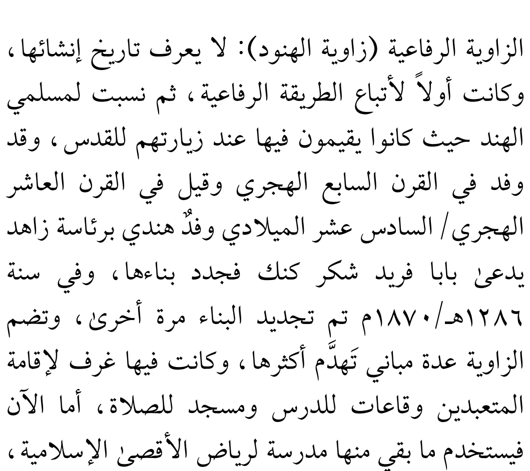


الكأس: أنشأه السلطان العادل أبو بكر بن أيوب سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م (العصر الأيوبي) ثم جَدد بناءه الأمير تنكز الناصري سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م، ثم أعاد تعميره السلطان قايتباي المملوكي. ويتكون الكأس من حوض رخامي مستدير الشكل، وفي وسطه نافورة، وعن جوانبه الخارجية صنابير يخرج منها الماء ليتوضأ منه المصلون الذين يجلسون علىٰ مقاعد حجرية مقامة أمام تلك الصنابير ويجري ماء الوضوء بعد استعماله إلىٰ المجاري الممتدة تحت بلاط الحرم الشريف، ويحيط سياج معدني متشابك بالحوض والنافورة.



قبة المعراج: لا يعلم من بنىٰ هذه القبة التي بنيت في ساحة الحرم القدسي بجواز مسجد الصخرة، وقد جُدد بناؤُها سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م علىٰ يد الأمير عز الدين عثمان بن علي الزنجبيلي، متولي القدس في عهد السلطان العادل أبي بكر بن أيوب، وتتكون القبة من باب مثمَّن تغطيه قبة مقامة علىٰ ثلاثين عمودًا من الرخام، كل أربعة منها معًا، ما عد الجهة الجنوبية ففيها كل ثلاثة أعمدة معًا، وفتح لها باب من الجهة الشمالية ولها محراب بداخلها من الجهة الجنوبية.

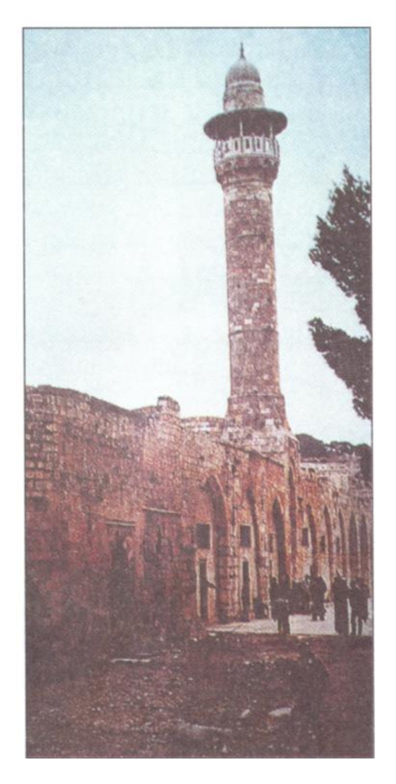




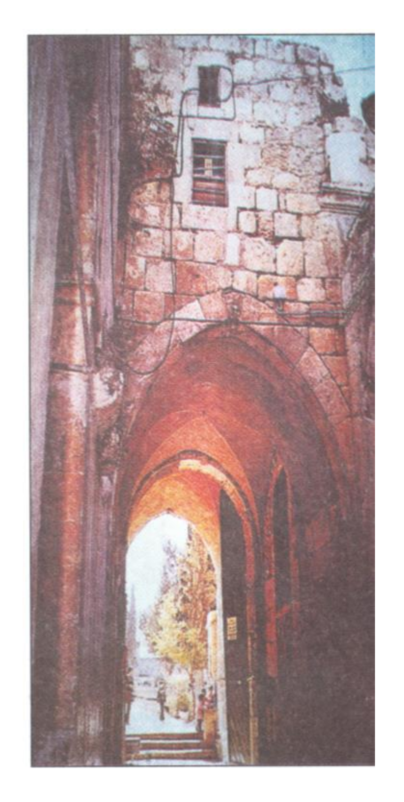
الزاوية الرفاعية (زاوية الهنود): لا يعرف تاريخ إنشائها، وكانت أولاً لأتباع الطريقة الرفاعية، ثم نسبت لمسلمي الهند حيث كانوا يقيمون فيها عند زيارتهم للقدس، وقد وفد في القرن السابع الهجري وقيل في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي وفدٌ هندي برئاسة زاهد يدعىٰ بابا فريد شكر كنك فجدد بناءها، وفي سنة ١٢٨٦هـ/١٨٧٠م تم تجديد البناء مرة أخرىٰ، وتضم الزاوية عدة مباني تَهدَّم أكثرها، وكانت فيها غرف لإقامة المتعبدين وقاعات للدرس ومسجد للصلاة، أما الآن فيستخدم ما بقي منها مدرسة لرياض الأقصىٰ الإسلامية، وتضم مسجدًا وساحة مكشوفة، وفي جزء آخر مباني لمكاتب وكالة الغوث، كما أن بها مسكنًا للشيخ ناظر حسين الأنصاري الهندي الذي قدم من الهند عام ١٩٢٤ للإشراف علىٰ الزاوية فاستوطن القدس حتىٰ وفاته عام ١٩٥٢م، وخلفه ابنه الشيخ محمد منير الأنصاري، وقد هاجم اليهود الزاوية عند احتلالهم القدس في حرب يونيه ١٩٦٧ مما أدىٰ إلىٰ تدمير ثلث الزاوية واستشهاد زوجة الشيخ ناظر الأنصاري وابنته أمينة وحفيده سعيد وإصابة ١٥ شخصًا إصابات بالغة، ولا تزال عائلة الأنصاري الهندية مرابطة في هذه الزاوية التي تقع إلىٰ الجنوب من باب الساهرة بحوالي مائة متر فقط.



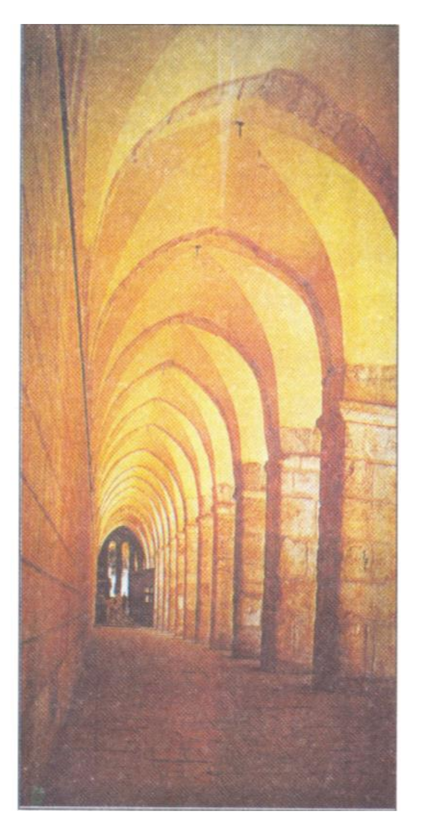
محراب داود (عليه السلام): هو واحد من المحاريب المشهورة في بيت المقدس، ويقال أنه المحراب الذي كان يتعبد فيه سيدنا داود عليه السلام، وقد اهتمَّ المسلمون به منذ عهود مبكرة وجُدِّد بناؤه في عهد السلطان حسام الدين لاشين سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م، وهو خارج المسجد الأقصىٰ، بالقرب من «القلعة» وكان يعرف قديمًا بباب «المحراب» والمسلمون يتولون الأنبياء ويحبُّونهم، وداود قد لعن اليهود كما جاء في القرآن الكريم.



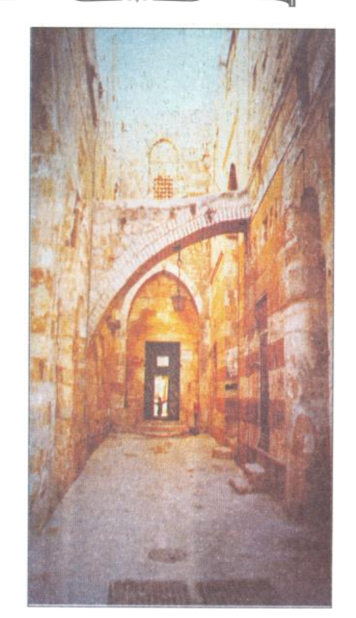
الرواق الشمالي: أنشأ الجزء الأول منه الملك المعظَّم عيسىٰ الأيوبي سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م، ثم قام ابنه يوسف ببناء الأجزاء الأخرىٰ، وعمر الأمير علم الدين سجر الجاولي الركن الشمالي الغربي منه سنة ٧١٥هـ وأنشأ الملك الأشرف الأجزاء بين باب الأسباط وباب حطة سنة ٧٦٩هـ.



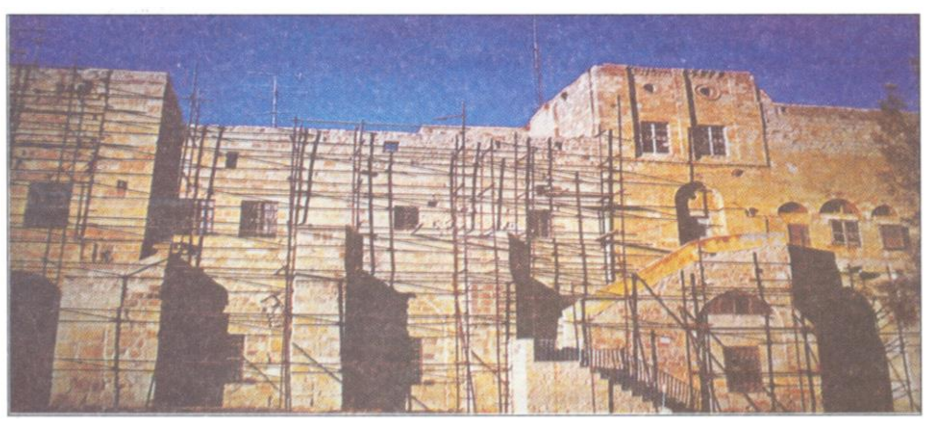
باب حطة: أحد أقدم أبواب الحرم الشريف جُدِّد عدة مرات وآخرها في عهد الملك المعظم عيسىٰ الأيوبي سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م، ويتكون هذا الباب من مدخل عالي الارتفاع، يغطيه مصراعان من الخشب القوي، وتحف جانبية ومصطبتان حجريتان جميلتا الشكل، وقد فرشت أرضيته بالبلاط الحجري القديم.



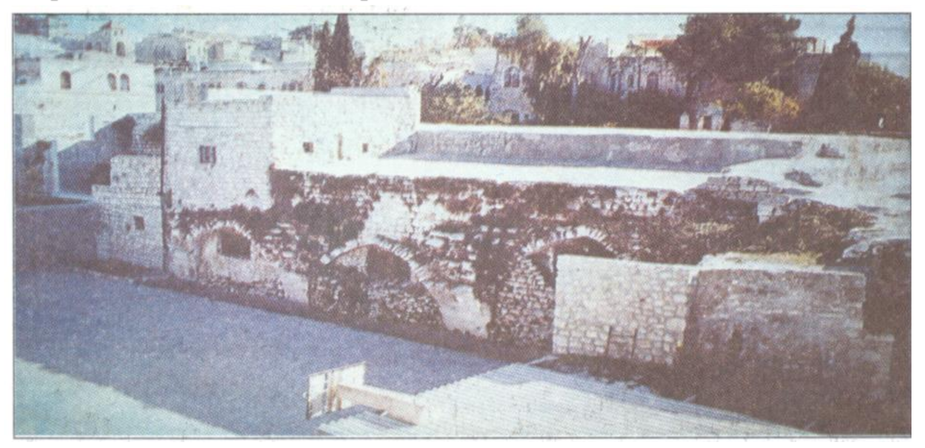
الأروقة الغربية: تم إنشاء هذه الأروقة في العهد المملوكي، فقد أنشئ الجزء الممتد من باب الغوانمة إلىٰ باب الناظر سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م علىٰ يد بلفاق بن جفان الخوارزمي، في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وأنشئت الأجزاء الممتدة من باب السلسلة إلىٰ باب المغاربة سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م علىٰ يد الأمير شرف الدين موسىٰ بن حسن الهدباني (أيضًا في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون) ثم أنشئت الأجزاء الأخرىٰ سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م، وفي أواخر العصر العثماني سُدَّت فتحات الرواق المطلة علىٰ ساحة الحرم لتستعمل لإيواء فقراء المسلمين الوافدين إلىٰ القدس.



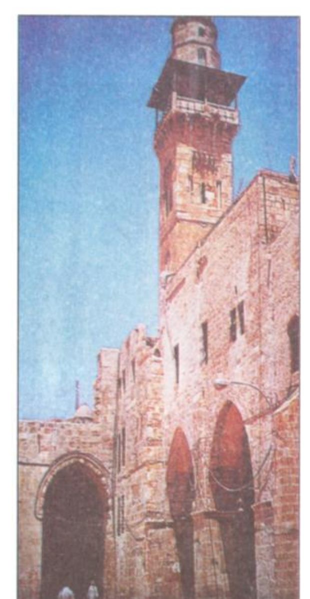
باب الحديد: يقع غربي الحرم الشريف، بين باب الناظر وباب القطانين، وهو باب قديم رمَّمه وجدَّده الأمير أرغون الكاملي، نائب الملك في الشام، في عهد الملك الكامل شعبان، ويسمىٰ باب أرغون، وأرغون بالتركية تعني الحديد، وقد توفي هذا الأمير سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٦م.



المدرسة الفارسية: نسبة إلىٰ الأمير فارس البكي نائب السلطنة الذي أنشأها وأوقفها سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٣م، وكانت أحد دور العلم الهامة في القدس، وتولىٰ مشيختها عدد من العلماء واستمرت لمدة أربعة قرون في نشر العلم وتدريسه، وتقوم هذه المدرسة فوق الرواق الشمالي من أروقة الحرم الشريف، وتطل واجهتها عليه، ويتم الوصول إليها من داخل الحرم بخمس وثلاثين درجة، وهي متصلة بالمدرسة الأمينية المجاورة لها، إلا أنها في مستوىٰ أعلىٰ منها، وفيها بالإضافة إلىٰ قاعات التعليم، غرف للطلبة وسكن للمدرسين بها، ويسكنها الآن جماعة من آل الدجاني.

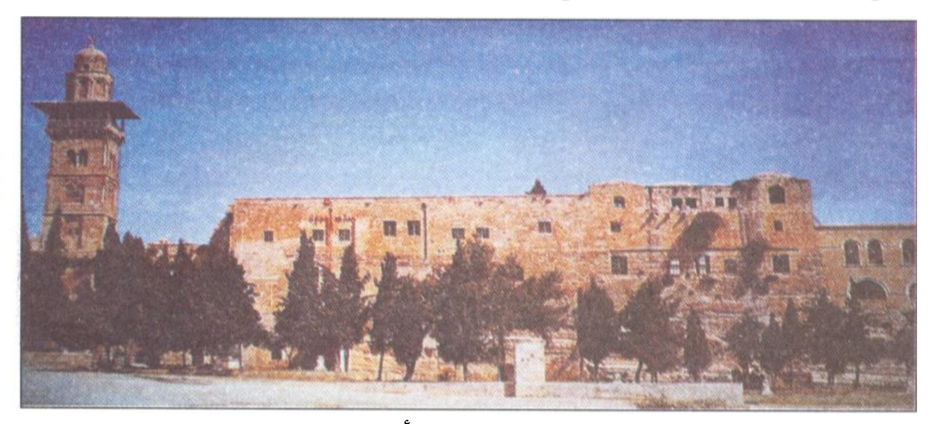


البيمارستان (المستشفىٰ) الصلاحي: أقامه صلاح الدين الأيوبي بعد تحرير القدس عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وكان الفاطميون قد أنشؤوا أول بيمارستان في القدس، ثم وسعه الصليبيون، ثم قام صلاح الدين بتوسعته ووقف عليه أوقافًا كثيرة، وكان يدرس فيه أيضًا علم الطب، ويتكون من عدد من القاعات المغطاة بسقوف ذات أقبية متقاطعة، وكل قاعة مخصصة لنوع معين من الطب (الجراحي، الباطني، طب العيون.. الخ كما أن النساء لهنَّ قاعات منفصلة عن الرجال) وقد تعرَّض البناء لزلزال سنة ١٤٥٨م، ولم يبق من البناء الأصلي إلا جزءٌ يسيرٌ وهو البارز اليوم.



مئذنة باب السلسلة:

وتسمىٰ منارة المحكمة لأنها كانت محكمة في العهد العثماني أنشأها الأمير تنكز بن عبد الله الناصري سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م وهي غربي الحرم علىٰ بُعد بضعة أمتار من باب السلسلة، وهي مربعة الشكل علىٰ غرار معظم المآذن المملوكية.. وفي كل جهة من جهاتها الأربع فتحة لإدخال الضوء والهواء.



المدرسة الجاولية: منظر خارجي للمدرسة التي بناها الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الجاولي، نائب القدس، وناظر الحرمين الشريفين سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م، في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهي مدرسة عظيمة كان لها دور كبير في نشر العلم، ثم حوَّلها الأمير شاهين الذباح في القرن التاسع الهجري دارًا للنيابة (أي الدولة) وفي العصر العثماني تحولت إلىٰ قشلاق (ثكنة عسكرية) ودار للحكم، وبعد الاحتلال البريطاني أقام المجلس الإسلامي الأعلىٰ فيها كلية «روضة المعارف» ثم أصبحت دارًا للشرطة، وهي الآن المدرسة العمرية للبنين.

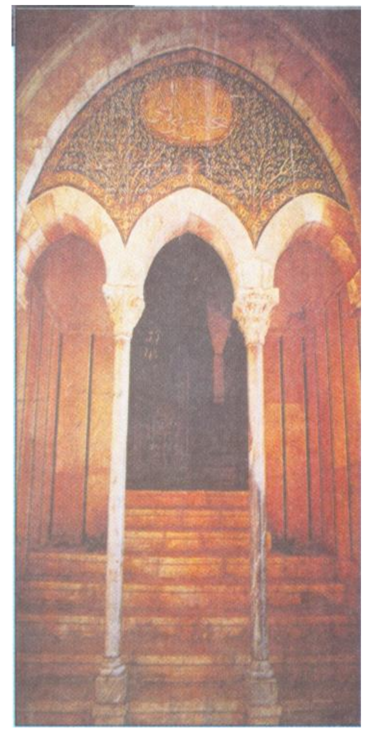


باب المغاربة: ويسمىٰ أيضًا باب البراق وباب النبي، وهو متصل بالحائط الغربي للمسجد الأقصىٰ المعروف بحائط البراق الذي يدَّعي اليهود أنه جزء من بقايا الهيكل المزعوم، ويسمُّونه حائط المبكىٰ، وقد جدد بناء هذا الباب في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون، ويتكوَّن هذا الباب من مدخل وعقد حجري مدبب، وهو مدخل صغير بالمقارنة مع أبواب الحرم الأخرىٰ، ويغطي فتحة المدخل مصراعان من الخشب القوي، وللأسف وافقت السلطة الفلسطينية علىٰ إعطاء اليهود الحائط الغربي للمسجد الأقصىٰ، ولم يكتف اليهود بذلك لأنهم يريدون الحرم الشريف بأكمله.

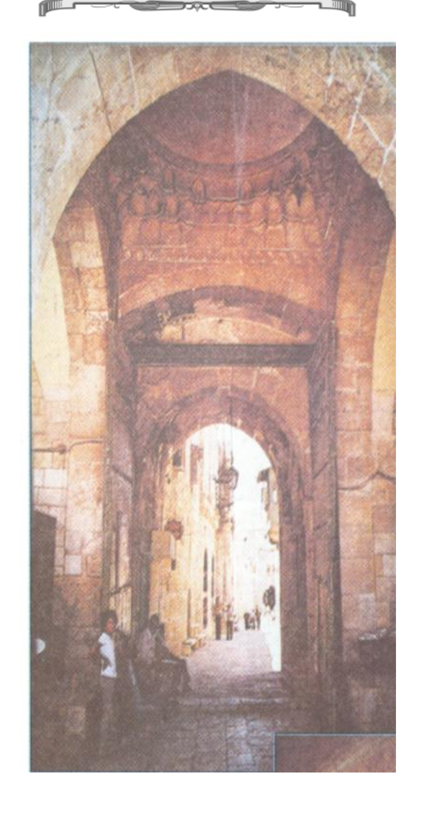


محراب في المدرسة القشتمرية:

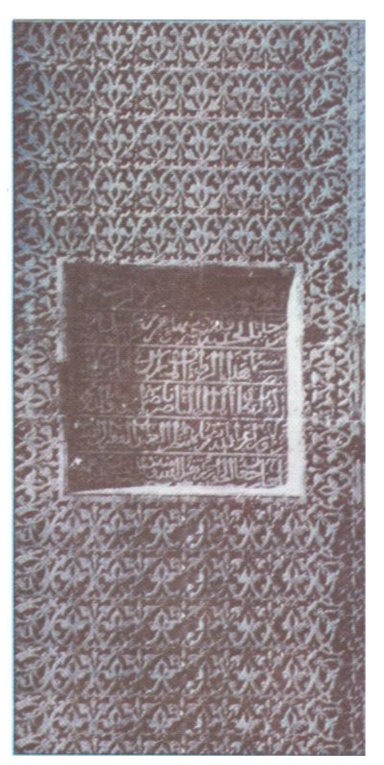
تنسب هذه المدرسة إلىٰ الأمير قشتمر السيفي من أمراء الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، وقفها سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٨م، وتولىٰ التدريس فيها عدد من المشايخ العلماء، وتتكون المدرسة من طابقين وفي الطابق الأول مدخل وحجرة ويتكون الطابق الثاني من صحن مكشوف ويحيط به عدد من الغرف ومسجد للصلاة، وله محراب رخامي جميل الشكل والتكوين، وله زخارف هندسية عديدة كما توضحه الصورة.



المدرسة المنجكية: التي أنشأها الأمير منجك الناصري سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م، وقد استمرت هذه المدرسة مثل غيرها من المدارس الأيوبية والمملوكية العديدة في دورها العلمي الهامِّ طوال العهد المملوكي والعهد العثماني، وفي هذا العهد (العثماني) أضيف إليها مجموعة من الغرف، واتخذها المجلس الإسلامي الأعلىٰ في عهد الانتداب البريطاني مقرًا له، وضم إليها المدرسة الحسنية.



باب الناظر: هو أحد أبواب الحرم القدسي القديم، وقد جُدِّدت عمارته سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م، في عهد الملك المعظم عيسىٰ الأيوبي، وكان يعرف باسم باب ميكائيل، ثم عُرِف باسم علاء الدين البصير، وفي العهد العثماني عرف بباب الحبس لأنه كان يؤدي إلىٰ الحبس، أما في العهد الحديث فيعرف باسم باب الناظر (أي ناظر الأوقاف أو ناظر المجلس الإسلامي الأعلىٰ) كما يعرف باسم باب



المجلس أي المجلس الإسلامي الأعلىٰ، وهو باب محكم البنيان، وتغطي فتحته مصراعان من الأبواب الخشبية القوية، وجميع ما في داخل هذا الباب من مبانٍ وقفها الأمير علاء الدين آيدغدوي علىٰ الفقراء القادمين لزيارة القدس، وذلك سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م زمن السلطان الظاهر بيبرس (المملوكي) وترىٰ في اللوحة الثانية ما هو مكتوب علىٰ الباب بعد تجديد عمارته في عهد الملك الأيوبي المعظم عيسىٰ.



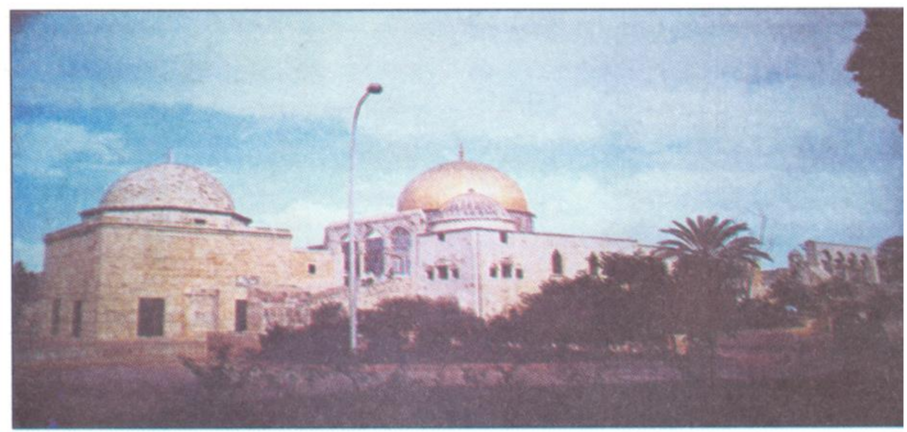
المدرسة التنكزية: واحدة من المدارس العديدة التي ظهرت في العهد المملوكي المتهم ظلمًا بمحاربة العلم، والعكس هو الصحيح إذ كثرت المدارس والمبرَّات والمستشفيات في هذا العهد، وكلها كانت لوجه الله تعالىٰ ولها أوقاف كثيرة، ونظَّارة تهتمُّ بأمرها وتسيِّر شؤونها، وقد أنشأ هذه المدرسة الأمير سيف الدين تنكز بن عبد الله الناصري سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٩م، وألحق بها مسجدًا، وقد اشتهر هذا الأمير بمحبته للعلم والعلماء، وله العديد من المآثر في القدس وغيرها من المدن الإسلامية، وكان يتبع المدرسة خانقاه (نزل المسافرين والصوفية)، ودارًا للأيتام، ودارًا لعلوم الحديث، وتحولت إلىٰ مركز للقضاء والقضاة في عهد السلطان قايتباي، ثم عادت مدرسة في القرن العاشر الهجري، وتحولت إلىٰ محكمة شرعية في العهد العثماني، واتخذت دارًا لسكن رئيس المجلس الإسلامي الأعلىٰ في عهد الانتداب البريطاني، وفي سنة ١٩٦٩ احتلَّتها القوات الإسرائيلية الغاصبة.



المدرسة الإسعردية: التي وقفها مجد الدين عبد الغني بن يوسف الإسعردي التاجر سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٩م، وتتكون من طابقين يتوسطهما صحن مكشوف مربع الشكل، ويصعد إليها من داخل الحرم الشريف بواسطة عدة درجات تؤدي إلىٰ قاعة مفتوحة علىٰ الصحن، يحيط بالصحن عدد من الخلاوي الصغيرة ذات المداخل المعقودة، وتطل القاعة الشمالية علىٰ ساحة الحرم، وفي هذه القاعة محراب جميل الشكل، وقد رَمَّم المجلس الإسلامي الأعلىٰ أبنيتها سنة ١٩٢٥م ونقل إليها دار كتب المسجد الأقصىٰ، ثم تحولت بعد ذلك إلىٰ سكن.



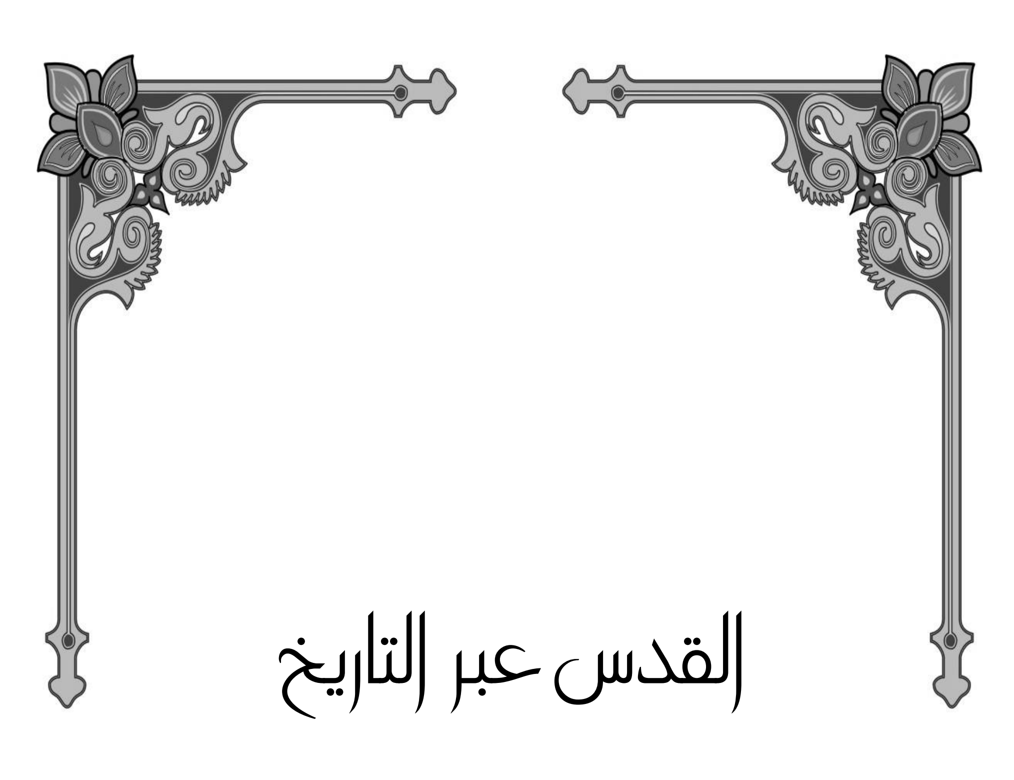
واحدة من المدارس العديدة في القدس التي كثرت أيام صلاح الدين وأبنائه وأحفاده، وزادت بصورة خاصة في العهد المملوكي، ومنها المدرسة اللؤلؤية والجاولية والأمينية والتنكزية ودار الحديث، وتخرج منها الآلاف من العلماء علىٰ مدىٰ عدة قرون واستمرَّت إلىٰ العهد العثماني.



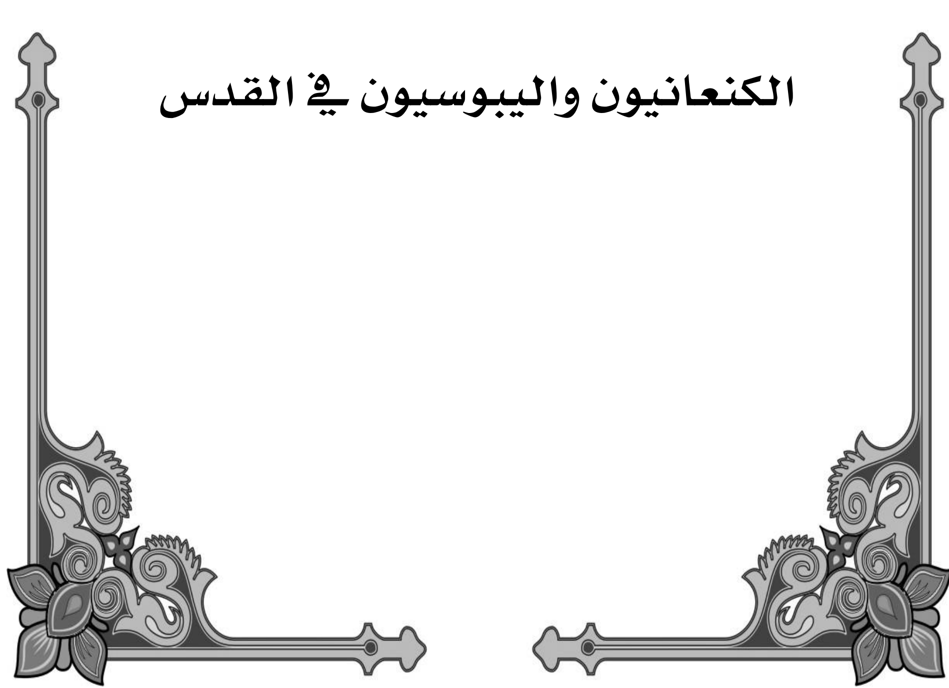
قبة موسى: أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ/١٢٥٠م، وقد أنشئت لإقامة الشيوخ للعبادة ودراسة العلم، وتستعمل حاليًا دارًا لتحفيظ القرآن الكريم.



التربة الأوحدية: أنشأ هذا البناء الملك الأوحد نجم الدين يوسف بن الناصر داود، ناظر الحرمين الشريفين، سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م، وكان هذا الأثر مدرسة ورباطًا، وللمدرسة سجل في المحكمة الشرعية، وتتكون هذه التربة من طابقين، وفي الطابق الأول غرفة الضريح، وأروقة مجاورة للماء، وبيت للصلاة، وفي الطابق الثاني عدد من الغرف المتباينة الحجم.



القدس عبر التاريخ



الكنعانيون واليبوسيون في القدس

الكنعانيون واليبوسيون في القدس

يعتبر الكنعانيون من القبائل العربية القديمة الذين سكنوا فلسطين، وقد رددت التوراة (المحرفة) في أكثر من سفر الحديث عن أرض كنعان (أي فلسطين) وأن الله سبحانه وتعالىٰ قد أعطاها لإبراهيم ولنسله، بعد أن تَغَرَّب وخرج من بيت أبيه من العراق (كلدان) وبالذات من مدينة حاران.

وقد خرجت موجات كنعانية متعددة من الجزيرة العربية وسكنت فلسطين منذ ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد، ويقول د. كينون أن العموريين (الأموريين) سكنوا شرق الأردن بينما سكن الكنعانيون غربه[(١)]، وكلا العموريين (الأموريين) والكنعانيين من القبائل العربية القديمة، وقد جاء في سفر حزقيال الإصحاح ١٦: «هكذا قال السيد الرب لأورشليم (القدس): مخرجك ومولدك من أرض كنعان، أبوك أموري وأمك حثيَّة».

والأسماء التي تذكرها التوراة لسكان أرض فلسطين مثل الكنعانيين والفرزيين واليبوسيين والآموريين والآراميين كلها تدل علىٰ أقوام من العرب القدماء بقبائلهم المختلفة، أما الحثيُّون فهم من سكَّان آسيا الصغرىٰ وشمال سورية، ولكن مجموعات منهم سكنت في فلسطين، وقد كان أحد قواد

---

(١) نقلاً عن ناجي علوش في بحثه، ناجي علوش، أبحاث الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافي، الرباط ١٤١٤هـ/١٩٩٣م الإيسيسكو، «القدس الكنعانية»، ص٨٣ ـ ٩٨.

داود عليه السلام أوريا الحثي، وهو الذي تزعم التوراة المحرَّفة أن داود عليه السلام زنىٰ بزوجته بتشبع أثناء غيابه في المعارك، وأن داود دبَّر مؤامرة قذرةً لاغتياله، وذلك كله كذب وافتراء وبُهتان علىٰ داود عليه السلام من هؤلاء اليهود وأحبارهم الذين لعنهم داود عليه السلام، قال تعالىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨﴾ [المائدة].

ويعود تاريخ القدس إلىٰ الألف الثالثة قبل الميلاد، وقد عرفت القدس باسم يبوس أو بابوس، وهي القبيلة العربية التي سكنتها وبنت هذه القبيلة قلعة حصينة علىٰ الرابية الجنوبية الشرقية، وعرفت باسم حصن يبوس، ثم أقيمت الأسوار حوله، وعرف الحصن والجبل باسم صهيون، ومعنىٰ هذه الكلمة بلغة يبوس «الحصن» أو «الجبل المتعرض للشمس».

وقد ذكر مجير الدين الحنبلي في كتابه «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل»(١) أن ملكي صادق نزل بأرض بيت المقدس وقطن بكهف في جبالها يتعبَّد، واشتهر بالحكمة والعلم والتقوىٰ والصلاح، فاختاره ملوك تلك المنطقة رئيسًا عليهم، فبنىٰ القدس وسمَّاها مدينة السلام (أورسالم).

ومن المعلوم أن ملكي صادق كان معاصرًا لسيدنا إبراهيم عليه السلام، بل وتذكر التوراة (المحرفة) أنه باركه، فقد جاء في سفر التكوين (الإصحاح ١٤: ١٩ ـ ٢١): «وكان ملكي صادق كاهنًا لله العليِّ، وباركه

---

(١) مجير الدين الحنبلي العلمي المقدسي، «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» ج١/٨.

(أي بارك إبراهيم) وقال: مبارك أبرام من الله العلي مالك السماوات والأرض، ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك»، وقد وقف ملكي صادق مع سيدنا إبراهيم عند نزوله فلسطين وأيَّده ضدَّ أعدائه، وتصف التوراة ملكي صادق بأنه ملك أورشليم، وإبراهيم عليه السلام قد عاش في القرن الثامن عشر أو التاسع عشر قبل الميلاد، علىٰ أرجح أقوال المؤرخين، فيكون ملكي صادق قد اشتهر بالعدل والبر والتوحيد ورحَّب بسيدنا إبراهيم للإقامة في فلسطين، وأيده وناصره.

ولا شكَّ أن أورشليم قد بنيت قبل ملكي صادق، ولكنها كانت محدودة بالقلعة اليبوسية وما حولها من الأسوار (قلعة يبوس أو قلعة صهيون).

ويعترف المؤرخون جميعًا بأن القدس عمرها في حدود خمسة آلاف عام بما في ذلك المؤرخون الإسرائيليون المعاصرون، فيقول المؤرخ الإسرائيلي زئيف فلنائي في «موسوعة معرفة أرض إسرائيل» أن عمر أورشليم خمسة آلاف سنة، ويؤكد ذلك المؤرخان الإسرائيليان افرايم ومناخيم تلماي في خاتمة كتابهما «القدس»[1].

ومن المعلوم أن سيدنا داود لم يدخل القدس إلا في حدود الألف قبل الميلاد، وذلك يعني ببساطة أن العرب الكنعانيين واليبوسيين كانوا في القدس قبل دخول بني إسرائيل إليها بألفي عام، ثم أن حكم داود للقدس لم يستمرّ سوىٰ عشر سنوات، وحكم ابنه سليمان (عليهما

---

(١) نقلاً عن د. كامل العسلي، «القدس في التاريخ»، أبحاث الندوة العلمية حول القدس وتراثها الثقافي، ١٩٩٣، منظمة الإيسيسكو، ص٧١ ـ ٨١.

السلام) استمرَّ أربعين عامًا، ثم انقسمت مملكة سليمان بوفاته وتحولت إلىٰ مملكتين صغيرتين متحاربتين هما مملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها أورشليم ومملكة إسرائيل في الشمال وعاصمتها شكيم (نابلس)، وانتهت مملكة الشمال من الوجود عام ٧٢١ قبل الميلاد علىٰ يد الملك الآشوري سرجون الثاني، بينما انتهت مملكة الجنوب علىٰ يد الملك البابلي نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ قبل الميلاد، ومنذ ذلك العهد لم تقم لليهود دولة إلىٰ العصر الحديث عندما قامت دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م.

ولذا فإن تاريخ اليهود في القدس وحكمهم لها لا يتعدىٰ ٤٥٠ عامًا بينما حكمها العرب وسكنوها أكثر من أربعة آلاف عام، فأي حق لليهود في القدس وفلسطين؟

ويقول دلاسي أوليري De Lacy Oleary في كتابه «Arabia Before Mohammed» (البلاد العربية قبل محمد): أن معظم الفلاحين الفلسطينيين الحاليين هم أنسال تلك الأقوام التي سبقت الإسرائيليين، ويؤكد ذلك العالم الانثربولجي البريطاني جيمس فرازر Sir James Fraer في كتابه «The Golden Bough» (الفرع الذهبي) بقوله: «إن فلاحي فلسطين الناطقين بالعربية هم سلالة القبائل التي استقرَّت في البلاد قبل الغزو الإسرائيلي (الذي ابتدأ علىٰ عهد يوشع بن نون في القرن الثاني عشر قبل الميلاد) وهم ما يزالون متمسكين بالأرض، إنهم لم يغادروها ولم يقتلعوا منها»[1].

ويقول سير شارلز ماثيوز Sir Charles Matheurs في كتابه

---

(١) نقلاً عن المصدر السابق.

«فلسطين الأرض المحمدية المقدسة « Palestine, Muhammedan Holy Land»: «إذا كان هناك رأي يردده أناس، ومفاده أن العرب هم مجرَّد متطفِّلين في فلسطين وأن عليهم أن يخلوا الطريق لعودة المالكين الشرعيين والتاريخيين لأرض المقدس، فلا بد أن نقول كلمة حول أصول الأجناس التي سكنت هذه الأرض، الحقيقة بسيطة هي أن الشعب العربي في فلسطين في أكثريته ليس من أحفاد أولئك القادمين الجدد الذين دخلوا البلاد مع الفتح الإسلامي العربي في القرن السابع (الميلادي)، إن أكثرية الفلسطينيين هم من سُكَّان البلاد الأصليين، سواء المسلمون منهم أو المسيحيون، هم جنس مختلط (أغلبيته من القبائل العربية القديمة) ترجع صلته بالبلاد إلىٰ فجر التاريخ.. إن الفاتحين العرب (في القرن السابع الميلادي) لم يكونوا يشكِّلون إلا أقليَّة ضئيلة إذا ما قورنوا بالسكَّان الذين استقرُّوا في البلاد منذ عهد سحيق في القِدَم، وكانوا بهذه الصفة سكَّانها التاريخيين».

«إن صفة عرب قبلتها تدريجيًا أكثرية السكَّان، كما قبلت الدين الجديد، وأصبحت اللغة العربية لغة الجميع، وكان تغيير الدين اختياريًا».

«وفيما يتعلَّقُ بسكان القدس عبر العصور، عاش اليهود أقليَّة ضئيلة، وقد اختفوا عمليًّا بعد حربي سنة ٧٠ (تدمير تيطس للقدس) وسنة ١٣٥ (تدمير هادريان لها) وقد جدد الأباطرة البيزنطيون الحظر الذي فرضته روما علىٰ إقامة اليهود في القدس ومنعوهم من سكناها، وهذا الحظر لم يرفع إلا بعد مجيء العرب في القرن السابع، ولكنه عاد ففرض من جديد عندما احتلَّ الصليبيون القدس لمدة ٨٨ سنة.

ويستمرُّ فيقول: «في الخمسة آلاف سنة التي مرَّت من عمر القدس، عاش اليهود في المدينة كأكثرية محتملة، وحكموا المدينة بالفعل، حوالي ستمائة سنة فقط، مع مجيء الإسلام فقط سمحوا لليهود بأن يعيشوا كجالية مستقلة، وإن كانت صغيرة في القدس»[١].

ويقول أيضًا: «ومن المضحك أن يتحدَّث المرء عن قدس يهودية في الألفي سنة الأخيرتين، كما أنه من الخطأ والأساطير التحدُّث عن قدس يهودية في الألفي سنة الأولىٰ من عمر القدس»[٢].

ويقول المؤرخ الإسرائيلي زئيف فلنائي في «موسوعة معرفة أرض إسرائيل»[٣]: «في كل مرة كانت القدس تخضع لحكم المسيحيين وسلطتهم لم يكن يسمح لليهود بالإقامة أو السكن فيها، ومن وجد منهم في أثناء حكمهم لها كان إما أن يقتل أو يطرد، في حين كان المسلمون يسمحون لليهود بالعيش في المدينة بسلام».

ويؤكد ذلك الكاتب البريطاني كولن ثبرون في كتابه «القدس»، ويقول أن المسلمين كانوا متسامحين مع اليهود وعاشوا معهم بسلامٍ، في الوقت الذي كانت فيه أوربا منغمسة انغماسًا كاملاً في الاضطهاد[٤].

وتقول المصادر التاريخية أن القدس الكنعانية القديمة بنيت علىٰ تلال الظهر (وله أسماء أخرىٰ عديدة مثل الطور، أوفل، الزيتون) الذي

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق نقلاً عن «Juraslem»: Colin Thuborn.

يقع إلىٰ الجنوب الشرقي من موقع المسجد الأقصىٰ اليوم، وتقع مياه عين أم الدرج في الجانب الشرقي من جبل الطور (لا علاقة له بجبل الطور في سينا، الذي كلَّم الله فيه موسىٰ)، وبالتالي توفرت لهذا المكان المياه العذبة، ولم يأتي البناء علىٰ جبل الطور من قبيل المصادفة، فمن الجنوب ينحدر ويحيط بها وادي الربانة (هنّوم)، ومن الشرق وادي جهنم، ومن الغرب وادي الزبل، وهكذا تكون المدينة محاطة بمواقع طبيعية صعبة من الجهات الثلاث، بحيث يغدو اقتحامها من قبل الغزاة مستعصيًا ما عد الجهة الشمالية، وقد لاحظ المؤرخون أن جميع الجيوش التي اقتحمت القدس قديمًا وحديثًا دخلتها من جهتها الشمالية.

وقد حكم الكنعانيون القدس لألفي عام تقريبًا، وفي تلك الفترة خضعت القدس في فترات لحكم مصر، وقد ظهر من رسائل تل العمارنة في مصر أن حاكم القدس كان تابعًا لفرعون مصر أمينوفيس (أمنحتب) الثالث، وقد كتب إليه سنة ١٣٧٥ق.م يستنجد فيه عبدي حيبا (هبه) حاكم القدس بملك مصر بعد أن هجم قوم يدعون العابيرو (الهابيرو أو العابرون النهر) وهم قبائل بدوية شديدة المراس علىٰ القدس، ونص الرسالة كالآتي:

«إلىٰ الملك مولاي، (هكذا يقول عبدي هبه) انظر إلىٰ ما فعله ملك ايلو وشوارداتا بأرضي، مولاي الملك لقد دفعوا بقوات من جازر ومن جت ومن كيله (أسماء مدن فلسطينية) وأخذوا أراضي روبوتو، وأراضي الملك سُلِّمت إلىٰ شعب العابيرو حتىٰ بلدة من أراضي أورشليم من أملاك سيدي اسمها بيت لحم قد أعطيت إلىٰ كيله، فليصغَ مليكي إلىٰ

خادمه «عبدي هبه» ويرسل قوات تعيد الأراضي الملكية إلىٰ الملك، وإذا لم تصل قوات فإن أراضي الملك ستغدو للعابيرو»[(١)].

وهذا كله قد حدث قبل ظهور موسىٰ عليه السلام حيث تذكر المصادر التاريخية أنه ظهر في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، ولم يدخل سيدنا موسىٰ الأراضي المقدسة إذ خاف بنو إسرائيل من مواجهة العماليق وقالوا لموسىٰ عليه السلام: «اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنا هناهنا قاعدون، ما سجَّله الله عليهم قرآنًا يُتلىٰ علىٰ مدىٰ الأزمنة، قال تعالىٰ علىٰ لسان موسىٰ: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [المائدة].

فلم يدخلوها إلا زمن يوشع بن نون وهو أحدُ الرَّجلين اللَّذينِ قال الله عنهما أنهما يخافان الله، والثاني كالب بن يفنه فعاشا حتىٰ قادا الفتح، ومع ذلك بقي اليبوسيون في القدس، وسكن بنو بنيامين معهم، وذلك في القرن الحادي عشر قبل الميلاد.

---

(١) ناجي علوش، «القدس الكنعانية» الندوة العالمية حول القدس وتراثها، الرباط ١٤١٤هـ/١٩٩٣م الإيسيسكو، ص٨٣ - ٩٨.



القدس عبر التاريخ

- العبرانيون في القدس (من إبراهيم إلى سليمان عليهم السلام)
- إبراهيم عليه السلام وهجرته إلى فلسطين.
- بناء المسجد الأقصى بعد بناء البيت الحرام (بمكة المكرمة) وارتباط المسجدين.
- مَنْ بنى المسجد الأقصى لأول مرة؟
- داود ينوي إعادة بناء المسجد الأقصى (بيت الرب).
- أكاذيب التوراة (المحرفة) وسبهم لداود عليه السلام.
- بيت داود كما تصفه الأسفار الحقيرة المحرَّفة.
- سيرة سليمان عليه السلام.
- إعادة بناء المسجد الأقصى (بيت الرب) على يد سليمان عليه السلام.
- موت سليمان وانقسام المملكة.

إبراهيم عليه السلام وهجرته إلىٰ فلسطين

جاء في سفر التكوين الإصحاح ١٢: «وقال الربُّ لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلىٰ الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة، وأُبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه، وتتباركُ فيك جميعُ قبائل الأرض، فذهب أبرام كما قال له الرب، وذهب معه لوط، وكان أبرام ابن خمسة وسبعين سنة لمَّا خرج من حاران».

والغريب حقًّا أن التوراة المحرَّفة تسكت سكوتًا مريبًا عن الخمسة وسبعين سنة الماضية من عمر إبراهيم، ولا نراه يدعو إلىٰ الله ولا يجادل أباه ولا قومه في عبادة الأصنام، بل لا تذكر التوراة أن أحدًا من الأنبياء دعا إلىٰ عبادة الله والإيمان بالله وكتبه ورسله وباليوم الآخر، فهذه كلها غير موجودة في الأسفار الخمسة المعروفة باسم التوراة.. وكلُّ ما في الأمر أن يقوم الشخص المبارك بتقديم محارق ولحم مشوي كثير للرب فيعطيه أراضي الغير ويستولي عليها هو ونسله إلىٰ أبد الآبدين، «واجتاز أبرام في الأرض إلىٰ مكان شكيم (مدينة نابلس اليوم)، وكان الكنعانيون حينئذٍ في الأرض، وظهر الربُّ لأبرام وقال: لِنَسْلكَ أعطي هذه الأرض، فبنىٰ هناك مذبحًا للرب الذي ظهر له» وذبح للربِّ وشوىٰ له مجموعة من

الخرفان فتنسَّم الرب حسب زعمهم الحقير رائحة الشِّواء وسُرَّ سرورًا عظيمًا، فبنىٰ إبراهيم للرب بيت إيل (بيت الله) ليقدم له المزيد من المحارق واللحم المشوي حتىٰ يحصل علىٰ أرض تفيض لبنًا وعسلاً.. وهي أرض كنعان. «وقال الربُّ لأبرام بعد اعتزال لوط عنه: ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوبًا وغربًا، لأن جميع الأرض التي ترىٰ لك أعطيها ولنسلك إلىٰ الأبد، وأجعل نسلك كتراب الأرض، حتىٰ إذا استطاع أحدٌ أن يعدَّ تراب الأرض فنسلك أيضًا يُعَدُّ، قم امشي في الأرض طولها وعرضها، لأني لك أُعطيها» [سفر التكوين ١٣: ١٤ - ١٧].

وعندهم أن نسل إبراهيم هو إسحاق لأنه بإسحاق فقط يُدعىٰ لك نسل، هكذا قال الربُّ حسب زعمهم، أما إسماعيل فهو ابن الجارية وتصرفُه عن ابنك الذي يرثك ويرث كل مجدك.. ثم إن إسحاق كان له ولدان توأمان، الأول وهو عيسو، ويسمِّيه المؤرِّخون العرب العيص، وهو الذي نزل أولاً، فله حسب قانونهم البكورية، ونزل خلفه يعقوب ماسكًا بعقبه ولذا سمِّي يعقوب، ولكن يعقوب استطاع بحيلة دنيئة أن يكذب علىٰ أبيه إسحاق بعد أن كبر وعمي وزعم له أنه العيص، وقدَّم لأبيه خمرًا وجديين كاملين فأكلهما إسحاق حسب زعم التوراة المحرَّفة، وبعد أن شبع من الأكل وشرب الخمر بارك يعقوب وأعطاه العهد والبركة وكلَّ الأرض له ولنسله إلىٰ أبد الآبدين.. وجعل إخوته كلهم عبيدًا له».

** ** **

بناء المسجد الأقصى بعد بناء البيت الحرام وارتباط المسجدين على مدى الدهور والأيام

روى البخاري في صحيحه عن أبي ذرٍّ الغفاري ﵁ قال: قلتُ يا رسول الله أيُّ مسجد وُضع في الأرض أوَّل؟ قال: «**المسجد الحرام**»، قلتُ: ثم أي، قال: «المسجد الأقصى» قلت: كم بينهما؟ قال: «**أربعون سنة، ثم أينما أدركت الصلاة بعد فصلِّه، فإن الفضل فيه**».

وقد أخبَرَنا المولى سبحانه وتعالى أن إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل هما اللذين رفعا قواعد المسجد الحرام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة].

وقد أمره الله سبحانه وتعالى أن ينتقل من فلسطين بابنه إسماعيل الرَّضيع وأمِّه هاجر إلى وادٍ غير ذي زرع، فأطاع أمر ربِّه وترك فلذة كبِدهِ في تلك الصحراء الموحشة بلا أنيسٍ، وكانت هاجر مثال الإيمان والصبر والاستسلام لأمر الله سبحانه وتعالى، فقد كرَّرت على إبراهيم عليه السلام: إلى مَن تترُكُنا؟ وهو لا يرُدُّ عليها، ثم قالت: آلله أمرك بهذا؟ فقال: نعم. قالت: إذن لا يضيِّعُنا. فكان ما كان من قصَّتها المعروفة المشهورة، حتى إذا فرغ الزاد والماء أخذت تهرول بين الصفا والمروة،

فلما أتمت سبع أشواط نبع الماء فأخذت تجمعه.. وسقت ابنها وشربت وقرت عينُها، ثم جاء نفرٌ من جُرهم ورأوا الماء، وعهْدُهم بالمكان لا ماء فيه، فطلبوا السُّكنىٰ بجوارها فسمحت لهم بذلك، وشبَّ إسماعيل راميًا، ووقع له من البلاء الشديد حيث رأىٰ إبراهيم عليه السلام أنه يذبحه، قال تعالىٰ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ۝١٠٦﴾ [الصافات].

وما أشدَّ هذا الابتلاء علىٰ أبي الأنبياء وعلىٰ ابنه إسماعيل عليهما السلام، ولكنهما كانا في القمَّة التي تتطلَّع إليها البشرية وتهتدي بنورها علىٰ مدىٰ الأزمان، وكان لهما شرف بناء البيت الحرام، ورفع قواعده ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٢٧ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٢٨ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٢٩﴾ [البقرة].

وكان الرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلم يقول: «**أنا دعوة أبي إبراهيم**»، ويقول: «**أنا ابن الذَّبيحين**»، أي إسماعيل وعبد الله.

** ** **

مَنْ بنى المسجد الأقصى لأوَّل مرة؟

وقد بنى إبراهيم عليه السلام المسجد الأقصى بعد بنائه البيت الحرام بمكَّة المكرَّمة بأربعين عامًا كما ورد في حديث البخاري المتقدِّم.. وقيل: إن الذي بنى المسجد الأقصى ابنه إسحاق عليه السلام بعد وفاة أبيه إبراهيم، وأيًا كان ذلك فالمسجد الأقصى قديم جدًا، بل قيل فيه ما قيل في الكعبة أن الملائكة بنتهما، كما قيل أن آدم عليه السلام هو الذي وضع الأُسس للبيت الحرام ثم المسجد الأقصى، وإبراهيم عليه السلام إنما رفع القواعد من البيت، فقد تهدَّم البيت مع مرور السنين الطِّوال وبقيت القواعد، فرفع إبراهيم وابنه إسماعيل عليها البناء.

وقام إبراهيم بأمر ربِّه بالنِّداء بالحجِّ فسمِعَهُ كل من في الأرض ومن في الأرحام ممَّن كتب الله له الحجَّ إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج].

وبقي البيت الحرام معمورًا بينما اندثر المسجد الأقصى لفترة طويلة من الزمن، وإن بقيت آثاره موجودة يجتمع فيها الأنبياء كما حدث للنبي

محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم في حديث الإسراء والمعراج، حيث اجتمع بالأنبياء في المسجد الأقصىٰ، وصلَّىٰ بهم إمامًا، ثم عَرج إلىٰ السماء.

وتُرِكَ المسجد الأقصىٰ قُرابة ألف عام مندثرًا (من عهد إبراهيم عليه السلام حوالي ١٩٠٠ ق.م إلىٰ عهد داود وسليمان عام ٩٥٠ق.م) ثم جاء داود عليه السلام واشترىٰ أرضًا (بيدر) من رجل يبوسي يدعىٰ «أرونة» أو «أنان» ليبني عليه المسجد، وكان الله قد أعلم داود بموقع المسجد الأقصىٰ، فقام داود بشراء أرض المسجد من اليبوسي ليبني عليها مسجده.

داود ينوي إعادة بناء المسجد الأقصىٰ (بيت الرب)

وتُصوِّرُ التوراة المحرَّفة ما فعله داود عليه السلام من نيَّةٍ صادقةٍ لبناء بيت الربِّ بصورة قمئية، جاء في سفر صموئيل الثاني (الإصحاح ١٧: ١ ـ ٨): «وكان لما سكن الملك (أي داود) في بيته وأراحه الرب من كل الجهات من جميع أعدائه، أن الملك قال لناثان النبي: انظر إني ساكن في بيت من أرز وتابوت الله ساكن داخل الشقق، فقال ناثان للملك: افعل كل ما بقلبك لأن الرب معك.. وقال الربُّ: أنت تبني لي بيتًا لسكناي؟ لأني لم أكن أسكن في بيت منذ يوم أصعدت بني إسرائيل من مصر إلىٰ هذا اليوم بل كنت أسير في خيمة وفي مسكن، في كل ما سرتُ مع بني إسرائيل هل تكلمت بكلمة واحدةٍ إلىٰ أحد قضاة إسرائيل قائلاً لماذا لم تبنوا لي بيتًا من الأرز».

وهكذا يصوِّرون الربَّ سبحانه وتعالىٰ بصورة إنسان يسكن في الخيمة ويصبر علىٰ الحرِّ والبر معهم منذ أن أصعدهم من مصر وبقي معهم في البريَّة وفي التِّيه كعمود من سحابٍ في النهار وعمودٍ من نارٍ في الليل حتىٰ يدلَّهم علىٰ الطريق، ورغم ذلك بقوا أربعين عامًا في التيه ولم يستطع أن يدلَّهم علىٰ الطريق (ألا لعنة الله علىٰ اليهود). وها هو داود أخيرًا يريد أن يريحه من عناء السير والانتقال من خيمة إلىٰ خيمة يقيم له بيتًا يليق بجلاله ليسكن فيه، وتمت المقايضة بين الربِّ وبين ناثان النبي، لأن داود ليس إلا ملكًا عندهم وليس له من النبوة شيء، فقال الرب لناثان: «هو يبني لي بيتًا لاسمي، وأنا أثبِّتُ كرسي مملكته إلىٰ الأبد، أنا أكون له أبًا وهو يكون لي ابنًا.. ورحمتي لا تُنزعُ منه.. ويأمر بيتك ومملكتك إلىٰ الأبد أمامك، كرسيِّك يكون ثابتًا إلىٰ الأبد.. فدخل الملك داود وجلس أمام الربِّ، وقال: من أنا يا سيدي الرب وما هو بيتي حتىٰ أوصلتني إلىٰ هنا» [صموئيل الثاني ٧: ١٢ ـ ١٨].

وقد يستغرب القارئ أن يتكلَّم الناس هكذا مباشرة مع الربِّ، فالتوراة والعهد القديم بأكمله تصوِّر الله بصورة بشرية، فهو يمشي في الجنة وآدم يختبئ منه، وهو يبحث عنه، وهو عندهم ـ عليهم لعائن الله المتتابعة ـ كثير النسيان، سريع الغضب، حقود، يُحبُّ اللحم المشويَّ جدًّا، ومستعدٌّ أن يدفع نصف مملكته لقاء وجبة دسمة من اللحم المشوي ـ عليهم لعائن الله ما دامت السماوات والأرض ـ ومن المضحك جدًّا أن ربَّ الجنود الجالس علىٰ الكروبيم كان يقاتل عن بنيه، بني إسرائيل، ويدخل معهم المعارك، ولكن في إحدىٰ المرات وقع في أسر الفلسطينيين، وبقي

عندهم فترات مأسورًا، ولكنه ضربهم بالبواسير وكثرة الفئران فأطلقوا سراحه، وعاد الربُّ في التابوت «وكان داود يرقص بكلِّ قوَّته أمام الربِّ، وكان داود متنطقًا بأفود من كتَّان، فأصعد داود وجميع بيت إسرائيل تابوت الربِّ بالهتاف وبصوت البوق، ولما دخل تابوت الربِّ مدينة داود أشرفت ميكال بنت شاول (زوجة داود) من الكُوَّة ورأت الملك داود يطفر ويرقص أمام الربِّ فاحتقرته في قلبها» [صموئيل الثاني ٦: ١٤ ـ ٧].

ورغم أن داود تعهَّد أمام الربِّ ببناء بيت لسكنىٰ الربِّ ليريحه من التجوال والتعب والسكنىٰ في الخيام، والانتقال من بلد إلىٰ آخر، ومن مكان إلىٰ مكان، حسب انتقال بني إسرائيل، إلا أن داود لم يستطع حسب زعمهم أن يفيَ بهذا الوعدِ.

وقد جاء في سفر أخبار الأيام الأول (الإصحاح ٢١: ٢٦): «واشترىٰ داود البيدر وبنىٰ المذبح وأصعد المحرقات» وهذا يوهم أنه بنىٰ المسجد، والواقع كما جاء في أسفارهم أنه لم يبنِ المسجد (الهيكل حسبما يسمُّونه) وإن كان قد جهَّز «حديدًا كثيرًا وأخشابًا ونُحاسًا كثيرًا يفوز الوزن» ثم قال داود: «إن ابني سليمان صبيٌّ غضٌّ، والبيت الذي يُبنىٰ للربِّ عظيم جدًّا، فأنا أجهِّز له» ثم دعا سليمان وأوصاه ببناء بيت للرب، وقال له: «إن كان في نفسي أن أبني بيتًا للربِّ إلهي غير أن كلام الربِّ صار إليَّ قائلاً: إنك قد سفكت دمًا كثيرًا علىٰ الأرض أمامي، وإنه سيولد لك ابن ... فهو يبني بيتًا لاسمي» [أخبار الأيام الأول، الإصحاح ٢٢: ٦ ـ ١٣].

** ** **

أكاذيب التوراة المحرَّفة وسبّهم لداود عليه السلام

وقد وصفت أسفار التوراة المحرَّفة داود عليه السلام بكلِّ نقيصة، وعندما تقدَّم داود لخطبة ميكال بنت شاول (طالوت) الملك، اشترط عليه أن يكون المهر مائة من مذاكير الفلسطينيين، فذهب داود وجاء بمائتي عضو تناسلي يقدِّمها مهرًا لميكال!! والسؤال ماذا تفعل ميكال بمائتي عضو تناسلي ؟! [سفر صموئيل الأول الإصحاح ١٨].

وتقول التوراة المحرَّفة أن شاول (طالوت) حقد علىٰ داود لارتفاع مكانته عند بني إسرائيل، وحاول اغتياله مرارًا، وأن داود فرَّ منه واشتغل قاطع طريق، ثم ذهب داود إلىٰ الفلسطينيين وبالذات إلىٰ ملك جت، ودخل في خدمته، وخدعه، وأقسم له بالإخلاص له وللفلسطينيين، ولكنه كان يقوم بالليل ويهلك حرث الفلسطينيين ويغتال من يجده منهم.. ولما شكا الفلسطينيون إلىٰ الملك أخيش ملك جت ما يفعله داود تظاهر داود أمام الملك بالجنون وصدَّقه الملك، وجعله من فرسانه، ولكن داود عاد حسب زعمهم إلىٰ جرائمه وقتل النساء والأطفال وكلّ من يجده من الفلسطينيين غيلةً بالليل. [سفر صموئيل الأول الإصحاح ٢١، والإصحاح ٢٢].

ثم إن داود كوَّن فرقة من السفَّاكين، وأخذ يقطع الطريق ويقتل سُكَّان القرىٰ الفلسطينية، «**وضرب داود الأرض، ولم يستبقِ رجُلاً ولا امرأة**[1]. **وأخذ غنمًا وبقرًا وحميرًا وجمالاً وثيابًا**» [سفر صموئيل الأول الإصحاح ٢٧].

---

(١) إذا كان داود يفعل ذلك، فلا نستغرب ما فعله بيجن في دير ياسين، وشارون في صبرا وشاتيلا، وما فعله باراك من قتل الأطفال ومنهم محمد الدرة بدمٍ بارد. وجرائمهم لا تُعدُّ ولا تُحصىٰ.

وكل ذلك وهو مسمِرٌّ في خداعه للملك أخيش (ملك الفلسطينيين) ويقسم له الأيمان الغليظة أنه بريء من هذه التُّهم الملصقة به، وأنه في خدمة الملك وأنه يقوم بغاراته علىٰ بني إسرائيل لأنهم قد صاروا أعداءه وطردوه من أرضه، وفي كل مرَّة يصدِّقه الملك. «وهكذا عادته (أي عادة داود) كل أيام إقامته في فلسطين».

وأعدَّ الملك أخيش حملةً ضخمةً لقتال الإسرائيليين، وجاء داود ودخل في ساقة الجيش معهم، فقام رؤساء الفلسطينيين واعترضوا علىٰ وجوده، ولكنَّ الملك المغفَّل حسب زعمهم قال: إني أرىٰ داودَ مخلصًا وفِيًّا. ولما أصرَّ القادةُ علىٰ أن لا يحضُرَ داود معهم القتال، أراد الملك أن يعتذر لداود ويعفيه من القتال معه، ولكن داود بكىٰ أمامه وقال: «ماذا وجدتَ في عبدك من يوم صرت أمامك إلىٰ اليوم، حتىٰ لا آتي وأُحارب أعداء سيدي الملك» [صموئيل الأول ٢٩: ٨].

ويصوِّر سفر صموئيل الأول والثاني داودَ عليه السلام بصورةِ المخادع الفاجر السفَّاكِ الجبان. وبسلسلة طويلة من المخادعة والأكاذيب استطاع أن يقنع قائد الجيش ابنير ليتحالف معه ويخون الملك الإسرائيلي ايشبوشت بن شاول، وبذلك استطاع داود أن يصبح ملكًا علىٰ إسرائيل ويهوذا، وقام داود بقتال الفلسطينيين **والرب معه مختفي وراء الأشجار، فلما قام الرب بضرب الفلسطينيين من وراء الأشجار تبعه داود فقتلهم قتلاً ذريعًا**» [صموئيل الثاني الإصحاح ٥].

وقام داود حسب زعمهم بعمليَّات إبادةٍ واسعةٍ للفلسطينيين، وجميع سُكَّان الأرض حتىٰ وصل إلىٰ ربة بني عمون (عمّان عاصمة الأردن اليوم)

فقتل كل من فيها من النساء والأطفال والرجال والشيوخ، وأخذ غنيمة المدينة وكل ما فيها «**وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد، وأمرَّهم في أتون الآجر (وأحرقهم)، وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون، ثم رجع داود وجميع الشعب إلىٰ أورشليم**» [صموئيل الثاني الإصحاح ١٢: ٢٦ ـ ٣١].

إنها جرائم تتصاغر دونها جرائم شارون في صبرا وشاتيلا، وجرائم بيريز في قانا، وجرائم باراك وشارون في انتفاضة الأقصىٰ.

ولا تكتفي التوراة المحرَّفة باتِّهام داود عليه السلام بكلِّ هذه الجرائم، وإنما تضيف إليها جريمة الزنا بحليلة جاره وأحدِ قُوَّاده أوريا الحثّي. فقد جاء في [سفر صموئيل الثاني، الإصحاح ٥] ما يلي: «وكان في وقت المساء أن داود قام يتمشَّىٰ علىٰ سطح بيته فرأىٰ من علىٰ السطح امرأة تستحمُّ، وكانت المرأة جميلة جدًّا، فأرسل داود وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة!!» انظر إلىٰ هؤلاء اليهود الحقراء كيف يدَّعون الاهتمام بالتعاليم الدينية، حتىٰ الزنا لا بد أن يتم وهي مطهّرة من الحيض!!.

ثم إن المرأة حملت فأرسل داود لزوجها أوريا أن يأتي من جبهة القتال ليتشاور معه، وغرضه أن يذهب إلىٰ بيته ويتصل بزوجته حتىٰ لا يستنكر حملها في غيابه، ولكن أوريا رفض أن يذهب إلىٰ بيته وجنوده في العراء يجاهدون. فقام داود بحيلة أخبث، وأرسل رسالة مختومة مع أوريا لقائد الجيش قائلاً له: لتتظاهروا بالهجوم علىٰ العدوِّ مع أوريا البطل ثم انسحبوا ليقتله الأعداء. وهكذا كان، ولم يكتف داود بجريمة الزنا حسب

زعمهم الكاذب وإنما أضاف إليها جريمة اغتيال أحد أفضل قوَّاده.. فلما انتهت عدة بتشبع تزوجها داود وأنجبت منه سليمان!!.

وهكذا تصوِّر أسفار العهد القديم داود عليه السلام بصورة بشعة مقزِّزة، فكيف يمكن أن ينتسب يهود لداود عليه السلام، وهو قد لعنهم أشدَّ اللعن، قال تعالىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾ [المائدة]

ونحن المسلمين أحقُّ لا ريب بموسىٰ وداود وسليمان منهم، فكم كذبوا علىٰ الأنبياء، وكم قتلوا منهم، وقد اتَّهموا هارون عليه السلام بأنه صنع العجل لهم وأمرهم بعبادته!! واتَّهموا لوط عليه السلام بالزِّنا بابنته، عليهم لعائن الله. واتهموا نوح بأنه شرب الخمر حتىٰ تعرَّىٰ، واتَّهموا إبراهيم بأنه عرض زوجته علىٰ فرعون مصر ليأخذ منه مالاً كثيرًا، وكذلك فعلوا بإسحاق الذي عرض زوجته علىٰ ملك الفلسطينيين، واتَّهموا يعقوب بالخداع والكذب والسرقة حيث سرق أموال وغنائم خاله لابان، ثم سرق البكورية من أخيه العيص (عيسو)، وأخذ العهد من أبيه بخدعه. وأما أبناء يعقوب فكلهم قد اتَّهمتهم التوراة المحرَّفة بأقذع التُّهم، فراؤبين أكبر أبناء يعقوب زنا بزوجة أبيه بلهة في حياة أبيه، ويهوذا زنا بثامار كنته وزوج ابنه عير، وولدت ثامار من هذا الزنا توأمًا هما فارص وهو جد داود الأعلىٰ من أبيه، وأما جد داود من أمه فينتسب إلىٰ بن عمي الذي ولدته ابنة لوط من زناها بأبيها حسب زعمهم.. قاتلهم الله. ولذا لا يُستغرب ما يفعله داود من زنا ومن جرائم، فهو ابن زنا من الجهتين!! عليهم لعائن الله المتتابعة.

ودينة ابنة يعقوب زنت مع شكيم بن حمور الحوي، ثم جاء شكيم وأبوه يطلبان يدها من أبيها، فطلب منهم يعقوب أن يختتنوا، فلما اختتنوا وكانوا في أوجاعهم هجم عليهم يعقوب وبنوه فأبادوهم جميعًا [سفر التكوين: ٣٤].

سليمان عليه السلام يعيد بناء بيت الربِّ (المسجد الأقصى)

وقد قام سليمان عليه السلام بإعادة بناء المسجد الأقصى وهو الذي يسمِّيه اليهود الهيكل، ومثلما شوَّهوا صورة داود عليه السلام كذلك فعلوا مع سليمان ومع جميع الأنبياء من قبل ومن بعد، ولا يعتبر اليهود داود وسليمان من الأنبياء، بل يعتبرونهما ملكين ويصوِّرونهما بصورة بشعةٍ حقيرة.



بيت داود كما تصفه الأسفار الحقيرة المحرَّفة

وتصف التوراة المحرَّفة بيت داود بأنه بيت ينخر فيه الفساد، فأمنون بن داود البكر يزني بأخته ثمارا حسب نصيحة حكيم بني إسرائيل، فقد جاء في سفر صموئيل الثاني الإصحاح ١٢: أن أمنون عشق أخته غير الشقيقة ثمارا فتمارض حسب نصيحة حكيم إسرائيل يوناداب بن شمعي وهو ابن أخ داود، ثم طلب من أبيه حسب هذه النصيحة أن يرسل له أخته ثمارا تمرِّضه وتصنع له كعكًا من يدها.. فأجابه إلىٰ طلبه.. فلما اختلىٰ بأخته دعاها إلىٰ مخدعه فقالت له: «كلِّم أباك الملك لأنه لا يمنعني منك»!! غريب جدًا هذا الأمر.. هل يوافق داود علىٰ أن يزني أمنون بأخته ثمارا؟! علىٰ أية حال زنىٰ بها.. ولكن ما كاد ينتهي من فعلته تلك حتىٰ أبغضها فطردها من مخدعه، فغضبت جدًّا لطرده إياها، وأخبرت شقيقها أبشالوم الذي دبَّرَ مكيدة لاغتيال أخيه أمنون، وداود يسمع هذه الفضائح كلها ويسكت عنها، ولكن أبشالوم غضب علىٰ أبيه لأنه لم يوجِّه كلمة لومٍ ولا عتابٍ لابنه أمنون، واستلب أبشالوم قلوب بني إسرائيل وحارب أباه حتىٰ أن داود اضطُرَّ للهرب من وجهه.. ولكنه استعمل الحيلة ودسَّ إليه الجواسيس من أمثال حوشاي الأركي الذي استطاع أن يكسب ثقة أبشالوم، وفي نفس الوقت كان يرسل بجميع تحركاته إلىٰ داود، وقام أبشالوم بالزنا بجميع سراري أبيه، ونصب الخيام أمام بني إسرائيل وفعل بهنَّ الفاحشة ليغيظ أباه. [سفر صموئيل الثاني، الإصحاح ١٦] وأشار أخيتوفل

علىٰ أبشالوم أن يباغت أباه بالهجوم، ولكن حوشاي جاسوس داود استطاع أن يقنع أبشالوم بأن يؤخِّر الهجوم حتىٰ تجتمع له كافَّة بني إسرائيل فيكون الهجوم ساحقًا علىٰ داود، وفي نفس الوقت أرسل إلىٰ داود سِرًّا بخبره بما يدبِّره له ابنه.

ودخل داود في معارك طاحنة مع ابنه وقُتِلَ أبشالوم في تلك المعركة التي انتصر فيها داود [صموئيل الثاني: الإصحاح ١٩]، واستطاع يوآب قائد جيش داود أن يقتل شبع بن بكري أحد الخارجين علىٰ داود بالخداع والمكيدة، واستتب الأمر لداود، والغريب حقًّا أن يوصي داود في مرض موته ابنه سليمان بأن يقتل يوآب قائد جيشه الذي حقق له معظم انتصاراته علىٰ كل أعدائه قائلاً له: «لا تدع شيبته تنحدر بسلام إلىٰ الهاوية بل اقتله، وشمعىٰ البنيامي الذي عفوت عنه.. الآن لا تبرره واحدر شيبته بالدم إلىٰ الهاوية»!!.



سيرة سليمان عليه السلام (٩٦١ ـ ٩٢٢ قبل الميلاد) في التوراة المحرَّفة

تأتي سيرة سليمان عليه السلام في سفر الملوك الأول (النسخة البروتستانتية)، وهو ما يوازي سفر الملوك الثالث عند الكاثوليك من الإصحاح الثاني إلىٰ الإصحاح الحادي عشر. ثم تأتي مرة أخرىٰ في سفر أخبار الأيام الثاني من الإصحاح الأول إلىٰ التاسع.

وقد استلم سليمان الحكم بعد القضاء علىٰ مؤامرة لأخيه أدونيا الذي نصَّب نفسه ملكًا لإسرائيل ويهوذا، ورغم أن أدونيا تراجع وتشفَّع بوالدة سليمان بتشبع لكي يعفو عنه إلا أن سليمان تظاهر بالعفو عنه، ثم أمر قائد جيشه بناياهو أن يبطش بأخيه ويغتاله [سفر الملوك الأول ٢: ٢٣ ـ ٢٥].

وقام سليمان عليه السلام حسب زعمهم بالزواج من الأجنبيَّات رغم تعاليم التوراة التي تمنع من الزواج بأجنبيَّات، فكان له سبعمائة زوجة وثلاثمائة سرية، فقد جاء في سفر الملوك الأول (الإصحاح ١١: ١ ـ ١٢) ما يلي: «وأحبَّ الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون: موابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثَّات من الأمم الذين قال عنهم الربُّ لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم ولا يدخلون إليكم لأنهم يُميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبَّة، وكانت له سبعمائة من النساء السيدات (أي الحرائر اتَّخذهن زوجات) وثلاثمائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه».

«وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أُخرىٰ، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود، فذهب سليمان وراء عشتروت آلهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين، وعمل سليمان الشرَّ في عيني الرب ولم يتبع الربّ كداود أبيه. حينئذٍ بنىٰ سليمان مرتفة (معبدًا) لكمّوش رجس الموآبيين علىٰ الجبل الذي تجاه أورشليم، ولمولك رجس بني عمّون، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كُنَّ يوقدن ويذبحن لآلهتهنَّ. فغضب الربُّ علىٰ سليمان (بل غضب الله علىٰ اليهود الكذبة الفسقة الفجرة) لأن قلبه مال عن الربِّ إله إسرائيل الذي تراءىٰ له مرَّتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أُخرىٰ، فلم يحفظ ما أوصىٰ به الرب، فقال الرب لسليمان: من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزِّق المملكة عنك تمزيقًا وأعطيها لعبدك».

واتَّهموا سليمان عليه السلام بالسِّحرِ وعبادة الأوثان والكفر، وقد نفىٰ الله عنه هذه التُّهم كلَّها، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقد سخر اليهود عندما سمعوا القرآن الكريم يذكر سليمان عليه السلام مع الأنبياء والمرسلين، وقال بعض أحبارهم: يزعم محمدٌ أن ابن داود كان نبيًّا، والله ما كان إلا ساحرًا، فأنزل الله تعالىٰ قُرآنًا يُتلىٰ ينفي عن عبده سليمان هذه الفِرية القبيحة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾، ذكر ذلك أهل التفسير ابن جرير والقرطبي وابن كثير وغيرهم، وشتَّان ما بين الصورتين اللتين تستعرضان حياة سليمان عليه السلام في

أسفار العهد القديم وفي القرآن الكريم، ففي أسفار العهد القديم يزعمون أن سليمان هو ابن تلك المرأة الزانية بتشبع من زناها بداود عليه السلام (وهو كذب وبُهتان).. ثم هو ساحر يتفنن في هذا السحر ويتَّبع الشياطين.. ولا يكتفي بذلك كله، بل يعبد الأوثان مع زوجاته ويقيم لها المعابد في كلِّ مكان، وأما في القرآن فسليمان نبي كريم ابن نبي كريم من نسل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام جميعًا، وهو من الرسل الكرام، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤﴾ [الأنعام].

إعادة بناء (المسجد الأقصى) «بيت الرب» على يد سليمان عليه السلام

قام سليمان عليه السلام ببناء المسجد الأقصى بعد أن تهدم واندثر وإلا فإن بناءه الأول كان قديمًا، بعد المسجد الحرام بمكة بأربعين عامًا كما قد مرَّ معنا من حديث البخاري، وقد ذكرنا أن داود عليه السلام اشترى أرض المسجد الأقصى من أرنان اليبوسي وأحضر الأخشاب والنُّحاس وكل ما يتعلَّقُ ببناء المسجد (بيت الرب) إلا أن الله قد أعلمه أن البناء سيتمُّ على يد ابنه سليمان، وكما هو متوقَّع فإن العهد القديم يتناقض

في كثير من التفاصيل بالإضافة إلىٰ ما وصفناه من صور قمئية حقيرة يعرضها لأنبياء الله الكرام.

ففي سفر أخبار الأيام الأول (٢١: ١٨ ـ ٢٦): «فكلم ملاك الرب جاد أن يقول لداود أن يصعد داود ليقيم مذبحًا للرب في بيدر أرنان اليبوسي، فصعد داود حسب كلام جاد الذي تكلَّم به باسم الرب» وتبرَّع أرنان بالأرض لبناء مذبح للرب إلا أن داود رفض أن يبني للربِّ مذبحًا دون مقابل «بل شراء» أشتريه بفضة كاملة، لأني لا آخذ مالك للربِّ فأصعد محرقة مجانية، ودفع داود عن المكان ذهبًا وزنه ستُّمائة شاقل، وبنىٰ داود هناك مذبحًا للربِّ وأصعد محرقات».

«وقال داود هو ذا بيت الرب الإله، وهذا هو مذبح المحرقة لإسرائيل، وأمر داود بجمع الأجنبيين الذين في أرض إسرائيل (لعدم وجود صُنَّاع مهرة بين بني إسرائيل) وأقام نحَّاتين لنحت حجارة مربَّعة لبناء بيت الله، وهيَّأ داود حديدًا كثيرًا للمسامير لمصاريع الأبواب وللوصل، ونحاسًا كثيرًا بلا وزن، وخشب أرز لم يكن له عدد لأن الصيدونيين والصوريين أتوا بخشب أرز كثير، وقال داود إن سليمان ابن صغير وغضّ والبيت الذي يُبنىٰ للرب يكون عظيمًا جدًا في الاسم والمجد في جميع الأراضي، فأنا أُهيِّئُ له، فهيَّأ داود كثيرًا قبل وفاته» [سفر أخبار الأيام الأول الإصحاح ٢٢: ١ ـ ٥].

ويقول السفر أن الرب منع داود من أن يبني له بيتًا لأن يداه ملطَّختان بالدِّماء البريئة!! (تمامًا مثل شارون وبيريز وباراك) وجعل الرب مهمَّة بناء البيت لسليمان الذي لم يتلطَّخ بالدماء البريئة» وهيَّأ داود لابنه

سليمان ذهبًا مئة ألف وزنه، وفضة ألف ألف وزنه، ونحاسًا وحديدًا بلا وزن.. وخشبًا وحجارة كثيرة، ومجموعة كبيرةً من النحَّاتين والعمَّال المهرة والنجَّارين وكلهم من غير بني إسرائيل، لأن بني إسرائيل لم يكن فيهم صانعًا».. ويتكرر الحديث عن كميَّات الذهب والخشب والفضة.. الخ بطريقة متناقضة في نفس السفر في مختلف الإصحاحات، كما يختلف أيضًا في سفر صموئيل الثاني عما هو في سفر أخبار الأيام الأول، مما هو معروف لكل مطَّلعٍ علىٰ هذا الكتاب الرديء المتناقض المليء بالخزعبلات والأكاذيب علىٰ الله وعلىٰ أنبيائه وأصفيائه.

وفي سفر أخبار الأيام الثاني في عهد سليمان يبتدئ بناء الهيكل أو بيت الرب بعد أن وفَّر سليمان له ما تركه والده وأضاف إليه، ولا شكَّ أن هناك مبالغات كثيرة في وصف البناء والعمال، ففي سفر أخبار الأيام الثاني أن سليمان أحضر سبعين ألف رجلٍ حمَّال وثمانين ألف رجل نحَّات في الجبل، ووكلاء عليهم ٣٦٠٠، وطلب مساعدة ملك صور ليرسل له مزيدًا من الأرز والبخور والعطور والمحرقات. وشرع سليمان في بناء بيت الربِّ في جبل المريا في أورشليم في بيدر أرنان اليبوسي، وطول المبنىٰ ٦٠ ذراعًا، وعرضه ٢٠ ذراعًا، والرُّواق الذي قدّام المبنىٰ: الطول عشرون ذراعًا، وارتفاعه مائة وعشرون. وغشَّاه من الداخل بالذهب، ورصَّع البيت بحجارة كريمة، وغشَّىٰ كل البيت من الداخل بالذهب.. وعمل في بيت قدس الأقداس كروبيين (صور ملائكة) وغشاهما بالذهب، وعمل مذبح نحاس طوله عشرون ذراعًا وعرضه عشرون ذراعًا وارتفاعه عشرة أذرع. وبعد أن انتهىٰ من العمل جعل الفضَّة

والذهب وجميع الآنية في خزائن بيت الله، واستغرق بناء بيت الرب سبع سنوات، وقد بنىٰ سليمان قصره الفخم بجوار الهيكل، واستغرق بناء القصر ثلاثة عشر عامًا، وأُحيط بيت الرب بمجموعة أبنية مثل المحكمة العليا وقاعة الاجتماعات وقيادة الجند، ويقول سفر أخبار الأيام الثاني الإصحاح الخامس والسادس وما بعدهما:

«وبعد أن أتمَّ سليمان بناء بيت الرب جمع شيوخ بني إسرائيل وكهنتهم وأصعدوا تابوت عهد الرب من مدينة داود، وهي صهيون. وحمل اللاويون التابوت، وأصعدوا التابوت وخيمة الاجتماع مع جميع آنية القُدس التي في الخيمة.. وذبح سليمان غنمًا وبقرًا لا يُحصىٰ، وأدخل الكهنة تابوت عهد الرب إلىٰ مكانه في محراب البيت في قدس الأقداس إلىٰ تحت جناحي الكروبين (تمثالين للملائكة) وكان الكروبان باسطين أجنحتهما علىٰ موضع التابوت، ولم يكن في التابوت إلا اللوحان اللذان وضعهما موسىٰ في حوريب حين عاهد الربُّ بني إسرائيل».

«وغنَّىٰ اللاويون أجمعون والكهنة ونفخوا في الأبواق تمجيدًا وتسبيحًا للرب. وملأ الغمام بيت الرب لأن مجد الرب ملأ البيت، وأقبل سليمان بوجهه علىٰ كل جمهور إسرائيل وباركهم وقال: مبارك الرب إله إسرائيل.. ووقف سليمان أمام مذبح الرب وبسط يديه ووقف علىٰ المنبر ثم جثا علىٰ ركبته وخاطب الرب قائلاً: أيها الرب إله إسرائيل لا إله مثلك في السماء والأرض، حافظ العهد والرحمة لعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم..» ولأول مرة نسمع أن السماوات والأرض لا تسعه سبحانه وتعالىٰ «والآن أيها الربُّ إله إسرائيل فليتحقق كلامك الذي كلمت به عبدك داود،

لأنه هل يسكن الله حقًّا مع الإنسان علىٰ الأرض، هو ذا السماوات وسماء السماوات لا تسعك فكم بالأقل هذا البيت الذي بنيت».

واستمرَّ في تضرُّعه ليسمع دعاءَه وصلاته ويرحمه ويرحم أباه وكلَّ بني إسرائيل.. وإن أخطؤوا فعاقبهم ثم عادوا إليه فليرحمهم.. وإن عصوا فمنعهم قطر السماء ثم لجؤوا إلىٰ هذا البيت فلتتنزل عليهم رحمات السماء وتعود لهم بركات الأرض.

ولما انتهىٰ سليمان من الصلاة نزلت نار من السماء وأكلت المحرقة والذبائح وملأ مجد الرب البيت، وخرَّ الجميع علىٰ وجوههم سُجَّدًا لمجد الرب، وذبح الملك سليمان من البقر ٢٢,٠٠٠ ومن الغنم ١٢,٠٠٠ واعتكفوا في بيت الرب سبعة أيام وجعلوا الثامن عيدًا».

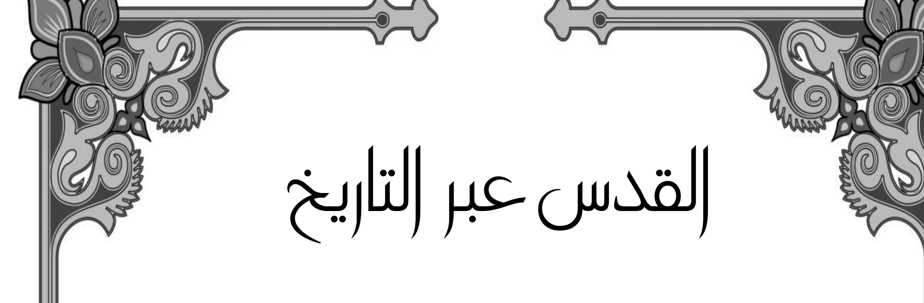
والغريب حقًّا أن المؤرِّخين الغربيين مثل ول ديورانت (قصة الحضارة) وجوستاف لوبون (اليهود في الحضارات الأولىٰ) اعتبروا مملكة سليمان وهيكله لا قيمة لهما، وأن هذه الدولة لم تقم أصلاً إلا نتيجة ضعف مؤقت للدولتين القويَّتين الآشورية في المشرق والمصرية في الجنوب الغربي.. ويتحدَّث هؤلاء عن هيكل سليمان فيقول ويلز: «إننا لو استخرجنا أطوال معبدِ سليمان، لوجدنا أن في الإمكان وضعه داخل كنيسة صغيرة من كنائس الضواحي في المدن الكبرىٰ» ويقول جوستاف لوبون: «إن هيكل سليمان المشهور والذي نشر حوله الكثير من الأبحاث المملة لا يزيد عن بناء متواضع، أقيم علىٰ الطراز الآشوري ـ المصري من قِبَل بنَّائين أجانب، ولم تكن قصور سليمان سوىٰ نسخ رديئة للقصور المصرية أو الآشورية». وهذا كله غير صحيح فقد ذكر القرآن الكريم أن الله قد أعطاه ملكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده.

وبما أن التوراة المزيَّفة تتهم سليمان عليه السلام بالقسوة وأنه استخدم العمال من الأجانب واليهود سخرة واستبدَّ بهم وطغا وتجبَّر فإن ويلز يقول بناءً علىٰ ذلك «وواضح مما تقصُّه التوراة أن سليمان بدَّد ما يملك في المظاهر، وأنه أجهض شعبه بالعمل والضرائب» ويقول ويش: «إن بذخ سليمان وقسوته وكثرة زوجاته والخلاف بين أولاده، أدَّىٰ إلىٰ انقسام المملكة وزوالها».

ولا شكَّ أن أسفار العهد القديم قد لوَّثت سيرة سليمان عليه السلام كما لوَّثت من قبل سيرة أبيه داود وسيرة جميع الأنبياء من قبل ومن بعد، وهذا كله يؤكد أن اليهود عليهم لعائن الله لا علاقة لهم بموسىٰ ولا هارون ولا داود ولا سليمان، بل نحن المسلمين أولىٰ بهم، فنحن نكرِّم هؤلاء الأنبياء الأطهار، وننفي عنهم كل هذا الزَّيف والغُثاء بل والقذف والشتم.. فكم قتلوا من الأنبياء وكم سفكوا من دمائهم الزكيَّة، وكم افتروا عليهم الأكاذيب واتَّهموهم بالجُبن والخسَّة والكذب والخيانة والخداع والزِّنا وشرب الخمور والدياثة، ولم يتركوا نقيصة إلَّا وألحقوها بهم، فهم جبابرة قتلة سفَّاكون لدماء الأبرياء يقتلون النساء والأطفال والشيوخ والعجزة.. وهم في نفس الوقت يستخذون أمام الأقوياء ويركعون لهم، بل ويقدِّمون لهم زوجاتهم ليفعلوا بهن الفاحشة»..

أخلاق يهود أسقطوها علىٰ الأنبياء البررة الأطهار ليسوِّغوا لأنفسهم كلَّ الجرائم التي اقترفوها، والتي لا يزالون يقترفونها إلىٰ اليوم وسيستمِرُّون يقترفونها في المستقبل.

** ** **



القدس عبر التاريخ

- العبرانيون (اليهود) في القدس ما بعد سليمان وانقسام المملكة.
- إنذارات الأنبياء بخراب إسرائيل وأورشليم.
- النبي أرميا ونبوءاته بدمار أورشليم وبيت الرب (الهيكل).
- نبوخذ نصر يغزو مملكة يهوذا ويهدم الهيكل ٥٨٦ ق.م.
- من المنفى إلى العودة إلى أورشليم والحكم الفارسي (٥٨٦ ـ ٥٣٨ ق.م).
- اليهود في العهد اليوناني.
- ثورة المكابيين.
- أورشليم والدولة الرومانية.
- الإنجيل يفضح اليهود.
- المسيح يوبِّخ الفريسيين والكتبة ويدعوهم بالأفاعي والحيَّات.
- تيطس يخرب أورشليم والهيكل سنة ٧٠ بعد الميلاد.
- الطرد الأخير لليهود عام ١٣٥ بعد الميلاد.

ما بعد موت سليمان عليه السلام وانقسام المملكة

جاء في سفر الملوك الأول (١٢: ٤ ـ ١٤): «ولما مات سليمان وملك ابنه رحبعام قام كل جماعة بني إسرائيل وقالوا له: إن أباك قسّىٰ نيرنا (أي اضطهدنا)، وأما أنت فخفِّف الآن من عبودية أبيك القاسية، ومن نيره الثقيل الذي جعله علينا، نخدمك.. فأجاب الملك رحبعام بقساوة قائلاً: أبي ثقَّلَ نيركم وأنا أزيد علىٰ نيركم، أبي أدَّبكم بالسياط وأنا أؤدِّبكم بالعقارب».

وذلك كله افتراء علىٰ سليمان عليه السلام، فما أعدله وأرحمه، وشدَّته كانت علىٰ الكافرين والمنافقين وعابدي الأوثان والظلمة.

وثار يربعام بن ناباط، وهو من نسل أفرايم بن يوسف عليه السلام، وكان عبدًا لسليمان حسب زعمهم «وذهب إلىٰ ملك مصر الذي أمدَّه بالعون والجند وتبعه عشرة من أسباط بني إسرائيل، وأقام دويلته في شكيم (نابلس) وبنىٰ لهم معبدًا علىٰ جبل جرزيم حتىٰ لا يذهبوا إلىٰ الهيكل في أورشليم، وجعل فيه عجلين من ذهب، فهو يعرف غرام بني إسرائيل بعجول الذهب فعبدوها وذبحوا لها، وسُمِّيت هذه مملكة إسرائيل أو مملكة الشمال، وكانت تدين بالولاء لمصر وتعتبر من توابعها.

ولم يبقَ مع رحبعام بن سليمان سِوىٰ سبطي يهوذا وبنيامين، وأصبحت مملكته صغيرة وعاصمتها أورشليم، ويعتبر ويلز[1] مملكة داود

---

(١) ويلز (Wells): معالم تاريخ الإنسانية The Outline of History ، ص٢٨٦، نقلاً عن د. أحمد شلبي، «مقارنة الأديان، اليهودية» ص٨٢ ـ ٨٤.

في أقصىٰ اتِّساعها محدودة بفلسطين ما عدا منطقة غزَّة وعسقلان والساحل الجنوبي من فلسطين، وشملت جزءًا من الضفة الشرقية لنهر الأردن، وجزءًا من جنوب لبنان، ثم انكمشت هذه المملكة في أواخر أيام سليمان، وأصبح نهر الأردن هو الحد الفاصل بين مملكته ومملكة العمونيين والمؤابيين»، ويزعم ويلز أن سليمان لم يكن وهو في أوج مجده إلا ملكًا صغيرًا، وكانت دولته من الهزال وسرعة الزوال بحيث لم تنقضِ بضعة أعوام علىٰ وفاته حتىٰ استولىٰ شيشنق (أول فراعنة الأسرة الثانية والعشرين) علىٰ أورشليم ذاتها، ونهب معظم ما فيها من كنوز.

ويزعم كثير من المؤرخين والمفكرين الغربيين مثل ويلز وديورانت وغوستاف لوبون أن مملكة سليمان وهيكله لا قيمة لهما، وأن هذه الدولة لم تقم أصلاً إلا نتيجة ضعف مؤقت للدولتين القويتين الآشورية في المشرق والمصرية في الجنوب الغربي.. ويقولون إنه إذا قيست منشآت سليمان بمنشآت تحتمس الثالث أو رمسيس الثاني أو نبوخذ نصر، فإن منشآت سليمان تبدو من التوافه.

ونحن لا نوافق هؤلاء في زعمهم ذاك، فقد آتاه الله ملكًا عظيمًا وآتاه ملكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده مما وصفه لنا القرآن الكريم.

ويصف ويلز ما حدث بعد وفاة سليمان فيقول في كتابه: «تاريخ العالم»[1]: «لم يتمتع الشعب العبراني بخفض العيش إلا أمدًا وجيزًا، فمات جيرام (ملك صور)، وانقطع عون صور الذي كانت تقوىٰ به أورشليم، ثم قويت شوكة مصر ثانية، وأصبح تاريخ ملوك إسرائيل وملوك

---

(١) ويلز (Wells) نقلاً عن د. أحمد شلبي في كتابه «اليهود» ص٨٩.

يهوذا تاريخ ولايتين صغيرتين بين شِقَّي الرحا، تعركهما علىٰ التوالي سوريا (الآشوريون) ثم بابل من الشمال ومصر من الجنوب، وهي قصة نكبات، وقصة تحررات لا تعود عليهم إلا بإرجاء النكبة القاضية، هي قصة ملوك همج يحكمون شعبًا من الهمج حتىٰ إذا وافت سنة ٧٢١ق.م، محت يد الأسر الآشوري في عهد الملك سرجون الثاني، ملك آشور، مملكة إسرائيل من الوجود وزال شعبها من التاريخ زوالاً تامًّا، وظلَّت مملكة يهوذا تكافح حتىٰ أسقطها البابليون سنة ٥٨٦ق.م».

ويقول ويش Weech[١] واصفًا حال اليهود في هاتين الدولتين: «إن اليهود لم يكن لهم منفذ علىٰ البحر، فالموانئ الشمالية كانت تحت سلطان الفينيقيين، وموانئ الجنوب كانت تابعة للفلسطينيين، ومن ناحية الزمن لم تكن لهم قوة إلا خلال نصف قرن فقط (هي جزء من أيام داود ومدة حكم سليمان عليهما السلام)، وحتىٰ في تلك الأثناء كانوا محاطين بممالك أكثر قوة وأرقىٰ مدينة».

وهكذا نجد أن تاريخ اليهود في فلسطين يمثل فترة مليئة بالدماء وقتل النساء والأطفال بكل بشاعتها.. كما تمثل أمة همجيَّة رفضت أنوار السماء ودعوات الأنبياء وقامت بقتلهم.. وعبدت الأوثان وشيَّدت لها المعابد والهياكل.. وحتىٰ هيكل سليمان (بيت الرب) دنَّسوه بكل نقيصة واشتغلوا فيه بالربا، واستخدم الكهنة مجموعة من العاهرات والمأبونين ليقدِّموا خدماتهم لزوَّار الهيكل.

فما أحقر يهود وما أظلم تاريخهم.. ولذا جعل الله عليهم النكبات

---

(١) ويلز (weech)، «حضارة الشرق الأدنىٰ»، ص٨٢ نقلاً عن د. أحمد شلبي «اليهود».

تتالى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأعراف].

وبغيهم اليوم وقتلهم النساء والأطفال مُؤْذِنٌ بقُرب نهايتهم التي وعدنا الله ورسوله بها، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإسراء].

وقال الرسول المصطفى ﷺ كما يرويه عنه البخاري في كتاب الجهاد، باب قتال اليهود: «**تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر، فيقول: يا عبد الله هذا يهوديٌّ ورائي فاقتله**» وفي رواية له: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلون اليهود، وحتى يقول الحجر وراءه يهودي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله**».

قال ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري شرح صحيح البخاري»: «وهو إخبار بما يقع في مستقبل الزمان وأن المقصود بذلك المسلمون في مستقبل الأيام.. وفيه إشارة إلى بقاء دين الإسلام إلى أن ينزل عيسى عليه السلام، فإنه الذي يقاتل الدجَّال ويستأصل اليهود الذين هم تبع الدجَّال على ما ورد من طرق أخرى».

ويقول في باب النبوَّة من «فتح الباري»: «وعلىٰ هذا فالمراد بقتال اليهود وقوع ذلك إذا خرج الدجَّال ونزل عيسىٰ.. وكما وقع صريحًا في حديث أبي أمامة ونزول عيسىٰ، وفيه: «**وراء الدجَّال سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلًّىٰ، فيدركه عيسىٰ عند باب لُدٍّ فيقتله، وينهزم اليهود فلا يبقىٰ شيء مما يتوارىٰ به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء فقال: يا عبد الله يا مسلم هذا يهوديٌّ تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجرهم**».

وفي «صحيح مسلم» نجد هذا الحديث بلفظ: «**لتُقاتلنَّ اليهود فلتقتلنَّهم حتىٰ يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي خلفي فاقتله** ـ وبلفظ ـ **لا تقوم الساعة حتىٰ يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتىٰ يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر يهود**».

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: الغرقد نوعٌ من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال واليهود.

وروىٰ البزَّار بسند حسن وابن منده والطبراني قوله ﷺ: «**لتقاتلن المشركين حتىٰ يقاتل بقيَّتكم الدجال علىٰ نهر الأردن أنتم شرقية وهم غربية**».

وهذا الحديث يحدد بالضبط مكان المعركة حيث يقف المسلمون شرق نهر الأردن واليهود غربي النهر، وهذه حدود الأرض المحتلة اليوم مع الأردن، ومن هناك تنطلق المعركة حتىٰ ينهزم اليهود ويُقتلون وتتم إبادتهم وإراحة الأرض كلها من شرِّهم.

وتدلُّ هذا الأحاديث الشريفة علىٰ أن الذين سيقاتلون اليهود سيكونون من خيرة المسلمين حتىٰ أن الحجر والشجر يخاطبهم، ويدلُّ علىٰ اليهودي المختبئ وراءه، ولن تكون المعركة تحت راية القومية أو الاشتراكية أو الوطنية أو إقامة دولة علمانية كما تريد منظمة التحرير ورئيسها عرفات، بل ستكون المعركة تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويكون جند الإسلام علىٰ مستوىٰ راقٍ من الإيمان حتىٰ يستحقُّون مخاطبة الأحجار والأشجار لهم بلفظ يا مسلم يا عبد الله.

وهذه المعارك الطاحنة التي نراها اليوم هي التي ستخرج هذا الجيل الربَّاني وهي التي ستزيل هذا الغبش والضلال والتمزُّق والخنوع ليهود تحت مسمَّيات السلام والواقعية والاعتدال والعقلانية.

وقد أنهت انتفاضة الأقصىٰ المباركة جميع الناعقين بالسلام مع إسرائيل والمهرولين بالتطبيع معها، فدخلوا جحورهم ولم يعد تُرىٰ هذه الخفافيش والوطاويط التي كانت تملأ أجهزة إعلامنا ليل نهار بنعيقها.. وذلك بسبب ضراوة العدوان الغاشم وقتل اليهود للأبرياء من الأطفال ورُماة الحجارة.. ولكنهم سيعودون قريبًا بعد أن تهدأ الأمور وستبدأ مرة أخرىٰ الأسطوانة المشروخة الممجوجة المنادية بالسلام كخيار استراتيجي لا محيص عنه.

وسيذهب هؤلاء وستدوسهم نعال شعوبهم عما قريب، وسيظهر جيل الإيمان وجيل الفداء.. وبوادره أمام أعيننا متمثلة في محمد جمال الدُّرَّة ومئات الأطفال الأبرياء الذين استشهدوا وهم يلقمون العدو حجرًا، فيا أطفال حجارة اليوم وأبطال معركة الغد إنَّا لفي شوق إلىٰ رؤية

معركتكم الأخيرة وأنتم تقتلون كل يهودي مختبئ وراء الحجر والشجر، والحجر والشجر يناديان: هاهنا يهودي تعال فاقتله يا مسلم يا عبد الله!.

إنذارات الأنبياء بخراب إسرائيل وأورشليم

تذكر كتب التاريخ الغربي وأسفار العهد القديم أن دولة سليمان ضعفت وتقلصت في شيخوخته، وأن عبده ورئيس عماله يربعام بن ناباط (من سبط أفرائيم) ثار عليه، ولكن سليمان تمكن من القضاء علىٰ ثورته، وفرَّ يربعام إلىٰ شيشنق ملك مصر، فلما مات سليمان عاد يربعام بدعم من ملك مصر وأقام دولة إسرائيل وعاصمتها شكيم (نابلس) وتبعه عشرة من أسباط بني إسرائيل، كما قام شيشنق بالهجوم علىٰ مملكة يهوذا وصعد إلىٰ أورشليم وأخذ خزائن الهيكل وفرض عليهم الجزية.

وحدثت بين المملكتين الصغيرتين حرب متتالية.. وانتشرت المفاسد وعبادة الأوثان في كلتا الدولتين إلا أن المفاسد كانت أشدَّ ظهورًا في مملكة إسرائيل في الشمال، وفي تلك المملكة الحقيرة ظهر عدد من الملوك الظلمة الفسقة ومنهم آخاب بن عمري وزوجته الصيدونية الوثنية إيزابيل والتي نشرت عبادة البعل والأوثان وتقديم الأضاحي البشرية لهذه الأوثان حيث كانوا يقدِّمون أبناءهم وبناتهم يذبحونهم لهذه الآلهة المزعومة، ويمارسون الزنا واللواطة في هذه المعابد، وقد قتلت إيزابيل المئات من أنبياء بني إسرائيل، وفرَّ من وجهها المئات، ومنهم إيليا (المذكور في القرآن باسم إلياس) وقد قال تعالىٰ عن إلياس في سورة الصافات: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ

ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الصافات].

وملك أخزيا بن آخاب بعد أبيه فسار سيرته وهكذا دواليك، حتىٰ عاقبهم الله بتدمير مملكتهم الفاسدة الفاسقة الفاجرة علىٰ يد سرجون الثاني الآشوري الذي أباد مملكتهم إبادة تامة سنة ٧٢١ قبل الميلاد.

مملكة يهوذا والنبي أشعيا والنبي ميخا

وبقيت مملكة يهوذا في أورشليم في الجنوب فترة أطول، فقد قدمت فروض الطاعة إلىٰ الملك الآشوري ودفعت الجزية، فنجت من التدمير والإبادة، ورغم أن مملكة يهوذا كانت أقل شرًّا من مملكة إسرائيل إلا أنها أيضًا شهدت عددًا من الملوك الطغاة الفجرة، ومنهم الملك منسّي عابد الأوثان، والذي قام بنشر جسد النبي أشعيا بالمنشار، وقد عاصر النبي أشعيا عددًا من ملوك يهوذا هم عزّيا ويوئام وآحاز وحزقيا وكانوا كلهم فسقة فجرة عُبَّادًا للأوثان، ويضعون في الهيكل العاهرات والمأبونين لخدمة الكهنة وروَّاد الهيكل.. ولكن حزقيا تاب علىٰ يد أشعيا وطهَّر الهيكل من الأوثان والعاهرات والمأبونين، وحاول قدر جهده أن يطبق الشريعة، وجعل أشعيا مستشارًا له، فتحسَّنت الأوضاع في المملكة، ولكن الأمور عادت مرة أخرىٰ إلىٰ أسوأ مما كانت عليه بعد موت حزقيا وظهور الملك الطاغية منسّي عابد الأوثان وناشر الفجور والزنا واللواطة في الهيكل ذاته، وهو الذي قام بجريمته النكراء بنشر جسد النبي أشعيا بالمنشار لأنه وبَّخه علىٰ جرائمه، وقد جاء في سفر أشعيا التنديد ببني

إسرائيل عُبَّاد الأوثان والفجرة الفسقة قائلاً: «أما أنتم فتقدموا إلىٰ هنا يا بني الساحرة ونسل الفاسق والزانية، بمن تسخرون وعلىٰ من تفغرون الفم وتدلعون اللسان، أما أنتم أولاد المعصية ونسل الكذب المتوقدون إلىٰ الأصنام تحت كل شجرة خضراء، القاتلون الأولاد في الأودية تحت شقوق المعاقل (انتشر أيضًا تقديم الأولاد قرابين للآلهة الباطلة» [سفر أشعيا الإصحاح ٥٧: ٣ ـ ٦] وتنبأ لهم بخراب الهيكل وخراب أورشليم، وكذلك فعل النبي ميخا المعاصر للنبي أشعيا الذي تنبأ بخراب السامرة (شكيم) عاصمة مملكة الشمال إسرائيل وخراب مملكة أورشليم في الجنوب، كما تنبأ بخراب مدن الوثنيين من اليهود وغيرهم، وسبي اليهود.. وتحدث بحرارة عن «الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم.. رؤساؤها يقضون بالرشوة وكهنتها يعلِّمون بالأجرة، وأنبياؤها (الكذبة) يعرفون (من العرافة والكهانة) بالفضَّة، لذلك بسببكم تفلح صهيون كحقل، وتصير وأورشليم خرابًا، وجبل البيت شوامخ وعر» [سفر ميخا الإصحاح ٣: ٩ ـ ١٣].

ويقول: «وقلت اسمعوا يا رؤساء يعقوب وقضاة بني إسرائيل، أليس لكم أن تعرفوا الحق، المبغضين الخير والمحبِّين الشر النَّازعين جلودهم عنهم ولحمهم عن عظامهم، والذين يأكلون لحم شعبي ويكشطون جلدهم عنهم ويهشِّمون عظامهم، ويشققون كما في القدر، وكاللحم في وسط المقلي، حينئذٍ يصرخون إلىٰ الربِّ فلا يجيبهم، بل يستر وجهه عنهم في ذلك الوقت كما أساؤوا أعمالهم» [ميخا ١٣: ١ ـ ٤].

النبي أرميا ونبوءاته بدمار أورشليم وبيت الرب (الهيكل)

ثم ظهر النبي أرميا، وقد كان والده حلقيا الكاهن هو الذي أظهر نسخة من كتاب الشريعة، وبالذات سفر تثنية الاشتراع بعد أن فُقِدَ، وقد قام حلقيا الكاهن بإقناع الملك جوشيا بالتوبة، وأن يقلع عن عبادة الأوثان ويطهِّر الهيكل من الأرجاس، ففعل ذلك سنة ٦٢٠ قبل الميلاد، وقد عاصر النبي أرميا الملك جوشيا، ولكن الأمور عادت لأسوأ مما كانت عليه قبل التوبة بعد موت جوشيا وتولِّي يهويا قيم الملك، واستمرَّ الأمر كذلك في عهد خليفته صدقيا، وقد تميَّز النبي أرميا بنبوءاته التي ذكر فيها خراب أورشليم علىٰ يد البابليين وتهديم الهيكل، وعندما دخل نبوخذ نصر (بخت نصر) أورشليم كان أرميا في السجن بسبب نبوءاته، فأخرجه من السجن، وخيَّره بين الذهاب معه أو البقاء في أورشليم بعد خرابها، ففضل البقاء فيها.

وقد اشتهرت كتب أرميا ونبوءاته ومراثيه التي رثىٰ فيها أورشليم بشعر رقيق، وكما تنبأ أرميا بخراب أورشليم والهيكل، تنبأ أيضًا بعودة بني إسرائيل إلىٰ أورشليم وبناء الهيكل مرة أخرىٰ علىٰ يد قورش الفارسي.

وتحدث سفر أرميا بحرقه عن بيت يعقوب وابنه صهيون الذين عبدوا البعل وتركوا الربَّ ونشروا الظلم والفساد في الأرض وصاروا زناة، ولذا فيعاقبهم الرب «وصار إسرائيل غنيمة، زمجرت عليه الأشبال وجعلت أرضه خَرِبة، أحرقت مدنه فلا ساكن [أرميا ٢: ١٤ - ١٦] يقول الرب لإسرائيل ويهوذا: «أما أنت فقد زنيت بأصحاب كثيرين، لكن

ارجعي إليَّ يقول الرب ارفعي عينيك إلىٰ الهضاب وانظري أين لم تضاجعي في الطرقات ونجَّستِ الأرض بزناك وبشرِّكِ، فامتنع الغيث ولم يكن مطر.. وقال الرب لي في أيام يوشيا الملك هل رأيت ما فعلت العاصية إسرائيل.. انطلقت إلىٰ كل جبل عالٍ وإلىٰ كل شجرة خضراء وزنت هناك، فقلت بعدما فعلتْ هذه ارجعي إليَّ فلم ترجع، فرأت أختها الخائنة يهوذا.. بل مضت وزنت هي أيضًا، وكان من هوان زناها أنها نجَّست الأرض وزنت مع الحجر والشجر» [أرميا سفر ٣].

ويهددهم الرب بشرٍّ آتٍ من الشمال (البابليين) حيث يقول: «لأني آتي بشرٍّ من الشمال، وكسر عظيم قد صعد الأسد من غابته وزحف مهلك الأمم، خرج من مكانه ليجعل أرضك خرابًا، تخرب مدنك فلا ساكن، من أجل تنطلقوا بمسوح، وولولوا لأنه لم يرتدَّ حُمّو غضب الرب عنا، ويكون في ذلك اليوم الرب أن قلب الملك يُعدم وقلوب الرؤساء، وتتحيَّر الكهنة، وتتعجب الأنبياء» [أرميا الإصحاح الرابع] ويرد أرميا ويقول: «فقلت آه يا سيد، الربّ، حقًّا إنك خداعًا خادعت هذا الشعب وأورشليم قائلاً: يكون لكم سلام، وقد بلغ السيف النفس».

ويستمر أرميا في نعيه لأورشليم ويقول: «نظرتُ إلىٰ الأرض وإذا هي خربة وخالية، إلىٰ السماوات فلا نور لها، نظرتُ إلىٰ الجبال وإذا هي ترتجف وكل الآكام تقلقلت.. لأنه هكذا قال الرب خرابًا تكون كل الأرض.. طوفوا في شوارع أورشليم وانظروا واعرفوا وفتِّشوا في ساحاتها هل تجدون إنسانًا أو يوجد عامل بالعدل فاصفح عنها، وإن قالوا حي هو الرب فإنهم يحلفون بالكذب..».

«كيف أصفح لك عن هذه، بَنُوك تركوني، وحلفوا بما ليست آلهه، ولما أشبعتهم زنوا، وفي بيت زانيةٍ تزاحموا، صاروا حُصُنًا معلوفة سائبة، صهلوا كل واحد علىٰ امرأة صاحبه، أما أعاقب علىٰ هذا يقول الرب، أوما تنتقم نفسي من أمة كهذه» [أرميا الإصحاح ٥].

ويقول: «اهربوا يا بني بنيامين من وسط أورشليم.. أن الشرَّ أشرفَ من الشمال.. الجميلة اللطيفة ابنة صهيون أُهلِكُها.. لأنه هكذا قال ربُّ الجنود، **اقطعوا أشجارًا حول أورشليم مترسة هي المدينة المعاقبة، كلها ظلم في وسطها، كما تُنبع العين مياهها، هكذا تُنبع شرَّها، ظلم وخطف يُسمع فيها.. تأدبي يا أورشليم لئلا تجفوك نفسي، لئلا أجعلك خرابًا وأرضًا غير مسكونة»** [أرميا الإصحاح السادس].

ويتحدث عن قبائح بني إسرائيل وحُبِّهم للمال حُبًا جمًّا وجمعهم له من الطرق الحرام: «**لأنهم من صغيرهم إلىٰ كبيرهم كل واحدٍ مولعٌ بالريح، ومن النبي (الكاذب المدَّعي) إلىٰ الكاهن كلُّ واحدٍ يعمل بالكذب.. هل خزوا لأنهم عملوا رجسًا؟ بل لم يخزوا خزيًا ولم يعرفوا الخجل، لذلك يسقطون بين الساقطين في وقت معاقبتهم يعثرون، قال الرب**» [أرميا ٦: ٣ - ١].

«هكذا قال الرب: شعب قادم من أرض الشمال، وأمة عظيمة تقوم من أقاصي الأرض، تمسك القوس والرمح، هي قاسية لا ترحم، صوتها كالبحر يعجُّ، وعلىٰ خيل تركب مصطفَّة كإنسان لمحاربتك يا ابنة صهيون» [أرميا ٦: ٢٢ - ٢٣].

وتستمر الإنذارات وأنهم كلهم عُصاة متمرِّدون يستحقُّون لعنة الربِّ وغضبه، لأنهم يسرقون ويقتلون ويزنون ويحلفون كذبًا ويبخِّرون للبعل ولكلِّ آلهة غريبة: «هل صار هذا البيت الذي دُعي باسمي مغارة لصوص» ويقول الرب لأرميا «وأنت فلا تصلِّ (أي تدعو) لأجل هذا الشعب، ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة، ولا تلحّ عليَّ لأني لا أسمعك، أما ترىٰ ماذا يعملون في مدن يهوذا وفي شوارع أورشليم، الأبناء يلتقطون حطبًا والآباء يوقدون النار والنساء يعجن العجين ليصنعن كعكًا لملكة السموات، ولسكب سكائب لآلهة أخرىٰ لكي يغيظوني، أفإيَّاي يغيظون يقول الرب، أليس أنفسهم لأجل خزي وجوههم.. هاغضبي وغيظي ينسكبان علىٰ هذا الموضع علىٰ الناس وعلىٰ البهائم وعلىٰ شجر الحقل وعلىٰ ثمر الأرض فيَتَّقِدان ولا ينطفِئان» [أرميا ٧: ٨ - ٢٠].

«لذلك ها هي الأيام تأتي يقول الرب ولا يسمىٰ بعد توفه ولا وادي ابن هنوم بل وادي القتل، ويدفنون في توفه حتىٰ لا يكون موضع، وتصير جثث هذا الشعب أكلاً لطيور السماء ولوحوش الأرض ولا مزعج، وأبطل من مدن يهوذا ومن شوارع أورشليم صوت الطرب وصوت الفرح، صوت العريس وصوت العروس لأن الأرض تصير خرابًا» [أرميا ٧: ٣٢ - ٣٤].

نبوخذ نصر يغزو مملكة يهوذا ويهدم الهيكل (٥٨٦ ق.م)

بعد أن انتهت دولة إسرائيل في الشمال علىٰ يد سرجون الثاني الآشوري سنة ٧٢١ ق.م، بقيت دويلة أورشليم تدفع الجزية وتبدي الخضوع للدولة الآشورية، فنجت بذلك من الإبادة، وعندما انتهت الدولة الآشورية وحلَّت محلَّها الدولة البابلية أغار الملك البابلي علىٰ أورشليم

عندما رفضت دفع الجزية وذلك سنة ٦٠٦ ق.م، وقبض البابليون علىٰ ملك أورشليم يهواقيم ونفوه إلىٰ بابل وأقاموا مكانه صدقيا بن يواقيم، ولكن هذا ما لبث أن تمرَّد ورفض دفع الجزية فهجم عليه نبوخذ نصر سنة ٥٩٩ قبل الميلاد وهزمه وأجلىٰ من اليهود عشرة آلاف شخص وأرسلهم إلىٰ بابل، وأعلن صدقيا الخضوع ودفع الجزية، ولما رأىٰ صدقيا انشغال نبوخذ نصر بحروبه الكثيرة خدعته نفسه فأعلن العصيان سنة ٥٩٣ ق.م، فعاد نبوخذ نصر وسرعان ما أعلن صدقيا خضوعه وتذلّلَهُ للملك البابلي القوي، وقدم المزيد من الهدايا وسجد أمام الملك مرات عديدة فعفىٰ عنه الملك الشهم للمرة الثانية، وللمرة الثالثة يخون صدقيا العهد ويبادر إلىٰ التمرُّد بسبب انشغال الملك البابلي عنه، فغضب نبوخذ نصر وهجم علىٰ هذا الملك الخائن الغادر ودمَّر مدينته أورشليم عام ٥٨٦ق.م (وقيل ٥٨٧ ق.م) تدميرًا كاملاً كما دمَّر الهيكل وأخذ جميع كنوز الهيكل ونفىٰ ثلث سكان أورشليم بعد أن قتل الثلث وسمح للثلث بالبقاء، وكان ممن بقوا النبي أرميا الذي رماه الملك صدقيا في السجن بسبب إنذاراته ونبوءاته، وقرَّبه الملك البابلي إليه ولكن النبي أرميا اختار البقاء في أورشليم ثم غادرها إلىٰ مصر بعد أن رثاها بمراثي جميلة رقيقة.

من المنفىٰ إلىٰ العودة إلىٰ أورشليم (٥٨٦ ـ ٥٣٨ ق.م) والحكم الفارسي

ظهر عدد من أنبياء بني إسرائيل في المنفىٰ في بابل، ومنهم دانيال صاحب الحظوة لدىٰ الملك البابلي نبوخذ نصر الذي استطاع أن يفسِّر له حُلُمًا غريبًا لم يستطع أن يفسِّره أحد من رجاله، ولما مات نبوخذ نصر

تولىٰ بعده بيلشاصر الحكم، وكانت لدانيال لديه حظوة كبيرة، وعندما ظهرت الدولة الفارسية تحول ولاءُ دانيال واليهود الذين لهم حظوة في البلاد البابلي إلىٰ أسيادهم الجدد، وأمدُّوهم بأسرار الدولة الآيلة إلىٰ السقوط حتىٰ يتمكَّنوا من الحظوة لديها، وبالفعل استطاع دانيال وعزرا وحنانيا أن يكون لهم حظوة ومكانة لدىٰ الملك الفارسي دارا (داريوس الأول) كما كان لنحميا وحزقيال مكانة وحظوة.

وقد أعاد الملك الفارسي قورش اليهود إلىٰ فلسطين وأعاد بناء أورشليم والهيكل، بل وأمدهم بالأموال وطلب من كل رعايا مملكته مساعدتهم لإعادة بناء بيت الربِّ، ويتحدث سفر عزرا وسفر نحميا عن هذه العودة وكيفية بناء أورشليم والهيكل مرة أخرىٰ.

يبدأ سفر عزرا بقصة العودة من السبي بناء علىٰ أمر الملك قورش ابن الملك احشويروش وربيب محظية الملك أستير اليهودية اللعوب التي لعبت بعقل الملك وجعلته يذبح وزيره هامان (عدو اليهود) وجميع رجاله باتِّهامه بأنه يدبر لقتل الملك كذبًا وزُورًا، وتربَّىٰ قورش في أحضان هذه الغانية اللعوب التي ملكت عقل أبيه، فكان شديد الولاء والحبِّ لليهود.

وقد جاء في سفر عزرا (١: ١ ـ ٤): «وفي السنة الأولىٰ لقورش ملك فارس.. نبَّه الربّ روح قورش فأطلق نداء في كل مملكته، وبالكتابة أيضًا قائلاً: هكذا قال قورش ملك فارس، جميع ممالك الأرض دفعها لي الربُّ إله السماء، وهو أوصاني أن أبني له بيتًا في أورشليم التي في يهوذا، من منكم من كل شعبه ليكن إلهه معه، ويصعد إلىٰ أورشليم التي في يهوذا فيبني بيت الرب إله إسرائيل، هو الإله الذي في أورشليم

وكل من بقي في أحد الأماكن حيث هو متغرب، فلينجده أهل مكانه بفضة وذهب وأمتعة وببهائم مع التبرع لبيت الربِّ في أورشليم.

ومات قورش وجاء بعده احشويروش الثاني، وكتب له أهل السامرة يشكون اليهود وينبهونه إلىٰ خطرهم ومكرهم وتمرُّدهم وعنادهم، فأمر الملك بإيقاف البناء، ولكن ما إن مات هذا الملك وتولىٰ بعده داريوس الثاني حتىٰ سمح لليهود بإعادة البناء وأعطاهم فوق ذلك ذهبًا وفضة وقال: «والله الذي أسكن اسمه هناك، يهلك كل ملك وشعب يمد يده لتغيير أو هدم بيت الله هذا الذي في أورشليم، أنا داريوس قد أمرتُ فليفعل عاجلاً» [سفر عزرا ٦: ١٢].

وتتالت الأفواج العائدة إلىٰ أورشليم تحت قيادة عزرا ونحميا وزربابل حتىٰ اكتمل البناء، وعادت أورشليم، وإن كان الهيكل أقل روعةً بكثيرٍ مما كان في عهد سليمان عليه السلام.

اليهود في العهد اليوناني (٣٣٢ ـ ١٦٦ ق.م)

رغم أن الفرس كانوا متعاطفين جدًّا مع اليهود ومكَّنوا لهم من وظائف الدولة الهامَّة وأعادوهم إلىٰ أورشليم وبذلوا لهم الأموال في إعادة بنائها وبناء الهيكل، إلا أن اليهود سُرعان ما خانوا أسيادهم القُدامىٰ وأولياء نعمتهم، وعضُّوا اليدَ التي أسدت لهم الجميل، وتحوَّلوا إلىٰ جانب القوة الشابَّة الجديدة التي ظهرت علىٰ يد الإسكندر المقدوني (اليوناني) وقدم اليهود كعادتهم للسيد الجديد الخدمات وخانوا سادتهم القدامىٰ عندما بزغ في الأفق نجم الإسكندر، وبدأ يعلو علىٰ دارا الثالث

الفارسي، وعندما احتلَّ الإسكندر فلسطين سنة ٣٣٢ قبل الميلاد، استطاع الحبر شمعون بن حونيو أن يحوز علىٰ ثقة الإسكندر بما قدَّمه له من معلومات سرِّيَّة هامَّة عن الفرس، واستطاع أن يظفر من الإسكندر برعايته لليهود ولأورشليم وهيكلها.. وقضىٰ الإسكندر المقدوني علىٰ الإمبراطورية الفارسية الباذخة، وقدَّم له اليهود أسرار الدولة التي خدموها طويلاً وخانوها سريعًا، تمامًا كما فعلوا مع المسلمين في الأندلس وفي غيرها من الأقطار فيما بعد.

وعندما مات الإسكندر المقدوني (سنة ٣٢٣ ق.م) خلف إمبراطورية واسعة الأرجاء اقتسمها قوَّادُه، وكان البطالمة (البطالسة) هم قوَّاده في مصر وهم الذين حكموها من الإسكندرية عاصمتهم التي بناها الإسكندر ذاته.

وكان بطليموس الأول (سويتر) أول من تولَّىٰ حكم مصر وفلسطين، وامتدَّ حُكمه من سنة (٣٢٣ق.م) إلىٰ سنة (٢٨٥ ق.م)، وفي عهده وبالذات عام (٣١٠) تمرَّد اليهود في فلسطين ورفضوا دفع الجزية، فسار إليهم بطليموس وساق من سُكَّانها اليهود مائة ألف أسير إلىٰ مصر.

وتولىٰ بعده بطليموس الثاني الذي حكم مصر وفلسطين من عام ٢٨٥ إلىٰ عام ٢٤٧ قبل الميلاد، وعرف اليهود كيف يتقرَّبون إليه، فسمح لمن أراد منهم العودة إلىٰ فلسطين ففعل الكثير منهم ذلك، وكان بطليموس الثاني رجلاً مثقَّفًا وهو الذي أسَّس مكتبة الإسكندرية الشهيرة.. وفي عهده قيل أن التوراة ترجمت إلىٰ اللغة اليونانية بواسطة ٧٢ حبرًا من أحبار اليهود في سبعين يومًا. ولذا تسمىٰ الترجمة السبعينية، ويشكك كثير من الباحثين ومنهم الرهبانية اليسوعية في مقدمتها للكتاب المقدس في

فحوىٰ هذه القصة، وتجعلها من الأساطير لأن الترجمة اليونانية للتوراة والعهد القديم تمَّت علىٰ مراحل متعدِّدة ولم تتمَّ دفعة واحدة.. وقد ضاع النصُّ العبري بأكمله ولم يبق إلا النصُّ اليوناني الذي وضع فيه أحبار اليهود ما يشاؤون من قصص وحوادث مختلفة، كما يبدو فيها أيضًا تأثرهم بالثقافة اليونانية والأساطير اليونانية.

تنافس البطالسة والسلوقيون علىٰ حكم فلسطين

ثم تولىٰ بطليموس الثالث حكم مصر وفلسطين، (٢٤٧ ـ ٢٢٢ ق.م)، وحاول اليهود في زمنه أن يتملَّصوا من دفع الجزية وماطلوا في دفعها لعدَّة سنوات، فهدَّدهم عامل بطليموس بالطَّردِ فأرسلوا وفدًا إلىٰ بطليموس وبكوا وناحوا وادَّعوا الفقر وقبَّلوا الأرض بين يديه وسجدوا له مرات، فرَقَّ لهم قلب بطليموس وعفا عن جزية السنوات الماضية، وتعهدوا بدفع جزية تلك السنة ومقدارها ٢٠ وزنة من الفضة سنويًا.

ثم تولىٰ بطليموس الرابع (٢٢٢ ـ ٢٠٢ ق.م) وفي تلك الفترة كان السلوقيون، وهم أيضًا من قوَّاد الإسكندر، يحكمون سوريا، وفي عام ٢٠٣ق.م زحف ملك سوريا انطوخيوس السلوقي علىٰ فلسطين واحتلَّها، ولكن سرعان ما استعادها منه القائد البطلمي سكوباس سنة ٩٩ ق.م ثم استعادها السلوقيون وبقيت تحت حكمهم فترة طويلة.

وقد ساعد اليهود كعادتهم كل قوة جديدة يتوسَّمون فيها الغلبة، فأيَّدوا انطوخيوس وساعدوه علىٰ دخول القلعة في أورشليم ومباغتة البطالسة (المصريين) فيها، وبسبب ذلك خفف انطوخيوس الضرائب عن

يهود أورشليم واهتمَّ بعمارة الهيكل وتدعيم الحصن المشهور باسم حصن داود.

وتأثر اليهود في فلسطين تأثرًا كبيرًا باليونان تمامًا كما تأثَّر يهود مصر بالبطالسة، ومع ذلك فإن اليهود ظلُّوا يتمرَّدون علىٰ السلوقيين (حكام سوريا) كلما وجدوا فرصة لذلك، ورفضوا دفع الجزية، فزحف عليهم انطوخيوس ابيفانس عام ١٧٠ق.م، وذبح كثيرًا من سُكَّان أورشلم اليهود.

ثورة المكابيين (١٦٥ ق.م)

وبعد ذلك بعامين هجم قائده أبولونيوس علىٰ أورشليم بسبب تمرُّدهم فأكثر فيها القتل والتخريب، واقتحم الهيكل وأقام فيه تمثال انطوخيوس الرابع وبنىٰ بجواره مسرحًا للتمثيل، فثار أحد كبار أحبار اليهود متتياهو المكابي وأولاده الخمسة، وذلك سنة ١٦٦ ق.م، واستطاع أن يجمع اليهود وقام ابنه يهوذا بطرد اليونان من الهيكل ومن جزء كبير من أورشليم، وذلك سنة ١٦٥ ق.م، واستطاع شمعون المكابي سنة ١٤٣ ق.م أن يستولي علىٰ كل أورشليم، ولكن اليونان عادوا بقيادة انطوخيوس السابع في عهد يوحنا هيرقانوس المكابي، واضطر هذا الأخير إلىٰ تقديم قوالب الذهب لاسترضائه وقدم له كما يقول المؤرخ اليهودي الإسكندراني يوسفوس ٧٥ طنا من الذهب، وهكذا عادت أورشليم إلىٰ الهيمنة اليونانية مرة أخرىٰ عام ٧٦ ق.م، ولم يعد للمكابيين أي سيطرة حقيقية علىٰ أورشليم، واضطروا إلىٰ دفع الجزية كحُكَّام صغار محليِّين بانتظام، وكانت المعارك بين المكابيين أنفسهم علىٰ الحكم علىٰ أشُدِّها،

فقد وقعت عدة معارك بين الأخوين هوكانوس وأرسطوبولوس (لاحظ أن أسماء اليهود أصبحت يونانية).

أورشليم والدولة الرومانية (٦٣ ق.م)

وظهرت القوة الرومانية الفتيّة، واستولت علىٰ كل أراضي اليونان ومستعمراتها بما فيها سوريا ومصر، وذهب هركانوس وأخيه أرسطوبولوس إلىٰ دمشق لتقديم الهدايا وفروض الطاعة إلىٰ القائد الروماني بومبيوس، وأحسَّ أرسطوبولوس بميل القائد الروماني إلىٰ أخيه، فسارع إلىٰ أورشليم وتحصَّن بها مما أدىٰ إلىٰ دخول القائد الروماني بومبيوس عنوة إلىٰ أورشليم واستسلام أرسطوبولوس وأخذه أسيرًا إلىٰ دمشق، وذلك عام ٦٣ ق.م، وقتل في تلك المعركة ١٢,٠٠٠ يهودي من سكان أورشليم، وكان اليهود يخربون المدينة بأيديهم ويضرمونها بالنار حتىٰ لا ينتفع بها العدو.

وخضعت أورشليم للحكم الروماني مع تكرر القلاقل من حين لآخر مما اضطرَّ حاكم سوريا الروماني لوقيانوس كراسوس إلىٰ الهجوم علىٰ أورشليم ونهب ما بقي من كنوز الهيكل.

وفي عام ٣٧ ق.م انتهز هيرودس الأدومي واستولىٰ علىٰ أورشليم، ووافق القيصر أغسطس علىٰ تعيين هيرودس حاكمًا علىٰ أورشليم والنصف الجنوبي من فلسطين، فاهتمَّ بإعادة بناء أورشليم وترميم أسوارها، وسمح لليهود بإعادة بناء الهيكل، وكان بعض القوَّاد من الرُّومان قد تهوَّدوا مثل موناباز وأمه هيلانة فسكنوا في أورشليم وبنوا فيها قصورهم ومقابرهم.. ولكن القيصر الروماني كلوديوس اغتاظ من ذلك، فأمر بوضع تماثيل له وللرومان في داخل الهيكل.

وعندما ولد المسيح عيسىٰ ابن مريم عليه السلام كانت أورشليم تحت الحكم الروماني مع إعطاء اليهود صلاحيات الحكم المحلي، وكان هيرودس حاكمًا علىٰ أورشليم من قِبَل الإمبراطور الروماني.

الإنجيل يفضح اليهود

يقول إنجيل متىٰ (٢: ١ ـ ٢٣): «ولمَّا ولد يسوع في بيت لحم في أيام هيرودس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاؤوا إلىٰ أورشليم قائلين: أين هو المولود ملك اليهود فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له، فلما سمع هيرودوس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه، فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح فقالوا في بيت لحم اليهودية، لأنه هكذا مكتوب بالنبي».

وتمضي القصة في أن هيرودوس بعث المجوس ليتأكدوا من ذلك، وقد عزم علىٰ قتل المسيح، ولكن الله ألهم هؤلاء ألا يرجعوا إليه بعد أن تأكَّدوا من ميلاد المسيح، وأمر الرب يوسف النجَّار (خطيب مريم وزوجها فيما بعد حسب زعمهم) أن يأخذ ابنه (أي عيسىٰ عليه السلام) ومريم إلىٰ مصر لكي ينجو من هيرودوس ففعل ذلك، ثم أمره الملك بأن يعود من مصر بعد وفاة هيرودوس قائلاً له: «قم وخذ الصبي وأمه واذهب إلىٰ أرض إسرائيل لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي»، فعاد وسكن في مدينة الناصرة.

وتولىٰ الحكم أرخيلاوس بن هيرودوس الذي تلقب بهيرودوس أيضًا، وقام اليهود وخاصة الأحبار والكتاب منهم بسبِّ عيسىٰ وأمه،

وافتروا عليها واتَّهموها بالزِّنا.. واستمرُّوا في تدنيس الهيكل بالبيع والشراء فيه وأكل الربا وتوثيقه في أرجائه، ففي إنجيل متىٰ ٢١: ١٢ - ٤٣: «ودخل يسوع إلىٰ هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام (الذي يقدم للذبائح) **وقال لهم: مكتوب بيتي بيت الصلاة يدعىٰ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص.. وقال لهم يسوع: الحق أقول لكم أن العشَّارين والزواني يسبقونكم إلىٰ ملكوت الله، لأن يوحنَّا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به، وأما العشَّارون والزواني فآمنوا به.. وقال لهم يسوع: أما قرأتم قطُّ في الكتب الحجر الذي رفضه البنَّاؤون هو قد صار رأس الزاوية.. لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويُعطىٰ لأمة تعمل أثماره، ومن سقط علىٰ هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه»**.

وهذا بشارة بالنبي محمد ﷺ وأمَّته، وإخبار منه بأن النبوَّة ستنتزع من بني إسرائيل وتذهب إلىٰ بني إسماعيل، وقد صار الرسول محمد ﷺ حجر الزاوية كما أشار إليه النبي محمد ﷺ بأنه الحجر الذي يكمل به بناء الأنبياء العظيم، فكان خاتمة الرسالات السماوية ونافيًا عنها كلَّ زيفٍ وتحريف.

المسيح عليه السلام يوبِّخ الفريسيين والكتبة ويدعوهم بالأفاعي والحيَّات

ووبَّخ المسيح عيسىٰ ابن مريم عليه السلام الفريسيين والكُتَّاب وأحبار اليهود قائلاً لهم: «**ويلٌ لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم تعلقون ملكوت السموات قدَّام الناس، فلا تدخلون أنتم ولا تدَعُون الداخلين يدخلون، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم**

تأكلون بيوت الأرامل، ولعلّة تطيلون صلاتكم، لذلك تأخذون دينونة أعظم، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحدًا، ومتىٰ حصل تصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفًا... ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تعشرون النعنع والشبت والكمون (أي أشياء تافهة) وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان.. أيها القادة العميان الذي يُصفُون عن البعوضة ويبلعون الجمل (وهم كما قال عبد الله بن عمر فيما بعدُ في أهل العراق يسألون عن دم البعوضة ويسفكون دم الحسين عليه السلام) ويلٌ لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تنقُّون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوءان اختطافًا ودعارة، أيها الفريسيُّ الأعمىٰ نقِّي أولاً داخل الكأس والصحفة لكي يكون خارجها أيضًا نقيًّا، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبورًا مبيّضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة، هكذا أنتم تظهرون للناس أبرارًا ولكنكم من داخل مشحونون رياءً وإثمًا.. أيها الحيَّات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم، لذلك ها أنا أرسل لكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون، ومنهم تجلدون في مجامعكم، وتطردون من مدينة إلىٰ مدينة لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك علىٰ الأرض من دم هابيل الصديق إلىٰ دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح.. يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين.. كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا، هو ذا بيتكم يترك لكم خرابًا، لأني أقول لكم إنه لا يترك حجر علىٰ حجر هاهنا لا ينقض» [إنجيل متىٰ ٢٣: ١٢ - ٣٨ وإنجيل متىٰ ٢٤: ٢].

الطرد الأخير لليهود عام ١٣٥ بعد الميلاد

ولكن اليهود عادوا مرة أخرىٰ إلىٰ العصيان والثورة، وذلك في عهد الإمبراطور الروماني إيليوس هدريان سنة ١٣٠م، وكان قائد اليهود شخص تلقَّب باسم باركوكبا (أي ابن الكوكب) وادَّعىٰ أنه المسيح المنتظر واستطاع أن يحتلَّ مناطق من فلسطين من سنة ١٣٠ إلىٰ ١٣٥ بعد الميلاد، فأرسل له الإمبراطور هدريان جيشًا قويًّا فقتله وأباد جمًّا غفيرًا من اليهود، وطرد من بقي منهم من أورشليم، وجاء إلىٰ سكان الهيكل ووضع فيه تمثالاً مشابهًا لتمثال جوبيتر (كبير آلهة الرومان وهو في مقابل زيوس كبير آلهة اليونان) الموجود علىٰ جبل الكابيتول في روما، وغيَّر اسم أورشليم وسمَّاها إيليا كابيتولينا، وإيليا نسبة إلىٰ إيليوس (أي مدينة إيليوس) وكابيتولينا نسبة إلىٰ جبل الكابيتول الموجود في روما والذي فيه معبد جوبيتر.

ومنع الإمبراطور هدريان دخول اليهود إلىٰ القدس منعًا باتًّا ثم سُمح لهم مرَّة أخرىٰ بالدخول يومًا واحدًا في العام بشرط أن لا يبيتوا فيها، وبقي الأمر علىٰ ذلك حتىٰ العهد العمري، عندما فتحها المسلمون عام ٦٣٧ ميلادية، أي أن اليهود بقوا خمسمائة سنة لا يدخلون أورشليم ولا يسكنون فيها سوىٰ يوم واحد في السنة.. ويستثنىٰ من ذلك فترة الغزو الفارسي سنة ٦١٤ حيث دخلت الجيوش الفارسية القدس وانضمَّ إليهم اليهود وأشعلوا النار في كنيسة القيامة والكنائس الأخرىٰ، وقد قُدِّر عدد القتلىٰ من المسيحيين ستِّين ألفًا، ولكن هرقل استعاد الشام والقدس وطردهم منها عام ٦٢٤ وتمَّ قتل اليهود المتعاونين مع الفرس إلا من فرَّ منهم.

والفريسيون هم أشدُّ الفِرقِ اليهوديَّةِ كُفرًا ونِفاقًا، وهم الآن يمثِّلون الأرثوذكس اليهود وفرقهم الدينية مثل شأس وغيرها.. وهم الذي يتحكَّمون في إسرائيل اليوم من الناحية الدينية.. لهذا لعنهم عيسىٰ ابن مريم ووبَّخهم وفضحهم فكادوا له كيدًا وحاولوا قتله، وقالوا متبَجِّحين: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

وقد حكم السنهدرين (المحكمة العليا اليهودية) بقتل عيسىٰ بزعم أنه أثار الفتن وادَّعىٰ النبوَّة.. الخ، وبما أن اليهود لا يستطيعون أن يفذوا أي حكم بدون موافقة الحاكم الروماني ببلاطس فإنهم ذهبوا إليه ليصلب المسيح ولكن الحاكم ببلاطس رفض ذلك وقال لهم: «إني بريء من دم هذا البار **أبصروا أنتم، فأجاب جميع الشعب وقالوا: دمه علينا وعلىٰ أولادنا**» [إنجيل متىٰ ٢٧: ٢٤ ـ ٢٦].

ورغم اعترافهم بذلك فإن الكنائس المسيحية، وآخرها الفاتيكان قد قام بتبرئة اليهود من دمِ عيسىٰ، رغم أن الأناجيل تؤكِّد لهم ذلك وتقول أنهم وضعوا إكليلاً من الشَّوكِ علىٰ رأسه وقصبة في يمينه (سخرية منه لأنه ادَّعىٰ أنه المسيح الذي سيأتي في آخر الزمان ويملك) وبصقوا عليه وجلدوه وضربوه علىٰ رأسه ثم صلبوه، وصُلِبَ معه لصَّان واحد عن يمينه وواحدٌ عن يساره.

إنذار المسيح بخراب أورشليم والهيكل

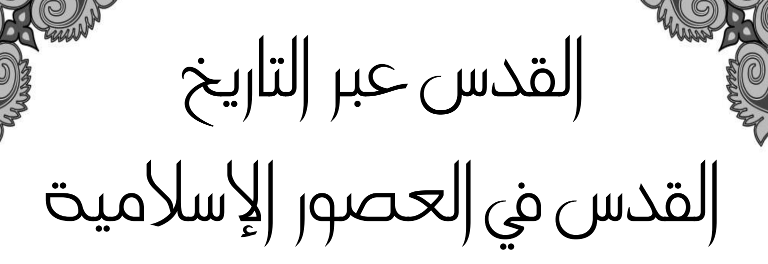
وقد أنذرهم عيسىٰ عليه السلام بخراب أورشليم وهدم الهيكل مرارًا كما قد مرَّ معنا مما جاء في إنجيل متَّىٰ، وفي إنجيل مرقص (١٣: ١ ـ ٢):

«وفيما هو خارج من الهيكل قال واحدٌ من تلاميذه: يا معلم انظر ما هذه الحجارة وهذه الأبنية، فأجاب يسوع وقال له: انتظر هذه الأبنية العظيمة، لا يترك حجر علىٰ حجر لا ينقض».

❊ تيطس يخرب أورشليم والهيكل:

وهكذا كان، فقد قام القائد الروماني تيتوس (تيطس) بتخريب أورشليم وهدم الهيكل في ٨ ديسمبر سنة ٧٠ بعد الميلاد، وقد أجلىٰ عنها جميع اليهود وهو السبي الثاني، وأصدر قانونًا بأن كل من يدخل أورشليم من اليهود يعدم، ثم جاء خلفاؤه من الرومان وسمحوا لليهود بالدخول إلىٰ أورشليم يومًا واحدًا في السنة ولا يبيتون ولا يسكنون فيها أبدًا كما فعله هدريان سنة ١٣٥ بعد الميلاد





- ❖ فتح القدس (الفتح العمري)
- ❖ المسجد الأقصى وقبة الصخرة في عهد عمر ثم في عهد عبد الملك بن مروان.
- ❖ القدس في العهد الأموي.
- ❖ القدس في العهد العباسي.
- ❖ القدس في العهد الفاطمي.
- ❖ الصليبيون والقدس.
- ❖ استرداد القدس وتطهيرها من الصليبيين.
- ❖ ابن كثير يصف معركة حطّين.
- ❖ القدس بعد صلاح الدين.
- ❖ العهد المملوكي والقدس.
- ❖ الدولة العثمانية والقدس.
- ❖ اليهود في القدس في العهود الإسلامية.

فتح القدس (الفتح العمري)

في العام التالي لخلافة أبي بكر رضي الله عنه (أي سنة ١٢هـ/٦٣٣م) بدأت فتوح الشام والعراق في آنٍ معًا، وتوجَّهت مجموعة من الجيوش لفتح الشام تولَّاها خالد بن سعيد ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وأبو عبيدة بن الجرَّاح وعمرو بن العاص.

وكانت معركة أجنادين (القريبة من مدينة الخليل بفلسطين) من المعارك الفاصلة بين المسلمين والروم وكان لها أثر قويٌّ في زعزعة الروم وإيقاع الرُّعبِ في نفوسهم، وقد تمَّت تلك المعركة الفاصلة في ٢٧ جمادىٰ الأول سنة ١٣هـ/٣٠ تموز ٦٣٤م، ثم تلتها المعركة الفاصلة والحاسمة علىٰ نهر اليرموك بالقرب من الجولان في الخامس من رجب سنة ١٥هـ الموافق ٨ أغسطس ٦٣٦م، وفي تلك المعركة تولىٰ خالد بن الوليد القيادة العامَّة لجيوش المسلمين وأوقع بالروم أشدَّ الهزائم نكرًا، ولم تقم للروم بعدها قائمة في الشام، ووصل الخبر لخالد بوفاة أبي بكر وتولِّي عمر، وعَزْلِه عن القيادة وتولية أبي عبيدة بن الجرَّاح أمين هذه الأمة لقيادة جند الشام، فما كن من خالد إلا أن سلَّم القيادة بنَفْسٍ مطمئِنَّةٍ راضيةٍ وبقي وفيًّا لقيادته، وقاتل فيما أتىٰ من المعارك جندِيًّا مجاهدًا في سبيل الله، رضي الله عن الجميع.

وأتمَّ عمرو بن العاص فتح مدن فلسطين ما عدا القدس (إيلياء) وقيسارية الساحلية التي كانت تأتيها أمدادُ الروم من البحر، واجتمع

المسلمون بقيادة القائد العام لجند الشام أبي عبيدة بن الجراح، وتمَّ حصار القدس (إيليا)، فطلب أهلها الصلح مثل صلح مدن الشام الأخرىٰ، ولكنهم اشترطوا أن يكون متولي عقد الصلح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ذاته، لما للقدس من أهميَّةٍ لدىٰ الجميع، فكتب أبو عبيدة إلىٰ عمر بن الخطاب يعرض عليه الأمر، فأشار عليه عثمان بأن لا يخرج إلىٰ الشام، بينما أشار عليٌّ بالخروج فأخذ عمر برأي عليٍّ، وولَّىٰ عليًّا إمرة المدينة في غيابه، رضي الله عنهم جميعًا.

وقد ذكر المجاهد البطل عبد الله التل قائد معركة القدس عام ١٩٤٨ في كتابه «خطر اليهودية العالمية علىٰ الإسلام والمسيحية» أنه وجد نصًّا في دير المصلبة يسجل بتفصيل قدوم عمر ﵁ إلىٰ القدس، وفيه أن بطريرك القدس صفرونيوس طلب من أبي عبيدة بن الجراح وجنده المحاصرين للقدس أن يسلم القدس بشرط تسليمها لأمير المؤمنين بذاته شخصيًّا، فخرج عمر من المدينة ومعه راحلة واحدة وغلامه، واتَّفق مع غلامه علىٰ أن يركب عمر مرحلة ثم يركب غلامه مرحلة، ثم يمشيانِ معًا مرحلة ليريحوا الناقة، فلما وصل عمر قريبًا من القدس كان الدور لغلامه فنزل عمر وأَصَرَّ علىٰ أن يركب غلامه، فلما بلغوا باب مدينة القدس من الجهة الشامية (باب دمشق) وجدوا البطريرك صفرونيوس والنصارىٰ في استقبال عمر، فلما رأوه وعرفوه وهو يقود الناقة وغلامه راكب عليها أكبروه وخرُّوا له سُجَّدًا، فصاح فيهم عمر وغلامه: ويحكم لا سُجودَ إلا لله، فلما رفعوا رؤوسهم انتحىٰ البطريرك ناحيةً وبكىٰ تأثُّرًا بما رأىٰ، ثم طلب البطريركُ من عمر أن يدخل كنيسة القيامة فلبَّىٰ عمر الدعوة وأدركته

الصلاة وهو فيها، فقال عمر: أين أُصلِّي؟ فقال البطريك: مكانك صلِّ. فقال عمر: ما كان لعمر أن يصلي في كنيسة القيامة فيأتي المسلمون من بعدي ويقولون هنا صلىٰ عمر ويبنون عليه مسجدًا، فخرج منها وصلَّىٰ.. وهو اليوم معروف بمسجد عمر.

وسأل عمر رضي الله عنه عن موقع المسجد الأقصىٰ فدلُّوه عليه فوجده مغمورًا بالقمامة، فأخذ عمر ينزح منه القمامة وتبعه المسلمون، فصلَّىٰ فيه.. ثم بنىٰ فيه مسجدًا.

وكتب عمر لأهل إيلياء العهد ونصُّه كما جاء في تاريخ الطَّبري[1]:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطىٰ عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصُلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملَّتها، أن لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيِّزها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون علىٰ دينهم، ولا يُضَارَّ أحدٌ منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحدٌ من اليهود».

«وعلىٰ أهل إيلياء أن يدفعوا الجزية وأن يخرجوا منها الروم واللصوص، ومن أراد من أهلها الخروج مع الروم فله ذلك وهو آمن علىٰ نفسه وماله حتىٰ يبلغ مأمنه، وكذلك أهل الأرض من الفلَّاحين من شاء أقام وعليه الجزية ومن شاء سار مع الروم، ولا تؤخذ منهم الجزية إلا بعد حصاد زروعهم».

---

(١) «تاريخ الطبري» ج٣/٦٠٩.

ويقول القائد المجاهد عبد الله التل[١] أن الكتاب والعهد العمري لا يزال موجودًا في بطريركية الروم الأرثوذكس في كنيسة القيامة.

المسجد الأقصىٰ وقبَّة الصخرة في عهد عمر ثم في عهد عبد الملك بن مروان

لما دخل عمر رضي الله عنه بيت المقدس سأل عن مكان المسجد فوجد فيه قُمامة فأخذ ينظِّفه بنفسه، فاقتدىٰ به القادة والجُند، وقد روىٰ الإمام أحمد في مسنده[٢]: «أن عمر بن الخطاب سأل كعب الأحبار أين ترىٰ أن أصلي؟ فقال كعب: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة، فكانت القدس كلها بين يديك، فقال عمر: ضاهيت اليهود!! لا، ولكن أصلي حيث صلَّىٰ رسول الله ﷺ، فتقدَّم إلىٰ القبلة فصلَّىٰ، ثم جاء فبسط رداءه، فكنس الكناسة في ردائه وكنس الناس».

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» هذا إسناد جيِّد اختاره الحافظ ضياءُ الدين المقدسي في كتابه «المستخرج».

وذكر القصَّة ذاتها شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموعة الرسائل الكُبرىٰ[٣]، وفيه أن عمر قال لكعب الأحبار: يا ابن اليهوديَّة!! خالَطَتْك اليهودية، وبنىٰ عمر مسجده أمام الصخرة عكس نصيحة كعب، قال

(١) عبد الله التل: «خطر اليهودية العالمية علىٰ الإسلام والمسيحية»، ص١٣٠.

(٢) مسند الإمام أحمد، ج١/٣٨ نقلاً عن محمد حسن شُراب، «بيت المقدس والمسجد الأقصىٰ»، ص٣٣٩.

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية، «الرسائل الكبرىٰ» ج٢/٥٧.

مصطفىٰ الدبَّاغ[١] أن عمر بنىٰ مسجده من الخشب، وأنه كان يتَّسع لحوالي ثلاثة آلاف من المصلِّين، بناه في السنة الثامنة عشرة من الهجرة بسيطًا من الخشب، ثم وسَّعه معاوية، ثم بناه بعد ذلك عبد الملك وابنه الوليد، وذكر ابن تيمية أن عمر رضي الله عنه لم يصلِّ عند الصخرة، ولا الصحابة، ولا كان عليها علىٰ عهد الخلفاء الراشدين قُبَّة، بل كانت مكشوفة حتىٰ جاء عبد الملك بن مروان فبنىٰ القبَّة عليها وكساها في الشتاء والصيف ليرغِّب الناس في زيارة بيت المقدس، وذكر ذلك ابن كثير نقلاً عن سبط ابن الجوزي في كتابه «مرآة الزمان» كما سبقهم في ذلك اليعقوبي المتوفىٰ سنة ٢٩٢هـ، وقد ذكر اليعقوبي أن عبد الملك بن مروان هو الذي بنىٰ قبة الصخرة أيام فتنة عبد الله بن الزبير، وأراد عبد الملك أن يصرف أهل الشام عن الذَّهاب إلىٰ مكة في وقت استيلاء ابن الزبير عليها لئلا يأخذ منهم البيعة، وجاء في تاريخ اليعقوبي ما نصُّه:

«ومنع عبد الملك أهل الشام من الحجِّ، وذلك أنَّ ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجُّوا بالبيعة، فلما رأىٰ عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلىٰ مكة، فضجَّ الناس وقالوا: تمنعنا من حجِّ بيت الله الحرام وهو فرضٌ علينا؟ فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدِّثكم أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تُشدُّ الرِّحالُ إلا لثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصىٰ»** وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام، وهذه الصخرة التي يُروىٰ أن رسول الله ﷺ وضع قدمه عليها لمَّا صعد إلىٰ السماء تقوم لكم مقام الكعبة، فبنىٰ علىٰ الصخرة قُبَّةً، وعلَّق عليها ستور الدِّيباج»[٢].

---

(١) مصطفىٰ الدباغ، «القدس» ج١/٩٤.

(٢) «تاريخ اليعقوبي» ج٢/٣١١.

وقد أنكر الأستاذ محمد حسن شُرَّاب في كتابه «بيت المقدس والمسجد الأقصىٰ» هذه القصَّة، واتَّهم اليعقوبي بالكذب، واتَّهم الإمام الثبت ابن تيمية بالغفلة والسَّذاجة بل والبلاهة لأنه صدَّق اليعقوبي وأضرابه من المؤرِّخين، وقال: «إن كلام ابن تيمية ينقض بعضه بعضًا في هذا السبيل، لأنه جعل المكان الذي صلَّىٰ فيه عمر أفضل مكان في المسجد الأقصىٰ، فإن كان عبد الملك يريد الترغيب في شدِّ الرحال إلىٰ بيت المقدس، فإنه يتحرَّىٰ المكان الذي صلَّىٰ فيه عمر، وبخاصَّة أن الصخرة لم يَرِدْ شيءٌ في فضلها، ولم يثبت أن رسول الله عرجَ إلىٰ السماء منها».

ويقول: «فابن تيمية رحمه الله مع سَعَةِ علمه، فإنه يقع في أحابيل المؤرِّخين الكذَّابين، وقد ذكَرْنا في مكانٍ سابقٍ أن الذي بنىٰ منشآت المسجد الأقصىٰ هو الوليد بن عبد الملك، وإذا صحَّ لعبد الملك مشاركة، فإنه يكون قد فكَّر في البناء أو بدأ به ثم أكمله الوليد بن عبد الملك»[1].

وهذه جُرأَةٌ من الأستاذ محمد حسن شُرَّاب، وابن تيمية ثبت ومحقِّق، والذي وقع في التناقض هو الأستاذ شراب، فهو ينفي حينًا أن عبد الملك بنىٰ المسجد الأقصىٰ وقبة الصخرة، ويقِرُّ حينًا بذلك إلا أن ابنه الوليد هو الذي أكمل البناء ووسَّعه وجمَّله، وهذا مما لا خلاف فيه، فالذي بدأ البناء للمسجد الأقصىٰ وقبَّة الصخرة هو عبد الملك بن مروان.

ومن أهمِّ دوافعه في ذلك ـ كما قال ابن تيمية ـ: «صرف الناس عن عبد الله بن الزبير ومبايعته»، وهو المستولي علىٰ مكة آنذاك، وقد بايعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان، ولم يبق لعبد الملك إلا الشام

(١) محمد حسن شراب، «بيت المقدس والمسجد الأقصىٰ» دار القلم، ص٣٤١.

ومصر، فهو لا شكَّ حريص علىٰ أن لا يفقد من جند الشام أحدًا بذهابهم إلىٰ مكة والتحاقهم بابن الزبير، ثم استطاع عبد الملك أن يستولي علىٰ العراق بالحجاج السفَّاك السفَّاح، وقام الحجاج بأمر عبد الملك بمحاصرة مكة والهجوم عليها وإحراق الكعبة ورميها بالمنجنيق وفعل الأفاعيل، تتمة لما فعله عبيد الله بن زياد في كربلاء وقوادُ يزيد في المدينة التي استباحها ثلاثة أيام، وقتل فيها النساء والأطفال وتمَّ اغتصاب الآلاف من بنات الأنصار وأهل الإسلام، فأي تاريخ أشدّ سوادًا من تاريخ هؤلاء الظلمة الفسقة من بني أمية؟ وقد ذكر الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» دور مروان بن الحكم في الفتنة الكبرىٰ وأنه هو الذي قتل طلحة رضوان الله عليه، رماه بسهم عندما رآه يتقاعس عن قتال الإمام علي ويرغب في الصلح.

وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» عن يزيد أنه كان ناصبيًا فظًّا غليظًا جلفًا يتناول المسكر ويفعل المنكر.. افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين، واختتمها بواقعة الحرَّة فمقته الناس ولم يُبارك في عمره[١].

كما ذكر الإمام الذهبي أن معاوية أراد إقالة المغيرة بن شعبة عن حكم العراق فأشار المغيرة علىٰ معاوية ببيعة يزيد ففعل فقال المغيرة: «وضعتُ رجل معاوية في غرز غيٍّ لا يزال فيه إلىٰ يوم القيامة».

وذكر أن يزيد سكر فقام يرقص فسقط علىٰ رأسه فانشقَّ وبدا دماغه، وروي عن نوفل بن الفرات قال: «كنت عند عمر بن عبد العزيز فقال

(١) الإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، «سير أعلام النبلاء» مؤسسة الرسالة، ج٤/٣٥ - ٤٠.

رجل: أمير المؤمنين يزيد» فأمر عمر بضربه عشرين سوطًا استنكارًا لقوله أمير المؤمنين يزيد.

وترجم الإمام الذهبي لعبد الملك بن مروان فقال أنه كان يُعدُّ من فقهاء المدينة قبل تولِّيه الخلافة، فلمَّا تولَّىٰ الخلافة والمصحف بين يديه فأطبقه وقال: هذا آخر العهد بك، وقال: إن عبد الملك جلس في مؤخرة المسجد في دمشق وبجواره أم الدرداء رضي الله عنها، فقالت: بلغني أنك شربت الطلاء (أي الخمر) بعد النسك والعبادة، فقال: أي والله، والدماء!! قال الذهبي عنه: كان من رجال الدهر ودُهاة الرجال، وكان الحجاج من ذنوبه.

ويبدو أن عبد الملك بن مروان هو الذي ابتدأ بناء قبة الصخرة ومشروع المسجد الأقصىٰ وأن الذي أتمَّه ابنه الوليد، فقد ذكر كثير من أهل التاريخ ذلك مثل الإمام الطبري وابن الأثير وابن عساكر وابن كثير.

ونقل الأستاذ محمد حسن شراب[1] عن كاتب معاصر لم يُسمِّه وإنما قال صاحب كتاب «خلافة بني أمية» اكتشاف بردية أفروديتو، وهي عبارة عن رسالة أرسلها قرَّة بن شريك ـ والي مصر في عهد الوليد بن عبد الملك ـ إلىٰ أحد حُكَّام الصعيد في مصر يأمره أن يدفع أجور بعض العمال من منطقته الذين ساهموا في بناء المسجد الأقصىٰ، وينقل عنه أن جورج مارسيه ذكر أن بعض النحَّاتين الأقباط ساهموا في زخرفة وتزيين بعض ألواح هذا المسجد.

وهذا كله لا ينفي أن عبد الملك بن مروان هو الذي بدأ بناء

(١) محمد حسن شراب، «بيت المقدس والمسجد الأقصىٰ» ص٣٢٦.

المسجد الأقصىٰ والقبة علىٰ الصخرة وأن ابنه الوليد هو الذي وسَّع البناء وزيَّنه وأكمله، فمسجد الرسول ﷺ بناه المصطفىٰ ﷺ ثم وسَّعه عمر، وعندما زاد عثمان في المسجد النبوي بنىٰ جداره بالحجارة المنقوشة والقصَّة، وجعل عُمُدَهُ من حجارة منقوشة، وسقفه من الساج، وكرِه كثير من الصحابة ما صنعه عثمان كما يقول البخاري، ثم زاد فيه الوليد بن عبد الملك زيادة كبيرة وأدخل الحجرة النبوية فيه، وكان واليه علىٰ المدينة عمر بن عبد العزيز، ولا تزال الزيادة في المسجد النبوي وغيره من المساجد إلىٰ يومنا هذا، وآخرها زيادة خادم الحرمين الشريفين[١] التي ضاعفت ساحته مرات عديدة.

ويتألف الحرم الشريف القدسي من مسجد الصخرة (القبة) والمسجد الأقصىٰ وما بينهما من الباحات حتىٰ الأسوار، وتبلغ مساحته كما يقول الدباغ في كتابه «القدس» ١٤٠٩٠٠ متر مربع.

وأما مسجد عمر فيطلق علىٰ ثلاثة أماكن كما يقول الأستاذ محمد حسن شراب[٢]: الأول: جامع عمر الذي وضعه عند الفتح، وقد دخل في بناء المسجد الأقصىٰ الذي وسّعه وزيَّنه الوليد بن عبد الملك، والثاني: مسجد قريب من السور الشرقي للمسجد الأقصىٰ وهو بناء متأخر، والثالث: المسجد العمري الواقع جنوب ساحة القيامة، والذي بُني في زمن الملك الأفضل علي بن صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٩هـ، وبه منارة استجدت قبل سنة ٨٧٠هـ.

---

(١) خادم الحرمين الشريفين هو لقب الملك فهد بن عبد العزيز الذي وسع الحرمين الشريفين أعظم توسعة في التاريخ إلىٰ يومنا هذا، فجزاه الله علىٰ عنايته بالحرمين خير الجزاء.

(٢) محمد حسن شراب «بيت المقدس والمسجد الأقصىٰ» ص٣٢٦.

وقد سبق أن أشرنا إلىٰ القصة المشهورة وهو أن الصلاة أدركتْ عمر ﷺ وهو في داخل كنيسة القيامة، فقال له البطريرك صفرونيوس: صلي هاهنا، ولكن عمر أبىٰ، خوفًا من أن يأتي المسلمون بعده فيحوِّلونها إلىٰ مسجد، ويقولون عمر صلىٰ هاهنا فينتزعونها من النصارىٰ.. فخرج عمر من الكنيسة وابتعد عنها رمية حجر وصلىٰ هنالك، ثم أقيم المسجد مكان مصلَّاه، وقد أجمعت المصادر المسيحية كما يقول عبد الله التل في كتابه «خطر اليهودية العالمية علىٰ الإسلام والمسيحية» علىٰ هذه القصة.. وهي تدل دلالة عظيمة علىٰ سماحة الإسلام مع الأديان الأخرىٰ وخاصة المسيحية.

والخلاصة أن الذي ابتدأ بناء قبة الصخرة والمسجد الأقصىٰ هو عبد الملك بن مروان، وأن الذي وسَّع البناء ووضعه في أجمل صورة ابنه الوليد بن عبد الملك، ذكر ذلك عددٌ كبيرٌ من المؤرِّخين منهم اليعقوبي في تاريخه وسبط ابن الجوزي في كتابه «مرآة الزمان» وابن كثير في «البداية والنهاية» ومجير الدين الحنبلي، والإمام ابن تيمية، وذكر محمد كرد علي في كتابه «خطط الشام»[١] أن كتابةً علىٰ المدخل الجنوبي لقُبة الصخرة تؤكد أن عبد الملك بن مروان هو الذي بنىٰ القبة علىٰ الصخرة، ونَصُّ ما هو مكتوب: «بنىٰ هذه القبة عبد الملك.. أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه».

وقد ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» أن البناء تهدَّم بسبب زلزال في أيام المنصور العباسي، فجدَّده وكتب علىٰ القبة مما يلي الباب القِبلي:

(١) محمد كرد علي «خطط الشام» ج٥/٢٥١.

«أمر ببنائه بعد تشعيثه أمير المؤمنين سنة اثنتين وستين من الهجرة النبوية» وهو أمر يؤكد أن عبد الملك بن مروان هو الذي بنىٰ القبة لأول مرة، والمتوقع أن المنصور العباسي وهو عدو بني أمية الأول أن لا ينسب الفضل لهم، ولكن بما أن ذلك قد شاع وعُرف فلهم يكن منه إلا الإقرار بذلك، وعلىٰ هذا القول كثيرٌ من المؤرخين القُدامىٰ منهم البشاري والسيوطي، ومن المحدثين محمد كرد علي في كتابه «خطط الشام» ومصطفىٰ الدباغ في كتابه «القدس» و«الموسوعة الفلسطينية»، و«مجموعة بحوث الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافي»، المنعقدة بالرباط ٣ ـ ١٤١٤/٥/٥ الموافق ١٩ ـ ١٩٩٣/١١/٢١ بإشراف الإيسيسكو (المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة).

القدس في العهد الأموي

لقيت القدس اهتمامًا كبيرًا من خلفاء بني أمية، وقد قام معاوية بن أبي سفيان ببناء مسجد علىٰ ساحة الحرم القدسي قبل سنة ٥٠هـ/٦٧٠م، فقد جاء في الموسوعة الفلسطينية مادة جوامع، عن شاهد عيان زار القدس سنة ٦٧٠م، فقال: «إن المسجد كان مبنيًّا من ألواح الخشب وجذوع الأشجار، وكان بناؤه بسيطًا ومربع الشكل، ويتسع لثلاثة آلافٍ من المصلين».

ثم جاء عبد الملك بن مروان فبنىٰ المسجد وقبة الصخرة كما أسلفنا وأتمَّ ذلك البناء سنة ٧٢هـ، ثم جاء بعده ابنه الوليد بن عبد الملك، وكان عهده عهد رخاء وفتوحات واسعة، فاهتم ببناء المساجد وزخرفتها كما اهتمَّ ببناء القصور الفخمة، وهو الذي بنىٰ مسجد دمشق والمسجد الأقصىٰ

والقبة علىٰ الصخرة، ووسع ما فعله والده توسعة كبيرة كما وسع بناء المسجد النبوي وزاد فيه وأدخل الحجرة الشريفة فيه وتفنن في الزخارف.

وقال مجير الدين الحنبلي العلمي المقدسي في كتابه «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» أن الوليد بن عبد الملك رصدَ خراج مصر لسبع سنين لبناء المسجد الأقصىٰ وقبة الصخرة، وجعل علىٰ قبة الصخرة صفائح الذهب، وصرف الأموال الضخمة بعد البناء وتمام التشييد للقناديل والبخور والطيب والخدم، فكان في غاية الروعة والجمال والجلال، وقال ابن عساكر أن للمسجد الأقصىٰ خمسون بابًا، وفيه من الخشب ستة آلاف خشبة، ومن العُمُدِ ستمائة عمود رخام، وفيه خمسة آلاف قنديل ويسرج مع القناديل ألفا شمعة كل ليلة جمعة وكل ليالي رمضان وأيام العيد وغيرها من الأيام المباركة، وعلىٰ سطح المسجد سبعة آلاف وسبعمائة شقفة من الرصاص وزن كل واحدةٍ منها سبعون رطلاً شاميًّا، وقد تمَّ ذلك العمل الجبَّار سنة ٩٢هـ.

ولما ولي سليمان بن عبد الملك الخلافة بعد أخيه الوليد سنة ٩٦هـ أتىٰ بيت المقدس وهمَّ بالإقامة فيه وترك دمشق، ولكن المستشارين نصحوه بالعودة إلىٰ دمشق، وكان سليمان ذا دين محافظًا علىٰ الصلوات، وقد نقم علىٰ الحجاج، ومات الحجاج قبل توليه الخلافة، فنكَّل بأصحابه، وقال عنه ابن سيرين: «يرحم الله سليمان بن عبد الملك: افتتح خلافته بخير فصلىٰ الصلوات لمواقيتها، وختمها بخير فاستخلف عمر بن عبد العزيز» وكانت وفاته سنة ٩٩هـ وله ٤٥ سنة.

وقد دخل بيت المقدس عدد من الصحابة منهم عمر بن الخطاب

وقادة الجيوش أبو عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص ومعاذ بن جبل وعدد غفير من الصحابة، ثم دخله بعد ذلك عبادة بن الصامت وكان أول قاضٍ فيه، وسكن بيت المقدس ودُفن فيه سنة ٣٤هـ في العهد الراشدي، ودخله أيضًا عياض بن غَنْم الفهري وبنىٰ فيه حمامًا، وتميم الداري وهو من أهل فلسطين وقد أقطعه الرسول ﷺ ديار الخليل، وتوفي سنة ٤٠هـ، وشداد بن أوس وقد روىٰ عن الرسول ﷺ قوله: «**ألا إن الشام ستفتح وبيت المقدس سيفتح**» ومات ودفن بالقدس في مقبرة باب الرحمة.

وتوفي واثلة بن الأسقع في بيت المقدس سنة ٨٥هـ، وسلامة بن قصر كان إمام المسلمين في الصلاة في بيت المقدس بعد الفتح، وولَّاه معاوية علىٰ بيت المقدس.

وقيل أن آخر من مات من الصحابة في بيت المقدس عبد الله بن عمرو بن قيس الأنصاري (أبو أُبيٍّ) وهو ابن امرأة عبادة بن الصامت أم حرام بنت ملحان وأخت أم سُليم رضي الله عن الجميع.

وحدث زلزال شديد في أواخر العهد الأموي سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م، وسقط بسببه شرقي المسجد وغربيه ونتيجة اضطراب أمر الدولة لم يتم إصلاحه.

القدس في العهد العباسي الأول

ولما زار الخليفة أبو جعفر المنصور القدس سنة ١٤١هـ/٧٥٧م طلب منه الأهالي أن يصلح المسجد، فأمر المنصور بقلع الصفائح الذهبية والفضية التي كانت علىٰ أبواب المسجد وضربت نقودًا، فبنىٰ بها المسجد وأصلح ما

خَرِبَ منه، وفي سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م حدث زلزال آخر وهدم أجزاء من المسجد فأمر المهدي بن المنصور بإعادة بنائه وأنفق عليه أموالاً كثيرة.

وحصلت زلزلة ثالثة فأمر المأمون سنة ٢١٦هـ بإصلاح ما تهدَّم وزار المسجد الأقصىٰ سنة ٢١٥هـ وقيل سنة ٢١٦هـ وأصلح القبة وكتب البناؤون اسم المأمون، ولكنهم لم يغيروا السنة بل تركوها كما كانت منذ أيام عبد الملك، وقد نقل مصطفىٰ الدباغ في كتابه «القدس» ومحمد كرد علي في كتابه «خطط الشام» نص هذه الكتابة الموجودة علىٰ القبة وهي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، محمد رسول الله، بنىٰ هذه القبة المباركة عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه ورضي الله عنه آمين». وهذا دليل إضافي علىٰ أن باني قبة الصخرة لأول مرة هو عبد الملك بن مروان حيث بناها سنة ٧٢هـ.

القدس بعد ضعف الدولة العباسية وفي العهد الفاطمي

وعندما ضعفت الدولة العباسية ببغداد حكم أحمد بن طولون مصر واستقلَّ بها، ثم وسَّع حكمه إلىٰ فلسطين، ودخلت القدس في حوزة الطولونيين (٢٦٥ ـ ٢٩٢هـ) وتلاهم في حكم مصر والشام الأخشيديون (٣٢٧ ـ ٣٥٩هـ) وكانت القدس في حوزتهم، وأوصىٰ جميع ملوك الإخشيد بأن يدفنوا في بيت المقدس.

وفي سنة ٣٥٩هـ استولىٰ الفاطميون علىٰ الشام بأكمله بعد أن وطَّدوا ملكهم في مصر، ودخلت القدس في حوزتهم وأبدوا اهتمامًا كبيرًا بالمسجد الأقصىٰ وقبة الصخرة والعناية بهما.

وفي عام ٤٠٧هـ حدث زلزال شديد، فسقطت قبة الصخرة، فأعاد بناءها الظاهر الفاطمي سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م، وفي عام ٤٢٥هـ حدث زلزال آخر شديد وضرب المسجد الأقصىٰ، فعمره الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله، وضيَّقه من الغرب والشرق بحذفِ أورقة من كل جانب، وزيد في زمن الفاطميين جامع النساء الملحق بالمسجد الأقصىٰ، وتقول الموسوعة الفلسطينية أن القسم الأعظم من هيئة المسجد الأقصىٰ المشاهد اليوم هو من عمل الخليفة الفاطمي الظاهر[١].

وقد وصف الرحالة ناصر خسرو في كتابه «سفر نامه» دخوله بيت المقدس وصفة المسجد الأقصىٰ حين زاره سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٧م في العهد الفاطمي بعد أن أعاد بناءه الخليفة الظاهر بعد الزلزال الكبير سنة ٤٢٥هـ.

وذكر ناصر خسرو أن طول المسجد ٧٥٤ ذراعًا وعرضه ٤٥٥ ذراعًا، وأن حجارة المسجد مغطَّاةٌ بحجارة موثوقة إلىٰ بعضها بالرصاص، وإذا دخله المرء من جهة السوق وهو متَّجهٌ شرقًا رأىٰ رواقًا جميلاً ارتفاعه ٣٠ ذراعًا وعرضه ٢٠ ذراعًا، وللرواق جناحان وإيوانه منقوش بالفسيفساء بصورة تبهر النظر، وعليها كتابة بالمينا وعليه اسم السلطان الفاطمي الظاهر، وحين تقع الشمس علىٰ هذه النقوش يكون لها من الشعاع ما يحيِّر الألباب، وفوق الرواق قبَّة كبيرة من الحجر المصقول، وله بابان مزخرفان من النحاس وطُعِّما بالذهب والنقوش الكثيرة، وطول كلٍّ منهما ١٥ ذراعًا، وعرض ثمان أذرع، ويسمَّيان باب داود».

وفصَّل في وصف المسجد الأقصىٰ والقبة تفصيلاً دقيقًا رائعًا، مما

(١) «الموسوعة الفلسطينية» ج٣/٥٣٤.

يعتبر وثيقة هامَّة في وصف المسجد الأقصىٰ وقبة الصخرة ومسجد عمر وكل آثار القدس الهامة، وقد أوردها كاملة الأستاذ محمد حسن شراب في كتابه القيم «بيت المقدس والمسجد الأقصىٰ» (ص٣٩٦ ـ ٤٠٧) فمن أراد التفصيل فليرجع إليه.

واستطاع السلاجقة أن يعيدوا القدس والشام بصورة عامة لحظيرة الدولة العباسية وذلك سنة ٤٦٣هـ، وعادت الخطبة للخليفة العباسي، ولكن الحروب والقلاقل كانت مستمِرَّة، وعاد الفاطميُّون واستولوا علىٰ القدس سنة ٤٨٩ (١٠٩٦م) في عهد الخليفة الفاطمي المستعلي، وبقيت القدس تحت إمرة افتخار الدولة لمدة ثلاث سنوات عندما نزعها الصليبيون عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م.

الصليبيون والقدس

لقد كانت الدولة الإسلامية تعاني من التمزُّق والضعف والخلافات المتتالية، وكانت أرض الشام قد تحوَّلت إلىٰ دويلاتٍ صغيرة يحارب بعضها بعضًا، حتىٰ أدَّىٰ ذلك إلىٰ ضعفِ كلِّ جانب، وإلىٰ استعانتهم بالقوات الصليبية الغازية، وضعف السلاجقة، وكان يستبدُّ بالأمر في كل مدينة وناحية ما يسمىٰ الآتابك(١).

---

(١) الأتابك: لقب تركي، ومعناه الأب الوصي، وهو شخص يكون وصيًّا ومُشرفًا علىٰ طفل يتولىٰ الحكم بعد أبيه ويستبِدُّ هذا الأتابك بالأمر وهكذا دواليك، وأصبح لفظ الأتابك يطلق علىٰ القادة العسكريين، وكل واحدٍ منهم يتولىٰ إمرة قلعة أو مدينة فيملكها ويرهق أهلها بالمكوس، وقد يلقب نفسه بلقب الملك إذا توسع واحتلَّ عدة قلاعٍ أو مدن.

وكان كل أمير أو حاكم لمنطقة من المناطق يدكُّ حصون خصمه بالمنجنيق في الوقت الذي يواجه فيه الخصم الهجوم الصليبي، وهكذا تكوَّنت ثلاث إمارات صليبية في الشام في وقت واحدٍ تقريبًا، فقد ظهرت إمارتا الرها وأنطاكية عام ٤٩١هـ/١٠٩٨م، وتكوَّنت مملكة أورشليم (القدس) عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م بعد أن استولوا عليها.

تحركت الحملة الصليبية الأولىٰ سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م مؤلفة من ١٩ جنسية أوروبية ضمت ٧٠ ألف مقاتل، وكان بينها كما يقول ادوارد جيبون: «أحطُّ الطبقات وأجهلها» وبعد حصار أنطاكية تمكَّن المغيرون من الاستيلاء عليها فقتلوا الرجال والنساء والأطفال، وذلك سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م، وفي عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م استولوا علىٰ القدس.

يقول رينسمان كما ينقله جوستاف لوبون في «حضارة العرب» ص٣٢٦: «انطلق الصليبيون في شوارع المدينة وإلىٰ الدور والمساجد يقتلون كل من يصادفهم من الرجال والنساء والأطفال دون تمييز، واستمرَّت المذبحة طوال الليل، ولم يكن عَلَم تانكرد (القائد الصليبي) عاصمًا للاجئين إلىٰ المسجد الأقصىٰ من القتل، ففي الصباح الباكر من اليوم التالي (١٥ تموز/ يوليه) ١٠٩٩ الموافق ٢٣ شعبان ٤٩٢هـ، اقتحم المسجد ثلة من الصليبيين فأجهزوا علىٰ جميع اللاجئين وقتلوهم عن بكرة أبيهم، وقد قُدِّر عددهم بسبعين ألفًا.. وحينما توجَّه ريموند أجيل في الضحىٰ لزيادة ساحة المعبد أخذ يتلمس طريقه بين الجثث والدماء التي بلغت ركبتيه.

ويقول الدكتور جوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب» معلِّقًا

علىٰ ذلك: «وكان سلوك الصليبيين غير سلوك الخليفة الكريم عمر بن الخطاب نحو النصارىٰ، قال كاهن مدينة لوبري: عندما استولىٰ قومنا علىٰ أسوار القدس وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم، فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم، وبقرت بطون بعضهم فكانوا يضطرون إلىٰ القذف بأنفسهم علىٰ الأسوار، وحُرق بعضهم في النار فكان يموت بعد ذلك بعذاب طويل، وكان لا يُرىٰ في شوارع القدس وميادينها سوىٰ أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجهم، فلا يمرُّ المرء إلَّا علىٰ جثث قتلاهم، ولكن هذا لم يكن سوىٰ بعض ما نالوا منهم».

ولم يكتف الفرسان الصليبيون بذلك، وإنما عقدوا مؤتمرًا أجمعوا فيه علىٰ إبادة من بقي من سُكَّان القدس، وكان عددهم ستُّون ألفًا، فأفنوهم عن بكرة أبيهم في ثمانية أيام لم يستثنوا منهم امرأة ولا طفلاً ولا شيخًا.

وفي ٢٢ تموز (يوليه) ١٠٩٩م، أمَّروا عليهم «جودفري دو بويون» الذي سمىٰ نفسه حامي القبر المقدسي، وعندما مات سنة ١١٠٠ اختير أخوه بلدوين الذي توج ملكًا للقدس (أورشليم).

ابن الأثير يصف وضع القدس

وقد ذكر ابن الأثير وغيره الوضع في القدس قبل سقوطها بيد الصليبيين، فقال أنها كانت بين تاجِ الدولة تتش السلجوقي الذي أقطعها لأحدِ قُوَّاده وهو الأمير سقمان بن أرتق التركماني، وقد استولىٰ الفرنجة علىٰ أنطاكية من الأتراك السلاجقة عام ٤٨٩هـ/١٠٩٦، وأدىٰ ذلك إلىٰ

ضعفهم، فلما رأىٰ المصريون (الفاطميون) ذلك الوضع هاجم القدس أمير الجيوش الأفضل بن بدر الجمالي وحاصرها فاستسلم الأتراك سقمان وإيلغازي ومن معهما، فأحسن إليهما الأفضل وأجزل لهما العطاء وسيَّرهما إلىٰ دمشق، وانتقل أمير الجيوش إلىٰ دمشق وترك علىٰ القدس رجلاً يعرف بافتخار الدولة، واهتبل الصليبيون الفرصة بعد أن فشلوا في الاستيلاء علىٰ عكَّا وهجموا علىٰ القدس بعد ذهاب معظم الجيش الفاطمي، وحاصروها نيِّفًا وأربعين يومًا، وقاومت المدينة الباسلة، ولكنها سقطت من جانبها الشمالي يوم الجمعة ٢٣ شعبان ٤٩٢هـ (١٠٩٩م)، وركب الناسَ السيفُ ولبث الفرنج في البلدة أسبوعًا يقتلون المسلمين، واحتمىٰ جماعة بحراب داود في سور مدينة القدس فقاتلوا لمدة ثلاثة أيام ثم بذل الإفرنج الأمان، فلما استسلموا قتلوهم عن بكرة أبيهم، وكذلك فعلوا بكل من التجأ إلىٰ المسجد الأقصىٰ حيث قتلوا أكثر من سبعين ألف شخص حتىٰ وصل الدم إلىٰ الركب.. فكانت من أبشع المذابح في التاريخ.

ورغم وصول الصارخ إلىٰ الخليفة العباسي في بغداد والخليفة الفاطمي في مصر إلا أن أحدًا منهما لم يستطع أن ينقذ القدس وأهلها، فقد كانوا في حال من الضعف والانشقاق يشبه ما نحن عليه اليوم، واكتفوا بالمناحات والبكاء والعويل وتبارىٰ الشعراء في وصف تلك الفاجعة، تمامًا مثلما نفعل اليوم بفواجعنا في القدس وفلسطين كلها.

وقام الصليبيون بمذابحهم الرهيبة وأخذوا الكنوز والخزائن وكل حلية المسجد الأقصىٰ وقبة الصخرة من الذهب والفضة والقناديل وغنموا كما يقول ابن الأثير في الكامل ما لا يقع عليه الإحصاء.

ولم يراعِ الصليبيون حرمة المسجد الأقصىٰ كما راعىٰ المسلمون حرمة الكنائس، بل غيَّروا معالم المسجد الأقصىٰ فاتَّخذوا جانبًا منه كنيسة، وجانبًا آخر مسكنًا لفرسان الاسبتارية، وحوَّلوا قبة الصخرة إلىٰ كنيسة، وبنوا مستودعًا لأسلحتهم في الأروقة الغربية المعمَّدة، وبنوا إسطبلات خيولهم في الزاوية الجنوبية الشرقية للحرم القدسي، وهكذا غيروا معالم الحرم القدسي والمسجد الأقصىٰ، وأما قبة الصخرة فقد وضعوا فيها الصور والتماثيل والصلبان وأنشؤوا علىٰ الصخرة مذبحًا كما أنشؤوا سياجًا من حديد مشبك علىٰ الصخرة، ونصبوا فوق القبة صليبًا كبيرًا، وظل الأمر علىٰ ذلك حتىٰ طهَّرها صلاح الدين الأيوبي من رجسهم بعد ٩٠ عامًا من احتلالهم.

استرداد القدس وتطهيرها من الصليبيين

بدأت بوادر الصحوة الإسلامية بظهور مصلحين اجتماعيين ودينيين يدعون لعودة المسلمين إلىٰ منابع دينهم والالتزام بشريعتهم، وكان من هؤلاء الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، والإمام عبد القادر الجيلاني.. وكان لدعوتهم أثرٌ كبيرٌ في توبة الآلاف بل مئات الآلاف من المسلمين من العامة والقادة والعودة إلىٰ طريق الجادَّة والتزام آداب الدين وتعاليم الشريعة.

وقيَّضَ الله أحدَ الأتابكة ويُدعىٰ زنكي بن آمن سنقر، تولىٰ أتابكية الموصل سنة ٥٢١هـ، وكان شهمًا شجاعًا يتطلعُ إلىٰ توحيد الإمارات الصغيرة الممزَّقة في الشام والعراق تحت قيادته، واستطاع أن يضم إلىٰ

إمارة الموصل حلب وحماة حمص، واستطاع أن يستردَّ الرها من الصليبيين سنة ٥٣٩هـ/١١٤٥م، وهي أول هزيمة لهم، واغتيل وهو يحاصر قلعة جعبر سنة ٥٤١هـ/١١٤٧م.

واستطاع نور الدين بن زنكي أن يوطِّد ما ورثه من أبيه، وكان شهمًا شجاعًا عابدًا زاهدًا فأحبَّته الرعية والجند، وكان كل همِّه أن يطرد الصليبيين من القدس ومن كل أرض المسلمين، ومع ذلك فقد كاد شهمًا لدرجة يستغربها الإنسان، فقد مات بولدوين الثالث سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦٢م، ملك أورشليم، وكانوا منشغلين بوفاته، فحثَّ بعض القوَّاد نور الدين علىٰ مباغتة الفرنجة، ولكن نور الدين رأىٰ أن ذلك ليس من الشهامة في شيء، ولا يليق به أن يباغت أعداءه وهم في حزنهم وانشغالهم بوفاة ملكهم!!

ولكن عموري الأول الذي تولىٰ بعد وفاة أخيه بولدوين أغار علىٰ مصر حينما رأىٰ ضعف الدولة الفاطمية، واضطر الخليفة الفاطمي أن يستنجد بنور الدين زنكي الذي أرسل له حملة بقيادة أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين، فتوجس وزير الخليفة الفاطمي من ذلك شرًّا ورأىٰ أن جند الشام سيطمعون في مصر ويمتلكونها ويزيلون الخلافة الفاطمية، فنصح الخليفة بأن يهادن الصليبيين وأن يبعد جنود الشام عن مصر، ولكن الخليفة الفاطمي قال كلمة تبقىٰ له أبد الدهر: إن كان مُلكي سيذهب ومصر ستسقط فإنني سأموت قرير العين إذا ذهب ملكي إلىٰ يد مسلم بدلاً من أن يذهب ليد كافرٍ صليبي حاقد.

وقد استطاع أسد الدين شيركوه وصلاح الدين أن يفك الحصار والهجوم الصليبي علىٰ مصر، واضطر عموري أن يرجع بقواته إلىٰ فلسطين.

وكان نور الدين زنكي يعد العُدَّة لتطهير القدس من الصليبيين حتىٰ أنه أمر الصنَّاع المهرة بصنع منبر للمسجد الأقصىٰ، ولكن نور الدين استشهد عام ٥٦٩هـ/١١٧٤ واستطاع صلاح الدين بعد عودة عمِّه أسد الدين شيركوه أن يضبط الأمور في مصر، وكسب ودَّ الرعية والأمة بعد أن خلَّصهم من الهجوم الصليبي الذي كان يتهدَّدُهم، كما كسب ثقة رجال الدولة الفاطمية وكتابها ومن ضمنهم القاضي الفاضل الذي أصبح فيما بعد رجل صلاح الدين الأول ووزيره ومستشاره وكاتبه.

ولم يستعجل صلاح الدين الأمور بل رتَّبها بحكمة وأبقىٰ علىٰ الخليفة الفاطمي الضعيف حتىٰ مات، فلما لم يكن له وريث سوىٰ طفلٍ صغيرٍ قام صلاح الدين بعزل هذا الطفل وأنهىٰ بذلك الخلافة الفاطمية التي حكمت مصر والشام والحجاز واليمن ثم تقلَّص حكمها في مصر واستمرَّ لمدة ثلاثة قرونٍ تقريبًا.

وبانتهاء الدولة الفاطمية بدأت الدولة الأيوبية، وإن كان صلاح الدين قد أعلن ولاءَه الأسمىٰ للخليفة العباسي في بغداد، وقام صلاح الدين الذي اشتهر بالحكمة والصبر والصلاح بتوسيع إمارته، وضمَّ إلىٰ مصر ما كان تحت يد نور الدين زنكي من أراضي الشام، وكل ذلك استعدادًا لمنازلة الصليبيين، وبدأ بالفعل بمهاجمتهم في دير البلح وغزة وعسقلان سنة ٥٧١هـ/١١٧١م، وفي سنة ٥٧٤هـ/١١٨٠م قام الأسطول المصري بغارة موفَّقة علىٰ سفن الإفرنج في عكَّا، وتتابعت انتصارات صلاح الدين مما أجبر بلدوين الرابع ملك أورشليم، أن يطلب الهدنة لمدة سنتين ولكن دوشاتيون نقض الهدنة.

وفي عام ٥٧٦هـ/١١٨٠م غادر صلاح الدين مصر متوجِّهًا إلىٰ دمشق ليعدَّ العدة لتخليص المسجد الأقصىٰ وفلسطين من الصليبيين، وفي آخر هذا العام هاجم رينالد سايتون قافلة للحجَّاج المسلمين المتَّجهين إلىٰ مكة المكرمة من الشام رغم المعاهدة بينه وبين صلاح الدين بعدم التعرُّض للحُجَّاج، ولكن هذا الخبيث نقض العهد وقتل الحُجَّاج واستولىٰ علىٰ جميع ما معهم، فكان هذا العدوان أحد الدَّوافع الهامَّة لتعجيل الانتقام من هؤلاء المجرمين.. وسارع إلىٰ المعركة القاضية في حطين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، التي انتصر فيها انتصارًا مؤزَّرًا وباهرًا.

ابن كثير يصف معركة حطِّين

وقد وصف ابن كثير في «البداية والنهاية» هذه المعركة الفاصلة، وكان مع صلاح الدين اثنا عشر ألفًا من المقاتلة غير المتطوعة، وتجمع أُمراء الإفرنج ومعهم صليب الصلبوت في عددٍ كبيرٍ قيل أنهم خمسونَ ألفًا وقيل بل كانوا ثلاثًا وستين ألفًا، وعلىٰ رأسهم صاحب الكرك الذي قتل الحجَّاج من قبل وهم في طريقهم إلىٰ مكة من الشام، واستطاع صلاح الدين أن يفتح طبرية، وحاز البحيرة كلَّها، ومنع الله الكفرة من الوصول إليها، فصاروا في عطشٍ شديد، والتقىٰ الجيشان عند قرية حطِّين، وبدأت المعركة يوم السبت لخمسٍ بقين من ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وكانت حامية الوطيس، وأمر السلطان بالتكبير والحملة الصادقة علىٰ الفرنجة، فقتل منهم ثلاثين ألفًا وأسر ثلاثين ألفًا، وأسر ملوكهم، وأمر السلطان بقتل أرياط أمير الكرك الفاجر الذي قتل الحجَّاج الآمنين، وقتل جنوده من الداوية والاسبتارية لكثرة قتلهم من المسلمين وسبِّهم للرسول الكريم.

وبعد أن استقرَّ الأمر للسلطان زار قبر النبي شعيب الذي يقال إنه بالقرب من حطِّين، واستلم جميع أراضي الجولان والأردن وطبرية، ثم سار إلىٰ عكَّا فافتتحها صُلحًا، واستنقذَ من كان بها من الأسرىٰ المسلمين، فوجد فيها أربعة آلاف أسير.. وهكذا أُعيدت عكَّا وكثير من مدن فلسطين والشام، وأقيمت فيها جميعًا صلاة الجمعة.. ولم تكن تقام فيها منذ سبعين عامًا من حكم الصليبيين، وأخذ صيدا وبيروت، ثم رجع نحو غزة وعسقلان ونابلس وبيسان وأراضي الغور فحرَّرها جميعًا من رجس الصليبيين.

ثم سار السلطان نحو عسقلان واجتمع بأخيه العادل، فنازلوها يوم الأحد سادس عشر جمادىٰ الآخرة من سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وحاصرها وفتحها بعد أربعة عشر يومًا من الحصار والقتال.. وبعث البعوث لفتح الرملة والبلاد المجاورة مثل بيت لحم ومدينة الخليل وبيت جبرين فاستولىٰ عليها كلِّها.

واحتشد النصارىٰ في بيت المقدس مستميتين في الدفاع عنه، وملؤوا الحصون بالعتاد والسلاح والرجال، ووصل صلاح الدين إلىٰ بيت المقدس في منتصف رجب ٥٨٣هـ فوجد المدينة في غاية التحصين، فلم يجد موضعًا للقتال سوىٰ جهة باب العمود في الشمال، فانتقل إليها في العشرين من رجب، واصطلىٰ القتال بين الفريقين، ورماهم المسلمون بالمنجنيق حتىٰ اضطر النصارىٰ إلىٰ طلب الأمان وتسليم بيت المقدس، وذلك في ٢٧ رجب ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وكان يومًا مشهودًا.. وكان من شروط الأمان أن يؤخذ من الرجال عشرة دنانير ومن الطفل ديناران ومن

المرأة خمسة دنانير، وخرج البطريرك ومعه أموال هائلة فلم يتعرض له صلاح الدين ولم يأخذ منه غير عشرة دنانير، وسيَّر معه ومع رجاله من يحميهم حتىٰ يصلوا مدينة صور.

وهو أمر يوضح مدىٰ تسامح صلاح الدين، وإلا فإن معظم هذه الأموال والذهب كانت من كنوز المسجد الأقصىٰ وقبة الصخرة التي استولىٰ عليها المسيحيون الصليبيون، وكان الأجدر أخذها من هذا البطريرك ومن معه.. ويتقوىٰ بها المسلمون، لكن صلاح الدين رحمه الله فيه تسامح شديد.. وقد كان في بلاطه أكثر من اثني عشر طبيبًا من اليهود والنصارىٰ أشهرهم موسىٰ بن ميمون رئيس حاخامات الهيود، وتعاليمه يتَّبعها أحبار اليهود المتعصِّبين إلىٰ اليوم»[١]، وقد سمح صلاح الدين لهؤلاء اليهود بالسكنىٰ في القدس بتأثير موسىٰ بن ميمون عليه.. وكانوا عددًا قليلاً.

ولا شكَّ أن صلاح الدين كان مثالاً للمجاهد المسلم الزاهد الشجاع الكريم المتسامح، ولكن تسامحه مع هؤلاء اليهود والنصارىٰ كان أكثر مما يستحقُّون، فكم قتلوا من المسلمين حين دخلوا القدس سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م، وكم أبادوا وكم أهلكوا وكم دمَّروا، وقد حولوا المسجد الأقصىٰ إلىٰ إسطبلات لخيولهم، وقبة الصخرة إلىٰ كنيسة، ولم يُسمع أذان ولا جمع في كل البلاد التي استولوا عليها، بينما سمح صلاح الدين

(١) انظر ترجمة موسىٰ بن ميمون في كتابنا: «من يعقوب بن كلس وابن النغريلة إلىٰ مونيكا لوينسكي» إصدار الدار السعودية ـ جدة، وأسماء أطباء صلاح الدين من اليهود والنصارىٰ في كتابي: «مداواة الرجل للمرأة ومداواة المسلم للكافر» إصدار دار المنارة ـ جدة.

للنصارىٰ والإفرنج بزيارة كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس، ولم يأخذ من أموالها شيئًا، وترك لهم حرية العبادة كما هو مقررٌ في تعاليم الإسلام.

ورتَّب صلاح الدين الأمور في بيت المقدس، وجدد بناء الأسوار وبنىٰ عدة أبراج، وحفر خندقًا عميقًا حول المدينة، وفتح العديد من المدارس والربط، وأهمها المدرسة الصلاحية للفقهاء الشافعية ورباطًا للصوفية، وكان صلاح الدين شافعيًا صوفيًا، وأوقف عليهما الأوقاف الكبيرة.

وبقيت المدرسة الصلاحية لقرون طويلة تخرج فيها آلاف العلماء وأول من تولَّىٰ مشيختها قاضي القضاة ابن شداد، وكان من المعاصرين لصلاح الدين، ومنهم شيخ الإسلام عبد الرحمن محمد بن الحسين بن عساكر المتوفىٰ سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٤م، وشيخ الإسلام ابن الصلاح صاحب كتاب «علوم الحديث» المتوفىٰ سنة ٦٤٣هـ/١٢٤١م، وشيخ الإسلام محمد بن محمد الجزري المقرئ الشافعي صاحب كتاب «النشر في القراءات العشر» المتوفىٰ سنة ٨٣٣هـ/١٣٩٠م، وعدد غفير من العلماء.

وبقيت هذه المدرسة حتىٰ عام ١٢٧١هـ/١٨٥٦م، عندما أصدر السلطان عبد المجيد العثماني أمرًا لمتصرِّف القدس بتسليم المدرسة الصلاحية لقنصل فرنسا هدية من السلطان إلىٰ إمبراطور فرنسا نابليون الثالث اعترافًا بجميل فرنسا لمساعدة الدولة العثمانية في حرب القرم ضد روسيا عام ١٨٥٦م، فأخذها الرهبان وجعلوها مدرسة إكليريكية، ولكن جمال باشا استردَّها في الحرب العالمية الأولىٰ عندما تولَّىٰ أمر الشام كله، وجعلها كلية علمية دينية.. وبعد هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية

الأولىٰ عادت إلىٰ الرهبان، وهي مدرسة وكنيسة ومتحف، ونقل صلاح الدين المنبر الذي أعدَّه نور الدين زنكي للمسجد الأقصىٰ من سوريا إلىٰ المسجد الأقصىٰ، وبقي فيه حتىٰ أحرقه الاسترالي النصراني الصهيوني دينيس مايكل مع إحراقه المسجد الأقصىٰ في ١٩٦٩/٨/٢١م، وإلىٰ الآن لم يتم إصلاحه.

القدس بعد صلاح الدين

لقد أجمع المسلمون علىٰ حبِّ صلاح الدين، ولكن للأسف لم تكن هناك آلية لاستمرار الحكم عند المسلمين بعد وفاة صلاح الدين حيث تحوَّلت الدولة الأيوبية الباذخة التي أقامها صلاح الدين إلىٰ مجموعة من الدويلات يحكمها علىٰ خلاف بينهم أبناؤه وإخوته.. وكل واحدٍ منهم يكيد للآخر، وقد كانت القدس من نصيب الملك الأفضل علي بن يوسف (صلاح الدين) الذي أنشأ المدرسة الأفضلية وأنشأ رباطًا للمغاربة (بجوار الحائط الغربي للمسجد الأقصىٰ) وذلك اعترافًا بجميل المغاربة الذين شاركوا في الحروب ضد الصليبيين مع صلاح الدين، حيث أرسل السلطان أبو يوسف يعقوب الموحدي ١٨٠ سفينة لمنع وصول الأساطيل الأوربية لنجدة الصليبيين، كما تطوع عدد من المغاربة الصوفية للقتال مع صلاح الدين.

وتولىٰ أمر القدس بعد الملك الأفضل، الملك المعظَّم عيسىٰ بن أحمد بن أيوب.. والغريب حقًّا أن هذا الملك الأحمق دمَّر أسوار القدس التي جهد صلاح الدين نفسه في تشييدها بزعم أنه يمنع المدينة بالسيوف وليس بالأسوار، فخاف الناس من هجوم الصليبيين عليها فهجروها.. ثم

تلاه أخوه الملك الكامل بن أحمد بن أيوب، فكان سُبَّةً في جبين الدَّهر، وأقضَّ مضجع صلاح الدين في قبره، فبعد الجهود الضخمة والحثيثة التي بذلها نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي حتىٰ تتطهَّر القدس من أدران الصليبيين عاد هذا الأحمق الخائن المعتوه وسلَّمها للإمبراطور فردريك الثاني ملك الفرنجة، علىٰ أن يبقىٰ المسجد الأقصىٰ بيد المسلمين، وذلك لمحاربة إخوته وأبناء عمومته مستمدًّا العون من هؤلاء الكفرة، وتم ذلك التسليم سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٩م، فيا له من يوم أسود مجلل بالعار.

وبقيت القدس بيد الصليبيين حتىٰ سنة ٦٣٧ عندما استردَّها الملك الناصر داود ابن أخي الملك الكامل لفترة قصيرة، عندما سلَّمها مرة أخرىٰ للصليبيين سنة ٦٤١هـ، وذلك كي يساعدوه في محاربة ابن عمه ملك مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب، وقد استطاع جنود نجم الدين أيوب أن يحرِّروها من الفرنجة في العام التالي سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٥م.

وللملك الصالح نجم الدين أيوب وجنوده من الخوارزميين مناقب كثيرة، فهم قد صدوا هجوم الفرنجة علىٰ مصر، وهزموا الملك لويس التاسع هزيمة نكراء في دمياط وأسروه في دار ابن لقمان، كما استطاعوا أن يحرِّروا القدس من نيرهم.

العهد المملوكي

وكان الملك نجم الدين أيوب مريضًا في هذه المعارك، واستطاعت زوجته شجرة الدرِّ بحنكتها أن تخفي أمر مرضه ثم موته، واستطاع قوَّاده من الخوارزمية (المماليك) أن يحرزوا تلك الانتصارات، ويعتبر العهد

المملوكي من العهود الزاهرة لمصر والشام، وخاصة في فتراتهم الأولىٰ حيث طهروا بلاد الإسلام من الفرنجة وأوقفوا الغزو المغولي في عين جالوت.. ونشروا العلم والمدارس.. وكانت لهم عناية فائقة بالعلماء كما كانوا رجال حربٍ من الطراز الأول، ووسَّعوا التجارة فارتقت أحوال الشام ومصر والحجاز واليمن التي ملكوها رغم ما كان يحدث بينهم من منازعات علىٰ السلطة، واستمرَّ الحكم المملوكي من سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م، حتىٰ عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م، عندما استولىٰ علىٰ أراضيهم العثمانيون عندما انهزم السلطان الغوري قانصوه أمام جحافل السلطان سليم العثماني في معركة مرج دابق.

وفي العهد المملوكي شهدت مصر ومدن الشام اهتمامًا كبيرًا، وتمت فيها نهضة علمية علىٰ عكس ما يشاع عنها، ولهم في القدس وحدها ٣٥ مدرسة، وعشرات المساجد والأوقاف والأربطة، وأضافوا عدة أروقة في المسجد الأقصىٰ بُنيت في عهد السلطان محمد بن قلاوون، وتم ترخيم صدر المسجد الأقصىٰ والحائط الجنوبي، وجُدِّد تذهيب قبة الصخرة وقبة الأقصىٰ وعُمِّرت القناطر المعروفة باسم الميازين في صحن قبة الصخرة، ومئذنة باب الأسباط، وترخيم الحائط الجنوبي عند المحراب، ومنبر برهان الدين مقابل الباب الجنوبي لقبة الصخرة، ومن المدارس المشهورة التي أنشؤوها المدرسة التنكزية علىٰ يمين الداخل إلىٰ الحرم الشريف، ودار الحديث، والمدرسة الكريمية بالقرب من باب حطة، والمدرسة الجاولية، والمدرسة اللؤلؤلية، والمدرسة الأمينية إلىٰ غير ذلك من المدارس والأربطة، وسُبُل المياهِ العذبة، والأوقاف العديدة للحفاظ علىٰ هذه المبرات الكثيرة.

الدولة العثمانية والقدس

كانت الدولة العثمانية آخر الدول الإسلامية التركية، وقد سبقتها العديد من الدول التركية الأصل، مثل الدولة الخوارزمية، والدولة السلجوقية الباذخة، والدولة الغزنوية، والدولة الطولونية، والدولة الإخشيدية، والدولة المملوكية، وقد لعبت هذه الدول التركية المختلفة دورًا أساسيًا وهامًّا في تاريخ الإسلام، وحكمت مناطق واسعة من العالم الإسلامي لأكثر من عشرة قرون، امتدت من حدود الصين (الدولة الخوارزمية) إلىٰ أسوار فينَّا (الدولة العثمانية) وقد انتهت الدولة العثمانية الباذخة بثورة كمال أتاتورك العلماني اليهودي الأصل (من يهود الدونمة الذين تظاهروا بالإسلام) والذي ألغىٰ الخلافة عام ١٩٢٤م/١٣٤١هـ بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الثانية.

وقد استولىٰ السلطان سليم علىٰ الشام ومصر بعد هزيمة السلطان قانصوه الغوري في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦ حيث استخدم السلطان سليم المدافع التي لم يكن للماليك بها عهدٌ.

وقد استطاعت الدولة العثمانية أن توسع فتوحاتها في أوربا ذاتها وأن تحمي ديار الإسلام وخاصة أرض الحجاز وبيت المقدس من الهجوم المتكرر للقوات البحرية الفتية للبرتغاليين، ثم من بعدهم الهولنديين والإنجليز والفرنسيين، ولا يُنكِرُ فضلهم في هذا المجال إلا حاقدٌ أو جاهل، ولا يعني هذا أن حكمهم كان بريئًا من الظلم، فهو أمر شهدته الدول الإسلامية منذ انتهاء عهد الخلافة الراشدة، وذكره الرسول صلوات الله

وسلامه عليه في قوله: «**لتنقضنَّ عُرىٰ الإسلام عروة عروة، وأولها نقضًا الحكم وآخرها الصلاة**»، وفي قوله: «**الخلافة بعدي ثلاثون**» وهي مدة الخلفاء الراشدين الأربعة والفترة الوجيزة لحكم الحسن بن علي رضوان الله عليهم جميعًا، وما أتىٰ بعدها فهو بنصِّ حديثِ الرسول نقضٌ لحكم الإسلام، ما عدا فترات مضيئة هنا وهناك من أمثال فترة عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين.. وفترة صلاح الدين الأيوبي، وفترات قصيرة لبعض الحكام الذين اجتهدوا في إقامة العدل ورفع راية الدين.

وقد قُسِّمت بلاد الشام في العهد العثماني إلىٰ ولايات منها ولاية دمشق التي تشمل عدة سناجق مثل القدس وغزة وصفد ونابلس وعجلون وصيدا وبيروت والكرك، ثم تحولت القدس إلىٰ مُتَصرفية تضمُّ قضاء يافا وغزَّة والجليل وبئر السبع والناصرة، وارتبطت مباشرة بوزارة الداخلية في إستانبول.

وفي عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦م/٩٢٦ - ١٠٧٣هـ) تم تجديد بناء سور القدس، وجعل لها سورين أحدهما للمدينة والآخر للحرم القدسي، وبنيت عدَّة سُبل للمياه العذبة في الطرق المؤدِّية إلىٰ المسجد الأقصىٰ بالقرب من مداخله، وجدد قبة الصخرة بالقيشاني بعد أن تخرَّبت الزخرفة الفسيفسائية بفعل عاديات الزمن.

وقام السلاطين الأتراك بالعناية التامَّة بالحرمين الشريفين بمكة المكرَّمة والمدينة المنوَّرة كما قاموا بالاهتمام بالحرم القدسي والمسجد الأقصىٰ وقبة الصخرة، وأقاموا قبةً شمال قبة الصخرة وعُرفت باسم قبة الأرواح، وقبة يوسف أيضًا علىٰ سطح قبة الصخرة إلىٰ غرب منبر برهان

الدين، كما أقاموا عددًا من المحاريب مثل محراب قبة النبي بين بناء قبة الصخرة وقبة المعراج، ومحراب علي باشا بداخل ساحة الحرم.

ورُمِّمَ مسجد الصخرة في زمن السلطان عبد الحميد (١٨٣٩ ـ ١٨٦١م/ ١٢٥٣ ـ ١٢٧٦هـ) وشملت الترميمات الصخرة ونقوشها الداخلية ودام العمل عدة سنوات، وهو من الأعمال الهامَّة، وفي زمن السلطان عبد العزيز (١٨٦١ ـ ١٨٧٦م) أتمَّ بناء قبة الصخرة وصرف عليها الأموال الطائلة، ويعتبر من الأعمال الجليلة الكبيرة التي لم تعهد منذ زمن الوليد بن عبد الملك.

وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩م/ ١٢٩١ ـ ١٣٢٥هـ) جُدِّدت عمارة السبيل الكبير الذي بناه في الأساس السلطان المملوكي قايتباي، وزود مسجد الصخرة والمسجد الأقصىٰ بعددٍ وافرٍ من السجَّادِ وبالثُّريَّا البديعة، وكتبت سورة يس في مسجد قبة الصخرة، ووضع فوق القبة هلال لا يزال باقيًا إلىٰ اليوم، وفتح باب جديد في سور القدس عرف باسم الباب الجديد أو باب عبد الحميد.

السلطان عبد الحميد والقضية الفلسطينية

لقد تميَّز السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله بالحنكة والحكمة والإخلاص لدين الله، وتعرَّض لهجمات شرسة عليه وتلويث سمعته واتِّهامه بكل نقيصة، وهو منها براء، وقد تولَّىٰ الدولة في آخر أيامها وهي منهكة مثقلة بالديون، حتىٰ أنه عندما تسنَّم سدَّة الحكم سنة ١٨٧٦م/١٢٩١هـ كانت الدولة مثقلة بدين يبلغ مقداره ملياران ونصف المليار من الليرات

العثمانية الذهبية، وهو ما يوازي مئات المليارات اليوم، وقد بذل الجهود المضنية للتخفيف من هذه الديون وقلَّص المصروفات إلىٰ أقصىٰ درجة ممكنة بما في ذلك مصروفات القصور الملكية، حتىٰ اتُّهم بالخبل والتقتير، وعرض عليه اليهود الأموال الضخمة ـ في مقابل أن يسمح لهم بالاستيطان في فلسطين ولكنه أبىٰ، وتعرَّض نتيجة ذلك للمؤامرات حتىٰ أدت إلىٰ خلعه سنة ١٩٠٩م/١٣٢٥هـ.

وقد كتب السلطان في مذكَّراته سنة ١٨٩٥م/١٣١١هـ موضِّحًا معرفته باليهود وقوَّتهم حيث قال: لليهود قوة في أوربا أكثر من قوتهم في الشرق، لهذا فإن أكثر الدول الأوروبية تحبِّذ هجرة اليهود إلىٰ فلسطين لتتخلص من العرق السامي الذي زاد كثيرًا.

ويقول: «علينا أن نصرف النظر عن فكرة توطين المهاجرين اليهود في فلسطين، وإلا فإن اليهود إذا استوطنوا أرضًا تملَّكوا كافَّة قدراتها في وقتٍ قصير.. وبذا نكون قد حكمنها علىٰ إخواننا في الدين بالموت المحتَّم».

وما أصدق هذه العبارة التي قالها السلطان عبد الحميد قبل أكثر من مائة عام، والتي لم يدرك أبعادها إلىٰ اليوم كثيرٌ من حكَّام العرب والمسلمين وكثير من المثقَّفين، ويواصل السلطان عبد الحميد فضح مرامي اليهود من الهجرة إلىٰ فلسطين فيقول رحمه الله: «لن يكتفي الصهاينة بممارسة الأعمال الزراعية في فلسطين (كما حاول هرتزل أن يقنعه بذلك) بل يريدون أمورًا أخرىٰ مثل تشكيل حكومة، وانتخاب ممثلين، إنني أدرك أطماعهم جيِّدًا، لكن اليهود سطحيُّون في ظنِّهم أني سأقبل بمحاولاتهم».

وظل السلطان عبد الحميد المؤمن صلبًا في مواجهة الأطماع

اليهودية رغم الإغراءات بدفع ١٥٠ مليون ليرة إنكليزية ذهبًا دفعة واحدة هو في أشدِّ الحاجة إليها، ورغم التهديدات المبطَّنة والظاهرة، وبروز جمعية تركيا الفتاة، وجون ترك، وغيرها من الجمعيات المناوئة لحكمه، والتي كان لليهود ولبريطانيا وفرنسا دورٌ كبيرٌ في نشأتها ودعمها.. وأدَّىٰ ذلك كله إلىٰ خلعه في ٢٧ نيسان (ابريل) ١٩٠٩م.

وقد كتب هذا السلطان المؤمن التقيُّ إلىٰ شيخه محمود أفندي أبي الشامات المقيم في دمشق يشرح له وضعه وما فعله من أجل فلسطين من منفاه في سالانيك، وقد قام الأستاذ سعيد الأفغاني بنشر هذه الرسالة المهمَّة في مجلة العربي (شوال ١٣٩٢هـ/كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٢م) تحت عنوان: سبب خلع السلطان عبد الحميد، وقد حصل الأستاذ الأفغاني علىٰ هذه الرسالة من أولاد الشيخ محمود أبي الشامات فصوَّرها ونشرها، جزاه الله خيرًا، وقد نَقلتُ عنه هذه الرسالة في مقال نشرته في صحيفة المدينة ومجلة المجتمع الكويتية وصدر في كتاب بعنوان: «تِيهُ العرب وتِيهُ بني إسرائيل».

ومما جاء في هذه الرسالة الهامَّة يقول السلطان عبد الحميد لشيخه أبي الشامات: «إنني لم أتخَلَّ عن الخلافة الإسلامية لسبب ما سوىٰ أنني بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد والترقي المعروفة باسم جون ترك، اضطررت وأُجبرتُ علىٰ ترك الخلافة.

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصرُّوا عليَّ بأن أصادق علىٰ تأسيس وطنٍ قومِيٍّ لليهودِ في الأرض المقدَّسة فلسطين، ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف، وأخيرًا وعدوا بتقديم ١٥٠مليون ليرة إنكليزية

ذهبًا فرفضت هذا التكليف بصورة قطعيَّة أيضًا، وأجبتهم بهذا الجواب القطعيِّ الآتي: إنكم لو دفعتم ملءَ الدنيا ذهبًا فضلاً عن مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهبًا فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعيٍّ.

لقد خدمتُ الملَّة الإسلامية والأمة المحمَّدية ما يزيد علىٰ ثلاثين سنة فلم أسوِّد صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين، لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجهٍ قطعيٍّ أيضًا، وبعد جوابي هذا اتَّفقوا علىٰ خلعي وأبلغوني أنهم سيبعدونني إلىٰ سلانيك فقبلت بهذا التكليف الأخير. هذا وحمدتُ المولىٰ وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطِّخَ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدَّسة فلسطين، وقد كان بعد ذلك ما كان».

ترىٰ كم من الحكَّام العرب يستطيع أن يقف هذا الموقف البطولي الشجاع لهذا السلطان العظيم الذي ضحَّىٰ بالملك والدولة والخلافة في سبيل الحفاظ علىٰ أرض فلسطين أرض الأقصىٰ المبارك وأرض الرسالات المقدَّسة.. وأرض الإسراء والمعراج؟

رحم الله السلطان عبد الحميد رحمةَ الأبرار، وجزاه عن الإسلام والمسلمين وأرض فلسطين خير الجزاء، وقيَّضَ الله للأمَّة مَنْ يقف مثل مواقفه.

ومع هذا ينبغي أن نذكر أن السلطان عبد الحميد قد استلم دولة متهرئة علىٰ وشك الانهيار، فحاول رحمه الله أن يؤخِّر عملية السقوط، واضطرَّ في ذلك إلىٰ استخدام الدهاء ومحاولة ضرب المصالح الأوربية

بعضها ببعض، كما حاول التقرُّب إليهم والتنازل عن بعض الأشياء وإن كانت هامَّة، وكانت عينه علىٰ الحركات المناهضة له وخاصَّة حركات جون ترك، وتركيا الفتاة، وأضرابها التي كانت تُعدُّ العدَّة للإطاحة به بدعمٍ كاملٍ من اليهود والدول الأوربية، بل إن هذه الجمعيات كان يديرُها أو يشترك في إدارتها يهود لا يزالون علىٰ ملتهم أو من يهود الدونمة الذين أعلنوا الإسلام وأبطنوا الكفر.

وكان مما يؤخذ علىٰ السلطان عبد الحميد أنه أهدىٰ للإمبراطور الألماني (البروسي) غليوم الثاني قطعة أرض علىٰ جبل صهيون أثناء زيارة الأخير للقدس سنة ١٨٩٨م، فبنىٰ عليها الإمبراطور كنيسة أسموها «كنيسة نياحة العذراء»، وخطب الإمبراطور غليوم الثاني وقال: «إن ساكن الجنان السلطان عبد العزيز خان أهدىٰ المرحوم والدي الأرض التي بنيت عليها الكنيسة التي تمَّ تدشينها اليوم «كنيسة المخلِّص» وأما عظمة صديقي السلطان عبد الحميد خان فقد أهداني هذه الأرض، وكما أننا بنينا في الأولىٰ كنيسة للألمان الإنجيليين، فسوف نبني في هذه كنيسةً للألمان الكاثوليك، فكشرًا لعظمته ولآل عثمان العظام».

والواقع أن المتأخِّرين من سلاطين آل عثمان قد ضعفوا ضعفًا شديدًا واضطُرُّوا لإرضاء الدول الأوربية أن يمنحوهم امتيازات كثيرة في الدولة كلها مما زاد الأمور سوءًا، كما اضطرُّوا لإعطائهم بعض الأراضي والمواقع الهامَّة في القدس، ففي عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م، أهدىٰ العثمانيون المدرسة الصلاحية التي بناها صلاح الدين والتي أخرجت آلاف العلماء إلىٰ الفرنسيين الذين حوَّلوها إلىٰ كنيسة، كما أن السلطان عبد العزيز

(والد السلطان عبد الحميد) أهدى الإمبراطور الألماني فردريك ويلهم (والد غليوم الثاني) جزءًا من أرض بيمارستان صلاح الدين وأنشأ عليه الألمان كنيسة المخلص، وقد تمَّ الإهداء سنة ١٨٦٨م أما افتتاح الكنيسة فكان في زيارة غليوم الثاني للقدس سنة ١٨٩٨م.

وقد حاول السلطان عبد الحميد أن يحدِّد إقامة الزائرين من اليهود للقدس بثلاثة أشهر فقط، وواجه مع ذلك ضغوطًا شديدة من دول أوربا وبالذات بريطانيا، ومع هذا أصرَّ على تنفيذ هذا الفرمان (القانون) ولكن للأسف كان كثيرٌ من اليهود يتفادون تنفيذ هذا الأمر بالرشاوي للموظفين، ولهذا ولغيره من الأسباب زاد عدد اليهود في فلسطين في أواخر العهد العثماني بما في ذلك عهد عبد الحميد الذي بذل كل جهدٍ صادقٍ في منع إقامتهم الدائمة فيها واستملاكهم الأراضي فيها.

والمثال التالي يوضِّحُ هذا الضعفَ الشديد الذي أصاب الدولة، والذي جعل الدول الأوربية وخاصة بريطانيا تتدخل من أجل مصلحة اليهود في القدس، فقد استطاع اليهودي البريطاني الواسع الثراء مونتفوري أن يشتري قطعة أرض في القدس إلى الغرب من بوابة يافا سنة ١٢٧٤هـ/١٨٥٩م، وادَّعى أنه سيبني مستشفى لمصلحة جميع سكان القدس، وعليه فقد سمح له السلطان العثماني عبد العزيز خان بذلك وأعطاه فرمانًا، ولكن مونتيفوري غيَّر الخطَّة وأقام عليها مساكن عديدة لإسكان اليهود المهاجرين، لهذا قام قائمقام القدس بمنع مونتيفوري من البناء، وتدخل السفير البريطاني لدى الباب العالي في الآستانة وضغط على السلطان حتى سمح بهذا التغيير وأعاد الفرمان لهذا اليهودي البريطاني الصهيوني الخبيث.

وفي عام ١٨٦٠م ـ ١٢٧٥هـ أقيمت ضاحية كاملة في القدس الغربية لسكن اليهود، وهي ضاحية مشكانوت شعناية، كما تأسست بداية عدة أحياء يهودية علىٰ طريق القدس ـ يافا خلال ثلاثة أعوام فقط (١٢٩١ ـ ١٢٩٤هـ/١٨٧٥ ـ ١٨٧٨م)، ووصل النباء مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي إلىٰ محانية يهودا علىٰ طريق يافا ـ القدس.

تلخيص لمواقف العثمانيين من قضية القدس وسكن اليهود فيها وفي فلسطين[1]

١ ـ في عهد السلطان سليمان القانوني (٩٢٦ ـ ١٠٧٣هـ/١٥٢٠ ـ ١٥٦٦م) سمح لليهود المطرودين من أسبانيا والبرتغال بالسكن في أرجاء مملكته الواسعة ما عدا فلسطين وسينا لمعرفته بأهداف اليهود.

٢ ـ هجم نابليون علىٰ مدينة عكا وحاصرها سنة ١٧٩٩ إلا أن الوالي أحمد باشا الجزار دافع عنها دفاعًا مجيدًا، واستطاع أن يصدَّ غزو نابليون لها، وقد أصدر نابليون بيانًا يدعو فيه اليهود للاستيطان في القدس وفلسطين وأن يعيدوا مملكتهم المزعومة فيها وطالبًا دعمهم لجهوده.

٣ ـ في عام ١٨٣١ احتلَّ إبراهيم باشا بلاد الشام لتوسيع رقعة حكم أبيه محمد علي باشا شاملاً بذلك فلسطين والقدس، ولكن العثمانيين استردُّوها منه عام ١٨٤٠.

(١) زيادة غنيمة: الأتراك العثمانيون وفلسطين ـ من كتاب «فلسطين والوعد الحق» لمجموعة من الكتاب، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ الرياض ـ جدة ١٩٩٤م، رئيس التحرير د. إسحاق الفرحان، ص٤٤ ـ ٤٨.

٤ ـ رفض السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ ـ ١٨٦١م) مشروعًا يهوديًا وضعه الصهيوني الريطاني (ايرل أوف شافتسبري Shaftesbury) وقدَّمه إلىٰ السلطان وزير خارجية بريطانيا للسماح لليهود بالهجرة فيها.

٥ ـ في عام ١٨٥٠ في عهد السلطان عبد المجيد نفسه رفض محاولة أخرىٰ لتوطين اليهود في فلسطين وضعها الصهيوني البريطاني «لورنس أوليفييت» وتدخلت الولايات المتحدة الأمريكية وضغطت أيضًا علىٰ السلطان ليقبل المشروع البريطاني، ولكنه رفض ذلك بشدة.

٦ ـ في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩م) جرت عدة محاولات للضغط علىٰ السلطان للسماح بإسكان اليهود في فلسطين، **وأولها:** في عام ١٨٨١ عندما طرد قيصر روسيا اسكندر الثاني اليهود وبدأ في اضطهادهم نتيجة مؤامراتهم العديدة ضده وضدَّ وطنه، فقد تقدَّم اليهود عبر منظمة أحياء صهيون للسلطان عبد الحميد سنة ١٨٨١ باسترحام بأن يسمح لهم بالهجرة إلىٰ فلسطين والإقامة فيها، فأخبرهم بسماحه لهم بالهجرة إلىٰ تركيا أو أي مكان آخر من الدولة العثمانية ما عدا فلسطين، ولا يسمح لهم بالهجرة إليها أبدًا.

وعندما عاتبه السفير الأمريكي علىٰ ذلك قال السلطان: إنني لن أسمح لليهود بالاستقرار في فلسطين ما دامت الخلافة العثمانية.

ومع هذا فقد تكونت أول مستعمرة صهيونية في فلسطين عام ١٨٧٨ وهي مستعمرة بتاح كفا.

وفي عام ١٨٨٢ أنشأ ثلاثة آلاف يهودي من أوربا الشرقية مستعمرة ريشون ليتسيون في فلسطين بعد أن تسرَّبوا إليها، وفي عام ١٨٨٨ صدر

القانون العثماني بمنع الهجرة اليهودية إلىٰ فلسطين، وحدد فترة مكوث الزائرين من اليهود لفلسطين لأغراض دينية بمدة ثلاثة أشهر فقط، ويجب عليهم بعدها مغادرة البلاد.

وثانيها: في عام ١٨٩٢ حين أرسل اليهود مجموعة من اليهود الألمان بقيادة فريدمان حيث استقرُّوا علىٰ الساحل الشرقي لخليج العقبة في المويلح والوجه التابعة لمصر في عهد الخديوي عباس حلمي، ولما علم السلطان عبد الحميد بذا أصدر فرمانًا في ١٦ شباط (فبراير) ١٨٩٢ بإعادة المنطقة إلىٰ السيادة العثمانية وأرسل قوة من الجيش العثماني أجبرت فريدمان والمستوطنين اليهود للعودة من حيث أتوا، وأصدرت الحكومة العثمانية قانونًا بمنع بيع الأراضي في فلسطين لليهود غير العثمانيين.

ثالثها: حاول هرتزل مؤسس الصهيونية في العصر الحديث أن يقابل السلطان عبد الحميد ووسط لذلك جاويد بك (من مسلمي يهود الدونمة) وعرض عشرين مليون جنيه ذهبًا كمنحة فورية ولكن السلطان رفض المنحة ورفض مقابلة هيرتزل.

رابعها: عندما نشبت الحرب بين العثمانيين واليونان في شباط (فبراير) ١٨٩٧ وكان الخزينة العثمانية تعاني من العجز الشديد، فعرض هيرتزل مبالغ ضخمة جدًّا علىٰ السلطان بواسطة السفير العثماني في فيينا، ولكن السلطان رفض أيضًا هذه المبالغ رغم حاجته الشديدة لها.

قرر هيرتزل في مؤتمر بازل في سويسرا (سبتمبر ١٨٩٧) أن الهجرة اليهودية إلىٰ فلسطين لا يمكن أن تتم إلا في إحدىٰ حالتين: الأولىٰ: أن

تتراجع الدولة العثمانية عن موقفها الرافض للهجرة، والثانية: القضاء علىٰ الدولة العثمانية إذا استمرَّت في رفضها. وهذا ما تم بالفعل.

خامسها: أصدر السلطان عبد الحميد في حزيران (يونيه) ١٨٩٨ قانونًا جاء فيه: «لا يسمح لليهودي الأجنبي من أية تابعية (جنسية) غير التابعية العثمانية بزيارة فلسطين إلا بقصد الزيارة الدينية فقط، شريطة أن لا تتعدىٰ إقامته في فلسطين أكثر من ثلاثين يومًا، وكل من لا يغادر فلسطين بعد انقضاء هذه المدة فسيتمُّ طرده بالقوَّة.

سادسها: في ١٢ شباط (فبراير) ١٩٠٢ حاول هيرتزل مرة أخرىٰ مقابلة السلطان عبد الحميد فلما رفض السلطان مقابلته عرض تسديد جميع الديون التي تعاني منها الدولة العثمانية مقابل السماح لليهود بالاستقرار في فلسطين، فردَّ السلطان عبد الحميد ردَّه الحازم قائلا: إنني لا أستطيع أن أتخلَّىٰ عن شبرٍ واحدٍ من الأرض، فهي ليست ملك يميني بل ملك شعبي، لقد قاتل شعبي في سبيل هذه الأرض وروَّاها بدمه، فليحفظ اليهود ملايينهم». ورغم هذا فقد بدأت هجرة يهودية ثانية إلىٰ فلسطين عام ١٩٠٣، وفي عام ١٩٠٧ تمَّ إنشاء أول كيبوتز يعتمد علىٰ اليد العاملة اليهودية، وفي عام ١٩٠٩ تأسست مدينة تل أبيب شمال يافا.

سابعًا: دبَّر اليهود بواسطة مجموعة تركيا الفتاة وحزب الاتحاد والترقِّي خلع السلطان عبد الحميد في شهر تموز (يوليه) ١٩٠٨، ثم حدثت ثورة شعبية أعادت السلطان إلىٰ الحكم في ٣١ آذار (مارس) ١٩٠٩، ولكنها لم تستمرّ إذ استطاع جيش الاتحاد والترقي من سلانيك أن يزحف علىٰ إستانبول (إسلام بول) في ١٣ نيسان (ابريل) ١٩٠٩ وأن

يعزل السلطان ويسجنه، والغريب حقًّا أن قائد هذا الجيش كان عربيًّا من العراق اسمه محمود سامي باشا، وكان رئيس أركانه مصطفىٰ كمال أتاتورك الذي استطاع أن يستولي علىٰ الدولة ثم بعد ذلك أن يحولها إلىٰ دولة علمانية في ٢٣ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢٣ وإعلان الجمهورية، وإلغاء الخلافة في ٣ مارس ١٩٢٤، وبذلك تم تنفيذ المخططات اليهودية الصهيونية والاستعمارية الأوربية باجتثاث الخلافة وتحويل فلسطين إلىٰ دولة يهودية صهيونية.

من مآثر العثمانيين في القدس

وكان للعثمانيين كثير من المآثر في القدس وغيرها من بلاد الشام، وقد زار أوليا شلبي القدس عام ١٠٨١هـ/١٦٧٠م وكان مما قاله فيها[(١)]:

«القدس بلد عظيمة، كائنة علىٰ هضبة مرتفعة، هواؤها عليل وماؤها عذب، وسكانها نضار الوجوه، إنها مهوىٰ أفئدة الكثيرين من الناس، لا من حيث قدسيتها فحسب، بل من حيث اقتصادياتها ووفرة حاصلاتها..».

ووصف حياة الرفاهية التي يعيش فيها المقدسيُّون في زمنه وكثرة البساتين والكُروم حولها، وذكر أن سكانها بلغوا ذلك العام (١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م) ٤٦,٠٠٠ نسمة، أكثرهم عرب مسلمون.. ووصف لباس رجالهم من الجوخ والقَنباز والجلالي والعباءة، ونساؤهم يلبسن علىٰ رؤوسهن طاقيات مصنوعة من الذهب أو الفضة، ويتلفعن بالملايات البيض ويلبسن الجزم (الأحذية المقفولة).

---

(١) نقلاً عن محمد حسن شراب: «بيت المقدس والمسجد الأقصىٰ» دار القلم ـ دمشق، ١٩٩٤، ص١٩٥ ـ ١٩٨

ويقول أن في القدس في زمنه ستة حمامات عامة، وفيها ثمانية عشرة سبيلاً للماء، وفيها صهاريج كثيرة لحفظ المياه، وفيها سبع دُورٍ لعلم الحديث وعشر دور لعلوم القرآن وأربعون مدرسة، وسبعون تَكِيَّة (منازل لمأوىٰ الصوفية والعلماء) وفي القدس ٢٥٤٠ دُكَّانًا كلها مبنيَّة بالحجارة والعقود المقنطرة، وأسواق كثيرة أشهرها سوق السلطان، والمسؤول عن السوق المحتسب ويلقَّب بالآغا، ومن واجباته أن يحفظ سجِلاً بأسماء التُّجَّار وأصحاب الدكاكين، ويراقب أعمالهم لكي لا يكون هناك غِشٌّ في كيلٍ أو وزن أو ذراعٍ، وهناك عدة خانات للتجار القادمين من مناطق مختلفة، وفيها تحفظ بضائعهم وتُرعىٰ شؤونهم.

وزارها بعده العالم المشهور والرَّحَّالة والولي الشيخ عبد الغني النابلسي سنة ١٠١١هـ/١٦٩٠م وذكر أسواقها ومزاراتها وأسوارها، وللسور عشرة أبواب، ووصف قبة الصخرة ومسجدها الرائع والمسجد الأقصىٰ ومزيد العناية به[١].

وهذا كله يدلُّ علىٰ حياة الرفاهية لسكان القدس بسبب عناية الدولة العثمانية بهم وبشؤونهم وشؤون المسجد الأقصىٰ وقبة الصخرة.

وقد استمرَّ وضع القدس وأهلها علىٰ ذلك رغم ما كان يعْتَوِرُه أحيانًا من بعض الاضطرابات البسيطة أو زيادة في نفوذ الدول الأوربية بسبب ضعف الدولة العثمانية في أواخر أيامها.

وينقل محمد حسن شراب وصفًا لحالة القدس عام ١٩١٠ وهي لا تزال تحت الحكم العثماني في نهاية عهده عندما وصفها السيد يوسف

---

(١) المصدر السابق، ص١٩٨ ـ ٢٠٠.

الحكيم اللاذقي قاضي القدس في كتابه «سورية والعهد العثماني»[1] حيث قال بعد أن وصف موقعها ومياهها وجبالها: «تسودُ القدسَ حياةٌ ديمقراطية رغم وجود عائلات أرستقراطية عريقة في الحسب والثراء والقدم، كآل الحسيني والخالدي والداودي والنشاشيبي وجار الله وغيرهم، وذلك بفضل انتشار المدارس الحكومية والأجنبية المختصة بمتنوع العلوم والفنون، وقد ضمَّت العدد الكبير من الأوساط الشعبية، مما يجعل الشعب قسمين لا ثالث لهما، قسم متعلِّم راقٍ وآخر غير متعلِّم، أسوةً بمعظم المدن السورية.

«إن قدوم الحجَّاج والسُّيَّاح من مختلف أقطار العالم إلىٰ القدس لزيارة المقامات المقدَّسة ومشاهدة الآثار القديمة، كانت في مقدمة الأسباب الرئيسة لرقيِّ الحياة الاجتماعية وعاملاً قويًّا في رفع الحالة الاقتصادية..».

«ومن نتائج هذا الرُّقِي بالإضافة إلىٰ الشعور القومي العربي النبيل أن ساد الإخاءُ والمودَّة بين المواطنين من مسلمين ومسيحيين، فهم يتبادلون العواطف في كل مناسبة، ولا سيما في الأعياد والمواسم علىٰ كثرتها، حتىٰ ليعسر علىٰ المرء التفريق بينهم لولا بعض الحالات المتعلقة بالألبسة والأسماء الموروثة التي اختصَّ بها فريقٌ دون آخر».

«وكان نائبا القدس في المبعوثان (مجلس البرلمان لكل أرجاء الدولة العثمانية وهو في الآستانة في إستانبول) سعد بك الحسيني وروحي بك الخالدي، يتمتعان بثقة جميع المواطنين علىٰ اختلاف طبقاتهم».

وذكر أنواع المدارس الحكومية والأجنبية ومدارس الرُّهبان وتعليم

(١) المصدر السابق، ص٢٠١ ـ ٢٠٣.

الإناث منذ ذلك الوقت المبكِّر مما يدلُّ على حياة علمية وثقافية وتجارية واقتصادية ناجحة، ربما لم تصل إليها القدس بعد الاحتلال البريطاني مع كثرة إمكاناته، بل قل إن الوضع في القدس كان أفضل بكثير من وضعها اليوم بعد مرور تسعين عامًا على ذلك العهد، وهذا كله يؤكِّد أن العثمانيين بذلوا جهودًا جيِّدةً في رفعة شأن القدس، وأن ما يقال عنهم من ظلم ونشر للجهل واستبداد فيه كثير من الحيف والمبالغات التي نشرها الاستعمار البريطاني والفرنسي عنهم وتلقَّفها تلامذة الاستعمار فنشروها على نطاقٍ واسع حتى أصبح ذلك عند الأجيال الحالية من الحقائق التي لا تقبل الجدل، وهي كلُّها أو معظمها من نسج الخيال الحاقد المريض.

اليهود في القدس في العهود الإسلامية

كان الرومان قد طَرَدُوا اليهود ومنعوهم من دخول القدس منذ سنة ١٣٥ بعد الميلاد في عهد الإمبراطور هدريان، ثم جاء مَنْ بعده وسمح لليهود بدخول القدس يومًا واحدًا في السنة، ثم يخرجون منها ولا يقيمون فيها، وبقوا على ذلك حتى تمَّ انتصار فارس على الروم سنة ٦١٤م، ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم].

وقد فرِحَ المشركون من قريشٍ بانتصار فارس على الروم بينما حزِن المسلمون لذلك، وفي تلك الفترة دخل اليهود في ركاب الفرس وأشعلوا النار في كنيسة القيامة، وانتقموا من النصارى فقتلوا منهم ستِّين ألفًا، ثم

انتصر الروم بقيادة هرقل سنة ٦٢٤، واستعادوا القدس وقتلوا الفرس واليهود، وتمَّ طردهم نهائيًّا من القدس.. وفرح المؤمنون بانتصار الروم باعتبارهم أهل كتاب علىٰ الفرس الوثنيين.

وهكذا لم يدخل اليهود القدس ويسكنوها منذ زمن هدريان سنة ١٣٥ إلىٰ الفتح الإسلامي ٦٣٢ سوىٰ عشر سنوات أو أقل مع دخول فارس وانتصارها علىٰ الروم.

ولما دخل عمر رَضِيَ الله عَنْهُ القدس فاتحًا ومعطيًا لأهلها الأمان كتب لهم العهد المشهور بالعهد العمري، وطلب منه بطريرك القدس صفرونيوس أن لا يسكن بإيليا (القدس) أحدٌ من اليهود فوافق علىٰ ذلك عمر رَضِيَ الله عَنْهُ ولم يجرؤ أحدٌ من اليهود أن يسكنها طوال عهد الراشدين.

وأول من سمح لليهود بدخول القدس والسكنىٰ فيها كما يقول الدكتور حسن ظاظا في كتابه «القدس مدينة الله أم مدينة داود» هو عبد الملك بن مروان الذي بنىٰ المسجد الأقصىٰ وقبة الصخرة سنة ٧٢هـ/٦٨٨م، وكان في فناء الحرم (القدسي) علىٰ أيامه عشرة من اليهود يقومون بأعمال الكنس والنظافة نظير إعفائهم من الجزية، ذكر ذلك تاريخ مجير الدين الحنبلي، كما ذكر أن المكلَّفين بإنارة المسجد الأقصىٰ كانوا من الخدم اليهود في عهد سليمان بن عبد الملك إلا أن عمر بن عبد العزيز جعل خدم الحرم القدسي كلهم من المسلمين ومنع اليهود من دخوله.

وفي العهد الفاطمي الذي اشتهر بتسامحه الشديد مع اليهود والنصارىٰ وتقليدهم كثيرًا من الوظائف الهامة في الدولة، زاد عدد اليهود ما عدا في عهد الحاكم بأمر الله (٤٠٠هـ/١٠١٠م) الذي اشتهر بتقلباته

المزاجية واشتداده علىٰ اليهود والنصارىٰ وهدمه كثيرًا من بيعهم وكنائسهم حتىٰ أنه عزم علىٰ هدم كنيسة القيامة، ولكنَّ المنيَّة عاجلته كما يروي المؤرِّخ مجير الدين الحنبلي، وقيل أنه هدمها بالفعل.

ويقول المؤرخ الإسرائيلي زئيف فلنائي في «موسوعة معرفة أرض إسرائيل»[١]: «في كل مرَّة كانت القدس تخضع لحكم المسيحيين وسلطتهم، لم يكن يسمح لليهود بالإقامة أو السكن فيها، ومن وجد منهم في أثناء حكمهم لها كان إما أن يقتل أو يطرد، في حين كان المسلمون يسمحون لليهود بالعيش في المدينة بسلام».

ويقول الكاتب البريطاني كولن ثوبورن Colin Thuborn في كتابه «القدس» Juraselm (ص٢٧٧)[٢]: «في القرون المبكِّرة كان المسلمون متسامحين مع اليهود، وعاشوا معهم بسلامٍ في الوقت الذي كانت فيه أوربا منغمسة انغماسًا كاملاً في الاضطهاد».

ويقول سلمان بن يروهام، وهو من اليهود القرائين (فرقة ظهرت في العراق ثم أسلم أكثر أفرادها) كما ينقله عنه F.W Peters في كتابه «القدس» (ص١٩٣)[٣]: «كانت القدس قد بقيت تحت حكم الروم (الرومان والبيزنطيين) أكثر من خمسمائة عام، وكان محظورًا خلالها علىٰ اليهود أن يدخلوا القدس، وكل من يكتشف منهم بداخلها كان يقتل، وعندما غادَرَنا الروم برحمة من إله إسرائيل، وقامت مملكة إسماعيل (أي

---

(١) نقلاً عن د. كمال العسلي: «القدس في التاريخ» من أبحاث الندوة العالمية حول القدس وتراثها، الرباط ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، منظمة الإيسيسكو، ص٧١ ـ ٨١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

العرب) مُنِحَ اليهود الإذن بدخول المدينة والإقامة فيها». ونقل عن يهودا الحريزي اليهودي الأندلسي الذي زار القدس بعد أن استردَّها صلاح الدين بعشرين سنة قوله: «في سنة ١١٩٠ أيقظ الله روح أمير الإسماعيليين صلاح الدين، وهو رجل حكيم وشجاع، فجاء علىٰ رأس جيشه وحاصر القدس وأخذها، وأعلن في طول البلاد وعرضها أنه سوف يستقبل ويقبل شعب افريم (افريم أحد أبناء يعقوب، والمقصود هنا بني إسرائيل واليهود جميعًا) وهكذا جئنا من جميع أطراف الأرض لنسكن هنا، ونحن ننعم بالسلام إلىٰ الأبد».

وقد أجمع المؤرِّخون الغربيُّون من اليهود والنصارىٰ علىٰ تسامح المسلمين، وبالذات صلاح الدين مع ذوي الديانات الأخرىٰ من اليهود والنصارىٰ، وقد ذكر المؤرِّخ الألماني هينرش جريتس Heinrich Graetes في كتابه «تاريخ اليهود» أن صلاح الدين قد فتح أبواب السلطنة كلها أمام اليهود المضطهدين من الصليبيين فجاؤوا إليه ينشدون الأمن والعدل.

وعندما هجم الصليبيون علىٰ القدس واحتلُّوها لأول مرة سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م قتلوا سبعين ألفًا من المسلمين ومَن وجدوه من اليهود، وهم يعدون بالمئات، وحرَّموا دخول اليهود، ومع ذلك فإن المؤرخ والرحالة اليهودي الأندلسي بنيامين التطيلي الذي زار القدس سنة ٥٦٥هـ/١١٧٠م، وجد عددًا قليلاً من اليهود في القدس يقيمون تحت برج داود ويشتغلون صباغين بتصريح من الحاكم الصليبي لقاء مال يدفعونه.

فلما استولىٰ صلاح الدين الأيوبي علىٰ القدس، وكان في بلاطه،

ومن المقرَّبين إليه أعظم أحبار اليهود علىٰ مدار التاريخ موسىٰ بن ميمون الذي كان طبيبه وطبيب ابنه الملك الأفضل علي بن صلاح الدين، سمح صلاح الدين لأعدادٍ من اليهود في دخول القدس وفلسطين والسكن بها، وقد ذكر الرحالة والمؤرِّخ الأديب اليهودي الأندلسي يهودا الحريزي الذي زار القدس في عهد صلاح الدين بعد استردادها من الصليبيين وذلك سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م أنه وجد في القدس أعدادًا من اليهود يعيشون في بحبوحة من العيش حيث كان صلاح الدين يحسن إليهم علىٰ طريقته في الإحسان إلىٰ جميع أهل الكتاب في مملكته.

فلما استولىٰ الصليبيون مرة أخرىٰ علىٰ القدس من حفيد صلاح الدين الملك الكامل بن أحمد بن أيوب اضطهدوهم وطردوهم، فلما عاد الحكم للمسلمين في أيام المماليك سمحوا لليهود بالعودة ثانية إلىٰ القدس وعاملوهم بكل سماحة كما هو معهود منهم في كل أقطار الإسلام حيث يعاملون أعداءهم بنبلٍ وكرم أخلاقٍ متىٰ وقعوا تحت أيديهم، علىٰ عكس ما يفعله هؤلاء اليهود والصليبيون متىٰ انتصروا علىٰ المسليمن، وعلىٰ أية حال لم يكن لليهود علىٰ المسلمين أي شوكة ودولة منذ انهزاماتهم في بني قينقاع وبني النضير وقريظة وخيبر في عهد رسول الله ﷺ حتىٰ زمننا هذا النكد الذي قامت فيه لليهود دولة وصولة، وأصبحوا يقتلون أطفال المسلمين ونساءهم ويذيقونهم الويلات.. والمسلمون في ذُلٍّ لم يعرفوا مثله قط في تاريخهم الطويل حتىٰ يراجعوا ربهم ودينهم ويعودوا إليه، فقد وعدهم الله بالنصر ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠]، ونهاية

اليهود قريبة بإذن الله تعالىٰ، فقد زاد طغيانهم وتجبُّرهم.. ولكن لا بد قبلها من عودةٍ واستمساكٍ بدين الله القويم وحبله المتين ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق].

وفي العهد المملوكي تكاثر اليهود نسبيًا في فلسطين والقدس، وبدأت بينهم تنظيمات سريَّة تفرض عليهم الأتاوات لصالح هذه التنظيمات، وقد حدث في عهد السلطان الملك الأشرف قايتباي (من المماليك البرجية) (١٤٦٨ ـ ١٤٩٦م/٨٧١ ـ ٨٩٩هـ) أن أحد اليهود رفض دفع الأتاوة، ودخل في الإسلام وأسلمت أمه، وأوقفت بيتها الواقع في الحيِّ اليهودي ليكون مسجدًا للمسلمين، فلجأ المسلمون في المدينة إلىٰ المحكمة الشرعية سنة ٨٧٨هـ/١٤٧٥م ليجلوا اليهود من مجاورة المسجد الجديد وإزالة كنيس اليهود، وحكمت المحكمة في صالح المسلمين، ولكن اليهود استأنفوا الحكم عند السلطان في مصر فنقضت محكمة القاهرة حكم محكمة القدس وأفتت بأن لا ضير بأن يقوم المسجد بجوار الكنيس اليهودي، وأمرت بإعادة بناء ما تهدَّم من بناء الكنيس علىٰ نفقة المسلمين، ويقول الدكتور حسن ظاظا الذي أورد هذه الحادثة في كتابه «القدس مدينة الله أم مدينة داود»: أن الربّي (حاخام اليهود) عوبد يادي برطينور المعاصر لتلك الأحداث قد سجَّلها وبعث بها في رسالة له من القدس، فأي تسامح أكبر من هذا التسامح وأي احترامٍ للأديان أكبر من هذا الاحترام؟ وأين ما نشاهده اليوم من تحطيم للمساجد وتحويلها إلىٰ إسطبلاتٍ أو متاحف أو حتىٰ مراقص، وهو ما حدث لكثير من المساجد

في فلسطين المحتلَّة عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٨م مما فعله المسلمون من محافظة علىٰ كرامة أهل الذمة وبِيَعهم وكنائسهم.

وفي عام ٨٩٦هـ/١٤٩٢م تمَّ طرد المسلمين واليهود من الأندلس حيث كان المسلمون يُحسنون معاملة اليهود والنصارىٰ تحت حكمهم.. وانتقل كثيرٌ من هؤلاء اليهود إلىٰ المغرب العربي وإلىٰ الدولة العثمانية، وانتقل بعضهم بعد ذلك إلىٰ مصر وإلىٰ فلسطين وسكن عدد منهم في القدس، فلم يجدوا من المسلمين إلا كُلَّ ترحابٍ، وعاشوا في أمنٍ وأمانٍ، وكوَّنوا ثروات ضخمة فلم يمسهم أحدٌ بأذىٰ، ولم يقع لليهود ما وقع لهم في أوربا من مذابح متتابعة كان آخرها ما فعلها بهم هتلر، ولكن هؤلاء اليهود يجازون المسلمين جزاء سنّمار، واحتلوا أرضهم وطردوهم من وطنهم فلسطين وفعلوا بهم الأفاعيل بمساعدةٍ كاملةٍ من دول أوربا التي أرادت أن تتخلص من اليهود بطردهم إلىٰ فلسطين.. وكانت بريطانيا التي استولت علىٰ فلسطين في نهاية الحرب العالمية الأولىٰ هي التي تولَّت كِبْرَ تهجير اليهود إلىٰ فلسطين وتسليحهم بناءً علىٰ وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا المشؤوم في عام ١٣٣٤هـ/١٩١٧م.

وفي أثناء الحكم العثماني الذي حلَّ محلَّ المماليك بعد معركة مرج دابق وهزيمة السلطان قانصوه الغوري علىٰ يد السلطان سليم عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م، استمرَّت سياسة المسلمين المتسامحة تجاه جميع الملل، وكان نصيب اليهود والنصارىٰ من ذلك أوفر نصيب، وعاملوهم بكل إحسانٍ وعدالة وشهامة، وعندما فرَّ اليهود من الأندلس لجؤوا إلىٰ البلاد الإسلامية واستقرَّ كثيرٌ منهم في بلاد المغرب العربي وبعضهم في تركيا.

كما انتقلت مجموعات منهم إلىٰ مصر وفلسطين، واستطاع يوسف ناسي أحد اللاجئين اليهود بأن يحصل علىٰ عطفِ السلطان سليمان القانوني وعيَّنه أحد مستشاريه، ثم نال عطف ابنه السلطان سليم الثاني (١٥٦٦ ـ ١٥٧٤/٩٧٢ ـ ٩٨٠هـ) وحصل منهما علىٰ امتيازاتٍ كثيرة، وسمح لليهود بالوقوف عند حائط البراق دون إحداثِ ضجيجٍ أو عويل.

وعندما استقلَّ محمد علي باشا عن الحكم العثماني، واستولىٰ علىٰ مصر والشام بمساندة الدول والأوربية وبالذات فرنسا وإنجلترا أرسل ابنه إبراهيم باشا ليحكم الشام وفلسطين، وذلك من عام ١٢٤٥هـ/١٨٣١م إلىٰ عام ١٢٥٤هـ/١٨٤٠م.

وقد سمح إبراهيم باشا بترميم كنيس قديم لليهود في القدس بشرط أن لا يزيدوا في المباني القديمة، كما سمح لأحد اليهود بأن يشترك في مجلس شورىٰ القدس ممثلاً للطائفة اليهودية، وألغىٰ محمد علي باشا الضرائب التي تؤخذ من رؤوس اليهود والنصارىٰ (الجزية) وطلب اليهود في القدس أن يُسمح لهم بشراء الأملاك والأراضي الزراعية، ولما عُرض الأمر علىٰ مجلس شورىٰ المدينة رُفض الطلب، وأجاب محمد علي باشا عندما رفع الأمر إليه بقوله: «لا يسمح ببيع الأراضي في القدس ونواحيها لليهود الأجانب، نظرًا لعدم وجود مسوِّغٍ شرعي لهذا العمل».

وهذا ملحظٌ هام من محمد علي باشا، فقد كان اليهود يتقاطرون علىٰ فلسطين ويتكاثرون فيها وبالذات في القدس، وقد مورست ضغوطٌ شديدةٌ من الدول الأوربية علىٰ محمد علي باشا ليفتح باب الهجرة إلىٰ فلسطين لليهود، ولذا زاد عددهم في فلسطين من بضع مئات إلىٰ ثمانية

آلافٍ كما يقول المليونير اليهودي الإنجليزي حاييم منتفيوري، وتوزَّعوا علىٰ القدس وطبريا والخليل وصفد، وكان عددهم في القدس وحدها أكثر من ثلاثة آلاف يهودي، ويعتبر موقف محمد علي باشا في منع هؤلاء اليهود الأجانب استملاك الأراضي في القدس ونواحيها موقفًا واعيًا ومدركًا لمخاطر اليهود واستملاكهم لأراضي فلسطين عامة والقدس خاصة.

وقد ذكر المؤرِّخون أن اليهود الذين سُمِحَ لهم بالوقوف أمام حائط البراق دون عويل أو ضجيج استغلُّوا تكاثرهم في المدينة المقدسة وبدؤوا يحدثون ضجيجًا وعويلاً أمام الحائط وسمّوه حائط المبكىٰ علىٰ اعتبار أنه من بقايا الهيكل القديم، وقد سُجِّل ذلك في وثائق المحفوظات المصرية في عهد محمد علي باشا وبالذات سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م، ومنعوا من إحداث هذا الضجيج.

وكانت بريطانيا قد أقامت أول قنصلية غربية في القدس في ذلك العام (أي عام ١٨٣٩) وجعلت حماية اليهود وتيسير الأمور لهم شغلها الشاغل.. وقد ادَّعت بريطانيا أن أحد رعاياها اليهود في القدس قد أصيبَ بمرضٍ عقلي (لطف) وأنه قد نذر علىٰ نفسه أن يبلِّط زقاق البراق عند حائط (المبكىٰ) ويستدعي ذلك استخراج رخصة من مأمور القدس، ورفض مجلس القدس ذلك الطلب لأن في ذلك اعتداءً علىٰ حارة المغاربة المحيطة بالحائط الغربي (حائط البراق الذي أسماه اليهود حائط المبكىٰ) وأن المكان المراد تبليطه ملاصقٌ لسور الحرم القدسي ومحل ربط البراق، وهو طريق في حارة المغاربة، ويتوصل به إلىٰ وقف سيدنا أبي مدين.. ولا يجوز شرعًا للأجنبي أن يعمر في ملك الغير ولا يحقُّ لطائفة اليهود أن

يحدثوا شيئًا زيادة عن ما كان لليهود، بل يبقىٰ القديم علىٰ قدمه، وبناء علىٰ ذلك صدرت هذه الخلاصة من مجلس شورىٰ القدس الشريف لحضرة السيد أحمد آغا الدزدار قائمقام ملكية متسلم القدس الشريف ليجري العمل بموجبها، حرر في ٥ ذي الحجة ١٢٥٥هـ/ آذار ١٨٤٠، وهكذا تمَّ إيقاف هذا المخطَّط الذي يهدف إلىٰ الاستيلاء علىٰ جزءٍ من أرض الحرم القدسي.

وكان عدد اليهود في القدس فيما بين القرن السابع عشر والتاسع عشر ستمائة شخص من بين أربعين ألفًا هم سكان المدينة المقدسة، ورغم هذا وبضغطٍ من الدول الأوربية وخاصة إنجلترا تقاطر اليهود علىٰ فلسطين وازدادوا بسرعة كبيرة، ففي عام ١٢٦١هـ/١٨٤٥م وصل عددهم اثنا عشر ألفًا، وقد تضاعفوا إلىٰ أربعة وعشرين ألفًا في عام ١٢٩٨هـ/١٨٨٢م، ثم تسارعت الهجرة إلىٰ فلسطين فوصلوا سبعة وأربعين ألفًا عام ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م وفي نهاية القرن التاسع عشر (١٩٠٠/١٣١٧هـ) وصلوا إلىٰ خمسين ألف نسمة.. وعندما عزل السلطان عبد الحيمد وتولَّت جميعة الاتحاد والترقي الماسونية ازداد العدد حتىٰ بلغ ٨٥,٠٠٠ نسمة عام (١٩١٤م/١٣٣١هـ، ولكن اليهود بدؤوا الهجرة من فلسطين مع اشتداد الحرب العالمية (١٣٣٣ - ١٣٣٥هـ/١٩١٦ - ١٩١٨م) فانخفض عددهم إلىٰ ٥٦,٠٠٠، ولكن ما أن وضعت الحرب أوزارها واستولت بريطانيا حامية اليهود علىٰ فلسطين واعتُرِفَ لها رسميًّا بالانتداب عام ١٩١٨/١٣٣٥هـ حتىٰ تقاطر اليهود علىٰ فلسطين، بحلول عام ١٩٢٢ بلغ عددهم ٨٣,٠٠٠، وساعدهم علىٰ ذلك وعد بلفور عام ١٩١٧م، وحماية

بريطانيا وتولي مجموعة من الموظفين اليهود الإنجليز الحكم المباشر لفلسطين.

ومنذ ذلك اليوم بدأت نكبة فلسطين والقدس ولا تزال النكبات تتوالىٰ بسبب تآمر اليهود والصليبيين وضعف المسلمين وتخاذلهم إلىٰ أن يقضي الله أمرًا كان مفعولاً.





الصهيونية المسيحية والقضية الفلسطينية والقدس

معاداة اليهود للمسيح
عيسى ابن مريم عليه السلام

لقد كذَّب اليهود المسيح عيسىٰ ابن مريم عليه السلام، واتَّهموه بالسِّحر والهرطقة وأنه يثير فتنة ضد الدولة، واتهموا أمَّه بالزنا، وحكم السنهدرين (المحكمة العليا اليهودية) بصلب المسيح مع اثنين من اللصوص، وبما أن اليهود كانوا تحت الحكم الروماني (مع نوع من الحكم الذاتي) فإنهم ذهبوا إلىٰ الحاكم بيلاطس ليصلب المسيح، ولكن بيلاطس رأىٰ أن المسيح بريء من كلِّ التُّهم التي ألصقوها به، وقال لليهود: «إنني بريء من دم هذا البار!! أبصروا أنتم، فأجاب جميع الشعب وقالوا: دمه علينا وعلىٰ أولادنا» [إنجيل متىٰ ٢٧: ٢٤ ـ ٢٦].

وتفاخر اليهود بفعلتهم الشنيعة وقالوا متبجحين كما رواه عنهم ربُّ العزَّة والجلال حيث فضح المولىٰ كُفرهم وعُتوَّهم، قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء].

تسلل اليهود إلىٰ الكنيسة وتغيير مفاهيمها

ورغم اعتراف اليهود بل وتبجّحهم بقتل عيسىٰ عليه السلام ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾، ورغم سبِّهم وقذفهم لعيسىٰ وأمه وقولهم في التلمود: «يسوع المسيح ارتدَّ عن دين اليهود وعَبَد الأوثان، وكل مسيحي لم يتهوَّد فهو وثني عدو لله ولليهود» وقولهم: «يسوع الناصري موجود في لجَّات الجحيم بين الزفت والقطران، وأمه مريم أتت به من زناها بالعسكري باندارا (لعنة الله علىٰ اليهود).. والكنائس المسيحية بمقام القاذورات، والواعظون فيها كلاب نابحة، والخارجون عن دين اليهود خنازير نجسة.. وأقتل الصالح من غير اليهود، وقتل النصارىٰ من الأفعال التي يكافئ الله عليها، وإذا لم يتمكن اليهود من هلاكهم فواجب عليه أن يفعل ذلك في أي وقت وعلىٰ أي وجه.. وعلىٰ اليهود أن يعاملوا النصارىٰ كحيوانات دنيئة غير عاقلة.. الخ».

ورغم العداء الطويل بين الكنيسة واليهود علىٰ مدىٰ التاريخ إلا أن اليهود استطاعوا بذكائهم ومكرهم أن يتسللوا إلىٰ الكنائس المسيحية في الغرب، وأن يغيِّروا عقائدهم، حتَّىٰ تحول كثيرٌ من البروتستانت إلىٰ متعصِّبين لليهود بدرجة تفوق الخيال، وحتىٰ استطاعوا أيضًا أن يفرضوا علىٰ الفاتيكان أن يُبرِّئ اليهود من دم المسيح مناقضين بذلك ما جاء في إنجيل متَّىٰ من اعترافهم وإصرارهم بأن دم المسيح عليهم وعلىٰ أولادهم إلىٰ أبد الآبدين.

ورغم ما ذكرناه من العداء الشديد بين اليهود والنصارىٰ وما قام به اليهود من الانضمام إلىٰ الفرس سنة ٦١٤م حيث ذبحوا ستِّين ألفًا نصارىٰ

القدس، وأشعلوا النار في كنيسة القيامة، ولكن هرقل استعاد الشام وفلسطين من الفرس وانتقم من اليهود فقتل من قتل وشرَّد من شرَّد، وذلك عام ٦٢٤م، ثم عاود النصارىٰ ذبح اليهود عندما دخلوا إلىٰ القدس وفلسطين أثناء الحروب الصليبية ١٠٩٩م، ومنعوهم من دخول القدس إلا أفرادًا محدودين جدًّا، وظل الأمر علىٰ ذلك حتىٰ حرَّر صلاح الدين القدس سنة ١١٨٧م، عندما سمح لليهود مرة أخرىٰ بالسكن حيث يشاؤون، وعاملهم معاملة حسنة، اعترف بها اليهود أنفسهم، وأشادوا بصلاح الدين كما قد مرَّ معنا.

ورغم اضطهاد الأسبان لليهود وطردهم من أسبانيا عام ١٤٩٢ وما بعدها، بعد أن سقطت غرناطة في أيديهم، وانتهىٰ الحكم الإسلامي من الجزيرة الإيبرية، رغم هذا كله تحولت أوربا المسيحية رويدًا رويدًا من كره اليهود واضطهادهم والتضييق عليهم إلىٰ محبة اليهود ومناصرتهم والسعي الحثيث في إعادتهم إلىٰ فلسطين والقدس، وإقامة دولتهم التي يتغنَّون بها وبديمقراطيتها، وأنها تحقيق للوعد الإلهي المتكرر في التوراة لإبراهيم وإسحاق ويعقوب.

ولم يحدث هذا التحوُّل فجأة، بل حدث بالتدريج نتيجة جهود حثيقة بذلها اليهود بمكرهم وخداعهم، ودخول بعضهم في الدين المسيحي وتحويل عقائده من بغض اليهود إلىٰ محبَّتهم.

كالفن اليهودي يتزعم الإصلاح الديني المسيحي

وقد استطاع كالفن اليهودي (١٥٠٩ ـ ١٥٦٤) أن يتظاهر بالدخول في الدين المسيحي وأن يقوم بما يُسمَّىٰ الإصلاح الديني في سويسرا

وهولنده ووسط أوربا، وذلك في بدايات القرن السادس عشر الميلادي، ثم قام مارتن لوثر الألمانبي بالشِّقِّ الثاني من هذا الإصلاح الديني، وكوَّن المذهب البروتستانتي، ونشر كتاب «عيسىٰ ولد يهوديًا» سنة ١٥٢٣م والذي قال فيه: «إن الروح القدس أنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم، إن اليهود هم أبناء الله، ونحن الضيوف الغرباء، ولذلك فإن علينا أن نرضىٰ بأن نكون كالكلاب التي تأكل مما يتساقط من فتات مائدة أسيادها كالمرأة الكنعانية تمامًا»[(١)].

ورغم أن مارتن لوثر نفسه قد عرف كيد يهود وأكاذيبهم، وأصدر بعد ٢١ عامًا من كتابه الأول كتابًا جديدًا بعنوان «فيما يتعلق باليهود وأكاذيبهم» سنة ١٥٤٤م إلا أن كتابه الأخير لقي إهمالاً تامًّا، وتجاهلاً من أعمدة المذهب البروتستانتي، واستمرَّ أنصاره ينشرون كتابه الأول، ويُخفون كتابه الأخير إلا علىٰ قلة من المطَّلعين، وقد أصدرت الجماعات اللوثرية (المنتسبة إلىٰ مارتن لوثر) إدانتها لكتابه الأخير وتبرؤها منه، وتمسُّكها الشديد بكتابه الأول: «عيسىٰ ولد يهوديًّا» وهو كتاب لاقىٰ من العناية والنشر علىٰ نطاق واسع في عشرات الطبعات وبعدَّة لغات ما لم يلقه كتاب مثله بعد الكتاب المقدَّس، وقد أصدر الاتحاد العالمي للوثرين

(١) وذلك إشارة إلىٰ ما جاء في الإنجيل عن المرأة الكنعانية التي استنجدت بالمسيح ليشفي ابنتها المجنونة فلم يرد عليها، «فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا، فأجاب وقال: لم أرسل إلا إلىٰ خراف بيت إسرائيل الضالَّة، فأتت وسجدت له قائلة: يا سيِّد أعِنِّي، فأجاب وقال: ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب. فقالت: نعم يا سيِّد، والكلاب أيضًا تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها. حينئذٍ أجاب يسوع وقال لها: يا امرأة عظيم إيمانك، ليكن لك كما تريدين، فشفيت ابنتها من تلك الساعة» [إنجيل متىٰ ١٥: ٢١ ـ ٢٨].

عام ١٩٨٣ بيانًا من استكهولم بالسويد جاء فيه عدم التزام اللوثريين بكل ما صدر عن لوثر بشأن اليهود، وفي نفس العام اجتمع رؤساء الكنائس اللوثرية الأمريكية في سانت لويس بالولايات المتحدة وأعلنوا أسفهم للملاحظات المتطرِّفة لمارتن لوثر التي أبداها نحو اليهود وتبرؤهم من تلك الملاحظات المهينة.

العقائد البروتستانتية الصهيونية

وكانت العقائد البروتستانية تؤكد علىٰ ثلاثة أمور:

الأول: وهو أن اليهود هم شعب الله المختار، وهم أبناء الله وأحبَّاؤه.

الثاني: أن الله قد أعطىٰ لليهود بواسطة آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب عهدًا أبديًا ثابتًا في أرض كنعان (فلسطين).

الثالث: أن السيد المسيح لن يعود إلىٰ الأرض مرة ثانية ليحكم الألفية السعيدة الأخيرة إلا بتحقق ثلاثة شروط، هي عودة بني إسرائيل إلىٰ فلسطين واستيلاؤهم عليها، والثاني استيلاؤهم علىٰ أورشليم، والثالث هو إعادة بناء الهيكل.

الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية تؤكد أن العهد قد نزع من اليهود وأعطي لغيرهم

كانت الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية تؤكِّدان علىٰ أن عهد الله مع بني إسرائيل انتهىٰ، لأنهم رفضوا المسيح وكذَّبوه وقتلوه وصلبوه (حسب اعتقادهم)، وأن العهد الجديد هو مع كل من آمن بالمخلِّص يسوع

المسيح، وأن المسيح نفسه قد أكَّد علىٰ خراب أورشليم، وهدم الهيكل، وطرد اليهود، عقوبة لهم علىٰ جرائمهم الكثيرة التي لا تكاد تُعدُّ ولا تُحصىٰ، وأن النبوءات الموجودة في أسفار العهد القديم مثل حزقيال وأرميا ويوئيل والتي تتحدث عن عودة بني إسرائيل إلىٰ فلسطين وإعادة بناء أورشليم والهيكل قد تحققت قبل زمن عيسىٰ (عليه السلام)، وذلك بعودتهم من بابل علىٰ يد قورش الفارسي، وبناء الهيكل الثاني، وذلك في القرن السادس قبل الميلاد، وعليه فإن أورشليم هي مدينة الله، ومدينة المؤمنين ـ حسب زعمهم ـ بالمسيح المخلِّص ابن الله، وأن فلسطين كلها هي إرث المسيحيين أتباع يسوع، وهذه هي العقيدة التي نشرها علىٰ نطاق واسع القدِّيس أوغسطين[(١)].

الإصلاح الديني يعيد لليهود دورهم كشعب الله المختار

ولكن الإصلاح الديني علىٰ يدِ الفرق البوتستانتية تنكَّرَ لهذه المفاهيم والعقائد، وقرر أن اليهود هم شعب الله المختار، وأن عودتهم إلىٰ أورشليم وفلسطين المذكورة في الأسفار القديمة ليست متعلقة بعودتهم من بابل، وإنما تتحدث عن عودة اليهود اليوم إلىٰ فلسطين، وأن

(١) بقي موقف الكنيسة الكاثوليكية ضد اليهود إلىٰ الستينات من القرن العشرين عندما تم تبرئة اليهود من صلب المسيح، وقد رتب الدبلوماسي البريطاني ماركس سايكس الكاثوليكي المذهب والمتعصب لليهود، رتَّب مقابلة بين البابا بيوس العاشر وتيودور هيرتزل حتىٰ يساند دعوىٰ اليهود لجعل فلسطين وطنًا قوميًا لهم، ورفض البابا بيوس ذلك بشدة، وأن فلسطين ليست لليهود فهم قد رفضوا المسيح واضطهدوه، واضطهدوا أتباعه. (انظر معروف الدواليبي: «أمريكا وإسرائيل» إصدار دار القلم، دمشق ٢٠٠٠، ص٦٧ ـ ٦٩).

هذه العودة ضرورية جدًا لمجيء المخلِّص يسوع، وقيام مملكته الألفية الأخيرة السعيدة!!

ولهذا صار العهد القديم المرجع الأعلىٰ لفهم العقيدة المسيحية وبلورتها عند جميع الفرق البروتستانتية، علىٰ عكس ما كانت تقوله الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأثوذوكسية، بل وجعل الأمر لدىٰ هؤلاء البروتستانت بفِرَقهم المختلفة إلىٰ اعتبار اللغة العبرية هي اللغة المقدَّسة، وهي اللغة التي خاطب الله بها عبر أنبيائه شعبه المختار، ولذا صارت هذه اللغة المعتمدة للدراسات الدينية، بل إن المهاجرين الأوائل من البروتستانت والمتطهرين Puritans إلىٰ أمريكا الشمالية في القرن السادس عشر الميلادي أعطوا أبناءهم أسماء عبرية، وفرضوا تعليم اللغة العبرية في مدارسهم وجامعاتهم، وكانت أول درجة دكتوراه تمنح من جامعة هارفارد، وهي أقدم الجامعات وأكثرها شهرة كانت بعنوان: «اللغة العبرية هي اللغة الأم» وذلك عام ١٦٤٢، وأول كتاب صدر في أمريكا الشمالية كان سفر المزامير (Psalms)، وأول مجلة كانت مجلة اليهودي[١]. وكان هؤلاء البروتستانت يتخيلون أنفسهم وكأنهم من بني إسرائيل قد أمرهم الرب باحتلال أرض كنعان وإبادة سكانها، وأسقطوا ذلك في أوهامهم علىٰ الهنود الحمر المساكين حتىٰ أنهم ـ كما تقول دائرة العارف البريطانية ـ قد أبادوا علىٰ مدىٰ قرنين من الزمن أكثر من مائة مليون من

---

(١) Regina Sharif: Non Jewish Zionism, Its Roots in Western History, London Zed Press, 1983.

نقلاً عن محمد السماك «الصهيونية المسيحية» دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٣م، ص ٥٥ ـ ٥٦.

سكان أمريكا الشمالية والجنوبية، وكانت الإبادة في الشمال أكثر وأشد من تلك التي كانت في أمريكا الجنوبية والوسطىٰ، حيث اعتمد الأسبان والبرتغال سياسة التنصير بالقوة، فمن تنصَّر من هؤلاء الهنود الحمر نجا من القتل، ومن لم يتنصَّر فإن مصيره الإبادة، بينما اعتمد البروتستانت والمتطهِّرون علىٰ سياسة الإبادة للهنود الحمر بصرف النظر عن توجههم الديني، لا بل ورغم اعتناق بعضهم للمسيحية!! وكان القساوسة الإنجيليون يشبِّهون الشعب الأمريكي بالشعب اليهودي الذي يكافح من أجل استرجاع أرض الميعاد.

تمجيد اليهود لدىٰ البروتستانت

ومنذ فترة مبكرة في تاريخ الجماعات البروتستانتية ظهر تمجيد اليهود وإضفاء صفات الشعب المختار عليهم، «وأن اليهود هم أبناء الله، ونحن الضيوف الغرباء، ولذلك فإن علينا أن نرضىٰ بأن نكون كالكلاب التي تأكل مما يتساقط من فتات مائدة أسيادها، كالمرأة الكنعانية».

مهاجمة الإنجيل وتسفيه كلام يسوع ضد اليهود!!

وكتب الفيلسوف الهولندي هوجو جروبتوس يدافع عن اليهود ويسفِّه ما ورد في الإنجيل علىٰ لسان عيسىٰ من سبِّ اليهود والفريسيين والكتبة، ونشر ذلك في كتابه «حقيقة الدين المسيحي» وأبرز الجوامع المشتركة بين اليهودية والمسيحية الجديدة!!.

وعندما انفصل الملك هنري الثامن عن كنيسة روما بسبب تعدَّد زواجه، وقيام البابا بطرده وطرد نسله إلىٰ أبد الآبدين من ملكوت الله،

تحولت إنجلترا إلىٰ البروتستانتية، وتجذَّرت علاقة إنجلترا باليهود شعب الله المختار، وأصدر عالم اللاهوت اليهودي البريطاني توماتس برايتمان (١٥٦٢ ـ ١٦٠٧) كتابه عن أحداث آخر الزمان والتي سيظهر فيها مسيح الرب ويحكم العالم لألف عام «الأحداث التي وردت بشكل غامض في سفر الرؤيا» (Apocalypsis Apocalypscos) وقال فيه: إن الله يريد عودة اليهود إلىٰ فلسطين وأن يحكموا أورشليم ويعيدوا الهيكل حتىٰ يتمكن مسيح الرب من الظهور ليصبح سيِّد العالم ويحكمه لمدة ألف عام[١].

وظهر بعد ذلك هنري فنش صاحب كتاب «العودة الكبرىٰ للعالم»[٢] سنة ١٦٢١ والذي قال فيه: «ليس اليهود قلَّة مبعثرة، بل إنهم أمة، وستعود هذه الأمة إلىٰ طنها فلسطين وسيعيشون في وطنهم إلىٰ الأبد».

وهكذا تحوَّل العهد القديم علىٰ يد مجموعة من اليهود المتنصِّرين وأنصارهم إلىٰ كتاب يبشِّر بعودة شعب الله المختار من فجاج الأرض إلىٰ أورشليم وفلسطين أرض كنعان التي جعلها الله حسب وعده المتكرر لإبراهيم وإسحاق ويعقوب لشعب إسرائيل وافرائيم إلىٰ أبد الآبدين.

---

(١) يعتقد اليهود أن ملكهم الموعود هو الماشيح (المسيح) الذي سيأتي في آخر الزمان ويحكمون به العالم من عاصمتهم أورشليم، وأنه سيحكم بالحديد والنار ويقتل جميع أعدائه، وله سيف من ذهب وتاج مرضع بالجواهر.. وأن عيسىٰ كذَّاب أشر ادَّعىٰ أنه المسيح، بينما يعتقد النصارىٰ أن يسوع هو المسيح المخلّص (ابن الله) وأنه رفع إلىٰ السماء بعد صلبه ودفنه (يسمىٰ عيد القيامة وهو عيد الفصح عندهم) وأنه سيعود ويحكم العالم ويدين أعداء المسيح.

(٢) Henry Finch: The World's Great Restoration.

المتطهرون (البيورتانيون) يَدْعون لإقامة دولة إسرائيل قبل ٣٥٠ عامًا

وقد صارت هذا الخزعبلات جُزءًا أساسيًا من عقيدة جميع الكنائس البروتستانتية ومن جوهر طقوسها، وأدت إلىٰ استعمال اللغة العبرية لدىٰ كثيرين في الصلاة في الكنائس، وإلىٰ تعميد الأطفال بأسماء عبرية، بل بلغ الأمر أن طالبت مجموعة لفلرز Levellers، (وهي مجموعة بيورتانية بريطانية) الحكومة البريطانية بأن تعلن التوراة والعهد القديم دستورًا للبلاد[١]. وتقدَّم العالِمان اللاهوتيَّان يوحنا وألينزر كارترايت (Joanna and alenezer Cartright) بمذكرة إلىٰ الحكومة البريطانية طالبًا فيها بأن يكون للشعب الإنجليزي والشعب الهولندي شرف حمل أبناء وبنات إسرائيل علىٰ متن سُفن إلىٰ الأرض التي وعد الله بها أجدادهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ومنحهم إياها إرثًا أبدًا، وذلك سنة ١٦٤٩[٢].

وعندما قامت ثورة كرومويل، وهي أول ثورة أوربية علىٰ الملكية، وأعلن الجمهورية أعلن تمسُّكه الشديد بالمفاهيم البروتستانتية التطهيرية الجديدة (كان رئيسًا للمحفل البيورتاني من سنة ١٦٤٩ - ١٦٥٩)[٣]، ودعا في المؤتمر الذي عقده في «الهوايت هول» عام ١٦٥٥ إلىٰ عودة اليهود إلىٰ بريطانيا وإلغاء قانون الطرد منها الذي أصدره الملك إدوارد، وتم ذلك بالفعل، وكان كثير من مستشاريه من اليهود، وكان بجانبه

(١) محمد السماك: «الصهيونية المسيحية» ص٣٨.

(٢) المصدر السابق، ص٣٩.

(٣) كان كرومويل أيضًا رئيسًا للمحفل الماسوني.

اليهودي مناسح بن إسرائيل الذي ربط الصهيونية بالمصالح الاستراتيجة لبريطانيا، والذي استطاع أن يقنع كرومويل بفكرة توطين اليهود في فلسطين لأن ذلك تحقيق لوعد الربِّ ذاته، وتقريب لعودة المسيح المخلِّص، وفي نفس الوقت تحقيق لمصالح بريطانيا الاستعمارية التوسعية.

الكالفينية تُغيِّر خريطة أوربا وتُظهر دولاً جديدة

ومنذ فترة مبكرة غزت الكالفينية[1] ما يسمىٰ بالأراضي الواطنة وسويسرا، وأدىٰ ذلك إلىٰ تكوُّن دولة هولنده بعد حروب بينها وبين جارتها الكاثوليكية بلجيكا، وتم فصل الدولة إلىٰ دولتين متحاربتين بسبب اختلاف الدين، وأدىٰ قيام جمهورية هولنده الكالفينية سنة ١٦٠٩ إلىٰ انتشار البروتستانتية في أوربا، وإلىٰ تغلغل اليهود في هذه المجتمعات وسيطرتهم علىٰ مقدَّراتها إلىٰ حدٍّ كبير.

والغريب حقًّا أن فرنسا الكاثوليكية تأثرت بهذه الدعوات البروتستانتية، وأدىٰ ذلك إلىٰ حروب مدِّمرة فيها، وإلىٰ ظهور عدد من الكتاب والمفكِّرين مثل فيليب جنتيل دي لانجلير (١٦٥٦ ـ ١٧١٧) الذي دعا إلىٰ مقايضة السلطان العثماني مدينة القدس بمدينة روما، تسهيلاً لتوطين اليهود في فلسطين، وصدرت كتب علىٰ نفس التوجه في ألمانيا والسويد والدينمارك، وقد دعا العالم الدينماركي هولجر بولي دول أوربا للقيام بحملة صليبية ضدَّ المسلمين وتخليص القدس من أيدي المسلمين، لا لعودتها إلىٰ أوربا المسيحية كما كانت تدعو الحملات الصليبية السابقة، وإنما لإسكان

---

(١) محمد السماك: «الصهيونية المسيحية» ص٤١.

اليهود في أورشليم وفلسطين تحقيقًا لوعود الربِّ ذاته لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، تلك العهود الموثقة بدم الغرلة وبالمحارق الكثيرة التي قدَّمها هؤلاء الآباء للرب.

الفلاسفة والأدباء يتغنَّون بأورشليم اليهودية

واستطاعت الثقافة الكنسية الجديدة أن تتغلغل في كافة طبقات المجتمع في الدول البروتستانتية، بل وفي بعض الدول الكاثوليكية كما سنوضِّحه بعد قليل، وظهر عددٌ كبيرٌ من الأدباء والشعراء الذين يتغنَّون بأورشليم اليهودية، ومنهم الشاعر ميلتون Milton صاحب الفردوس المفقود Paradise Lost حيث يقول: «إن الله سيشق لليهود طريق البحر ليعودوا إلىٰ وطنهم فلسطين، كما شقَّ لهم طريق البحر الأحمر ونهر الأردن عندما عاد آباؤهم إلىٰ أرض الميعاد، إنني أتركهم لعناية الله، وللوقت الذي يختاره من أجل عودتهم».

قارن هذا الموقف الداعم ليهود بموقف شكسبير الذي عاش قبل ميلتون بأكثر من قرنٍ من الزمان حيث وصف اليهودي شايلوك تاجر البندقية بأقذر الأوصاف، وهي تمثل حقًّا وصف ذلك اليهودي الجشع الذي يمتصُّ دماء من يقرضهم ويحتاجون إليه فيقتطع من لحومهم ودمائهم وفاءً لدَيْنه.

وتبع ميلتون عددٌ كبير من الأدباء والشعراء مثل لورد بايرون Lord Bayron ولكولريدج Colridge والكسندر بوب Alexander Pope ووليم بليك Wiilliam Blacke وجين راسين Jean Racine وجاك

بوسيه Jacque Bousset وجورج إليوت George Eliot الذي تنبأ بقيام دولة إسرائيل في روايته «دانيال ديروندا» واعتبرها مثال العدالة والحرية والإخاء.

وتذكر الكاتبة ريجينا الشريف أن عددًا من الفلاسفة من أمثال باسكال وكانت كانوا يؤمنون بوجوب عودة اليهود إلىٰ فلسطين، وكان إسحاق نيوتن يتحدث عن عودة اليهود إلىٰ وطنهم فلسطين!! كما أن جان جان روسو تحدث في كتابه «إميل» عام ١٧٦٢ عن اليوم الذي سيملك فيه اليهود دولتهم الحرَّة في فلسطين.

نابليون بونابرت يدعو لإقامة مملكة أورشليم القديمة

وعندما ظهر نابليون وكوَّن إمبراطوريته قام بحملته المشهورة علىٰ مصر سنة ١٧٩٨، وفي العام التالي (عام ١٧٩٩) وجَّه نداءه إلىٰ يهود العالم للقتال معه من أجل إعادة مملكة أورشليم القديمة، وتحقيق نبوءات العهد القديم وإعادة شعب الله المختار إلىٰ أرض الميعاد، وهجم بالفعل علىٰ عكَّا، ولكن حاكم عكَّا من قِبَل الدولة العثمانية أحمد سلطان باشا الجزار أحسن الدفاع عنها، وصدَّ قوات نابليون خائبة عن أسوارها، رغم التفوُّق العددي والتكنولوجي لقوَّات نابليون، وكانت تلك أول هزائم نابليون في الشرق.

ومع إطلالة القرن التاسع عشر تكونت في لندن «جمعية لندن لتعزيز العلاقة المسيحية اليهودية» سنة ١٨٠٧، **وقام الرئيس الأمريكي جون آدامز بالدعوة إلىٰ استعادة اليهود لوطنهم الموعزم وعودتهم إلىٰ أورشليم**

وفلسطين، وإقامة حكومة مستقلة لهم، وذلك سنة ١٨١٨، وتبع ذلك وساطات أمريكية لدىٰ السلطان العثماني ليسمح لليهود بالعودة إلىٰ فلسطين.

اللورد شافتسبري واللورد بالمرستون ودعم عودة اليهود إلىٰ فلسطين

وفي عام ١٨٣٨ قامت بريطانيا بإنشاء أول قنصلية لها في القدس لترعىٰ شؤون اليهود (علىٰ قلة عددهم آنذاك في القدس وفلسطين) وفي العام التالي ١٨٣٩ نشر اللورد آشلي كوبر (ايرل أوف شافتسبري) Lord Shaftesbury دراسة في ٣٠ صفحة طالب فيها بعودة اليهود إلىٰ أرض الميعاد، وأن اليهود هم الأمل في تجدد المسيحية وعودة المسيح، وأظهر شعار «وطن بلا شعب لشعب بلا وطن» لأول مرة في التاريخ.

وكان يساند لورد شافتسبري عدد من كبار الساسة ورجال الفكر في بريطانيا منهم دوق كنت Duke of Kent والسياسي البارز جلادستون، وتم في هذه الفترة التأكيد علىٰ الأفكار البروتستانتية التي تدعو إلىٰ عودة اليهود إلىٰ فلسطين وتملُّكهم لأورشليم وإعادة بناء الهيكل حتىٰ تتم عودة المسيح المخلِّص ليقيم ألفيته الأخيرة السعيدة، وفي نفس الوقت أكَّد هؤلاء السياسيون أن وجود اليهود في فلسطين يخدم مصالح بريطانيا ويحمي درة التاج البريطاني (الهند)، ويضعف الدولة العثمانية، ويمنع قيام أي دولة عربية إسلامية قوية.. وهكذا تمَّ التزاوج بين الصهيونية المسيحية الدينية والميكافيلية السياسية.

وكان اللورد بالمرستون (Palmerston) (١٧٨٤ - ١٨٦٥م) وزير

الخارجية البريطاني من المؤمنين إيمانًا كاملاً وقويًّا بأفكار اللور شافتسبري، وكان يعي جيدًا دعوة نابليون (الأول) لليهود عام ١٧٩٩ لمساندته لإقامة وطن قوميٍّ لهم في فلسطين تنفيذًا لوعود الرب لإبرام وإسحاق ويعقوب.

وقد تكررت فكرة نابليون الأول لدىٰ كثير من ساسة أوربا حيث نجد أن لويس الرابع عشر نفسه قد فكر في هذا المشروع الاستيطاني اليهودي حيث وضع له رئيس حكومته جين كولبير (Jean Colbert) تفاصيل هذا المشروع، ثم تكرر ذلك في عهد نابليون الثالث علىٰ يد مستشاره الخاص إرنست لاهاران (Ernest Laharanne) الذي ألف كتابًا دعىٰ فيه إلىٰ إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وأبرز فيه الجانب الديني في هذه القضيَّة، كما أبرز المكاسب الاقتصادية التي ستجنيها أوربا من هذا المشروع.

وقد افتتح اللورد بالمرستون، وزير الخارجية قنصلية في القدس لترعىٰ شؤون اليهود، وكان نائب القنصل وليم يونج (William young) صهيونيًا مسيحيًا متعصِّبًا، وكتب في تقريره أن عدد اليهود كان في سنة ١٨٣٨ ضئيلاً (٩٦٩٠ شخصًا في كل فلسطين) وأن حالتهم متردِّية ويعيش كثيرٌ منهم علىٰ المساعدات التي تأتيهم من الخارج.

والغريب أن مثل هذا الكلام دفع وزير البحرية البريطاني هنري إنس (Henry Innes) إلىٰ دعوة دول أوربا الشمالية وأمريكا للاقتداء بقورش الفارسي الذي أعاد اليهود من الأسر البابلي إلىٰ فلسطين وساعدهم علىٰ بناء أورشليم وبناء الهيكل سنة ٥٣٨ قبل الميلاد، وقد روَّجت الصحافة البريطانية لهذه المذكرة بعد أن أحالها وزير الخارجية إلىٰ الملكة فكتوريا،

واستمرَّت في عرضها، والتعليق عليها، والدعوة لها عامًا كاملاً، واستطاع بذلك أن يكسب لهذه الأفكار موافقة غالبية الشعب البريطاني وغالبية أعضاء البرلمان.

ولكن اليهود أنفسهم رفضوا العودة للأسباب التالية

١ ـ كان اليهود لا يزالون ضعفاء ويخشون من أن يتم تدمير الآلاف منهم في فلسطين بواسطة الدولة العثمانية والعرب الفلسطينيين.

٢ ـ كانت تعاليم التلمود تمنعهم من محاولة العودة إلىٰ فلسطين[١] وخاصة بعد أن فشلت مجموعة من الثورات والمحاولات منذ عهد باركوبا (ابن الكوكب) الذي ادَّعىٰ أنه المسيح المنتظر، واستطاع أن يحتلَّ مناطق عدة من فلسطين من سنة ١٣٠ إلىٰ سنة ١٣٥ ميلادية، ثم قام الإمبراطور الروماني هدريان بإرسال جيش قوي فقتله، وقتل مئات الآلاف من اليهود وطرد من بقي منهم، وغيَّر اسم أورشليم إلىٰ إيليا كابيتولينا، ووضع في مكان الهيكل تمثالاً ضخمًا لجوبيتير كبير آلهة الرومان، ومنذ ذلك الحين مُنع اليهود من دخول القدس إلىٰ العهد الإسلامي.

٣ ـ كانت تعاليم أحبار اليهود في التلمود تؤكد لهم أن الذي سيقوم

(١) تقول روث بلاو زوجة أحد كبار الحاخامات في القدس في كتابها «حراس المدينة» (ص٦١)، والذي نشرته دار النشر الفرنسية فلاماريون ١٩٧٨: «إن الله أمر شعب إسرائيل بعد نفيه من أرض كنعان أن لا يصعد في جماعات أو بالقوة إليها مرة أخرىٰ، وأن لا يحاولوا تقصير مدة الشتات (الدياسبورا) وأن لا يحاولوا العودة قبل مجيء مسيح اليهود، وإذا لم تحافظوا علىٰ هذه الأيمان فسوف أبيح صيدكم كما أبحت صيد الغزلان في الغابات.. وأن الله سيسحق جميع الأمم التي ستساعد شعب إسرائيل علىٰ تمرُّده».

بإعادة اليهود هو نفسه ملك اليهود المسيّا (المشيح أو المسيح «الدجَّال») ولذا فإن أي استعجال لمجيئه سيؤدي إلىٰ مزيد من المذابح لليهود[١]، وعلىٰ اليهود أن يعملوا بصمت وبهدوء حتىٰ يأتي الوقت المناسب، ويتمكَّنوا من العودة.

وهذا ما يفسِّر الحماس الشديد لدىٰ الصهيونية المسيحية لعودة اليهود إلىٰ فلسطين، وعدم الحماس لدىٰ الصهيونية اليهودية حتىٰ ظهور هيرتزل في أواخر القرن التاسع عشر عندما بدأت الظروف تنضج، والدولة العثمانية تهترئ وتلفظ آخر أنفاسها، والعرب مشتَّتون ممزَّقون.. ورغم ذلك كله فإن دعوة هرتزل لم تلق الدعم من جميع فرق اليهود، بل ظلت مجموعات منهم علىٰ خوفها وتوجُّسها من المذابح، وأخذ الضمانات والبحث عن الأمن لليهود (كما هو معهود منهم إلىٰ اليوم) ورويدًا رويدًا اقتنع هؤلاء المتشكِّكون في أهمية العودة وأن الوقت قد حان، وأن لا ضير من إيجاد الدولة اليهودية قبل مجيء المسيح (الدجال) فإذا جاء ملكوا العالم بأسره وحكموه من أورشليم.

وكان يهود أوربا الغربية ينعمون بحقوق كثيرة وقد فتحت لهم جميع الأبواب فتوصَّلوا إلىٰ مناصب هامة في الدول الأوربية الغربية، واستطاعوا

---

(١) نشرت الكاتبة جريس هالسيل في كتابها: «المؤامرة علىٰ المسجد الأقصىٰ» أن موسىٰ بن ميمون (ميمونيدس) وهو أكبر حاخام يهودي علىٰ مدىٰ التاريخ قرر أنه لا يجوز لأي يهودي أن يدخل منطقة الحرم الشريف قبل أن يظهر المنقذ اليهودي المنتظر. وحتىٰ لا يدوس اليهودي قُدس الأقداس في الهيكل المزعوم دون أن يدري (لعدم معرفة موقعه)، ولكن شارون تنكَّر حتىٰ لعقيدتهم هذه ونجَّس الحرم الشريف بأقدامه وذلك في ٢٠٠٠/٩/٢٨ مما أشعل انتفاضة الأقصىٰ المباركة.

تدريجيًّا أن يسيطروا علىٰ كثير من مقدَّراتها، وخاصة المالية منها، ثم أتبعوها بالسيطرة علىٰ الإعلام، بينما كان يهود روسيا ورومانيا والمجر وغيرهم من المناطق الأرثوذكسية يعانون من الاضطهاد بسبب مؤامراتهم المتكرِّرة ضد هذه الدول، وبسبب فشل اليهود في اختراق الكنيسة الأرثوذكسية مما حدىٰ بهم إلىٰ اغتيال قيصر روسا الإسكندر الثاني ١٨٨١[1]، وثبوت ذلك عليهم، مما أدَّىٰ إلىٰ تشديد الخناق ضدَّهم واضطرار الآلاف منهم للنزوح لأوربا الغربية والولايات المتحدة.

وقد أدىٰ ذلك إلىٰ ازديادٍ كبيرٍ في عدد اليهود الفارِّين من روسيا إلىٰ أوربا الغربية، وضاعف ذلك من رغبة الأوربيين الغربيين في التخلص من هؤلاء اليهود، رغم ادِّعائهم محبَّتهم وموالاتهم، ولم يكن هناك أفضل من إرسالهم إلىٰ فلسطين، وبذلك يتحقق لهم التخلص من اليهود، وإقامة الكيان الصهيوني وإرضاء الحس الديني البروتستانتي المنادي بمجيء المسيح المخلِّص ليحكم الألفية السعيدة، والمشروطة بعودة اليهود إلىٰ فلسطين،

---

(١) لقد دبَّرت الحركة الصهيونية اليهودية اغتيال القيصر الروسي في مارس ١٨٨١ بواسطة إحدىٰ اليهوديات، وأدىٰ فشل المحاولة إلىٰ هجرة مليون ونصف المليون من اليهود من روسيا ودول أوربا الشرقية الأرثوذوكسية في الفترة ما بين عام ١٨٨٢ ـ ١٩٠٤، وكان ذلك من أهداف الصهيونية، ولكن معظم هؤلاء اليهود لم يهاجروا إلىٰ فلسطين كما خطط لذلك زعماء الحركة الصهيونية، بل إلىٰ الولايات المتحدة، وخاصة بعد أن أوصدت أوربا الغربية في وجوههم سبل الإقامة فيها لدفعهم للهجرة إلىٰ فلسطين، ولهذا تنبهت الحركة الصهيونية بعد ذلك وحصرت الهجرة من الاتحاد السوفيتي وروسيا إلىٰ إسرائيل مباشرة، ومنعت هجرتهم إلىٰ الولايات المتحدة كما حدث في التسعينات من القرن العشرين حيث تم تهجير أكثر من مليون يهودي من الاتحاد السوفيتي السابق إلىٰ إسرائيل.

وإقامة دولتهم فيها، واستيلائهم علىٰ القدس، وإقامتهم للهيكل!! كما أن ذلك يخدم الأغراض الاستعمارية، وتحطيم الدولة العثمانية، ومنع قيام أي دولة عربية إسلامية قوية، وتكون فلسطين اليهودية ركيزة أساسية لمنع قيام مثل تلك الدولة.

السلطان عبد الحميد يتنبَّه إلىٰ قوة اليهود في أوربا ورفضه بإصرار توطين اليهود في فلسطين

وقد تنبَّه السلطان عبد الحميد لهذه الحقائق، فقد كتب في مذكراته سنة ١٨٩٥م/١٣١١هـ: «لليهود قوة في أوربا أكثر من قوتهم في الشرق، لهذا فإن أكثر الدول الأوربية تحبِّذ هجرة اليهود إلىٰ فلسطين لتتخلص من العرق السامي الذي زاد كثيرًا». وقال: «علينا أن نصرف النظر عن فكرة توطين المهاجرين اليهود في فلسطين، وإلا فإن اليهود إذا استوطنوا أرضًا تملَّكوا كافَّة قدراتها في وقتٍ قصير، وبذا نكون قد حكمنها علىٰ إخواننا في الدين بالموت المحتَّم». ثم قال في معرض ردِّه علىٰ المحاولات الأوربية والأمريكية العديدة ليسمح لليهود بالاستيطان في فلسطين: «لن يكتفي الصهاينة بممارسة الأعمال الزارعية (كما حاول هرتزل والسفراء الغربيون أن يقنعوه بذلك)، بل يريدون أمورًا أخرىٰ مثل تشكيل حكومة وانتخاب ممثلين، إنني أدرك أطماعهم جيِّدًا، لكن اليهود سطحيون في ظنهم أنني سأقبل محاولاتهم».

ومع هذا فقد استمرَّ اليهود في عرض ملايين الجنيهات الذهبية للسلطان لإنقاذ خزانته الخاوية كي يسمح لهم بالاستيطان، ولكنه رغم ذلك كله أبىٰ، مما أدىٰ إلىٰ فقدان عرشه كما سبق أن أوضحناه.

موجات الهجرة اليهودية في القرن التاسع عشر الميلادي

وقد شهدت فلسطين منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي موجات متعددة من الهجرة اليهودية بأشكال متعددة وبصورة حجاج يأتون لزيارة المقدَّسات الدينية ثم يمكثون في البلاد، ولذا أصدر السلطان أوامره بطرد كل من يتأخر في الإقامة أكثر من ثلاثة أشهر، ومع هذا فقد لعبت الرشوة والتلاعب دورًا في بقاء كثيرٍ من هؤلاء مع ضغوطِ الدولة الأوربية، وخاصة بريطانيا، مما سبق إيضاحه.

جد تشرشل يحثُّ اليهود للعودة إلىٰ فلسطين عام ١٨٤١

وسبق كل ذلك مؤلفات عديدة في أرجاء أوربا توضح أهمية قيام وطن قومي ديني يهودي في فلسطين، وممن كتب في هذا الموضوع تشارلز هنري تشرشل جد ونستون تشرشل الذي كتب رسالة مطولة إلىٰ رئيس المجلس اليهودي في لندن عام ١٨٤١يحثُّه فيها علىٰ قبول فكرة عودة اليهود إلىٰ فلسطين «وأن استعادة اليهود لوجودهم كشعب في فلسطين أمرٌ ميسور إذا توافر عاملان اثنان، أولهما أن يتولىٰ اليهود أنفسهم موضوع العودة علىٰ الصعيد العالمي، وثانيهما أن تبادر الدول الأوربية إلىٰ دعمهم بكل الوسائل لتحقيق هذا الهدف النبيل».

لورنس أوليفنت يضع مخططًا لمستوطنات يهودية

وقد وضع لورنس أوليفنت Lawrence Oliphant (١٨٢٩ - ١٨٨٨) البريطاني في كتابه «أرض جلعاد» (Land of Gelead) مخططًا

لإقامة مستوطنات يهودية تبدأ بشرق الأردن وتبلغ مساحتها مليون ونصف المليون فدَّان، ثم تمتدُّ بعد ذلك إلىٰ فلسطين ذاتها، أما بالنسبة للسكان العرب فقد اقترح التخلص منهم كما تمَّ التخلص من الهنود الحمر في أمريكا وتجميع من سيبقىٰ منهم في مناطق خاصة محدودة مثلما حدث للهنود الحمر.

وقد عهد رئيس الوزراء البريطاني دزرائيلي (وهو يهودي) ووزير خارجيته اللورد سالزبري إلىٰ أوليفنت (وهو أيضًا يهودي بريطاني) أن يتفاوض مع السلطان العثماني من أجل الحصول علىٰ موافقته علىٰ توطين اليهود في فلسطين.

القس وليم هشلر ينظِّم تهجير اليهود ومساعدة هرتزل

وفي نفس الوقت كان القس البريطاني وليم هشلر (William Hechler) الملحق بالسفارة البريطانية في فيينا (النمسا) ينظِّم عملية في فيينا من أجل دعم تهجير اليهود الروس إلىٰ فلسطين، واستمرَّ يدعو بقوة إلىٰ عودة اليهود إلىٰ فلسطين علىٰ أساس ديني بروتستانتي، وفصَّل ذلك كله في كتابه «عودة اليهود إلىٰ فلسطين» الذي أصدره عام ١٨٩٤م.

وقام هشلر بترتيب لقاء بين هرتزل مع دوق بادن عم القيصر الألماني ولهلم الثاني، الذي بدوره يسَّر له لقاء القيصر، وقد حاول هرتزل أن يقنع القيصر بأنه قورش الذي أرسله الله لإنقاذ اليهود وإعادتهم إلىٰ وطنهم تمامًا كما فعل قورش الفارسي سنة ٥٣٨ قبل الميلاد، وقد تعمَّد هرتزل مقابلة القيصر الألماني لعلاقته الوطيدة بالسلطان العثماني حتىٰ يضغط علىٰ السلطان عبد الحميد ليسمح بدخول اليهود إلىٰ فلسطين.

وفي نفس الفترة التي كان فيها البروتستانت المسيحيون الصهيونيون يحفزن اليهود للاستعجال بالعودة إلىٰ فلسطين وإقامة دولتهم بدعمٍ كامل من أوربا الغربية وخاصة بريطانيا، فإن الصهاينة المسيحيون في الولايات المتحدة كانوا يقومون بالدور ذاته، فقد اقترح الرئيس جيفرسون في وقتٍ مبكِّرٍ أن يكون شعار أمريكا غيمة في النهار وعمود من نور في الليل بدلاً من شعار النسر وذلك توافقًا لما جاء في سفر الخروج (التوراة) من أن الله كان يسير مع بني إسرائيل في التيه ليدلهم علىٰ الطريق علىٰ هيئة غمامة (سحابة) في النهار وعمود من نور في الليل، ورغم ذلك فقد قضىٰ أربعين سنة ـ حسب زعمهم ـ دون أن يستطيع أن يدلَّهم علىٰ الطريق. (ألا لعنة الله علىٰ اليهود).

القس جريسون يقيم مستوطنة في فلسطين

ومنذ عام ١٨١٤ ظهرت الدعوات الأمريكية الإنجيلية التي تدعو لتوطين اليهود في فلسطين لتحقيق النبوءات وللتعجيل بعودة المسيح المخلِّص، وقام القس واردر جريسون، (Warder Gresson) بالعمل في القنصلية الأمريكية في القدس كمستشار ثم صار هو القنصل، ومن فرط حماسته لليهود اعتنق الديانة اليهودية عام ١٨٥٢م، وكان نشاطه كله يدور حول إقامة وطن لليهود في فلسطين، وبالفعل تمَّ إقامة مستوطنة زراعية هناك، ووطَّن فيها مجموعة من اليهود والإنجيليين الصهاينة المتحمسين لفكرته، ثم توالت المستوطنات بتمويل رجال الأعمال الأمريكيين الصهانية المسيحيين، ثم بعد ذلك اليهود، وقامت مستوطنة جبل الأمل إلىٰ الغرب من يافا عام ١٨٥٠م.

وكانت المشكلة هي في إقناع اليهود بالهجرة إلىٰ فلسطين، ولكن عندما طُرِدَ اليهود من روسيا بعد اغتيالهم القيصر الاسكندر الثاني سنة ١٨٨١، توجه الآلاف منهم إلىٰ أوربا الغربية والولايات المتحدة، وانزعجت أوربا والولايات المتحدة من هذه الهجرة اليهودية المتدفِّقة عليها، فازدادت بذلك فكرة توطين اليهود في فلسطين وإقامة وطن قومي لهم، وبدأ اليهود أنفسهم يعملون بشكل حثيث علىٰ هذه العودة وعلىٰ رأسهم هرتزل، وفي خلال عامين فقط (١٨٨٢ ـ ١٨٨٤) تم إقامة ثمان مستوطنات يهودية في فلسطين.

القس بلاكستون ودوره في عودة اليهود إلىٰ فلسطين

وكان بلاكستون (William Blackston) قد نشر كتابه «المسيح آتٍ» (Jesus is Coming) عام ١٨٧٨ ودعا فيه بقوة إلىٰ عودة اليهود إلىٰ فلسطين حتىٰ يتمكن المسيح المخلص من المجيء من السماء إلىٰ الأرض ليحكمها ألف عام من أورشليم عاصمة الأرض كلها.

وأسس بلاكستون «البعثة العبرية من أجل إسرائيل» (Hebreew Mission on Behalf of Israel) لدعم هذا التوجُّه، ولا زالت هذه المنظَّمة تعمل إلىٰ اليوم باسم الزمالة المسيحيانية الأمريكية (American Messianic Fellowship) وهي ضمن أجهزة اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة، وعملت مؤسسة بلاكستون علىٰ جمع تواقيع من الشخصيات الأمريكية البارزة لدعم فكرة إقامة وطن قومي لليهود، وتم رفعها إلىٰ الرئيس الأمريكي بنجامين هاريسون في مارس ١٨٩١، وأدىٰ ذلك إلىٰ تبني الحكومة الأمريكية لهذا المطلب، وخاصة أن هجرة اليهود

الروس إلىٰ أمريكا زادت عن حدِّها، فكان التوجُّه هو إيجاد وطنٍ لليهود يستوعبهم ويخفف من آثار هذه الهجرة اليهودية علىٰ الولايات المتحدة وأوربا.

دور القسس والبعثات التبشيرية الأمريكية في الدعوة لقيام إسرائيل

وفي عام ١٩٠٩ نشر القس سايروس سكوفيليد (Cyrus Scofield) إنجيله الخاص الذي يقول فيه أن إسرائيل هم مملكة الله علىٰ الأرض، وأن الكنيسة المسيحية هي مملكة الله في السماء، وأكد علىٰ أحقية اليهود في العودة إلىٰ وطنهم فلسطين، الأرض التي وعدها الله للآباء منذ عهد إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

وكانت البعثات التبشيرية الإنجيليكانية المنطلقة من الولايات المتحدة صوب الشرق تعمل بجدٍّ من أجل التمهيد لتوطين اليهود في فلسطين، ومنذ أن عقدت حكومة الولايات المتحدة اتِّفاقًا مع السلطان في إسطانبول بالسماح لها في نشر بعثاتها ومدارسها التبشيرية في أرجاء أرض الدولة العثمانية سنة ١٨٣٠ وحتىٰ عام ١٩٠٠ كانت هذه المراكز والمدارس التبشيرية تعمل بجدٍّ وإخلاص من أجل عودة بني إسرائيل (أبناء الله) إلىٰ الأرض المقدسة التي وعدها الله آباءهم بوعود كثيرة، مؤكدة بالمحارق التي قدَّمها الآباء وبدم الغرلة، وفي عام ١٨٨٠ أثناء انعقاد مؤتمر مدريد أبدىٰ الوفد الأمريكي المشارك اهتمامًا بقضية واحدةٍ هي ضمان وسلامة وازدهارُ الجالية اليهودية في طنجة.

وقد صرَّح الداعية الإنجيليكاني الأمريكي رينولد نيبور مؤسس

جمعية «فلسطين الأمريكية المسيحية» بقوله: «إن الإيمان بإقامة مملكة الله علىٰ أرض فلسطين بواسطة اليهود هو السمة المميزة للمسيحية الأمريكية عن بقية بلدان العالم»، وبالتالي يجب أن تتماهىٰ الشخصية الأمريكية المسيحية البروتستانتية بالشخصية اليهودية العبرانية التي أوضحتها تعاليم الكتاب المقدس في أسفار العهد القديم ابتداءً من سفر التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية وانتهاء بسفر حجي وزكريا وملاخي مرورًا بالقضاة وصموئيل الأول والثاني وأسفار الملوك وأخبار الأيام وعزرا وأستير والمزامير ومراثي أرميا وأسفار حزقيال وهوشع ويوئيل وعاموس ودانيال.

ويقول الباحث هرتزل فيشمان: «إن الغالبية العظمىٰ من البروتستانتيين الأمريكيين يؤمنون بقدس جديدة تكون علىٰ الأرض، وإن الإرساليين البروتستانتيين الذين عملوا في فلسطين كانوا يؤمنون ويبشرون بأن عودة اليهود إلىٰ الوطن القومي وأرض الميعاد تشتمل إقامة دولة يهودية ذات سيادة في فلسطين».

ويقول الأسقف دونالد واجنر: «إن الأصولية المسيحية البريطانية هي المصدر الذي وجد لنفسه موطن قدم في الولايات المتحدة الأمريكية.. وأن بريطانيا هي مكان نشوء وتطور التماهي مع إسرائيل التوراتية علىٰ مدىٰ القرون الماضية»، وفي بريطانيا تجاوزت اليهودية حدود الديانة وتحولت كما يقول الشاعر الإنجليزي لوردبايرون إلىٰ أمة ورمز للقوميَّة، وتحول العهد القديم من كتاب دين إلىٰ كتاب سياسي يقوم علىٰ قاعدة الوعد الإلهي بالأرض المقدسة لشعب الله المختار.

ظهور هرتزل

وكانت هذه الإرهاصات والأعمال كلها تمهِّد لكي يقوم تيودور هرتزل الهنغاري بنشاطه الصهيوني اليهودي الواسع، وقد عقد في بال في سويسرا المؤتمر الصهيوني في ٢٩ - ٣١ أغسطس (آب) سنة ١٨٩٧[١] وفيه تمَّ إنشاء المنظمة الصهيونية العالمية التي قرَّرت إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين شاملة بذلك شرق الأردن.. وازدادت الضغوط علىٰ الدولة العثمانية، وتمَّ عزل السلطان عبد الحميد، وانفتح باب الهجرة اليهودية علىٰ مصراعيه ليستوعب مئات الآلاف من اليهود.

وعد بلفور

وفي ١٩١٧/١١/٢ أصدر بلفور وزير خارجية بريطانيا وعده المشهور وكان ذلك عبارة عن رسالة وجَّهها إلىٰ ادموند دي روتشيلد (Edomond De Rothschild) المكونة من ١١٩ كلمة صاغها ٢٤ خبيرًا خلال عامين

(١) لقد حدد المؤتمر الصهيوني الأول هدفه بإقامة وطن ودولة للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون الدولي، وذلك بإنشاء مستوطنات زراعية وعمالية في فلسطين، وتنظيم الهجرة اليهودية بواسطة المنظمة الصهيونية العالمية، وربط هذه المنظمة بمجموعات من المنظمات الصهيونية المحلية والدولية والتي تتلاءم مع القوانين المتَّبعة في كل بلد، وتنمية الوعي القومي اليهودي، وأخذ موافقة الدول الكبرىٰ لتحقيق إقامة الوطن والدولة الصهيونية، وكان هيرتزل يقول: «إن جوهر المشروع الصهيوني ومفتاحه الرئيس يتمثل في الاستيلاء علىٰ الأرض من أهلها وإعطائها للمهاجرين اليهود»، وتستمرُّ سياسة الاستيطان إلىٰ يومنا هذا، وكان بن جوريون يقول: «إذا لم نوسع مساحة استيطاننا فإن جهودنا السياسية مع بريطانيا، بغض النظر عن مدىٰ تأثيرها، سوف تقودنا إلىٰ لا شيء، إن خلق الأمر الواقع هو القوة السياسية الأكثر تأثيرًا دائمًا».

من الجهد المتواصل، وضعت خلالهما ست صيغ قبل اعتماد النصِّ النهائي الذي جاء فيه:

١ ـ تنظر حكومة صاحب الجلالة (أي حكومة بريطانيا) بعين العطف إلىٰ إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل أفضل مساعيها لتسهيل تحقيق هذا الهدف.

٢ ـ من المفهوم بوضوح، أنه يجب عدم القيام بأي عمل من شأنه الإجحاف بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين[١].

٣ ـ إن إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين يجب أن لا يمس الحقوق والوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في الأقطار الأخرىٰ.

وهكذا مكَّن لليهود أن يحتلُّوا فلسطين، وأن يبقىٰ من شاء منهم في البلدان الأخرىٰ يتمتَّعون بكافة الحقوق ويمتصُّون دماء الشعوب، وهو أمرٌ عجيبٌ فلليهود وطن هو فلسطين حسب زعمهم، ومع ذلك تبقىٰ حقوقهم في جميع البلدان مصونة محفوظة!!

نشأة لورد بلفور التوراتية واعترافه بأنه صهيوني (مسيحي)

وكان لورد بلفور كما تقول ابنة أخيه ومؤرخته بلانش دو جاديل (B. Doggadil): «قد تأثر منذ نعومة أظفاره بدراسة التوارة في الكنيسة، وكان كلما اشتدَّ عوده ازداد إعجابًا بالفلسفة اليهودية، وكان دائمًا يتحدَّث

(١) هكذا تحول سكان فلسطين من العرب الذين كانوا يشكِّلون ٩٢٪ من سكَّان فلسطين عند صدور هذا الوعد إلىٰ طوائف مجهولة غير معرَّفة، ورغم ذلك لم تحافظ بريطانيا حتىٰ علىٰ هذا الوعد فاغتالت حقوق العرب المدنية والدينية كما سنوضِّحه فيما بعد.

باهتمام عن ذلك، وما زلت أتذكر في طفولتي أنني اقتبست منه الفكرة القائلة بأن المسيحية وحضارتها مدينتان بالشيء الكثير لليهودية، لكنهما سددتا هذا الدين في أبشع صورة»(١). (إشارة لاضطهاد النصارىٰ علىٰ مدىٰ العصور لليهود).

ويقول وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية وأحد أهمِّ مؤسِّسي دولة إسرائيل: «أتظنون أن لورد بلفور كان يحابينا عندما منحنا الوعد بإنشاء وطن قومي لنا في فلسطين؟ كلا، إن الرجل كان يستجيب لعاطفة دينية يتجاوب بها مع تعاليم العهد القديم».

ويقول الدكتور يوسف الحسن(٢): «كانت أطروحات شعب الله المختار وحقُّه في أرض الميعاد، وتحقيق النبوءة بتجميع اليهود في دولة (إسرائيل) في فلسطين، من أبرز معتقدات بلفور التوراتية، التي ورثها في طفولته، وتربىٰ عليها في نشأته في إحدىٰ الكنائس السكوتلاندية كما يقول دونالد واجنر(٣).

وبلفت النظر أن بلفور لم يرَ في اليهود مجرَّد أداة لتحقيق «العصر الألفي المسيحي» بل أصرَّ علىٰ اعتبارهم منفيين يعيشون بعيدًا عن وطنهم، فخالجته الفكرة القائلة بوجوب إعادة وطنهم القديم إليهم»، وأكد ذلك

(١) د. يوسف الحسن: «البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني» مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه (١٥)، بيروت ١٩٩٠، ص٣٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) Donald Wagner: Ministry of Advocacy for Palestinian Justice with in Ameriecan Evangelical Christian Zionism (Ph D. Dissertation, University of Chicaogo,1984) P35.

بنفسه للزعيم الصهيوني اليهودي وايزمان عندما اجتمع به عام ١٩٠٦ وأكد له ضرورة أن تقدم المسيحية (البروتستانتية) كل قدراتها إلىٰ اليهود لتحقيق فرصة العودة إلىٰ وطنهم.

وكان بلفور شغوفًا ليس فحسب بالتوراة والعهد القديم، ولكنه أيضًا كان مطلعًا علىٰ التاريخ اليهودي ومتعاطفًا معهم في كل نكباتهم لدرجة أن مدير دراسات الشرق الأوسط في مجلس العلاقات الخارجية بنيويورك قال: «لقد كان بلفور أكثر فهمًا من هرتزل لطموحات الصهيونية» كما ينقله عنه بيتر جروس (Peter Gross) في كتابه: «إسرائيل الفكر الأمريكي» (Israel in the mind of America) وينقل عن بلفور أنه قال ردًّا علىٰ من أراد توطين اليهود خارج فلسطين: «إذا كان لا بد من إيجاد وطن للشعب اليهودي، فإنه من العبث البحث عن أي مكان غير فلسطين».

وعندما غادر بلفور واشنطن في مايو ١٩١٧ قال: «أنا صهيوني»، وذلك بعد أن اجتمع بالرئيس الأمريكي ودرو ولسون (W. Wilson) المشهور بنداءاته بحقوق الشعوب في أن تحكم نفسها وأن تكون حُرَّة بدون قيدٍ ولا شرط، ومع ذلك فقد كان ولسون نفسه صهيونيًّا مسيحيًا متعصِّبًا ومتعاطفًا ومؤيِّدًا لوعد بلفور لليهود وإعطائهم أرض فلسطين، وبالتالي طرد شعبها منها، بل إن وعد بلفور لم يصدر في الثاني من نوفمبر ١٩١٧ إلا بعد أن اجتمع بلفور بولسون وعرض تفاصيل مشروعه علىٰ الرئيس الأمريكي الذي أبدىٰ له إعجابه وموافقته علىٰ هذا المشروع ومباركته له قبل إعلانه بستة أشهر[١].

---

(١) لقد كان الرئيس ودرو ولسون صهيونيًا مسيحيًا متعصبًا لإقامة دولة لليهود في=

وقد أعلن الرئيس ولسون موافقته علىٰ وعد بلفور مرارًا وتكرارًا ومن ذلك رسالته إلىٰ الحاخام ستيفن وايز (S. Wise) التي جاء فيها: «راقبت باهتمام مخلص وعميق العمل البنَّاء الذي قامت به لجنة وايزمان في فلسطين بناء علىٰ طلب الحكومة البريطانية، واغتنم الفرصة لأعبر عن الارتياح الذي أحسست به نتيجة تقدم الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة والدول الحليفة منذ إعلان السيد بلفور باسم حكومته عن موافقتها علىٰ إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، ووعده بأن تبذلك الحكومة البريطانية قصارىٰ جهدها لتسهيل تحقيق ذلك الهدف مع الحرص علىٰ عدم القيام بأي عمل يلحق الأذىٰ بالحقوق المدنية والدينية لغير اليهود (هكذا أصبح الفلسطينيون العرب وأصحاب الأرض بدون هوية) في فلسطين، أو حقوق اليهود ووضعهم السياسي في دول أخرىٰ، وكانت تلك الرسالة مؤرخة في ١٩١٨/٨/٣١»[1].

تربية ويلسون الدينية هي الدافع له لدعم وعد بلفور

ومثلما كانت مواقف بلفور ناتجة عن تربيته الدينية كانت مواقف الرئيس ودرو ويلسون ناتجة عن هذا التراث الديني المتراكم، وهو نفسه

= فلسطين، وكان الرئيس ولسون متأثرًا إلىٰ حدٍّ كبير برئيس المحكمة الاتحادية الأعلىٰ لويس براديز اليهودي الصهيوني الذي تمَّ تعيينه في هذا المنصب عام ١٩١٦، واستطاع براديز بذكائه وحنكته أن يؤثر علىٰ الرئيس ويلسون الذي كان منذ نعومة أظفاره متأثرًا بتعاليم التوراة والعهد القديم ويعتبر براديز المسؤول الأول عن سياسة ولسون الصهيونية.

(١) «أوراق ولسون»، مكتبة الكونجرس ـ واشنطن، الملف ٦، رقم ٦١٨ نقلاً عن محمد السماك: «الصهيونية» ص٦٠.

ابن قسيس إنجيلي أصولي يؤمن بأن الله قد أعطىٰ شعبه المختار أرضًا تفيض لبنًا وعسلاً ليسكن فيها ويقيم إقامة أبدية دائمة، وكان ويلسون يعتقد أن الله قد أوصله إلىٰ منصب رئيس الولايات المتحدة من أجل أن يساعد شعب الله المختار لكي يستعيد أرضه التي طرد منها منذ آلاف السنين!!.

لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا صهيوني مسيحي

وإذا كان كلاً من بلفور وزير خارجية بريطانيا والرئيس ودرو ويلسون كلاهما صهيونيان مسيحيَّان، يريان أنهما يحقِّقان مشيئة الرب عندما يعيدان شعب أفرايم وإسرائيل إلىٰ أرضه، فإن لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية في تلك الفترة كان أيضًا من نفس الطراز الصهيوني المسيحي، وكانت علاقات لويد جورج قديمة مع الحركة الصهيونية اليهودية حيث التقىٰ بهرتزل سنة ١٩٠٣وأكد له إيمانه بمقررات مؤتمر بال (بازل) الصهيوني في سويسرا عام ١٨٩٧، وأنه سيعمل كل ما في وسعه لإعادة استيطان اليهود في أرض الآباء والأجداد ـ حسب زعمه ـ وهكذا فإن لويد جورج عمل بكل جهده كرئيس للوزارة البريطانية في تنفيذ ما كان يؤمن به من تعاليم المسيحية الصهيونية وأن يقوم بتقديم فلسطين (وبعض ما جاورها من أراضٍ) لليهود كوطن قومي يحقق به نبوءات أسفار العهد القديم للتمهيد لعودة المسيح الثانية، وليحكم العالم ألفيته السعيدة (المزعومة). وكان يقول أنه يعرف أسماء ملوك دولة إسرائيل ويهوذا بالاسم أكثر مما يعرف أسماء ملوك انجلترا وويلز وسكوتلنده(١).

---

(١) يقول لويد جورج وهو يخاطب الجمعية التاريخية اليهودية: «لقد درست وأحببت تاريخ اليهود في أعظم أيام مجده عندما أقام التوراة والعهد القديم الذي سيتردد=

ولهذا لا نستغرب أن نجد وزير خارجية بريطانيا اللورد بلفور يقدم وعده السيِّئ الذكر لليهود في ١٩١٧/١١/٢م بعد أن سبقته مفاوضات متعددة مع أقطاب الصهيونية العالمية ومع الرئيس الأمريكي ودرو ولسون ومع حلفاء بريطانيا في الحرب العالمية الأولىٰ.

بلفور لا يهتم بمصير العرب ويدعو إلىٰ إسرائيل الكبرىٰ

ومما قاله بلفور في مذكرة حول موضوع الاستيطان اليهودي في فلسطين ما نشرته وثائق الخارجية البريطانية (١٩١٩ ـ ١٩٣٩) ونقلته ريجينا الشريف في كتابها «الصهيونية غير اليهودية»[(١)]: «ليس في نيَّتنا حتىٰ مراعاة مشاعر سكان فلسطين الحاليين، مع أن اللجنة الأمريكية تحاول استقصاءها. إن القوىٰ الأربع الكبرىٰ ملتزمة بالصهيونية، وسواء أكانت الصهيونية علىٰ حقٍّ أم علىٰ باطل، جيدة أم سيئة، فإنها متأصلة الجذور في التقاليد القديمة العهد والحاجات الحالية، وآمال المستقبل، وهي ذات أهمية تفوق رغبات وميول السبعمائة ألف عربي الذين يسكنون هذه الأرض القديمة» (أي أرض فلسطين).

ويقول في نفس المذكرة: «ينبغي أن تكون فلسطين متاحة لأكبر عددٍ

= صداه حتىٰ آخر أيام هذا العالم، والذي سيؤثر في الأخلاق الإنسانية ويشكّلها، وسيدعم ويلهم الحافز الإنساني، لا لليهود فحسب، بل للمسيحيين كذلك، لقد استوعبناه وجعلناه جزءًا من أفضل ما في الأخلاق المسيحية».

(١) ريجينا الشريف: «الصهيونية غير اليهودية» ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، ص١٥٩ ـ ١٦٠ وهي تنقل وثائق الخارجية البريطانية.

Documents on British Foreign Policy (1919 – 1939), First Series, Voi 7,P340.

من المهاجرين اليهود، ولذا فإن من المرغوب فيه أن تكون لها السيادة علىٰ القوة المائية التي تخصها بشكل طبيعي، سواء أكان ذلك عن طريق توسيع حدودها شمالاً، أم عن طريق عقد معاهدة مع سورية الواقعة تحت الانتداب (الفرنسي)، والتي لا تعتبر المياه المتدفقة من حرمون (جبل الشيخ) جنوبًا ذات قيمة بالنسبة لها. وللسبب ذاته يجب أن تمتدَّ فلسطين لتشمل الأراضي الواقعة شرق نهر الأردن».

لقد وضعت هذه المذكرة الفظيعة الأسس لتوسيع الدولة الصهيونية القادمة لتشمل الجولان وجبل الشيخ ومصادر المياه، وتتعداها لتستولي علىٰ نهر الأردن بكامله.. إن هذا يؤكد المخططات الصهيونية التوسعيَّة الرهيبة، والتي لم تتم بعد رغم مرور أكثر من خمسين عامًا علىٰ قيام إسرائيل الصهيونية، ومنذ قيامها وهي في عملية تمدد وتوسُّع مرسومة بدقة، وكلما سمحت الظروف فإن هذه الدولة تمتد لتشمل أراضٍ جديدة، ومن العسير تصور أن تتنازل إسرائيل حقًّا عن الأراضي التي احتلَّتها في حرب حزيران ١٩٦٧ سواء في الجولان أو في الضفة الغربية وقطاع غزة، وما تعرضه لا يزيد عن حكم محلي محدود جدًا، يُبقي السيطرة لها علىٰ جميع المعابر ومصادر المياه والمستوطنات التي تمتدُّ يوميًا كالسرطان(١)..

(١) يهدف اليهود أساسًا لطرد الفلسطينيين من جميع الضفة الغربية التي يسمونها يهودا السامرة، ولكن بما أن ذلك متعذر، فلا بد أن يتحول الفلسطينيون إلىٰ كانتونات وباستونات ضيقة محاطة بمستوطنات يهودية.. ولا يسمح لهم بأكثر من الحكم الذاتي، وتتفق جميع الأحزاب الإسرائيلية ـ العلمانية والمتدينة واليسارية مع اليمينيَّة ـ علىٰ منع عودة اللاجئين إلىٰ فلسطين، معهما كانت الظروف، أما القدس الشرقية فينبغي تفريغها من الفلسطينيين تمامًا كما فعلوا في القدس الغربية عام ١٩٤٨، حيث تمَّ طرد جميع الفلسطينيين منها، ويسعون الآن إلىٰ ما يسمىٰ القدس الكبرىٰ حيث=

وهي لا تنسىٰ أطماعها في نهر الأردن ومصادر المياه الأخرىٰ في جنوب لبنان التي اضطرت للتخلِّي عنها تحت وقع المقاومة الباسلة.

وعملت بريطانيا والولايات المتحدة بتعاون تامٍّ لتحقيق وعد بلفور، رغم السرِّيَّة التي أحاطت بهذا العمل في أول الأمر حتىٰ لا يعرف العرب الذين يقاتلون في صف بريطانيا والحلفاء ما يدبَّر لهم، ولكن ما أن تأكدت هزيمة تركيا وألمانيا في آب (أغسطس) ١٩١٨ حتىٰ قال ويدرو ويلسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية: «أعتقد أن الأمم الحليفة قد قرَّرت وضع حجر الأساس للدولة اليهودية في فلسطين بتأييدٍ تامٍّ من حكومتنا وشعبنا»[1].

تلخيص للدوافع التي أدَّت إلىٰ وعد بلفور

١ ـ الصهيونية المسيحية التي نشأ عليها بلفور وعددٌ كبير من الساسة في بريطانيا والولايات المتحدة والدول البروتستانتية في شمال أوربا، ويعتبر هذا العامل من أهم العوامل كما اعترف بذلك كلاً من بلفور ولويد جورج والرئيس الأمريكي ويدرو ويلسون.

٢ ـ كسب تأييد زعماء اليهود الصهاينة للحلفاء، وجعلهم يدفعون أمريكا للاشتراك في الحرب إلىٰ صفِّ بريطانيا وفرنسا، فعندما زادت

= تبتلع ثلث ما بقي من أراضي الضفة الغربية، وقد بلغ عدد المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية أكثر من مائتي مستوطنة (نهاية سنة ٢٠٠٠).

(١) لم تكن بريطانيا والولايات المتحدة فحسب هما اللتان أبدتا وعد بلفور، ولكن أيدته أيضًا فرنسا التي أصدرت بيانًا مماثلاً له في ٩ شباط (فبراير) ١٩١٨، وإيطاليا في ٩ أيار (مايو) ١٩١٨.

خسائر الحلفاء في عام ١٩١٦ أمام ألمانيا اقترح جيمس مالكوم (James Malcolm) علىٰ صديقه السير مارك سايكس أن يستقطبوا اليهود لحثُّوا الولايات المتحدة للدخول في الحرب إلىٰ صف الحلفاء، وبما أن الرئيس ودرو ويلسون علىٰ صلة وثقية جدًا باليهود وأحد كبار الصهاينة المسيحيين في العالم فإن تأثير اليهود عليه كان كبيرًا جدًا، وبالتالي يمكن دفعه إلىٰ اتِّخاذ قرار خوض غمار الحرب إلىٰ جانب الحلفاء إذا وجد دفعًا قويًّا من أصدقائه اليهود.

ويقول السير ونستون تشرشل وهو أيضًا صهيوني مسيحي مثل جده تشارلز هنزي تشرشل الذي دعا إلىٰ عودة اليهود إلىٰ فلسطين وإيجاد وطن قومي لهم، يقول ونستون تشرشل: «لا ينبغي النظر إلىٰ تصريح بلفور وكأنه وعد أعطي بناء علىٰ دوافع عاطفية فقط، بل لقد كان إجراءً عمليًّا اتخذ لتحقيق مصالح مشتركة، وفي لحظة لم تكن القضية فيها قادرة علىٰ تجاهل أي مساعدة ماديَّة أو معنوية»، ومع هذا فقد كان يقول أنه يعتبر نفسه صهيونيًا أصيلاً، وأنه يصلِّي بحرارة لتحقيق أماني الصهيونية العظيمة[١].

ويقول لويد جورج (رئيس وزراء بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولىٰ والذي أعطىٰ وزير خارجيته بلفور وعده المشهور باتِّفاق معه ومع كامل أعضاء وزارته) أمام لجنة بيل الملكية عام ١٩٣٧ شارحًا الأسباب التي دفعت حكومته لإعطاء هذا الوعد: «لقد أعطانا الزعماء الصهاينة

(١) عمل تشرشل بكل جهده لزيادة الهجرة اليهودية إلىٰ فلسطين عندما كان وزيرًا للمستعمرات، وعندما كان رئيسًا للوزراء، ولما سأله بعض أعضاء البرلمان البريطاني حول سياسته هذه وأن مساعدة اليهود توطينهم في فلسطين سيثير العرب قال قولته المشهورة: «إن العربي مثل الكلب كلما رفسته بقدمك قام بلعق حذائك».

اليهود وعودًا قاطعة بأنه إذا ألزم الحلفاء أنفسهم بمنحنا (أي اليهود) تسهيلاً لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، فإن هؤلاء الزعماء سيبذلون ما في وسعهم لحشد عواطف يهود العالم حول قضية الحلفاء، وكسب تأييدهم، ولقد أوفوا بوعدهم»[(١)].

الكونجرس يؤيد وعد بلفور

وأصدر مجلس النواب الأمريكي في ٣٠ حزيران (يونيه) ١٩٢٢ قرارًا يؤيد إعطاء اليهود الفرصة التي أنكرت عليهم طويلاً لإعادة تأسيس حياة يهودية وثقافية مثمرة في الأرض اليهودية القديمة، وفي ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٢ صادقت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بصورة نهائية علىٰ وعد بلفور بعد أن تلقَّت دعم الكونجرس لها في هذا الصدد، وتحوَّلت الموافقة السرية لوعد بلفور إلىٰ موافقة علنية رسمية، وقد لعب السناتور الجمهوري هنري كابوت لودج دورًا أساسيًّا في تبني المشروع وتبريره في الكونجرس، وكان القرار مع ذلك يؤكد ما جاء في وعد بلفور من وعد بعدم المساس بحقوق غير اليهود (هكذا بدون تعريف) المدنية والدينية، وقد ألقىٰ هذا السناتور الصهيوني المسيحي المتعصِّب خطابًا في مدينة بوسطن عام ١٩٢٢ جاء فيه: «إنه جدير بالثناء أن يرغب الشعب اليهودي في كل أنحاء العالم أن يكون هناك وطن قومي لأفراد جنسه الراغبين في العودة إلىٰ البلاد التي كانت مهدًا لهم، والتي عاشوا وعملوا فيها عدة آلاف من السنين.. إنني لا أحتمل فكرة وقوع القدس وفلسطين

---

(١) المصدر السابق.

الخريطة التي وضعها هيرتزل أولا ثم قدمت بعد ذلك في مؤتمر السلام في باريس سنة ١٩١٩م

تحت سيطرة المحمديين»[١].

هرتزل يضع خارطة لإسرائيل الموسعة

والواقع المرعب أن هرتزل قد حدَّد مطلبه في الوطن القومي بفلسطين التي كانت في أيام داود وسليمان، حيث يقول أن حدودها الشمالية تصل إلىٰ جنوب تركيا، بينما تصل حدودها الجنوبية إلىٰ قناة السويس والبحر الأحمر، أما حدودها الغربية فتنتهي بالبحر الأبيض المتوسط، وأما الحدود الشرقية فتجعل نهر الأردن ضمن حدودها متجاوزة إيَّاها إلىٰ ما يعرف اليهود بالأردن وجنوب سوريا وجنوب لبنان، وفي عام ١٩١٩ وزع الوفد الصهيوني إلىٰ مؤتمر السلام في باريس حدود الدولة الصهيونية المقترحة فكانت تشمل كل فلسطين وجنوب لبنان شاملة صيدا وتلال لبنان حتىٰ جسر القرعون إلىٰ وادي التيم ثم إلىٰ جبل الشيخ (في سوريا في الجولان)، ومن ثمَّ شرق نهر الأردن غربي سكة حديد الحجاز، ومنتهية في الجنوب إلىٰ العقبة، وبذلك تتأمن كل مصادر المياه في فلسطين ولبنان وسوريا شاملة بحيرة طبرية، وبما أن جبل الشيخ هو منبع معظم هذه المياه فلذا ينبغي أن يكون تحت سيطرة الدولة الصهيونية المقترحة سيطرة تامة. (انظر الخريطة).

---

(١) لقد كان ماركس سايكس أول مسيحي كاثوليكي يتبنَّىٰ الدعوة الصهيونية، ولهذا رتَّب لقاءً بين ثيودور هيرتزل والبابا بيوس العاشر ليقنع البابا بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين عام ١٩٠٤، وطالبًا مساعدته في تحقيق هذا الهدف، ولكن البابا بيوس العاشر رفض دعوة هيتزل وقال أن اليهود هم الذين صلبوا المسيح وكذبوه «وأنكم بكفركم بالمسيح قد خرجتم أن تكونوا شعب الله المختار».

لقد عمل هيرتزل وقادة الحركة الصهيونية بجدٍّ ونشاطٍ لتهجير اليهود وخاصة من روسيا ودول أوربا الشرقية إلىٰ فلسطين، ودبَّروا محاولة اغتيال القيصر الروسي اسكندر الثاني سنة ١٨٨١، وأدىٰ فشل المحاولة إلىٰ اضطهاد اليهود وخروج مليون وخمسمائة ألف يهودي، حاول هيرتزل أن يدفعهم كلهم إلىٰ فلسطين، ولكن اليهود المهجَّرين فضَّلوا الهجرة إلىٰ الولايات المتحدة في غالبيتهم، مما دفع الكاتب الصهيوني ميكا يوسف بردتشفسكي إلىٰ القول: «إن اليهود ليسوا أمة ولا شعبًا ولا بشرًا» ووصفهم حاييم برينر بقوله: «إن اليهود ليسوا أكثر من غجر وكلاب قذرة ومجروحين وكلاب» أما أجوردون اليهودي فقد قال: «إن اليهود ليسوا أفضل من الطفيليَّات» بينما يصرخ موريس صموئيل في وجه إخوانه اليهود قائلاً: «نحن اليهود، نحن المدمرون، سنبقىٰ مدمرين إلىٰ الأبد لا شيء يمكن أن يلبي حاجتنا ومطالبنا. سندمر إلىٰ الأبد لأننا نريد عالمنا عالم الله، وليس من طبيعتكم أن تبنوه».

لهذا كله عملت الحركة الصهيونية علىٰ إذكاء نار العداء لليهود والسامية حتىٰ تدفع بملايين اليهود المترددين والخائفين إلىٰ فلسطين، يقول المؤلف اليهودي ليني برينر في كتابه «الصهيونية في زمن الديكتاتورية» ص٤٢: «لكي يكون المرء صهيونيًا جيدًا عليه أن يكون معاديًا للسامية».

وقد أيَّد هيرتزل باستمرار الجهود الرامية إلىٰ بعث معاداة السامية لأن ذلك يحقق هدفه الأقصىٰ في طرد اليهود من روسيا وأوربا إلىٰ أرض فلسطين.. وبما أن اليهود قومٌ ماديُّون ملتصقون بالأرض، فإن كثيرًا من اليهود لم يكونوا يستسيغون الهجرة إلىٰ فلسطين ومواجهة الصعاب فيها،

لهذا وجد هيرتزل وأنصاره مشقة في دفع اليهود إلىٰ فلسطين، ولهذا عمل هيرتزل وقادة الصهيونية علىٰ إشعال العداء ضد السامية (أي ضد اليهود)، ودبَّروا المؤامرات ضد القيصر الروسي حتىٰ يتمَّ الضغط علىٰ اليهود وبالتالي تهجيرهم، ورغم حدوث هجرة ضخمة من روسيا وأوربا الشرقية وصلت إلىٰ ١,٥٠٠,٠٠٠ شخص في الفترة ما بين ١٨٨٢ - ١٩٠٤ إلا أن كثيرًا من هؤلاء اليهود فضَّلوا الهجرة إلىٰ الولايات المتحدة بدلاً من فلسطين.

لهذا بذل قادة الصهيونية جهودهم في نشر عداء الساميَّة، ويذكر حاييم جرينبورج رئيس تحرير مجلة «الجبهة اليهودية» في نيويورك: أنه لكي تكون صهيونيًّا جيدًا يجب أن تكون معاديًا للسامية إلىٰ حدٍّ ما». ويقول يعقوب كلاتزكين المحرر المساعد للموسوعة اليهودية: «إن لم نقر بصوابية معاداة السامية فإننا ننكر صوابية قوميَّتنا نحن، فإذا كان شعبنا يستحقُّ ويعتزم أن يعيش حياته القومية الخاصة به، فهو إذن جسم غريب مزروع في الأمم التي يعيش بينها وهو جسم غريب يصرّ علىٰ هويته الخاصة المتميزة»، ويقول حاييم وايزمان رئيس المنمة الصهيونية العالمية: «نحن نتفق مع المعادين للسامية ثقافيًا بقدر ما نؤمن بأن الألمان ذوي الأصول العرقية المتعددة هم ظاهرة مضعفة للمعنويات وغير مرغوبة»، ويقول: «كل بلد يمكنه استيعاب عدد محدود من اليهود إذا لم يكن يريد متاعب في معدته. وألمانيا لديها بالفعل يهود أكثر من اللازم».

لهذا كله سعىٰ زعماء الصهيونية إلىٰ دعم الحركة النازية والتعامل معها، لأن هدفها هو طرد اليهود من ألمانيا وأوربا، وهذا بالضبط ما

تسعىٰ إليه الحركة الصهيونية بشرط أن يهجّر هؤلاء اليهود إلىٰ فلسطين، ولم يكن لدىٰ ألمانيا النازية ما يمنع ذلك طالما أنها ستتخلص من العنصر اليهودي.

وقد لعب إسحاق شامير (رئيس وزراء إسرائيل فيما بعد) دورًا هامًّا في هذه الصلات مع الحركة النازية، ووفر لها بعض الأموال المجمدة في دول الحلفاء، في مقابل تدريب مجموعة من الشباب اليهود في معسكرات وإرسالهم إلىٰ فلسطين، وفي مؤتمر مدريد ١٩٩١ عندما هاجم إسحاق شامير سوريا ردَّ عليه وزير الخارجية السوري فاروق الشرع بإخراج قصاصات من المجلات والصحف من الفترة النازية تثبت دور شامير القذر في دعم النازي بشرط إرسال شباب اليهود إلىٰ فلسطين، وعدم اهتمامه بالشيوخ والعجزة تاركًا مصيرهم للنكبات التي حلَّت بهم فيما بعد، وهو ما ذكره مجموعة من الكتاب اليهود أنفسهم، كما ذكر دوره الإرهابي في تفجير فندق داود الذي كان مقرًّا حكوميًّا بريطانيًا في أواخر أيام الانتداب، فقتل العديد من البريطانيين والفلسطينيين.

بريطانيا تخدع العرب

كان ديدن بريطانيا خداع العرب حتىٰ يقفوا في صفِّها ضدَّ الدولة العثمانية، ومن ذلك: نداء جورج الخامس ملك بريطانيا وإمبراطور الهند الذي صدر في ١٣ شباط (فبراير) ١٩١٥م/١٣٣٤هـ إلىٰ أصدقائنا سكان بلاد العرب:

«قد علمتم أننا معشر الإنجليز لم نخض غمار هذه الحرب الطاحنة

ضد ألمانيا إلا لأنها اعتدت علىٰ الممالك الصغيرة المتاخمة.. ولا يغيب عن بالكم أن ألمانيا لما اكتنفتها الأخطار وأحاطت بها الأزمات احتالت بدهائها علىٰ الحكومة التركية لتأخذ بناصرها وتشد أزرها.. وكانت ترمي بذلك إلىٰ الحصول علىٰ أمر بالجهاد من سلطان تركيا ضدنا وضد حلفائنا لأن رايتنا تظل الملايين العديدة من أجل المسلمين الذي انضمّ إلىٰ جيوشنا الآلاف المؤلفة منهم، وأصبحوا يحاربون معنا الألمان جنبًا إلىٰ جنب، وهي ترجو من وراء ذلك أن ينقلب المسلمون ويكونوا علينا لا لنا».

«ولا شكَّ أن كل مسلم صحيح ملأت العقيدة الإسلامية قلبه يربأ بنفسه من أن يستخف بعقيدته ويكون ألعوبة في يد دولة أجنبية تجعله قربانًا علىٰ مذابح مطامعها الأشعبية».

«وليس جميع الملسمين من رعايا بريطانيا العظمىٰ وفرنسا والروسية وحليفاتها وحدهم قد أظهروا آيات الإخلاص والولاء بإرسال زهرة شبابهم لمساعدتنا في ميدان القتال ضد تركيا وغيرها بل إن الطبقة الرشيدة من الأتراك سخطت علىٰ سلوك تركيا إلىٰ هذا الحد».

«إن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمىٰ وإمبراطور الهند قررت أنه عند انتهاء الحرب ستجعل من شرائط الصلح ومواده الرئيسة أن تكون شبه جزيرة العرب ترفل في ثياب الحرية وتستعيد رقيَّها القديم ونضرتها الأولىٰ.. بربكم أفلم يكفكم هذا؟».

«لا يداخلكم ريبٌ من جانبنا وترقَّبوا سنوح الفرصة المناسبة فهي آتية لا ريب فيها، وعندما تخلعون عنكم رداء الظلم وتنفضون عنكم غبار

الاستبداد، وإنَّا لا نألوا جهدًا في مدِّ يد المساعدة إليكم كما أننا نعدكم وعدًا صادقًا بأنكم ستصيرون بحول الله وقوته أمة متمتعة بكل معاني الاستقلال».

«أنتم علىٰ شوق إلىٰ معرفة نوايانا من جهة دينكم الكريم ألا فاعلموا أن الديانة الإسلامية قد احترمها الإنكليز أجلَّ احترام وأكبرتها كل الإكبار والتاريخ أكبر شاهد علىٰ صدق ما نقول».

ملك بريطانيا وإمبراطور الهند جورج الخامس

وكان في جيوش الإمبراطورية الروسية القيصرية عند قيام الحرب العالمية الأولىٰ أكثر من مليون ونصف المليون سيقوا قهرًا إلىٰ ساحة القتال مع جيوش القيصر دون أن يعلموا أن هدف القيصر إزالة دولة الخلافة واحتلال إسطمبول (إسلامبول)، وتحويلها ثانية إلىٰ القسطنطينية عاصمة المسيحية الأرثوذكسية، فلما قامت الثورة البلشفية بقيادة لينين فضح الاتفاقات السرية وحاول أن يستقطب المسلمين إلىٰ صفِّه.

❊ ❊ ❊

بيان لينين للمسلمين(١)

ومما جاء في بيان لينين الأول إلىٰ المسلمين الذي أصدره بعد شهرٍ واحدٍ فقط من ثورته في نوفمبر ١٩١٧: «يا مسلمي روسيا يا مسلمي الشرق، أيها الرفاق أيها الإخوة: ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحريتكم في العبادة.. إننا هنا نعلن احترامنا لدينكم ومساجدكم وإن عاداتكم وتقاليدكم حُرَّة لا يمكن المساس بها، ابنوا حياتكم الكريمة المستقلَّة دون أي معوقات، ولكم الحقُّ في ذلك، واعلموا أن جميع حقوقكم الدينية والمدنية مصونة بقوة الثورة».

وهكذا تحوَّل لينين إلىٰ داعية للمسلمين لكي يثوروا من أجل دينهم وقرآنهم، وما أن استتبَّ له الأمر حتىٰ أباد ملايين المسلمين وهدم آلاف

(١) فلادمير لينين هو قائد الثورة البلشفية، وهو يهودي اسمه الحقيقي كيوربوم وكان معظم قادة الثورة البلشفية من اليهود، ومنهم تروتسكي (برونشتاين) وزينوفيف (ابغلبوم) وكامنيف (روزنفيلد) وسيتكلوف (ناهينسكي) وكان المكتب السياسي أعلىٰ سلطة في الدولة والحزب، مكونًا من سبعة أعضاء، أربعة منهم يهود.. وأما الآخرون فكان بعضهم متزوجًا من يهودية (ستالين) وكان مجلس إدارة الحزب والثورة مكوَّنًا من سبعة عشر عضوًا، منهم ستة يهود، واثنان متزوِّجين من يهوديات، وكان عدد أفراد أول حكومة شكَّلها لينين ٢٢ شخصًا منهم ١٧ يهوديًا، وكان عدد أعضاء إدارة الحزب ٤٣ منهم ٣٤ يهوديًا، وعدد أعضاء لجنة الشؤون الداخلية ٦٤ منهم ٤٥ يهوديًا، ولجنة الشؤون الخارجية ١٧ منهم ١٣ يهوديًا، ولجنة التوجيه العام ٥٣ منهم ٤٤ يهوديًا، وكان معظم المسؤولين في الأحزاب الشيوعية العربية من اليهود ومن ذلك الحزب الشيوعي المصري والحزب الشيوعي اللبناني والعراقي والسوري والفلسطيني، وكانوا يدعون إلىٰ دعم إسرائيل والاعتراف بها للوقوف في وجه الرجعية والإمبريالية!!

المساجد وحوَّل المسلمين إلىٰ عبيد لدولته الشيوعية (انظر تفاصيل ذلك في كتابنا: «المسلمون في الاتحاد السوفيتي»، دار الشروق، جدة ١٩٧٩م).

رسائل مكماهون والشريف حسين

لقد وعدت بريطانيا العرب أثناء الحرب العالمية الأولىٰ بأن تقوم دولتهم الحرَّة المستقلَّة، والتي تمتدُّ لتشمل الجزيرة العربية ومعظم سوريا (ما عدا الأجزاء الشمالية)، وكل لبنان والأردن والعراق وفلسطين، وتعهدت بريطانيا بذلك للشريف حسين حاكم الحجاز إذا هو وقف مع قوات الحلفاء ضد الدولة العثمانية أو بالأحرىٰ ما بقي منها.

وكانت تلك الرسائل المتبادلة عشر رسائل استمرَّت ما بين تموز (مايو) ١٩١٥ وآذار (مارس) ١٩١٦ وبموجبها أقرَّ السيد هنري مكماهون كممثل لحكومة بريطانيا العظمىٰ بآمال العرب في إقامة دولة واحدة في الجزيرة العربية شاملة بذلك ما كان يعرف بالشام (سوريا ولبنان والأردن وفلسطين والعراق) مع بعض الاستثناءات المحدودة.

ففي خطاب الشريف حسين بن علي (شريف مكة) إلىٰ السير هنري مكماهون المندوب السامي البريطاني في القاهرة في ١٩١٥/٥/١٤ عرض الشريف حسين مساعدة العرب لبريطانيا في الحرب العالمية الأولىٰ ضد تركيا وألمانيا، إذا تعهدت بريطانيا باستقلال الإقليم الذي حدَّده بالآتي: «يحده من الشمال مرسينه وأضنة حتىٰ خط عرض ٣٧ الذي يقع عليه بيريجك وأرفه وماردين ومديات وجزيرة (ابن عمر) وأماديا (وكلها اليوم في تركيا) حتىٰ حدود فارس، ويحده من الشرق الحدود الفارسية حتىٰ

خليج البصرة، ويحدُّه من الجنوب المحيط الهندي باستثناء وضع عدن الذي سيظلُّ علىٰ حاله (كانت مستعمرة بريطانية منذ عام ١٨٣٩)، ويحدُّه من الغرب البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط حتىٰ مرسينه».

وتحفظت بريطانيا علىٰ لسان مكماهون علىٰ إقليمي مرسينه والإسكندرية وأجزاء من سوريا الواقعة إلىٰ الغرب من مناطق دمشق وحمص وحماه وحلب، وهي المناطق المتنازع عليها بين العرب والأتراك، ولذا كما يقول مكماهون يجب استبعادها خارج الحدود المطلوبة، وقال مكماهون: «إننا نوافق علىٰ هذه الحدود شريطة إجراء التعديل المذكور أعلاه وشريطة عدم المساس بالمعاهدات القائمة مع الشيوخ العرب (في منطقة الخليج)، أما فيما يتعلق بتلك المناطق الواقعة ضمن تلك الحدود التي لبريطانيا العظمىٰ حرية التصرف فيها بدون المساس بمصلحة حليفتها فرنسا فإنني مخوَّل من قبل حكومة بريطانيا العظمىٰ بإعطاء الضمانات التالية: إذا ما وُوفق علىٰ التعديلات المذكورة أعلاه، تكون بريطانيا العظمىٰ مستعدة باستقلال العرب وتأييده داخل الحدود التي طلبها شريف مكة»[1].

أهمية وقوف العرب مع الحلفاء

وهكذا أوهمت بريطانيا العرب بالوقوف معهم وتحقيق آمالهم في الاستقلال وإيجاد دولة عربية تشمل الجزيرة العربية والشام (بمعناه الواسع) والعراق، وأدىٰ ذلك إلىٰ أن يقف العرب مع بريطانيا وفرنسا ضد

(١) الحصاد المر «فلسطين بين عامي ١٩١٤ و١٩٧٩» تأليف سامي المدادي وترجمة فخري يعمور، منشورات رابطة الجامعيين، الخليل ـ فلسطين.

الدولة المسلمة تركيا، وقام الشريف حسين بمساعدة اللورنس بتحطيم خطِّ حديد الحجاز وتمَّ احتلال العقبة في ١٩١٦/٧/٦ وكان ذلك ضربة قوية للقوات التركية وبداية الهزائم الفاجعة لها، واستطاعت القوات العربية أن تشغل القوات التركية وأن تستقطبها بحيث استطاع القائد البريطاني اللنبي أن يحتل سوريا وفلسطين بكل سهولة.

يقول ليدل هارت (Liddle Hart) كبير المعلقين العسكريين في قوَّات الحلفاء في الحرب العالمية الأولىٰ[١]: «خلال الأسابيع الحرجة التي كان اللنبي (Allenby) يعد فيها العدَّة للهجوم، وأثناء الهجوم كذلك، كانت القوات العربية تُلهي وتشغل حوالي نصف القوات التركية الموجودة إلىٰ الجنوب من دمشق.. ومن السهل معرفة ما كان يعنيه غياب هذه القوات بالنسبة لضربة اللنبي، ثم إن العملية العربية لم تتوقف بعدما فتحت الطريق، والنتيجة هي أن العرب هم الذين أبادوا الجيش الرابع (التركي) كله تقريبًا، وكان هذا الجيش يمثل القوة التي ما زالت متماسكة، والتي كان من الممكن أن تسدَّ الطريق في وجه النصر النهائي، إن البلىٰ والتمزُّق والتوتر الجمسي والعقلي الذي سبَّبه العرب للرجال والعتاد التركيين قد مهَّدا جميعًا الطريق التي أدَّت إلىٰ هزيمة الأتراك».

اتفاقية سايكس ـ بيكو

في الوقت الذي كان العرب يبذلون دماءهم ويقاتلون إخوانهم في الدين من أجل حليفتهم الكبرىٰ بريطانيا العظمىٰ، كان الإنجليز يدبِّرون

(١) المصدر السابق.

لأصدقائهم مكيدةً خطيرةً جدًا بالتعاون مع فرنسا أساسًا، وروسيا القيصرية، يقتسمون بموجبها أراضي الدولة العثمانية بما في ذلك البلاد العربية.

وقد وقعت هذه الاتفاقية بين السير ماركس سايكس ممثل بريطانيا، وجورج بيكو ممثل فرنسا، في ١٦ مايو (أيار) ١٩١٦، وبموجب هذه الاتفاقية قَسَّمت بريطانيا وفرنسا المشرق العربي إلىٰ خمس مناطق هي السواحل اللبنانية والسورية، وهذه أعطيت فرنسا، والعراق وأعطي لبريطانيا، وتم الاتفاق علىٰ وضع إدارة دولية لفلسطين ومن ثم فتح الهجرة اليهودية علىٰ نطاقٍ واسع لإقامة الدولة اليهودية، وفي المنطقة الرابعة والخامسة يتم تكوين دولة أو اتحاد دول عربية علىٰ أن تكون لفرنسا حق الهيمنة في المنطقة الداخلية السورية، بينما تشرف وتهيمن بريطانيا علىٰ المنطقة الداخلية العراقية، وأُدخلت روسيا القيصرية بعد ذلك، وأعطيت روسيا حق السيطرة علىٰ مضايق الدردنيل والبوسفور وبحر مرمرة، ووافقت بريطانيا وفرنسا لأول مرة منذ أكثر من قرنين علىٰ أن تستولي روسيا علىٰ إستمبول، وأن تحوِّلها مرة أخرىٰ إلىٰ القسطنطينية عاصمة الكنيسة الأرثوذكسية كما كانت قبل أن يفتتحها محمد الفاتح سنة ١٤٥٢، وأن تعيد مسجد أيا صوفيا إلىٰ كنيسة.. الخ.

وتنصُّ الاتفاقية علىٰ إقامة دولة أو اتحاد دول عربية في جزء من الجزيرة العربية وبالذات اليمن والحجاز.

لقد كان ماركس سايكس الكاثوليكي تلميذًا للدكتور موسىٰ جاستر وهو لاهوتي يهودي روماني تبوَّأ مركزَ كبيرِ الحاخامات لطائفة اليهود

السفارديم في لندن، وقد استطاع جاستر اليهودي أن يؤثر علىٰ مارك سايكس، وأن يتشرَّب منه هذا الأخير مبادئ وروح الصهيونية[١]، ولذا فقد كان هذا الاتجاه ضمن اتجاه حكومة لويد جورج التي كانت تحرص علىٰ إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وبما أن ذلك يحتاج إلىٰ وسائل متعددة لإخراج هذا التصور فكان من ذلك اتفاقية سايكس ـ بيكو التي تنصُّ علىٰ جعل فلسطين تحت إدارة دولية من الحلفاء وبالذات من بريطانيا وفرنسا وربما الولايات المتحدة علىٰ أن تفتح هذه الإدارة باب الهجرة اليهودية علىٰ مصراعيه.

ولم يكن هذا الاتجاه بعيدًا عن الاتجاه الذي تبلور في وعد بلفور الذي صدر في ١٩١٧/١١/٢، وقد كان بلفور وزيرًا للخارجية في هذه الدولة بينما كان ماركس سايكس وكيلاً للوزارة في مجلس الحرب، وكان رئيس الوزارة لويد جورج يمثل نفس الاتجاه الصهيوني المسيحي الذي يسعىٰ بكل الوسائل الخفيَّة والظاهرة لإقامة وطن قومي لليهود.

---

(١) لقد كان ماركس سايكس أول مسيحي كاثوليكي يتبنَّىٰ الدعوة للصهيونية، ولهذا رتَّب لقاء بين ثيودور هيرتزل والبابا بيوس العاشر عام ١٩٠٤ ليقنع البابا بإقامة وطن قومي ليهود في فلسطين، وطالبًا مساعدته في تحقيق هذا الهدف، ولكن البابا بيوس العاشر رفض دعوة هيرتزل وقال أن اليهود هم الذين صلبوا المسيح وكذبوه «وأنكم بكفركم بالمسيح قد خرجتم أن تكونوا شعب الله المختار». ولما أشار هيرتزل إلىٰ المذابح التي أقامها المسيحيون لليهود غضب البابا وقال: «انتم من ابتدأ ذلك باضطهاد المسيح نفسه» وفشلت تلك المقابلة، ولكن الوضع قد تغيَّر تمامًا بعد الجهود الحثيثة المستمرَّة التي بذلها الصهاينة حتىٰ تحولت الكنيسة الكاثوليكية من موقف العداء التام لليهود إلىٰ تبرئتهم من دم المسيح وإلىٰ تأييدهم في مواقع كثيرة.

تطمين العرب وخداعهم

عندما قامت الثورة البلشفية فضح لينين اتفاقية سايكس بيكو وندَّد بالتآمر بين فرنسا وبريطانيا وروسيا القيصرية علىٰ البلاد العربية والإسلامية.. وطالب الملسمين بالثورة علىٰ بريطانيا وفرنسا، والوقوف مع الثورة البلشفية ضد هؤلاء المجرمين أعداء الإنسانية!! ورغم أن غالبية المسلمين لم يطمئنوا إلىٰ بيانات لينين ولم يصدِّقوا دعاواه بنصرة الإسلام والمسلمين إلا أن أعدادًا من مسلمي روسيا والمناطق المجاورة (مثل التركستان) انضموا إلىٰ لينين بالفعل، وارتاع الشريف حسين واضطرب اضطرابًا شديدًا فبعث الرسائل إلىٰ بريطانيا يسألها عن هذه الاتفاقية التي تنسف اتفاقيتها معه، واتصل فيصل ابن الشريف حسين مباشرة بالمسؤولين البريطانيين وأكدوا له مباشرة وبعدة رسائل تمسُّكهم بالاتفاقية المبرمة معه، ومن ذلك رسالة هوجارث في يناير ١٩١٨ ورسالة باست في ١٩١٨/٢/٨، وإعلان بريطانيا الموجه إلىٰ الدول السبع في ١٩١٨/٦/١٦، والإعلان الإنجليزي الفرنسي في ١٩١٨/١١/٩م.

وقد جاء في رسالة هوجارث (يناير ١٩١٨): إن بريطانيا لن تسمح بتوطين اليهود في فلسطين إلا بالقدر الذي يكون متوائمًا مع حرية السكان العرب السياسية والاقتصادية.

وفي رسالة باست في ١٩١٨/٢/٨: تؤكد حكومة جلالته (أي حكومة بريطانيا) وحليفاتها أنهم سيظلون أوفياء للسياسة الرامية إلىٰ مساعدة أية حركة تهدف إلىٰ تحرير الأمم المضطهدة وأن حكومة بريطانيا تكرر وعدها السابق

للعرب المتعلق بحرية الشعب العربي وإعتاقه وتكوين دولته المستقلة.

وفي الإعلان البريطاني الموجَّه إلىٰ الدول السبع في ١٩١٨/٦/١٦ تأكيد علىٰ البلاغات التي أصدرتها حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا وإمبراطور الهند في بغداد بتاريخ ١٩١٧/٣/١٩ وفي القدس بتاريخ ١٩١٧/١٢/٩ والتي تؤكد استقلال البلاد العربية وحريَّتها وإعطاء العرب حقوقهم وحريتهم الكاملة بما في ذلك فلسطين، ويقول عن فلسطين: إن سياسة حكومة جلالته تجاه السكان تقوم علىٰ مبدأ موافقة المحكومين، وستظل هذه السياسة دائمًا سياسة حكومته (وبما أن المحكومين في فلسطين من العرب يريدون حكومة عربية مستقلة مرتبطة بالمناطق الشامية الأخرىٰ فإن ذلك من حقهم).

وفي الإعلان الإنجليزي الفرنسي الصادر في ١٩١٨/١١/٩ توافق حكومتا بريطانيا وفرنسا علىٰ تأييد إقامة حكومات وإدارات من السكان المحليين في سوريا (والتي كانت تشمل فلسطين)، وفي إقليم ما بين النهرين (العراق)، كما توافقان علىٰ المساعدة علىٰ ذلك.

وهكذا خانت بريطانيا بالذات، ومعها فرنسا كل عهودها للعرب، ففي الوقت الذي كانت تقطع فيه العهود للعرب بإقامة دولتهم المستقلة، كانتا تتقاسمان البلاد العربية وتوزعانها بينهما كغنائم حرب وتتفقان علىٰ إعطاء فلسطين لليهود بصورة ملتوية، وذلك عن طريق ما يسمىٰ إدارة دولية تفتح باب الهجرة لليهود علىٰ مصراعيه وتؤكد عزمها علىٰ إقامة وطن قومي لليهود كما نصَّ عليه وعد بلفور.

دخول اللنبي فلسطين وإصدار أول بيان له

واصلت قوات القائد البريطاني اللنبي زحفها وحاصرت القدس في بداية شهر ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٧ وذلك بعد أن مهَّد له العرب الطريق واحتلُّوا ميناء العقبة وشغلوا أكثر من نصف الجيش التركي الموجود في المنطقة.

وفي اليوم الثامن من كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٧ بعث متصرِّف القدس عزت بك يطلب مفتي القدس السيد كامل الحسيني ورئيس بلديتها السيد حسين سليم الحسيني وأخبرهم بأن القدس ستسقط بيد الإنجليز، وأنه سيترك المدينة، ويلقي بين أيديهم مهمة التسليم للقوات الإنجليزية المحاصرة.

وفي اليوم التالي (١٩١٧/١٢/٩) خرج رئيس البلدية السيد حسين الحسيني وابن أخيه توفيق صالح الحسيني ومفتشا الشرطة المحلية عبد القادر العلمي وأحمد شريف ولفيف من شباب القدس ومعهم العلم الأبيض مستسلمين للإنجليز الفاتحين، ودخل الإنجليز القدس عن طريق الشيخ بدر، غرب المدينة.

وفي يوم ١٩١٧/١٢/١١ دخل اللنبي القائد العام للقوات البريطانية القدس من باب الخليل قائلاً: «الآن انتهت الحروب الصليبية»!! وعندما دخل دمشق دخل علىٰ قبر صلاح الدين قال: «ها قد عدنا يا صلاح الدين»[1]. فأي روح صليبية حاقدة أشد من هذه الروح، وما كان يستطيع

---

(١) وهو نفس الكلام الذي قاله القائد الفرنسي جورو عندما دخل دمشق عام ١٩٢٠، وعندما دخلت قوات اللنبي القدس دقت أجراس الكنائس في كل أوربا، بما في ذلك ألمانيا عدوة بريطانيا، فرحًا وابتهاجًا.

دخول دمشق ولا القدس لولا رماح العرب وسيوفهم التي ساعدته وأيَّدته وقاتلت معه إخوة لها في الدين.. وهذا جزاء من يتولَّىٰ الكفار ويثق بهم ويحارب إخوته من أجلهم، مهما كان ظلم هؤلاء الإخوة.

*** وأصدر اللنبي من علىٰ دَرَج القلعة الواقعة عند باب الخليل البيان التالي:**

«إنَّ انهزام الأتراك أمام الجيوش التي تحت قيادتي، أدَّىٰ إلىٰ احتلال مدينتكم من قبل جيوشي، وفي الوقت الذي أذيع عليكم هذا النبأ، أعلن الأحكام العرفية، وستبقىٰ هذه الأحكام نافذة المفعول ما دامت ثمَّة ضرورة حربية، ولئلا ينازعكم الجزع، كما نالكم من الأتراك الذين انسحبوا، أريد أن أخبركم أنني أرغب أن أرىٰ كل واحدٍ منكم قائمًا بعمله وفق القانون، دون أن يخشىٰ أي تدخل من قبل أيٍّ كان.

وفضلاً عن ذلك بما أن مدينتكم محترمة في نظر أتباع الديانات الثلاثة الكبرىٰ، وترابها مقدس في نظر الحجاج والمتعبدين الكثيرين من أبناء الطوائف الثلاثة المذكورة منذ قرون وأجيال، أودُّ أن أحيطكم علمًا بأن كل بناء مقدس ونصب، ومكان مقدس أو معبد، أو مقام، أو مزار، أو أي مكان مخصص للعبادة من أي شكل وإلىٰ أي طائفة من الطوائف الثلاثة، سيصان ويحتفظ به عملاً بالعادات والعنعنات المرعية، وبالنسبة إلىٰ تقاليد الطائفة التي تملكها».

دخلت القدس وفلسطين منذ تلك اللحظة تحت الحكم العسكري المباشر للقوات البريطانية المحتلة، وانتهت الحرب العالمية الأولىٰ رسميًّا في ١٩١٨/١٠/٣٠ باستسلام كل من تركيا وألمانيا للحلفاء.

وفي خريف عام ١٩١٨ تألفت الجمعية الإسلامية المسيحية في مدينتي القدس ويافا لتمثل بصورة متحدة سكان فلسطين العرب مسلمين ونصارىٰ وتحافظ علىٰ حقوقهم في وجه الأطماع الصهيونية، والتي كانت تؤيدها الدول الكبرىٰ المنتصرة في الحرب وبالذات بريطانيا العظمىٰ، وفي أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٨ دخلت القوات العربية دمشق.

مؤتمرات السلام(١)

وفي ١٩ يناير (كانون الثاني ١٩١٩) انعقد مؤتمر السلام في باريس لتصفية تركة الحرب الأولىٰ، وبالذات تركة ما يسمىٰ الرجل المريض في أوربا بعد القضاء التام عليه (الدولة العثمانية) وتآمرت الدول الأوربية لاقتسام هذه التركة بصورة رسمية مقننة مهتدية بذلك باتفاقات سايكس بيكو ووعد بلفور.

(١) لقد استطاع اليهود الصهاينة بدعم بريطانيا والولايات المتحدة والدول الأوربية الأخرىٰ من جعل مؤتمرات السلام تعمل لإقامة وطن قومي لليهود، وتنادي بعض المتحمِّسين من الصهاينة اليهود والمسيحيين بإقامة دولة يهودية فورية في فلسطين ورد عليهم وايزمان رئيس الصهيونية في العالم بأكمله بقوله: «إن الكثير من أصدقائنا ينتظرون أن تقام الدولة اليهودية في الحال، ولكن الواقفين علىٰ سير الأمور يعلمون أن ذلك متعذر الآن، ولبلوغ هذا الهدف يجب أن توضع فلسطين تحت حماية دولة صديقة كبريطانيا لتسهيل الهجرة والاستيطان ولإقامة الجهاز الإداري والعسكري للدولة». ويؤكد هذا المعنىٰ باروخ هاجاني في كتابه «الصهيونية» المنشور في باريس ١٩١٧ حيث قال: «مهما كانت قوة الصهيونية حاليًا ومهما كانت درجة الحماس التي تحرك الصهيونيين، فإننا يجب أن نعترف بأن الظروف ليست مناسبة بعدُ لإنشاء دولة يهودية، إن الدول تبنىٰ بالتدريج وببطء وبصبر، إن هدف جهودنا هو إنشاء دولة يهودية في فلسطين ولكن يجب أن نمرَّ أولاً بسلسلة من المراحل».

وتنادىٰ المسلمون لعقد المؤتمر الأول الفلسطيني في القدس، وتم ذلك بسرعة حيث انعقد في الفترة ما بين ٢٧ يناير و١٠ فبراير ١٩١٩، وأرسل المؤتمر بمذكرتين لمؤتمر السلام في باريس يرفض فيهما وعد بلفور، ويطالب بانضمام فلسطين (جنوب سوريا) إلىٰ سوريا واستقلال هذه الدولة استقلالاً تامًّا، تنفيذًا لوعود الإنجليز (مكماهون) للشريف حسين، وتنفيذًا لمبادئ الحرية والاستقلال لكل الشعوب التي كان ينادي بها الرئيس الأمريكي ويدرو ويلسون.

وفي ١٩١٩/٦/٢٨ تم توقيع اتفاقية فرساي وميثاق عصبة الأمم وتنصُّ المادة ٢٢ منها علىٰ الآتي:

«بالنسبة للمستعمرات والأقاليم التي لم تعد، نتيجة للحرب الأخيرة، واقعة تحت حكم الدول التي كانت تحكمها فيما سبق، والتي تقطنها شعوب غير قادرة بعد علىٰ الوقوف علىٰ قدميها وحدها في ظل الظروف الشاقَّة في العالم المعاصر، فسيطبق عليها المبدأ القائل بأن خير وتطور مثل هذه الشعوب يشكل أمانة مقدَّسة، وأن ضمانات تأدية هذه الأمانة يجب تنظيمها في ميثاق العصبة، كما أن أحسن أسلوب لتطبيق هذا المبدأ تطبيقًا عمليًّا هو أن يعهد بالوصاية علىٰ مثل هذه الشعوب إلىٰ الأمم المتقدِّمة (أسلوب مراوغ للاستعمار باستخدام ألفاظ منمَّقة لاستعباد الشعوب وامتصاص دمائها واستلاب خيراتها)، والتي يجب أن تمارس هذه الوصاية باعتبارها منتدبة من قبل العصبة.. وأما بالنسبة لبعض الفئات التي كانت فيما مضىٰ تخص الإمبراطورية التركية، والتي وصلت إلىٰ مرحلة من التطور.. فإن وجودها كأمم قائمة بذاتها يمكن الاعتراف به اعترافًا مشروطًا علىٰ أن

تقدم لها دولة منتدبة النصح والمساعدة في النواحي الإدارية، وذلك إلىٰ أن يحين الوقت الذي تستطيع الوقوف فيه وحدها، كما يجب أن تكون رغبات هذه الفئات أحد الاعتبارات الرئيسية في اختيار الدولة المنتدبة».

وهكذا تمَّ اختيار بريطانيا العظمىٰ للانتداب علىٰ فلسطين، وشرق الأردن والعراق، وفرنسا للانتداب علىٰ ما عرف بسوريا ولبنان.. وهو تنفيذ لاتفاقات سايكس ـ بيكو الاستعمارية البغيضة الحقيرة بأسماء منمَّقة، وإن كانت بصورة أشدَّ ضراوة.

وهذا كله مناقض لمبادئ عصبة الأمم والمبادئ التي كان ينادي بها الرئيس الأمريكي ودرو ويلسون الذي أصدره عدة إعلانات بهذا الخصوص ومنها إعلانه الصادر في ١٩١٨/٢/١١ وفيه: «لا ينبغي التلاعب بالشعوب بتسليمها من دولة إلىٰ أخرىٰ بواسطة مؤتمر دولي أو تفاهم بين متنافسين أو متعادين» وهو ما تم بالفعل ووافق عليه الرئيس ويلسون نفسه، كما أنه دعم بكل قوة وعد بلفور وأعطىٰ اليهود المشتَّتين في بقاع الأرض حق إقامة وطن قومي لهم في فلسطين، وبالتالي طرد الفلسطينيين من أرضهم وديارهم التي عاشوا فيها علىٰ مدىٰ خمسة آلاف عام.

وفي ١٩١٨/٧/٤ أصدر ويلسون بيانًا آخر جاء فيه: «إن تسوية أي قضية سواء كانت متعلقة بالأرض أو بالسيادة أو بالترتيبات الاقتصادية أو العلاقات السياسية يجب أن تقوم علىٰ أساس قبول الشعب الذي يعنيه الأمر بتلك التسوية قبولاً حرًا، وليس علىٰ أساس المصلحة المادية أو المزايا التي تعود علىٰ أي أمة أو شعبٍ آخر قد يرغب في تسوية مغايرة من أجل نفوذه الخارجي وتسلُّطه»! وهو كلام منمَّق وجميل، ولكن

الولايات المتحدة نفسها فضلاً عن حلفائها الاستعماريين لم تلتزم بأي كلمة في هذا البيان الرائع!! بل علىٰ العكس نفذت سياستها ومصالحها رغم الشعوب واستخدمت في ذلك كل الوسائل القذرة بما فيها الانقلابات العسكرية والحروب المباشرة ومختلف أنواع الحصار الاقتصادي والسياسي وتجويع الشعوب وإذلالها.

تكوين لجنة كنج سنة ١٩١٩ لامتصاص النقمة

وبما أن الأصوات المنادية بتحرير الشعوب كان قوياً فإنه كان لا بد من الاحتيال علىٰ ذلك وإرسال لجنة لتقصِّي الحقائق منبثقة عن عصبة الأمم وتقدم تقريرها لها ولمؤتمر السلام، وبالفعل تكونت لجنة عرفت باسم لجنة كنج ويرأسها هنري كنج ومعه تشارلز كرين (وكلاهما أمريكي) ومجموعة من ممثِّلي الدول، وقد رفضت بريطانيا وفرنسا المشاركة في هذه اللجنة، كما أن الجمعيات الصهيونية في الولايات المتحدة وأوربا أدانتها حتىٰ قبل أن تنتقل إلىٰ ما كان يسمىٰ الشرق الأدنىٰ، وقد ذهبت هذه اللجنة بالفعل إلىٰ فلسطين وما يسمىٰ الشرق الأدنىٰ آنذاك، وقامت بدراسة الأوضاع وتعرَّفت علىٰ آراء السكان الفلسطينيين العرب مسلمين ونصارىٰ، كما التقت بالجالية اليهودية، وبعد دراسة لكافة أبعاد القضية والاستماع إلىٰ ممثِّلي السكان المحليِّين أوصت اللجنة بإجراء تعديلات جدِّية في البرنامج الصهيوني المتطرِّف، والمتعلِّق بإدخال عددٍ غير محدود من المهاجرين اليهود، بهدف تحويل فلسطين إلىٰ دولة يهودية، وقالت اللجنة أن وعد بلفور لا يعني تحويل فلسطين إلىٰ دولة يهودية، ثم إن خلق مثل هذه الدولة لا يمكن تحقيقه بدون إلحاق أبلغ الضرر بالحقوق

المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين، وقد أشار ممثلو اليهود خلال حديثهم مع اللجنة إلىٰ أن الصهاينة اليهود ينوون تجريد سكان فلسطين الحاليين من غير اليهود من ممتلكاتهم تجريدًا كاملاً تقريبًا، وذلك بابتياعها بطرق متعددة».

وأشارت اللجنة إلىٰ خطاب الرئيس ولسون بتاريخ ١٩١٨/٧/٤ والمتعلق بحقوق الشعوب في الاستقلال والحرية، ثم قالت اللجنة في تقريرها المتقدم إلىٰ مؤتمر السلام في ١٩١٩/٨/٢٨: «إن فرض أعدادٍ غير محدودة من المهاجرين اليهود علىٰ الشعب الفلسطيني الذي يتطلع إلىٰ الحرية والاستقلال، وإخضاعه لضغوط مالية واجتماعية مستمِرَّة بهدف إجباره علىٰ التخلِّي عن أرضه، يعتبر انتهاكًا صارخًا للمبدأ الذي مرَّ ذكره، ولحقوق ذلك الشعب، حتىٰ وإن تزيَّا الأمر بالزيِّ القانوني..» وثمَّة أمر آخر لا يمكن تجاهله إذا ما سمح العالم لفلسطين بأن تصبح دولة يهودية.. وينبع هذا الأمر من كون فلسطين بلادًا مقدسة لدىٰ اليهود والمسيحيين والمسلمين علىٰ حدٍّ سواء.. إن إحدىٰ النتائج التي ستنبثق عن البرنامج الصهيوني المتطرف، هي ازدياد المشاعر المناوئة لليهود حدَّةً في فلسطين، وفي كافة أرجاء العالم التي تنظر إلىٰ فلسطين باعتبارها البلاد المقدَّسة.

«يجب أن تكون الهجرة اليهودية محدَّدة بشكل قطعي، وإن مشروع تحويل فلسطين إلىٰ كومنولث يهودي يجب التخلِّي عنه، وإن فلسطين يجب أن تصبح جزءًا من دولة سورية متَّحدة، مثلها في ذلك مثل بقية أجزاء البلاد».

وهو قرار في منتهىٰ الإنصاف والشجاعة والقيام علىٰ المبادئ التي نادىٰ بها الرئيس ودرو ويلسون نفسه، ولم يطبقها لا هو، ولا حكومته، ولا الحكومات التي جاءت من بعده، فضلاً عن الحكومات الاستعمارية العتيدة مثل بريطانيا وفرنسا حلفاء الولايات المتحدة في الحربين العالميتين الأولىٰ والثانية.

وقد وُوجِهَ هذا القرار الشجاع المنادي فعليًّا بالتخلِّي عن وعد بلفور بالرفض، رغم أنه لم يقل ذلك صراحة، بل حوَّله إلىٰ وعد يسمح لأعداد محدودة من اليهود بالعودة إلىٰ فلسطين، ولكن تبقىٰ فلسطين عربية، بل وتُضَمُّ إلىٰ دولة سورية التي كان مقرَّرًا أن تقوم (حسب وعود بريطانيا للشريف حسين) والتي تشمل سوريا الحالية والأردن ولبنان وفلسطين، وكانت فلسطين منذ مئات السنين وطوال العهد العثماني تسمىٰ سورية الجنوبية.

أمريكا والحلفاء لا يلتفتون لقرار لجنة كنج

وقد واجهت هذه اللجنة حملات مسعورة من كلٍّ من بريطانيا وفرنسا ومئات الجمعيات الصهيونية وآلاف الشخصيات الأمريكية والأوربية البارزة المتأثرة بالصهيونية المسيحية والمنادية بعودة اليهود إلىٰ فلسطين وقيام دولتهم فيها.

وقال الرئيس ويلسون في آب (أغسطس) ١٩١٨: «أعتقد أن الأمم الحليفة قد قررت وضع حجر الأساس للدولة اليهودية في فلسطين بتأييد تامٍّ من حكومتنا وشعبنا».

وعُقِدَ في سان ريمو مؤتمر للدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولىٰ، في ١٩٢٠/٤/٢٥ وقد قرر هذا المؤتمر وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني تكون مهمَّته الأولىٰ إقامة وطن قومي لليهود.

وأصدر مجلس النوَّاب الأمريكي في ٣٠ حزيران (يونيه) ١٩٢٢ قرارًا يؤيد «إعطاء بني إسرائيل الفرصة التي أنكرت عليهم طويلاً لإعادة تأسيس حياة يهودية وثقافية مثمرة في الأرض اليهودية القديمة».

وفي ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٢ صادقت الحكومة الأمريكية بصورة نهائية علىٰ وعد بلفور، وأيد الكونجرس الأمريكي بجميع أعضائه تقريبًا من الجمهوريين والديمقراطيين هذا الإجراء، واستشهد كثيرٌ منهم في كلماتهم بفقرات من العهد القديم واقتبسوا نبوءات توراتية، وأصدر الكونجرس بيانًا جاء فيه: «إن الولايات المتحدة الأمريكية تؤيد إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وفقًا للشروط التي تضمَّنَها وعد الحكومة البريطانية الصادر في نوفمبر ١٩١٧، والمعروف بوعد بلفور» وبذلك تمَّت موافقة المجلسين الكاملين للكونجرس الأمريكي علىٰ وعد بلفور ودعم كامل لموقف الحكومة المؤيِّد بدون تحفظ لكل نصوص وعد بلفور رافضًا بذلك قرارات لجنة كنج الصادرة في ١٩١٩/٨/٢٨ والتي قررت حق الفلسطينيين في إقامة دولتهم المستقلَّة أو المتَّحدة مع سورية، والتي لم تعترف لليهود بأي أحقية في فلسطين، بل والتي حذَّرت من مغبَّة قيام دولة يهودية في هذه الأرض المقدَّسة منذرة اليهود أنفسهم بأوخم العواقب.

وصار قرار الكونجرس الصادر في ١٩٢٢/٩/٢١ حجر الزاوية التي

بينت عليه السياسة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية، والتي استمرَّت في دعم قيام إسرائيل بالحدود التي تراها، ودعمها بعد قيامها.

وقد أعلن الصهاينة في فلسطين بأنهم سيجعلون فلسطين وطنًا قوميًّا خالصًا لهم وحدهم، وأخبر الدكتور إدر (Eder) عضو البعثة الصهيونية مجلس التحقيق في عام ١٩٢١ في أحداث مايو من ذلك العام بأنه «لا يمكن أن يقوم في فلسطين إلا وطن قومي واحد، وذلكم هو الوطن القومي اليهودي، ولا يمكن أن تكون هناك مساواة في الشراكة بين اليهود والعرب».. وطالب دولة بريطانيا أن تسمح لليهود فقط بحمل السلاح وتدربهم عليه، وذلك ما تمَّ بالفعل.

حكومة الانتداب المدنية يرأسها يهودي متعصب

وفي الأول من تموز ١٩٢٠ ألغت بريطانيا الحكومة العسكرية القائمة في فلسطين بعد الاحتلال وأنشأت بدلاً منها حكومة مدنية هي حكومة الانتداب[١]، والعجيب حقًّا أن تعهد بريطانيا العظمىٰ بتسيير شؤون حكومة الانتداب إلىٰ مجموعة من اليهود الصهاينة المتعصِّبين والذين ينادون بإقامة

---

(١) يقول الحاكم العسكري البريطاني في فلسطين قبل إنهاء مهمَّته: «إن الصهاينة اليهود في فلسطين مصمِّمون علىٰ حمل الحكومة العسكرية البريطانية المؤقتة في فلسطين علىٰ اتِّباع سياسة متحيزة، ومن المستحيل إرضاء أناس لا يطالبون رسميًا بأكثر من وطن قومي (دون دولة) بينما هم في الحقيقة لن يرضوا بأقل من دولة يهودية علىٰ كل أرض فلسطين».

ويقول مايكل ايونايدز البريطاني: كانت تواجه العرب مفارقات صعبة، فمن الناحية الرسمية تعلن بريطانيا أنها لا تنوي إقامة دولة في فلسطين، بينما يقوم الصهاينة في فلسطين بالعمل حثيثًا لإقامة هذه الدولة».

وطن قومي علىٰ كل أرض فلسطين التوراتية أي التي تمتدُّ عبر نهر الأردن وإلىٰ جنوب لبنان وسورية شاملة بذلك جبل الشيخ، وكان علىٰ رأس هذه الإدارة اليهودي البريطاني الصهيوني الشديد التعصُّب هربرت صموئيل الذي عُيِّن مندوبًا ساميًا، ويعاونه في إدارتها مجموعة من اليهود الصهاينة هم نورمن بينويتش الذي عُيِّن في منصب المدعي العام، ورئيس مشروعي القوانين في فلسطين حتىٰ يتسنَّىٰ له وضع القوانين التي تسمح لليهود بالهجرة إلىٰ فلسطين، ومضايقة سكَّانها العرب، ومصادرة أراضيهم وممتلكاتهم بحجج واهيات، والضغط عليهم بفرض ضرائب كبيرة علىٰ الأراضي، فإذا لم يستطيعوا دفع تلك الضرائب تمت مصادرة الأرض وبيعها للوكالة اليهودية، ومنهم البرت هيامسن[١] الذي عُيِّن في منصب مدير الهجرة حتىٰ يتولَّىٰ بنفسه موضوع هجرة اليهود إلىٰ فلسطين وتوطينهم وتوفير كل السبل لراحتهم، ومنهم أيضًا ماكس نيورك السكرتير المساعد الرئيس للحكومة، والذي يطلع بموجب وظيفته علىٰ جميع الأمور المتعلِّقة بالسياسة في فلسطين.

وكان أول عمل لهذه الحكومة اليهودية الصهيونية البريطانية سنّ قانون الهجرة في ١٩٢٠/٨/٢٦ وبموجبه تمَّ إدخال ١٦،٥٠٠ يهودي في الأشهر الثلاثة المتبقية من ذلك العام.

---

(١) لقد فتح البرت هيامسن اليهودي باب الهجرة علىٰ مصراعيه لليهود طوال فترة تولِّيه منصب مدير الهجرة في فلسطين (١٩٢٠ ـ ١٩٣٤)، وتسارعت الهجرة في العامين الأخيرين من إدارته حيث دخل حوالي ١٦٥ ألف مهاجر يهودي بجوازات وأكثر منهم بدون جوازات، كما تم الاستيلاء في تلك الفترة علىٰ ٤٩٧ ألف دونم بعقود رسمية بالإضافة إلىٰ مائة ألف دونم بدون عقود رسمية.

ووضعت قوانين ملكية الأرض بحيث تيسّر انتقال ملكيتها إلى اليهود، وتعيق ملكيتها للعرب، وبما أن نسبة كبيرةً من ملاك الأراضي في فلسطين كانوا يعيشون في لبنان وسوريا (على اعتبار أن فلسطين ذاتها كانت تسمى سورية الجنوبية.. وكانت كلها بلدًا واحدًا تحت الإدارة العثمانية)، فقد فرضت القوانين الجديدة ضرائب باهظة على الملاك، كما أعفت عمدًا المستأجرين من دفع أي إيجار عن أراضيهم للملاك، وأدى ذلك بالتالي إلى عدم قدرة الملاك على دفع الضرائب.. وفي تلك اللحظة كانت الوكالة اليهودية تتقدم بأشكال مختلفة كأفراد وأحيانًا بأسماء عربية لشراء الأرض من الملاك وإنقاذهم من هذه الورطة، واستولت الدولة على أراضٍ واسعة كانت تعود للدولة العثمانية وللأوقاف وأعطتها للوكالة اليهودية في خطَّة هادفة إلى الاستيلاء على أكبر قدرٍ ممكن من الأراضي وإعطائه ليهود، وكانت الدولة في تلك الحالة تنقل الملكية إلى اليهود ومع ذلك تمدُّ تلك الأراضي بالمياه والكهرباء.

وعندما استولت بريطانيا على فلسطين ودخلها اللنبي كانت نسبة اليهود لا تزيد عن ٨ بالمئة من السكان، وكان عدد السكان كالتالي:

٥٧٤,٠٠٠ مسلم عربي

٧٠,٠٠٠ مسيحي عربي

٥٦,٠٠٠ يهودي

٧٠٠,٠٠٠ المجموع

وبمرور أربع سنوات فقط كان عدد السكان كالتالي (عام ١٩٢٢):

٥٨٩,١٧٧ مسلم

٧١،٤٦٤ مسيحي

٨٣،٤٩٠ يهودي، وصارت نسبة اليهود ١٢٪ من السكان.

وفي عام ١٩٤٤ بلغ السكان ١،٧٣٩،٦٢٤ منهم:

١،٠٦١،٢٧٧ مسلمون

١٣٥،٥٤٧ نصارىٰ

٥٢٨،٧٠٢ يهود

أي أن نسبة اليهود وصلت ٣١ بالمائة، وما أن حلَّ عام ١٩٤٨ إلا وقد وصل اليهود إلىٰ سبعمائة ألف شخص، سرعان ما تضاعفوا بعد ذلك، فقد وصل عدد اليهود في فلسطين عام ١٩٦٠ إلىٰ ١،٩١١،٢٠٠ وانفتح باب الهجرة علىٰ مصراعيه بسقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩٠ وتم تهجير اليهود مباشرة إلىٰ إسرائيل مما رفع عددهم عام ١٩٩٨ علىٰ ٤،٨٠٠،٠٠٠ ولا تزال الهجرة مستمرَّة لاستيعاب المزيد وابتلاع ما بقي من أراضي فلسطين.

ملكية اليهود للأراضي

ورغم أن حكومة الانتداب البريطانية اليهودية قد وضعت كل الوسائل والقوانين الممكنة لاستلاب أراضي الفلسطينيين وإعطائها لليهود بكافة صور التحايل والبيع إلا أن الفلسطينيين انتبهوا لمخططات اليهود والإنجليز ورفضوا بيع أراضيهم وخاصة بعد ظهور الفتاوىٰ العديدة التي تحرِّم بيع الأراضي لليهود[1] وقد كان اليهود عام ١٩١٨ يملكون ٢ بالمائة من

(١) ظهرت عشرات الفتاوىٰ التي تحرِّم بيع الأراضي الفلسطينية لليهود مهما كانت=

الأراضي الفلسطينية، ورغم كل ما فعلوه وفعلته لهم الإدارة البريطانية المتصهينة إلا أن ملكيتهم للأراضي لم تزد حتىٰ عام ١٩٤٨ عن ٥,٦ بالمائة من جملة الأراضي الفلسطينية و١٥ بالمائة من الأراضي الصالحة للزراعة.

مذكرة ونستون تشرشل في ١٩٢٢/٦/٣ توضح السياسة البريطانية

جاء في المذكرة التي وضعها ونستون تشرشل (رئيس وزراء بريطاني فيما بعد): «ينبغي أن تغدو فلسطين يهودية تمامًا مثلما هي إنجلترا إنجليزية» ومع ذلك يقرّ بأن وعد بلفور لا يفترض أن تتحول فلسطين كلها إلىٰ دولة يهودية، بل يجب إنشاء مثل هذه الدولة والوطن فيها، وقد استبعد تشرشل في مذكرته التي عرفت باسم «الكتاب الأبيض» شرق الأردن من نطاق الوعد الذي قطعته بريطانيا علىٰ لسان بلفور بإقامة وطن قومي لليهود.

وثيقة الانتداب من عصبة الأمم

وفي عام ١٩٢٢ (يوليه) صادق مجلس عصبة الأمم علىٰ صكِّ الانتداب والذي تضمن من بين بنوده علىٰ تطبيق وعد بلفور وبحيث يكون الانتداب البريطاني مسؤولاً عن تنفيذ هذا الوعد وجعل للوكالة اليهودية

= الأسباب والمغريات حتىٰ أن السيد محمد سليمان الحبشي (الحضرمي الأرومة) ورئيس جمعية العلماء المركزية الهندية بكانبور أصدر فتوىٰ مطوَّلة حمل فيها علىٰ من يبيع أرض فلسطين المقدَّسة لليهود الذين يسعون لإجلاء المسلمين عن تلك الأراضي، وتشكيل دولة يهودية وهدم المسجد الأقصىٰ وبناء الهيكل المزعوم، واعتبر من يفعل ذلك ممن حارب الإسلام وظاهر أعداءه ولا يكون جزاؤه إلا نار جهنم، والخزي في الدنيا والآخرة، وقد ظهرت هذه الفتوىٰ عام ١٩٣٠ ميلادية، مما يدل علىٰ وعي كاملٍ لدىٰ مجموعة من علماء المسلمين رحمهم الله تعالىٰ وأجزل مثوبتهم.

دورًا في الإشراف علىٰ تنفيذ هذا الوعد.

وقد تضمنت وثيقة الانتداب التي أُقِرَّت بصورتها النهائية من قبل عصبة الأمم في ١٩٢٣/٢/٢٩ في مقدمتها نص وعد بلفور لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين مع ضمانات لحقوق الطوائف غير اليهودية، واشترطت المادة الثانية علىٰ وجوب وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي اليهودي، كما اشترطت المادة الرابعة: الاعتراف «بوكالة يهودية عامة وظيفتها تقديم النصح لحكومة الانتداب والتعاون معها في المسائل الاقتصادية والاجتماعية وغيرها مما يتعلق بإنشاء الوطن القومي اليهودي..»[(١)].

وخولت المادة ١١ حكومة الانتداب إجراء الترتيبات مع الوكالة اليهودية لبناء أو إدارة أية أشغال أو خدمات أو منافع عامة، وتطوير أي مصدر من المصادر الطبيعية في البلاد.

---

(١) أدت هذه المواد إلىٰ تدخل مستمر للوكالة اليهودية في شؤون دولة الانتداب، ورغم أن حكومة الانتداب البريطانية كانت مكوَّنة في الأساس من مجموعة من اليهود البريطانيين الشديدي التعصُّب لقيام كيان صهيوني في فلسطين إلا أن الوكالة كانت تصطدم في بعض الأحيان مع الإدارة البريطانية وتحدَّدت مهمات الوكالة اليهودية كما رسمها المؤتمر الصهيوني السادس عشر في الآتي:

١ ـ زيادة حجم الهجرة اليهودية إلىٰ فلسطين باستمرار.

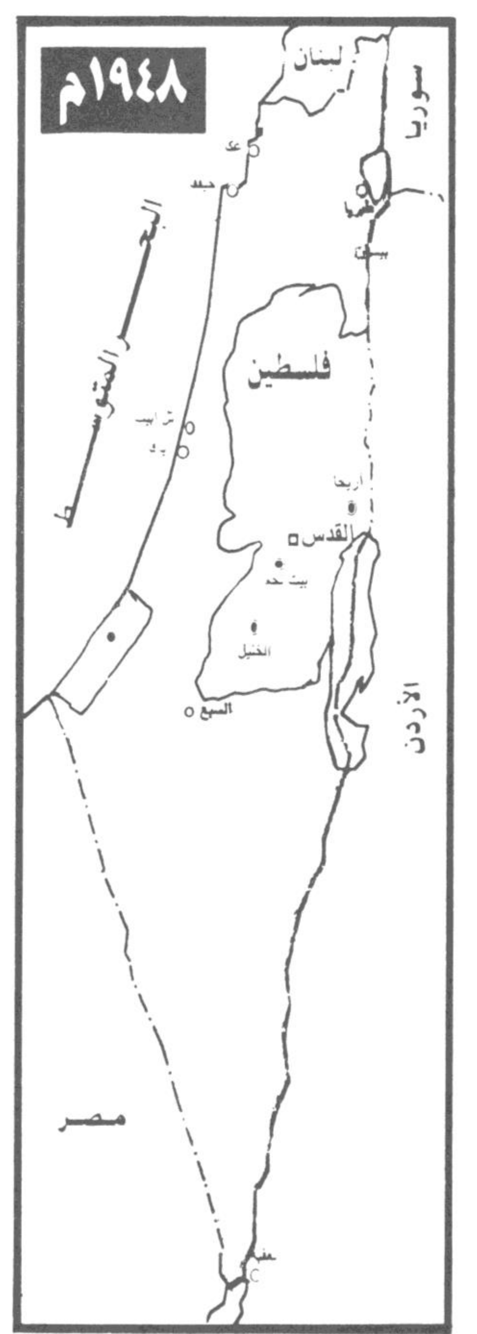
٢ ـ امتلاك ما يستطاع شراؤه أو الاستيلاء عليه من الأراضي الفلسطينية.

٣ ـ إقامة المستوطنات الزراعية اليهودية بأيدي يهودية.

٤ ـ نشر اللغة والثقافة والتقاليد العبرية بين اليهود الذين كان كثيرٌ منهم لا يعرفونها.

وأشرفت الوكالة علىٰ جميع أنشطة اليهود في فلسطين مستهدفة إقامة وطن ودولة في فلسطين التاريخية شاملة بذلك شرق الأردن والجولان وجبل الشيخ وجنوب لبنان وسيناء، وكان للوكالة لجنتان، مقرُّ الأولىٰ في القدس، ومقر الثانية في لندن، وفي عام ١٩٤٧ توحدت اللجنتان وتحول نشاط الوكالة إلىٰ الدولة الصهيونية عند قيامها في ١٩٤٨/٥/١٥م.


١٩١٧م
لبنان
سوريا
عكا
حيفا
طبريا
بيسان
البحر المتوسط
فلسطين
تل أبيب
يافا
أريحا
القدس
غزة
الخليل
بير السبع
الأردن
مصر
العقبة


١٩٤٨م
لبنان
سوريا
البحر المتوسط
فلسطين
أريحا
القدس
الخليل
السبع
الأردن
مصر

وهكذا تحوَّلت عصبة الأمم بتأثير الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمىٰ والحلفاء إلىٰ عصابة صهيونية كل همِّها إصدار التوجيهات لحكومة الانتداب البريطانية الصهيونية أصلاً لكي تعمل حثيثًا لاجتثاث الفلسطينيين وقلعهم من ديارهم وإعطاء وطنهم لشُذَّاذ الآفاق من اليهود، وحتىٰ لا تتغير الإدارة البريطانية يومًا ما بمجيء طاقم آخر غير صهيوني فرضت عصبة الأمم علىٰ حكومة الانتداب أن تدير شؤون فلسطين بالتعاون مع الوكالة اليهودية التي أنشأتها الحركة الصهيونية عام ١٩٢٣ للإشراف علىٰ تهجير وتوطين اليهود وتيسير سبل إقامتهم وسبل معيشتهم وتعليمهم داخل فلسطين.. والعمل حثيثًا لسيطرتهم علىٰ أرض فلسطين حتىٰ يتمكَّنوا من إقامة الدولة اليهودية عليها.

بدء الاضطرابات في فلسطين

لقد شعر الفلسطينيون بما تدبِّره لهم بريطانيا العظمىٰ منذ فترة مبكرة، حتىٰ قبل أن يعلن الانتداب رسميًّا، وازداد يقينهم عندما عينت بريطانيا هربرت صموئيل مندوبا ساميًا في فلسطين في تموز ١٩٢٠ وتسنده مجموعة من عتاة الصهاينة البريطانيين، وتعاون المسلمون والنصارىٰ من أهل فلسطين وعلموا أنه كلهم مهدَّدون بالاجتياح بواسطة السرطان اليهودي الصهيوني، ومنذ فترة مبكرة وبالذات في خريف ١٩١٨ تكوَّنت الجمعية الإسلامية المسيحية في كل من يافا والقدس، وبدأت تعرض قضية فلسطين علىٰ الوفود الدولية، كما أرسلوا وفودًا إلىٰ بريطانيا نفسها للتفاوض معها بشأن حقوق الفلسطينيين، ولكن بريطانيا حولت الوفد الفلسطيني بعد مماطلات إلىٰ إدارة صهيونية فعاد الوفد حانقًا

وغاضبًا، وبدأت في أبريل (نيسان) ١٩٢٠ أول ثورة من الفلسطينيين ضد الانتداب تبعتها اضطرابات في مايو ١٩٢١ بعد أن تولىٰ هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني منصب المندوب السامي وبدأ في تنفيذ سياسته الرامية إلىٰ تهويد فلسطين.

وقد انعقدت عدة مؤتمرات فلسطينية منذ فترة مبكرة مما يدلُّ علىٰ الوعي التامِّ بخطورة القضية لدىٰ الزعماء الفلسطينيين، ففي ٢٧ يناير (كانون الثاني) ١٩١٩ انعقد المؤتمر الفلسطيني العالمي الأول في القدس، وقد أرسل المؤتمر بمذكرتين لمؤتمر السلام في باريس يرفض فيهما وعد بلفور ويطالب بالاستقلال.

وفي ٣ آذار (مارس) ١٩٢٠ انعقد المؤتمر السوري العام وكان فيه ممثلون عن فلسطين، وأعلن المؤتمر استقلال بلاد الشام بما فيها فلسطين، كما أعلن عن تنصيب فيصل ابن الشريف حسين ملكًا.

وفي الشهر التالي نيسان (أبريل) ١٩٢٠ ثار الشعب نتيجة فتح باب الهجرة اليهودية وقتل خمسة من المستوطنين اليهود وجرح عشرون ونزلت الدبابات البريطانية لحماية اليهود وضرب الفلسطينيين وتأديبهم، ولا غرابة في ذلك فحكومة الانتداب البريطانية هي حكومة يهودية صهيونية في الصميم.

وفي يوليه ١٩٢٠ واجهت سوريا القوات الفرنسية الغازية ووقعت معركة ميسلون التي استشهد فيها وزير الدفاع يوسف العظمة، وكانت ضربة للثورة العربية التي كانت تشكِّل دعمًا للفلسطينيين، وتحوَّلت سوريا ولبنان إلىٰ مستعمرات فرنسية.

وفي ديسمبر من نفس العام (١٩٢٠) انعقد المؤتمر الفلسطيني الثالث في حيفا وتكوَّنت لجنة تزعَّمت العمل السياسي لمدة ١٥ عام (١٩٢٠ ـ ١٩٣٥)، وفي العام التالي مايو ١٩٢١ حدثت اضطرابات في يافا والمدن الساحلية الفلسطينية التي واجهت الزحف اليهودي المتمثل في الهجرة الاستيطانية، وتم تعيين الحاج أمين الحسيني مفتيًا عامًّا لفلسطين.. وقد لعب الحاج أمين الحسيني دورًا بالغ الأهمية في القضية الفلسطينية طوال أكثر من ربع قرن[1].

وشكلت بريطانيا لجنة هيكرافت للنظر والتحقيق في الظلامات الفلسطينية، وفي حزيران (يونيه) من نفس العام ١٩٢١ انعقد المؤتمر الفلسطيني الرابع في القدس وأرسل وفدًا إلىٰ لندن للتفاوض بشأن القضية الفلسطينية، ولإيقاف طوفان الهجرة اليهودية الذي بدأ يتدفق، وفي آب (أغسطس) انعقد المؤتمر الفلسطيني الخامس في مدينة نابلس، وانعقد المؤتمر السادس في حزيران (يونيه) ١٩٢٣.

وفي آذار (مارس) أضرب الفلسطينيون احتجاجًا علىٰ زيارة بلفور صاحب الوعد المشؤوم للقدس والذي جاء ليشارك في احتفال افتتاح

---

(١) أرسل الحاج أمين الحسيني نداءً إلىٰ حُجَّاج بيت الله عام ١٩٢٢ يستصرخهم أن ينجدوا الأقصىٰ وفلسطين من الصهاينة المعتدين الذين مكنت لهم بريطانيا ليقيموا دولتهم المزعومة علىٰ أرض فلسطين، ومما جاء في النداء «وحقنا فيه حقّ المصري والحجازي والتركي والهندي والأفغاني، وكل من نطق بالشهادتين في مشارق الأرض ومغاربها»، وكان الحاج أمين الحسيني واعيًا لأبعاد القضية كلها، ولم يفصلها قط عن بُعدها الإسلامي علىٰ عكس ما فعلت بعد ذلك كثير من المنظمات الفلسطينية، وأدت نداءات الحسيني إلىٰ الثورات المتعددة في الهند وغيرها من الأقطار الإسلامية ضد بريطانيا واليهود.

الجامعة العبرية، ومما يُؤسَف له أن لطفي السيد الذي يسمونه أستاذ الجيل ورئيس الجامعة المصرية وأستاذ طه حسين وصديقه حضر أيضًا للمشاركة في افتتاح الجامعة العبرية.. وهو موقف مخزٍ ويمثل سياسة التطبيع مع اليهود وموالاتهم، وللأسف كانت دعوة لطفي السيد وطه حسين شوفينية ضيقة تهتم بمصر فقط وتتنكر للعالم العربي والإسلامي، بل وتدعو بقوة إلىٰ سلخ مصر الكنانة من عالمها العربي والإسلامي وإلحاقها بأوربا كما أوضحه طه حسين في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» الذي حاول أن يؤكد أن مصر جزء من أوربا وبالذات حوض البحر الأبيض المتوسط وحضارته، وأن ارتباطها الحقيقي ينبغي أن يكون بفرنسا.. وأن عليها أن تأخذ الحضارة الأوربية بخيرها وشرها منها.. وهو أمر عانت منه مصر كثيرًا كما عانت منه البلاد العربية الأخرىٰ، وهو موقف انهزامي خانع للإمبريالية الأوربية الغربية، ونقطة سوداء في تاريخ لطفي السيد وطه حسين، وقد تبرأت مصر من هذا الاتجاه فهي قلب العروبة النابض، وحاملة لواء الإسلام بأزهرها الشامخ علىٰ مدىٰ القرون والأيام.

وفي أكتوبر (تشرين أول ١٩٢٥) انعقد المؤتمر الفلسطيني السابع في القدس، وعمل الحاج أمين الحسيني علىٰ عقد مؤتمر إسلامي عالمي في القدس لحماية المقدَّسات الإسلامية، وقد انعقد هذا المؤتمر الهامّ في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٨[1].

(١) وقد حضر المؤتمر وفود من كافة الأراضي الإسلامية، وأرسلت الهند زعيمها الإسلامي مولانا محمد علي (زعيم جمعية الخلافة) فلما وصل دمشق ضايقه الفرنسيون ومنعه الإنجليز من دخول القدس في ١٩٢٨/١١/١٨، فقامت المظاهرات في كل من فلسطين والهند مما اضطر السلطات البريطانية للسماح له بالدخول في=

ثورة البراق

وفي ٢٣ ـ ٢٩ آب (أغسطس) ١٩٢٩ قامت ثورة البراق المشهورة، فقد ادَّعىٰ اليهود ملكيتهم لحائط البراق (الحائط الغربي للمسجد الأقصىٰ) علىٰ اعتبار أنه من بقايا الهيكل الثالث، وكانوا يبكون عنده ولذا يسمونه حائط المبكىٰ، وحاول اليهود الاستيلاء علىٰ الحائط وما حوله من حي المغاربة (وهو وقف منذ زمن صلاح الدين الأيوبي وابنه الملك الأفضل علي بن يوسف، وقد وقفه الغوث أبو مدين للمغاربة القادمين إلىٰ المدينة المقدسة) فثار المسلمون ودافعوا عن حائط البراق الذي ربط النبي ﷺ الدابَّة فيه بعد أن أُسري به ودخل أرض المسجد وصلىٰ بالأنبياء إمامًا، واحتدمت المعركة بين عباد الرحمن من سكان القدس وعباد الشيطان من شُذَّاذ الآفاق فقتل ١٣٣ يهوديًا وجرح ٣٣٩، ونزلت القوات البريطانية بدبَّاباتها تضرب الفلسطينيين فاستشهد ١١٦ فلسطينيًا وجرح ٢٣٢، واعتقلت القوات البريطانية مئات الفلسطينيين وحكموا بالإعدام علىٰ ٢٠ شخصًا فازدادت الثورة فخفف الحكم إلىٰ السجن المؤبد وحكم علىٰ ٨٠٠ آخرين بأحكام لعدت سنوات، وتم إعدام ثلاثة

= ١٩٢٨/١١/٢٧، وأقيم له حفل استقبال ضخم وتحدث فيه الزعيم الهندي بلغة عربية فصيحة عن قدسية حائط البراق ووجوب الدفاع عنه ضد أطماع الصهاينة، وعقدت العديد من المؤتمرات في الهند عند عوته بشأن حائط البراق والدفاع عنه مما أزعج الإنجليز، كما عُقد مؤتمر ضخم لجميع مسلمي الهند بشأن قضية فلسطين في مدينة بومباي في أبريل ١٩٣٠ وقرر المؤتمر أن الأماكن المقدسة في فلسطين هي ملك للمسلمين جميعًا وعليهم المحافظة عليها والدفاع عنها وطالبوا بإلغاء وعد بلفور والانتداب البريطاني وإيقاف الهجرة اليهودية وإعلان استقلال دولة فلسطين العربية.

من الأبطال الذين كتب الله لهم الشهادة وهم فؤاد حجازي ومحمد جمجوم وعطا الزير.

لجنة شو ولجنة سمبسون

وهاجت البلد وماجت واضطرب العالم الإسلامي[١] واضطرت بريطانيا إلىٰ تكوين لجنة للتحقيق في هذه القضية رأسها المستر شو، كما أن عصبة الأمم كونت أيضًا لجنة يرأسها المستر سمبسون للتحقيق، وتقدم اليهود والفلسطينيون بوثائقهم التي تدّعي ملكية الحائط الغربي للمسجد الأقصىٰ المعروف بحائط البراق، وبعد دراسة كاملة للوثائق الكاملة قررت لجنة عصبة الأمم المختصة بالقضية أن حائط البراق وحي المغاربة هي أوقاف إسلامية ثابتة بدون أي ريب، وقررت اللجنة بالإجماع حق المسلمين الكامل في حائط البراق (للأسف تنازل عنه الآن ياسر عرفات وجماعته بعد مرور ٧٠ عامًا من حكم اللجنة الدولية بأن الحائط وحي المغاربة وقف إسلامي منذ عهد صلاح الدين وأن لا حق لليهود في أي جزءٍ ولو صغيرٍ منه).

ومع هذا فقد أوصت اللجنة بأن يستمرَّ المسلمون في سياستهم

---

(١) قامت المظاهرات العديدة في أرجاء العالم الإسلامي وندَّد مسلمو الهند بما فعلته بريطانيا في فلسطين وقتلها للفلسطينيين وعقد المؤتمرات العديدة التي طالبت بإلغاء الانتداب البريطاني، وإعطاء شعب فلسطين حقه في الاستقلال والمحافظة علىٰ المقدسات الإسلامية، وحدد مسلمو الهند يوم ١٧ مايو من كل عام للاحتفال بيوم فلسطين، واشترك في مظاهرة عام ١٩٣٠ أكثر من مائتي ألف مسلم من القارة الهندية، وجمعوا التبرعات من أجل القضية الفلسطينية ونصرتها، وحاول بعض الشباب الوصول إلىٰ فلسطين للجهاد ضد الصهاينة والمستعمرين البريطانيين الذين يدعمونهم.

المتسامحة والمتساهلة والتي بدأت منذ عهد الأيوبيين والمماليك حيث سمحوا لليهود بأن يصلُّوا فرادىٰ عند حائط البراق (المبكىٰ عندهم) دون رفع صوت ولا ضرب بوق أو نفير ولا ضجيج ولا تجمع، ودون أن يكون لليهود أي حق في الحائط أو الحي المحيط به.

وكما هو معلومٌ فإن إسرائيل بعد احتلالها القدس في ٥ حزيران ١٩٦٧ قامت مباشرة (يوم ١٠ حزيران) بهدم حيِّ المغاربة بأكمله وتشريد أكثر من ألف شخص بعد أن أنذرتهم بإخلائه وترك بيوتهم وأثاثهم خلال ساعتين فقط، وقامت بتلك المجزرة دون أن تنبس الأمم المتحدة ولا منظمات حقوق الإنسان ولا الدولة الراعية للسلام ببنت شفة، ولم تحرك الدول العربية ذاتها ساكنًا فقد كانت كلها مشغولة بهزيمتها المدوية المرعبة.

كتاب باسفيلد الأبيض

وقامت لجنة شو البريطانية أيضًا بدراسة الموضوع وقدمت تقريرًا مماثلاً لتقرير لجنة عصبة الأمم وأدىٰ ذلك إلىٰ أن أصدر اللورد باسفيلد كتابه الأبيض في أكتوبر (تشرين أول) ١٩٣٠[١] الذي أخذ فيه بالاعتبار

(١) جاء في مذكرة اللورد باسفيلد ما يلي: «تشعر حكومة جلالته (أي ملك بريطانيا) بضرورة التأكيد علىٰ أن التصريح الذي أدلىٰ به رئيس الوزراء في مجلس العموم في الثالث من شهر أبريل ١٩٢٩ أن هناك تعهدين: أحدهما للشعب اليهودي والآخر للسكان غير اليهود، وإن ادعاءات الوكالة اليهودية بأن لها الحق في الحصول علىٰ مركز في الإدارة العامة لا تستطيع حكومة جلالته إلا أن تعتبره متخطيًا تخطِّيًا كبيرًا القصد الواضح من الانتداب..» وبالتالي تعتبر ما تدَّعيه الوكالة اليهودية بأن لها الحق في الإدارة العامة لفلسطين وأن سكان البلاد الأصليين لا حقَّ لهم في ذلك إنما هو=

تقرير لجنة شو ولجنة سمبسون (لجنة عصبة الأمم) وبالتالي أكد حق الفلسطينيين المسلمين في حائط البراق (الحائط الغربي أو حائط المبكىٰ) والحي المحيط به (حي المغاربة).

وانزعج الصهاينة اليهود والمسيحيون الصهاينة المسيطرون علىٰ مقدرات الأمور في الحكومة البريطانية وفي الولايات المتحدة من تقرير لجنة شو البريطانية، وتقرير لجنة سمبسون التابعة لعصبة الأمم وما تبعها من كتاب أبيض أصدره اللور باسفيلد، وتحرك الصهاينة لإلغاء مفعول هذه التقارير الناصعة والتي تؤكد حق المسلمين في حائط البراق، وأن سبب الأحداث المريعة وما تبعها من قتل كان بسبب اليهود أولاً وأخيرًا، وتأييد حكومة الانتداب لهم باسم حفظ الأمن، لهذا كله قام رئيس وزراء بريطانيا رامزي ماكدونالد بإرسال رسالة إلىٰ حاييم وايزمان رئيس الوكالة اليهودية ينقض فيها معظم ما جاء في الكتاب الأبيض الصادر عن لورد باسفيلد وذلك في ١٤ شباط (فبراير) ١٩٣١ مما أثار المسلمين والعرب الذين سموا هذا الكتاب الجديد بالكتاب الأسود.

مؤتمر القدس العالمي

وفي كانون أول (ديسمبر) ١٩٣١ انعقد مؤتمر إسلامي عالمي في القدس بدعوة من الحاج أمين الحسيني مفتي عموم فلسطين والزعيم الأول لحركة المقاومة للاستيطان اليهودي والاستعمار البريطاني، وقد

= فهم خاطئ، والمفروض حسب نصوص الانتداب أن تحافظ دولة الانتداب علىٰ حقوق السكان من غير اليهود كما تحافظ علىٰ حقوق اليهود، ولا بد من التوفيق بين هذين الالتزامين.

حضر هذا المؤتمر ١٤٥ ممثلاً من مختلف أنحاء العالم الإسلامي[١].

حزب الاستقلال

وفي أغسطس (آب) ١٩٣٢ تم تشكيل أول حزب سياسي فلسطيني بصورة نظامية: اسم حزب الاستقلال، وكان هدفه استقلال فلسطين وإيقاف الهجرة اليهودية، وللأسف استمرت الهجرة اليهودية تتدفق علىٰ فلسطين، واليهود يتسلَّحون ويتدرَّبون بإشراف القوات البريطانية الموجودة في فلسطين، مما أدىٰ إلىٰ اندلاع الثورة والاضطرابات في العديد من المدن الفلسطينية عام ١٩٣٣، وقامت بريطانيا لامتصاص النقمة وتهدئة الثورة بتكوين لجنة موريسون للتحقيق في أسباب الاضطرابات.

الشيخ عز الدين القسام

وكان للشيخ عز الدين القسام العالم الأزهري السوري دورًا كبيرًا في كل الأحداث منذ ثورة البراق، وقد هاجر الشيخ القسَّام من سوريا بعد أن

---

(١) وكان ممن حضر هذا المؤتمر الهام شاعر الإسلام في العصور الحديثة محمد إقبال، والزعيم الهندي المسلم شوكت علي، والعلامة الإيراني ضياء الدين الطباطباني، وعدد كبير من علماء العالم العربي والإسلامي. وحضر من تونس عبد العزيز الثعالبي وكان أحد زعماء تونس المرموقين. وعقد المؤتمر في رحاب المسجد الأقصىٰ ليلة ٢٧ رجب ١٣٥٠هـ الموافق ١٩٣١/٩/٧، ورأس المؤتمر الشيخ أمين الحسيني، وأوصىٰ المؤتمر بالدفاع عن البراق الشريف، وتأسيس شركة لإنقاذ الأراضي في فلسطين، ومساعدة الفلاحين وأرباب الحِرَف، وإيجاد شركات تعاونية للتسليف، وإنشاء جامعة الأقصىٰ في القدس. وعقد المؤتمر كل سنتين للنظر فيما يجد، ولتنفيذ بنود القرارات والتوصيات.

سُدَّت أمامه أبواب الجهاد ضد فرنسا وأسَّس أول حركة جهادية في مدينة حيفا، ومارس العمل الدعوي ثم الجهادي، واستشهد الشيخ عز الدين وهو في طريقه لتأسيس مركز للثورة في جنين في نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٣٥ في معركة ضد الإنجليز المستعمرين البغاة الذين مكَّنوا لليهود في أرض الإسراء والمعراج، وكان استشهاده بمثابة الشرارة التي أشعلت الثورة الكبرىٰ عام ١٩٣٦.

ثورة ١٩٣٦

وفي تلك الفترة (١٦ نيسان ١٩٣٦) قتل الصهاينة فلسطينيين بالقرب من مستعمرة بتاح تكفا، واضطربت الأمور وألَّفت الأحزاب الفلسطينية اللجنة العربية العليا في ٢٥ نيسان ١٩٣٦ وأسندت رئاستها إلىٰ الحاج أمين الحسيني، ودعا المؤتمر المنعقد في القدس (٨ مايو ١٩٣٦) إلىٰ العصيان المدني «ولا ضرائب بدون تمثيل» مما أدىٰ إلىٰ أن تقوم بريطانيا العظمىٰ باستدعاء المزيد من قواتها من مالطا ومصر لإخماد الثورة، وعندما تفاقمت الأحداث وكادت تخرج الأمور عن السيطرة.. وكانت الحرب العالمية الثانية علىٰ الأبواب، والحاج أمين الحسيني قد فقد الأمل في بريطانيا ووعودها ولجانها المتعددة رأت بريطانيا أن تقوم بالتهدئة بتكوين لجنة بيل ووسَّطت الملوك العرب لدىٰ اللجنة العربية العليا التي يرأسها الحاج أمين الحسيني لإيقاف الاضطراب، وبالفعل استجابت اللجنة العربية العليا لمناشدة الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية وملك العراق غازي بن فيصل وأمير شرق الأردن الأمير

عبد الله بن الحسين، وتوقف الإضراب[(١)].

لجنة بيل تقترح تقسيم فلسطين

ونشرت لجنة بيل تقريرها في ٧ يوليو (تموز) ١٩٣٦، واقترحت فيه تقسيم فلسطين إلىٰ دولة يهودية وأخرىٰ عربية تضم شرق الأردن، وإبقاء جيب في ظل الانتداب بالإضافة إلىٰ الإبعاد القسري للفلسطينيين من أراضيهم الواقعة في مخطط الدولة اليهودية، وكان هذا المشروع بداية لمشروع التقسيم الذي قدمته الأمم المتحدة فيما بعد في عام ١٩٤٧..

ورفض دافيد بن جوريون رئيس الوكالة اليهودية آنذاك مشروع التقسيم هذا وقال: «لم يجر النقاش حول شرعية تقسيم أرض إسرائيل (فلسطين)، إذ لا يمكن لأي صهيوني التنازل عن أصغر جزء من هذه الأرض، ولكن النقاش يدور حول طريقتين، وأيهما أسرع في بلوغ الهدف». وقال حاييم وايزمان (رئيس المنظمة الصهيونية العالمية) ردًّا علىٰ مقترحات لجنة بيل التي لم تدخل جنوب فلسطين في الوطن اليهودي المقترح: «إن جنوب فلسطين لن يفلت منا» وقد كرر بن جوريون لدىٰ قيام دولة إسرائيل بأن

---

(١) كان الإخوان المسلمون يستضيفون السيد أمين الحسيني وينسقون مع اللجنة العربية العليا في توزيع منشوراتها وكتبها علىٰ نطاق واسع، ونظموا مؤتمرًا في القاهرة حضره آنذاك الأمير فيصل بن عبد العزيز والأمير أحمد بن يحيىٰ حميد الدين (وكلاهما تولىٰ الملك بعد ذلك) وفارس الخوري الذي تولىٰ فيما بعد رئاسة البرلمان ورئاسة الوزارة في سوريا، وقد تكرر حضور هؤلاء الزعماء العرب وإلقائهم الخطب القوية المندِّدة ببريطانيا واليهود، وعندما ألغت بريطانيا الكتاب الأبيض خطب الأمير فيصل بن عبد العزيز ورياض الصلح (رئيس وزراء لبنان فيما بعد) وإسماعيل الأزهري الذي صار رئيس وزراء السودان، في اجتماع شعبي ورسمي في فندق الكونتننتال بالقاهرة، وكان المنظم لهذه المؤتمرات الشيخ حسن البنا، رحمة الله علىٰ الجميع.

قبول قرار التقسيم الصادر في ١٩٤٧/١١/٢٩ لا يعني أن هذه حدود أرض إسرائيل، بل كلُّ ما في الأمر أن الظروف المؤقتة استدعت قيام إسرائيل في ذلك الجزء المحدد من أرض إسرائيل، ولا بد من التوسع نحو الحدود التاريخية.

كما رفضت اللجنة العربية العليا هذا العدوان السافر علىٰ أرض فلسطين وإعطاء اليهود دولة فيها، ودعت إلىٰ إنشاء دولة فلسطينية مستقلَّة مع الحفاظ علىٰ حقوق الأقليَّات بما فيها الأقليَّة اليهودية، والحفاظ علىٰ المصالح البريطانية العليا في المنطقة، وذلك في بيان أصدرته بتاريخ ١٩٣٦/٧/٢٣، وقد أيَّد المؤتمر العربي العام المنعقد في بلودان في سوريا في سبتمبر (أيلول) ١٩٣٦ هذا البيان ورفض فكرة تقسيم فلسطين رفضًا باتًّا.

وفي أيلول ١٩٣٧ قام اليهود من منظمة أرجون بإلقاء قنبلة علىٰ حافلة عربية في القدس وكانت بداية لسلسلة من الأعمال الإرهابية اليهودية التي قامت بها العصابات اليهودية بتغاضي أو حتىٰ بإشراف من ضباط في الجيش البريطاني نفسه، ولا شك أن التسليح والتدريب كان يتم بواسطة هؤلاء الضباط الإنجليز.

وكان الإنجليز يدربون اليهود في فلسطين علىٰ الأعمال العسكرية كما أن أعدادًا من اليهود في أوربا والولايات المتحدة كانت تتدرب باستمرار علىٰ حمل السلاح والأعمال الإرهابية، وقد قام الضابط البريطاني أورد وينجت عام ١٩٣٨ بتكوين فرق عسكرية يهودية ودرَّبها تدريبًا عاليًا علىٰ أعمال القتال والأعمال الإرهابية، وكان يقوم بنفسه

بالغارة علىٰ المناطق الفلسطينية ومعه مجموعات من الهاجاناه اليهودية التي درَّبها ويقوم بعمليات إرهابية يقتل فيها النساء والأطفال والشيوخ مع الرجال والشباب في غارات ليلية مما أثارت الرعب بين الفلسطينيين.

كتاب مكدونالد الأبيض

أصدرت الحكومة البريطانية في ١٩٣٩/٥/١٧ كتاب مكدونالد الأبيض بعد أن تكونت لجنة ملكية للنظر في أسباب الاضطرابات فقالت: إن اللجنة الملكية، وما سبقها من لجان تحقيق، قد لفتت النظر إلىٰ غموض بعض التعبيرات الواردة في صكِّ الانتداب مثل عبارة (وطن قومي للشعب اليهودي) ووجدت في هذا الغموض وما نتج عنه من شكٍّ فيما يتعلق بأهداف السياسة سببًا أساسيًا من أسباب الاضطراب والعداء بين العرب واليهود.. ولهذا قررت الحكومة:

١ ـ أن الوطن القومي اليهودي، كما تُخيِّل في وعد بلفور، وفي التصريحات السياسية البريطانية السابقة قد جرىٰ إنشاؤه.

٢ ـ وأن تطويره أكثر وضد رغبات العرب، سيكون بمثابة انتهاك لتعهدات بريطانيا للعرب، كما أنه لا يمكن تنفيذ هذه السياسة إلا باستعمال القوة التي لا يمكن تبريرها.

٣ ـ وأنه بعد السماح لـ ٧٥ ألف مهاجر يهودي بدخول البلاد في مدىٰ خمس سنوات، بأن الهجرة اليهودية ينبغي أن تتوقف.

٤ ـ وأنه خلال هذه السنوات الخمس يجب وضع قيد علىٰ حصول اليهود علىٰ أراضٍ جديدة في فلسطين.

٥ ـ وأنه في نهاية السنوات الخمس يجب إقامة مؤسسات للحكم الذاتي في البلاد، وإقامة حكومة موحدة لكل فلسطين(١).

وقد عارض اليهود بقوة هذا البيان وتشكك فيه العرب، وقد شهدت حكومة الانتداب بأن عرب فلسطين قد برهنوا علىٰ تأييدهم للديمقراطية عند اندلاع الحرب، كما ظهرت نداءات تلقائية في الصحافة العربية تناشد العرب الالتفاف حول بريطانيا العظمىٰ ووضع القضايا المحلية جانبًا، وكذلك جرىٰ شجب الأعمال الإرهابية شجبًا كاملاً.

قام اليهود احتجاجًا علىٰ كتاب مكدونالد الأبيض بإغراق سفينتين أحدهما السفينة باتريا بواسطة المتفجرات أثناء رسوها في ميناء حيفا في ١٩٤٠/١١/٢١ ونتج عن ذلك قتل عدد من الشرطة البريطانية وطاقم السفينة و٢٥٢ مهاجر (غير شرعي) يهودي كانوا في السفينة، وقد اعترف الدكتور هيرتسل روزنبلوم محرر صحيفة يديعوت أحرنوت في عام ١٩٤٨ بأن الذي دبر هذه الجريمة هو الصهيوني جولومب، وأنه شخصيًّا عارض ذلك لأنه يؤدي إلىٰ قتل يهود مهاجرين بما فيهم أطفال اليهود، ولكن موسىٰ شاريت الذي تولىٰ رئاسة الوزراء في إسرائيل فيما بعد قال: «من الضروري أحيانًا التضحية بعدد قليل من اليهود في سبيل إنقاذ الكثيرين».

والثانية سفينة ستروما التي غرقت في البحر الأسود بفعل المتفجرات في ١٩٤٢/٢/٢٤ وكانت تحمل ٧٦٠ مهاجرًا يهوديًا متوجهين إلىٰ فلسطين.

---

(١) وافق البرلمان علىٰ الكتاب الأبيض لماكدونالد في ١٩٣٩/٥/٢٣ بنسبة ٢٦٨ صوتًا ضد ١٧٩ صوتًا.

مؤتمر فندق بالتيمور في نيويورك

واستطاع اليهود أن يوجهوا اللوم في كلا الحادثتين إلىٰ بريطانيا وأدانوها بقتل الأبرياء من اليهود.. ونظَّموا أنفسهم وحصلوا علىٰ المزيد من السلاح في فلسطين كما نشطوا سياسيًا في أوربا والولايات المتحدة، وفي شهر أيار (مايو) ١٩٤٢ عقدوا مؤتمرًا في نيويورك في فندق بالتيمور أدانوا فيه الكتاب الأبيض الصادر في شهر أيار ١٩٣٩، واعتبروه يرمي إلىٰ تقييد بل إلىٰ إلغاء حقوق اليهود في الهجرة والاستيطان، وذلك بمنعه اليهود الهاربين من الاضطهاد النازي من الذهاب إلىٰ ملجأ أمين.

وطالب المؤتمر بحق اليهود في فلسطين في الدفاع عن وطنهم في فلسطين وذلك بواسطة قوة عسكرية يهودية وتعمل تحت القيادة العليا للأمم المتحدة، كما طالب بإنشاء دولة ديمقراطية يهودية فورًا.

كما طالب بفتح باب الهجرة علىٰ مصراعيه لليهود وأن تفتح أبواب فلسطين لهم وعلىٰ أن يعهد إلىٰ الوكالة اليهودية بالتحكم في الهجرة وأن تمنح الصلاحيات الضرورية لبناء البلاد علىٰ أن تحول فلسطين إلىٰ دولة يهودية مندمجة في بناء العالم الديمقراطي الجديد[١].

---

(١) في ١٩٤٢/١١/٦ صادق المؤتمر العام للمنظمة الصهيونية العالمية علىٰ هذا البرنامج، وفي ١٩٤٣/٥/٣ قام الجنرال باتريك هيرلي Patrick Hurley الممثل الشخصي للرئيس روزفلت في الشرق الأوسط بإرسال رسالة إلىٰ الرئيس الأمريكي روزفلت جاء فيها: «إن المنظمة الصهيونية في فلسطين تهدف إلىٰ:

١ ـ إقامة دولة يهودية ذات سيادة تشمل كل فلسطين وربما شرق الأردن.

٢ ـ نقل السكان العرب من فلسطين إلىٰ العراق أو أي مكان آخر.

٣ ـ تزعم اليهود لكافة أنحاء الشرق الأوسط في حقلي التنمية والاقتصاد.

وقدمت الوكالة اليهودية في ١٩٤٥/٥/٢٢ (بعد أسبوعين فقط من انتصار الحلفاء علىٰ دول المحور) الطلبات التالية إلىٰ الحكومة البريطانية:

١ ـ الإعلان الفوري عن قرار بجعل فلسطين غير المقسَّمة وغير المصغَّرة، دولة يهودية.

٢ ـ أن تخول الوكالة اليهودية التحكم في هجرة اليهود إلىٰ فلسطين.

٣ ـ العمل علىٰ توفير قرض دولي لتمويل هجرة أول مليون يهودي إلىٰ فلسطين.

٤ ـ منح التعويضات من ألمانيا للشعب اليهودي لإعادة بناء فلسطين مع استعمال جميع الممتلكات الألمانية في فلسطين لإعادة توطين اليهود القادمين من أوربا.

٥ ـ تقديم التسهيلات الدولة المجانية لخروج وعبور كافة اليهود الراغبين في الاستقرار في فلسطين.

وتحرك النفوذ الصهيوني اليهودي في الولايات المتحدة للضغط علىٰ بريطانيا حتىٰ تعدّل من سياستها التي حدَّدت سيل الهجرة اليهودية، وخاصة ما جاء في الكتاب الأبيض لماكدونالد الذي قرَّر أنه بعد السماح لخمسة وسبعين ألف مهاجر يهودي بدخول البلاد في مدىٰ خمس سنوات يجب أن تتوقف الهجرة اليهودية، كما يجب وضع قيد لحصول اليهود علىٰ الأراضي الفلسطينية واستملاكها.

أمريكا تضغط علىٰ بريطانيا
لإعادة فتح باب الهجرة علىٰ مصراعيه

وقامت اللجنة الفلسطينية الأمريكية برئاسة السناتور روبرت واجنر بجمع التأييد للاستيطان اليهودي غير المحدود في فلسطين وضم معه ٦٨ سيناتورًا من شيوخ الكونجرس، وأكثر من مائتي نائبًا (في الكونجرس) ومئات من رجال الدين البروتستانت المتصهينين، وعقدت اللجنة في ٦ آذار (مارس) ١٩٤٤ مؤتمرًا في العاصمة واشنطن، وتحدث في المؤتمر مندوب الحكومة الأمريكية فأعلن عن رفض الكتاب الأبيض البريطاني (كتاب ماكدونالد) وعبر عن سعادة الحكومة الأمريكية بفتح فلسطين للهجرة اليهودية، وأكد تعاون الحكومة الأمريكية لإيجاد وطن قومي يهودي في فلسطين بكل الوسائل المتاحة والممكنة، وفي ٩ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٤ بعث الرئيس الأمريكي روزفلت برسالة إلىٰ السناتور واجنر رئيس اللجنة الفلسطينية الأمريكية بمناسبة انعقاد المؤتمر السنوي الرابع والأربعين للمنظمة الصهيونية الأمريكية أيَّد فيها فتح أبواب الهجرة اليهودية إلىٰ فلسطين علىٰ مصراعيه وإقامة وطن لهم في أرض فلسطين، وأبدىٰ معارضته للكتاب الأبيض الذي أراد أن يحد من طوفان الهجرة اليهودية المتدفق علىٰ فلسطين، وبعث أحد قادة هذه المنظمة الصهيونية وهو النائب سيلر (Celer) برسالة إلىٰ الرئيس الأمريكي روزفلت قبل سفر الأخير إلىٰ مؤتمر يالطا في فبراير (شباط) ١٩٤٤ قال له فيها: «إن ناخبي ينظرون إليك وكأنك موسىٰ المعاصر الذي سينقذ شعب إسرائيل وينتظرون منك نتائج حاسمة تتعلق بدولة اليهود في فلسطين».

وتكونت عدة منظمات صهيونية مسيحية في الفترة ما بين ١٩٣٢ و١٩٤٦ وكلها تدعو إلىٰ فتح باب الهجرة لليهود للعودة إلىٰ فلسطين وتوطينهم فيها، وتمكينهم من إقامة وطنهم القومي ودولتهم لأن تلك هي مشيئة الرب ذاته التي أكدها بعشرات الوعود لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، وكل الأرض التي قال عنها الرب تكون لإسرائيل إلىٰ أبد الآبدين من النيل إلىٰ الفرات.. وكذلك يجب أن تكون اليوم، ومن يبارك إسرائيل يباركه الرب، ومن يقف في طريق إسرائيل يلعنه الرب ويطرده، والله قد بارك أمريكا لأنها باركت شعبه وساندته وأيدته، وعليها أن لا تتخلىٰ عن هذا الدور أبدًا.

روزفلت والصهيونية المسيحية

جهود الملك عبد العزيز آل سعود (رحمه الله) مع الرئيس روزفلت

بدأت الثورة النفطية الضخمة تظهر في المملكة، وكانت شركة آرامكو الأمريكية قد استطاعت أن تكسر الاحتكار البريطاني لنفط إيران والعراق والكويت وعمان وأبو ظبي، ولهذا كانت الولايات المتحدة حريصة علىٰ دعم علاقتها مع العاهل السعودي الملك عبد العزيز الذي اشتهر بحنكته السياسية وحسن تدبيره لشؤون مملكته المترامية الأطراف.

وكانت بداية قصة البترول في المملكة باتفاقية عقدها وزير المالية عبد الله السليمان مع مندوب شركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا «سوكال» في ١٩٣٣/٥/٢٩م في مدينة جدة، ونصت الاتفاقية علىٰ أن من حق الشركة الأمريكية أن تنقب وتستخرج وتصدر وتبيع جميع ما تجده من

منتجات بترولية أو معدنية في مساحة شاسعة جدًا تبلغ ١٫٢٨٥٫٠٠٠ كيلو متر مربع، منها ١٫٢٢٨٫٠٠٠ كيلو متر في اليابسة و ٥٧٫٠٠٠ كيلو متر في مياه المملكة العربية السعودية في المنطقة الشرقية، ومدة الامتياز ٦٦ عامًا تنتهي عام ١٩٩٩.

ولقد استغلت الشركة الأمريكية حاجة المملكة الشديدة إلىٰ المال آنذاك بتقديم قرض بمبلغ خمسين ألف جنيه ذهبًا، تبلغ قيمته آنذاك ربع مليون دولار أمريكي، كما وافقت الشركة علىٰ إعطاء المملكة خمسة وعشرين ألف دولار سنويا إيجارًا للأرض، ومبلغ دولار واحد عن كل طن من البترول تستخرجه الشركة (وليس عن كل برميل كما هو معتاد) واحتاطت الشركة فوضعت بندًا جاء فيه أن هذا الاتفاق يسري مفعوله منذ اللحظة التي يتم فيها العثور علىٰ البترول بكميات تجارية.. وبالتالي لم تدفع أي مبلغ إلا عندما تم تدفق البترول في شهر مارس ١٩٣٨، وقد حسمت قيمة القرض من عوائد البترول بواقع دولار واحد لكل طن (الطن = ٧ براميل بترولية).

وقد حولت شركة سوكال امتيازها إلىٰ شركة كاسوك التي غيَّرت اسمها عام ١٩٤٤ إلىٰ آرامكو، وكان بترول المملكة يتدفق بكميات تجارية مجزية جدًا وثمنه رخيص جدًا (أقل من ١٥ سنت للبرميل) لهذا كانت الولايات المتحدة حريصة علىٰ تحسين العلاقات مع المملكة العربية السعودية إلىٰ أقصىٰ مدىٰ ممكن.

ونتيجة لاهتمام العاهل السعودي بقضايا أمته العربية والإسلامية وخاصة قضية فلسطين منذ مراحلها الأولىٰ ومعرفته بدقة ما وقع علىٰ

الفلسطينيين من ظلم وإجحاف الإدارة البريطانية المسؤولة عن الانتداب في فلسطين، ودعمها الكامل لليهود واستيطانهم فيها، لهذا اتَّجه الملك عبد العزيز إلىٰ الرئيس روزفلت الذي اشتهر بدعمه لقضايا الحرية والاستقلال في دول العالم.

وقد كتب الملك عبد العزيز رحمه الله خطابًا إلىٰ الرئيس روزفلت في نيسان (أبريل) ١٩٤٣ يحثُّه علىٰ عدم اتخاذ أي موقف من فلسطين قبل التشاور معه، ولكن الرئيس روزفلت كان من ناحية واقعًا تحت تأثير اللوبي الصهيوني اليهود الذي استطاع أن يستقطب العديد من أعضاء الكونجرس منذ فترة مبكرة (وعد بلفور وعهد الانتداب البريطاني وتأييد الرئيس ودرو ويلسون) وقد أصدر الكونجرس الأمريكي عام ١٩٤٤ قرارين يحث فيهما الحكومة الأمريكية علىٰ إقامة دولة يهودية في فلسطين، وافق الرئيس الأمريكي روزفلت علىٰ هذين القرارين المجحفين رغم إدراكه التام أن ذلك قد يشكل بعض العوائق في العلاقات السعودية الأمريكية المتنامية ويؤثر علىٰ خطط وضع أنابيب التابلاين الممتدة عبر السعودية إلىٰ سوريا ولبنان.

وفي عام ١٩٤٥ قام الملك عبد العزيز بإرسال خطاب آخر يهنئه فيها بانتصار الحلفاء علىٰ دول المحور، ويذكر له أهمية القضية الفلسطينية وما وقع علىٰ الفلسطينيين من ظلم من قبل اليهود والإدارة البريطانية، ويطلب منه أن ينظر بإنصاف إلىٰ هذه القضية وأن لا ينحاز وراء أصوات اليهود وتأثيرهم علىٰ الكونجرس في الولايات المتحدة، ولكن ينظر إلىٰ الحق والعدل وحقوق الشعوب في الاستقلال والحرية التي طالما نادت

بهما الولايات المتحدة، وحذره مما سيقع من مذابح سيعاني منها الشعب العربي في فلسطين علىٰ يد العصابات اليهودية المدججة بالسلاح البريطاني والغربي.

وفيما يلي نص خطاب الملك عبد العزيز ونص خطاب الرئيس روزفلت ردًا عليه وهو رد دبلوماسي ومختصر يدل علىٰ استمرار تأييد الولايات المتحدة لليهود لإقامة دولة لهم في كامل أرض فلسطين، لكنه مبطن بالتعابير الدبلوماسية الضبابية.

نص رسالة الملك عبد العزيز(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم: ٢٦/٤/٤٥
التاريخ: ٢٦ ربيع الأول ١٣٦٤هـ
الموافق ١٠ مارس ١٩٤٥م

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية، إلىٰ حضرة صاحب الفخامة المستر روزفلت، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

يا صاحب الفخامة:

إنها لفرصة سعيدة أنتهزها لأشارككم في السرور بانتصار المبادئ التي أعلنت الحرب من أجل نصرتها، ولأذكر الشخصيات العظيمة التي بيدها بعد الله تصريف مقاليد نظام العالم بحق صريح قائم منذ عرف التاريخ، ويراد الآن القضاء علىٰ هذا الحق بظلم لم يسجل له التاريخ مثيلاً

(١) التي وجهها إلىٰ الرئيس روزفلت حول القضية الفلسطينية بعد الحرب العالمية الثانية.

ولا نظيرًا.. ذلك هو حق العرب في فلسطين الذي يريد دعاة اليهودية الصهيونية غمطه وإزالته بشتىٰ وسائلهم التي اخترعوها وبيَّتوها وعملوا لها في أنحاء العالم من الدعايات الكاذبة، وعملوا في فلسطين من المظالم وأعدوا للعدوان علىٰ العرب ما أعدوا مما علم بعضه الناس وبقي الكثير منه تحت طيِّ الخفاء، وهم يعدون العدة لخلق شكل نازي فاشستي بين سمع الديمقراطية وبصرها في وسط بلاد العرب، بل في قلب بلاد العرب، وفي قلب الشرق الذي أخلص العمل لقضية الحلفاء في هذه الظروف الحرجة.

إن حق الحياة لكل شعب في موطنه الذي يعيش فيه حق طبيعي ضمنته الحقوق الطبيعية، وأقرته مبادئ الإنسانية، وأعلنه الحلفاء في ميثاق الأطلنطي وفي مناسبات متعددة.. والحق الطبيعي للعرب في فلسطين لا يحتاج لبيانات، فقد ذكرتُ غير مرة لفخامة الرئيس روزفلت وللحكومة البريطانية في عدة مناسبات أن العرب هم سكان فلسطين منذ أقدم عصور التاريخ، وكانوا سادتها والأكثرية الساحقة فيها في كل العصور.. وإننا نشير إشارة موجزة إلىٰ هذا التاريخ القديم والحديث لفلسطين حتىٰ اليوم ليتبين أن دعوىٰ الصهيونية في فلسطين لا تقوم علىٰ أساس تاريخي صحيح.

يبتدئ تاريخ فلسطين المعروف من سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد، وأول من توطَّن فيها الكنعانيون، وهم قبيلة عربية نزحت من جزيرة العرب، وكانت مساكنهم الأولىٰ في منخفضات الأرض ولذلك سمُّوا كنعانيين.

وفي سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد هاجر من العراق (الكلدانيين) بقيادة

النبي إبراهيم (عليه السلام) فريق من العبريين إلىٰ فلسطين، ثم هاجروا إلىٰ مصر بسبب المجاعات حيث استعبدهم الفراعنة، وقد ظل اليهود مشرَّدين فيها إلىٰ أن أنقذهم النبي موسىٰ من غربتهم وعاد بهم إلىٰ أرض كنعان عن طريق الجنوب الشرقي في زمن رمسيس الثاني الموافق سنة ١٢٥٠، أو ابنه منفتاح سنة ١٢٢٥ قبل الميلاد.

وإذا سلمنا بنص التوراة نجد أن قائد اليهود الذي فتح فلسطين كان يشوع بن نون، وهو الذي عبر بجيشه واحتل مدينة أريحا من الكنعانيين بقسوة شديدة ووحشية يدل عليها قوله لجيشه: «احرقوا كل ما في المدينة، واقتلوا كل رجل وامرأة، وكل طفل وشيخ، حتىٰ البقر والغنم بحد السيف، وأحرقوا المدينة بالنار، مع كل ما فيها»[1]. [يشوع ١٦، ٢١، ٢٤]، وقد انقسم اليهود بعد ذلك إلىٰ مملكتين: مملكة إسرائيل، وقصبتها (السامرة) نابلس، وقد دامت ٢٥٠ سنة، ثم سقطت في يد شلمناصر ملك آشور سنة ٧٢٢ قبل الميلاد، وسبىٰ شعبها إلىٰ مملكته.

ثم مملكة يهوذا، وقصبتها (أورشليم) القدس، وقد دامت ١٣٠ سنة بعد انقراض مملكة إسرائيل، ثم أبيدت بيد (نبوخذ نصر) ملك بابل، الذي أحرق المدينة والهيكل بالنار، وسبىٰ الشعب إلىٰ بابل سنة ٥٨٠ قبل الميلاد.

(١) هذا النص يدل علىٰ تحريف التوراة وحاشا لنبي الله يوشع بن نون أن يحرق النساء والأطفال والشيوخ والعجزة والحيوانات، ولكن هذا من تحريف أحبارهم، بل إن أريحا كما يقول المؤرخون لم تكن موجودة في زمن يوشع عليه السلام، ومذابح التوراة المحرفة هي التي قام ويقوم بها قادة إسرائيل منذ قيامها مثل مذابح دير ياسين وصبرا وشاتيلا وقانا وما يفعله شارون حاليًا في انتفاضة الأقصىٰ.

ودام السبي البابلي مدة ٧٠ سنة، ثم رجع اليهود إلىٰ فلسطين بأمر قورش ملك الفرس.

ثم تلا ذلك الفتح اليوناني بقيادة الإسكندر المقدوني سنة ٣٣٢ قبل الميلاد، ودام حكمه في فلسطين مدة ٢٧٢ سنة، وجاء بعده الفتح الروماني سنة ٦٣ قبل الميلاد بقيادة بومبي، ودام حكم الرومان في فلسطين مدة ٧٠٠ سنة وفي سنة ٦٣٧ ميلادية احتلَّ العرب المسلمون فلسطين.

ومعنىٰ ذلك أن اليهود منذ ألفين ومائتي سنة، لم يكن لهم في فلسطين عدد ولا نفوذ.

ولما دخل البريطانيون في فلسطين لم يكن عدد اليهود يزيد علىٰ ثمانين ألفًا كانوا يعيشون في رغد وهناء ورخاء، مع سكان البلاد الأصليين من العرب، ولذلك فاليهود لم يكونوا إلا دخلاء علىٰ فلسطين (مثل البابليين والآشورين والفرس واليونان والرومان) في حقب متفرقة من الزمن، ثم أخرجوا منها مدة أكثر من ألفي سنة.

أما الحقوق الثابتة للعرب في فلسطين فتستند:

١ ـ علىٰ حق الاستيطان، الذي استمرت مدته منذ سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ولم يخرجوا عنها في يومٍ من الأيام.

٢ ـ علىٰ الحق الطبيعي في الحياة.

٣ ـ لوجود بلادهم المقدسة فيها.

٤ ـ ليس العرب دخلاء علىٰ فلسطين، ولا يراد جلب أحدٍ منهم من أطراف المعمورة لإسكانه فيها.

أما اليهود، فإن دعواهم التاريخية هي مغالطة، ثم إن حكمهم القصير في فترات منقطعة، لا يعطيهم أي حق في الادعاء أنهم أصحاب البلاد، فإن احتلال بلدٍ ما ثم الخروج منه لا يخوِّل أي شعب ادِّعاء ملكيَّة تلك البلاد والمطالبة بذلك، وتاريخ العالم مملوء بمثل هذه الأمثال.

إن حل قضية اليهود المضطهدين في العالم يختلف عن قضية الصهيونية الجائرة، فإن إيجاد أماكن لليهود المشتَّتين يمكن أن يتعاون عليه جميع العالم، وفلسطين قد تحملت قسطًا فوق طاقتها، وأما نقل هؤلاء المشتَّتين ووضعهم في بلاد آهلة بسكانها والقضاء علىٰ أهلها الأصليين، فأمر لا مثيل له في التاريخ البشري.

وإنا نوضح بصراحة ووضوح أن مساعدة الصهيونية في فلسطين لا يعني خطرًا يهدد فلسطين وحدها، بل إنه خطر يهدد سائر البلاد العربية، وقد أقام الصهيونيون الحجة الناصعة علىٰ ما ينوونه في فلسطين وفي سائر البلاد المجاورة فقاموا بتشكيلات عسكرية سرية خطيرة، ومن خطأ القول أن يقال إن هذا عمل شرذمة متطرفة منهم وإن ذلك قوبل باستنكار من جمعياتهم وهيئاتهم، وإنا نقول: إن أعمال الصهيونيين في فلسطين وفي خارجها صادرة عن برنامج متفق عليه ومرضي عنه من سائر اليهودية الصهيونية، وقد بدأ هؤلاء أعمالهم المنكرة بالإساءة إلىٰ الحكومة التي أحسنت إليهم وآوتهم وهي الحكومة البريطانية فأعلنت جمعياتهم الحرب علىٰ بريطانيا، وأسست كذلك تشكيلات عسكرية خطيرة تملك في فلسطين في الوقت الحاضر كل ما تحتاج إليه من الأسلحة والمعدات الحربية، ثم قام أفرادها بشتىٰ الاعتداءات وكان من أفظعها الاعتداء علىٰ

الرجل الفذ الذي كان ممتلئًا بالحب والخير لصالح المجتمع، وكان من أشد من يعطف علىٰ اليهودية المضطهدة وهو «اللورد موين»، مما يدل علىٰ أن فعلتهم المنكرة كانت مؤيدة من مجموع اليهود، المظاهر والمساعي التي قام بها رجال الصهيونية في كل مكان في طلب تخفيض العقوبة علىٰ المجرمين ليجرؤوا علىٰ أمثالها.

فهذه هي أفعالهم مع الحكومة التي أحسنت إليهم كل الإحسان، فكيف يكون الحال لو مُكِّنوا من أغراضهم وأصبحت فلسطين بلدًا خالصًا لهم يفعلون فيها وفي جوارها ما يريدون؟

لو ترك الأمر بين العرب وبين هؤلاء المعتدين ربما هان، ولكنهم محميون من قبل الحكومة البريطانية صديقة العرب، فاليهودية الصهيونية لم تراعِ حرمة هذه الحماية، بل قامت بتدبير حبائل الشر وبدأتها ببريطانيا، وأنذرت العرب بعد بريطانيا بمثلها وأشد منها، فإذا كانت الحكومات المتحالفة التي تشعر العرب بصداقتها تريد أن تشعل نار الحرب والدمار بين العرب واليهود فإن تأييد الصهيونية سيوصل إلىٰ هذه النتائج، وإن أخشىٰ ما تخشاه البلاد العربية من الصهيونية هو:

١ ـ أنهم سيقومون بسلسلة من المذابح بينهم وبين العرب.

٢ ـ ستكون اليهودية الصهيونية من أكبر العوامل في إفساد ما بين العرب والحلفاء، وأقرب دليل علىٰ ذلك قضية اليهوديين في مقتل «اللورد موين» في مصر، فقد أراد اليهود من ارتكابها إيقاع الخلاف بين الحكومة البريطانية ومصر.

٣ ـ إن مطامع اليهود ليست في فلسطين وحدها، فإن ما أعدوه من العدة يدل علىٰ أنهم ينوون العدوان علىٰ ما جاورها من البلدان العربية.

٤ ـ لو تصوَّرنا استقلال اليهود في مكان ما في فلسطين فما الذي يمنعهم من الاتفاق مع أي جهة قد تكون معادية للحلفاء ومعادية للعرب، فهم قد بدؤوا بعدوانهم علىٰ بريطانيا وهم تحت حمايتها ورحمتها.

لا شك أن هذه أمور ينبغي أخدها بعين الاعتبار في إقرار السلام في العالم عندما ينظر في قضية فلسطين، ففضلاً عن أن حشد اليهود في فلسطين لا يستند إلىٰ حجة تاريخية ولا حق طبيعي، وأنه ظلم مطلق، فهو في نفس الوقت يشكل خطرًا علىٰ العرب وعلىٰ الشرق الأوسط.

وصفوة القول: إن تكوين دولة يهودية بفلسطين سيكون ضربة قاضية علىٰ كيان العرب، مهددًا للسلم باستمرار، لأنه لا بد أن يسود الاضطراب بين اليهود والعرب، فإذا نفد صبر العرب يومًا من الأيام ويئسوا من مستقبلهم فإنهم يضطرون للدفاع عن أنفسهم وعن أجيالهم المقبلة بإزاء هذا العدوان، وهذا بلا شك لم يخطر علىٰ بال الحلفاء العاملين في سيادة السلم واحترام الحقوق، ولا شك أنهم لا يرضون هذه الحالة المطلقة لسلام الشرق الأوسط.

ما كنت أريد في هذا المعترك العظيم أن أشغل فخامتكم ورجال حكومتكم العاملين في هذه الحرب العظمىٰ في هذا الموضوع، وكنت أفضل ـ وأنا واثق من إنصاف العرب من قِبَل دول الحلفاء ـ أن يستمرَّ سكوت العرب إلىٰ نهاية الحرب، لولا ما نراه من قيام هذه الفئة الصهيونية اليهودية بكل عمل مثير مزعج، غير مقدِّرين الظروف الحربية

ومشاغل الحلفاء حق قدرهما، عاملين للتأثير في الحلفاء بكل أنواع الضغط ليحملوهم علىٰ اتخاذ خطة ضد الحرب تختلف عما أعلنه الحلفاء من مبادئ الحق والعدل.

لذلك أردت بيان حق العرب في فلسطين علىٰ حقيقته لدحض الحجج الواهية التي تدعيها هذه الشرذمة من اليهودية الصهيونية، دفعًا لعدواهم وبيانًا للحقائق، حتىٰ يكون الحلفاء علىٰ علم كامل بحق العرب في بلادهم وبلاد آبائهم وأجدادهم، فلا يسمح لليهود أن ينتهزوا فرصة سكوت العرب ورغبتهم في عدم التشويش علىٰ الحلفاء في الظروف الحاضرة فيأخذوا من الحلفاء ما لا حق لهم فيه.

وكل ما نرجوه أن يكون الحلفاء علىٰ علمٍ بحقِّ العرب ليمنع ذلك تقدم اليهود في أي أمر جديد يعتبر خطرًا علىٰ العرب وعلىٰ مستقبلهم في سائر أوطانهم.. وتفضلوا بقبول فائق احتراماتي.

الختم الملكي

نص رسالة روزفلت الجوابية

البيت الأبيض ـ واشنطن ـ ١٥ ابريل (نيسان) ١٩٤٥م

الصديق الطيب العظيم:

لقد تلقيت الرسالة التي بعثتموها جلالتكم لي بتاريخ ١٠ مارس ١٩٤٥ التي أشرتم فيها إلىٰ قضية فلسطين، واهتمام العرب المستمِرِّ بسير التطورات التي تؤثر في تلك البلاد، إنني مغتبط أن جلالتكم انتهزتم هذه الفرصة لإلفات انتباهي لآرائكم في هذه القضية، وقد أعطيت أدقَّ الانتباه

للبيانات التي أدرجتموها في كتابكم، وإني أيضًا لمليء الخاطر بالمحادثات التي لا تنسىٰ التي جرت بيننا منذ أمدٍ غير بعيد، والتي في أثنائها تهيأت لي الفرصة لأدرك أي أثر حي لآراء جلالتكم في هذه القضية.

تتذكرون جلالتكم أنه في مناسبات سابقة أبلغتكم موقف الحكومة الأمريكية تجاه فلسطين، وأوضحت رغبتنا بأن لا يتخذ قرار فيما يختص بالوضع الأساسي في تلك البلاد بدون استشارة تامة مع كلا العرب واليهود، ولا شك أن جلالتكم تتذكرون أيضًا أنه خلال محادثاتنا الأخيرة أكدت لكم أني لن أتخذ أي عمل ـ بصفتي رئيسًا للفرع التنفيذي لهذه الحكومة ـ يتضح أنه عدائي للشعب العربي.

وإنه لمما يسرني أن أجدد لجلالتكم التأكيدات التي تلقيتموها سابقًا بخصوص موقف حكومتي كرئيس للسلطة التنفيذية فيما يتعلق بقضية فلسطين، وإني أعلمكم بأن سياسة هذه الحكومة غير متغيرة.

وأني أرغب في هذا الوقت لأبعث لكم أحسن تمنياتي بدوام الصحة لجلالتكم ورفاه شعبكم.

صديقكم فرانكلين روزفلت

والواقع أن الرئيس روزفلت كان مؤيدًا لقرارات المؤتمر الصهيوني العالمي المنعقد في فندق بالتيمور، بمدينة نيويورك عام ١٩٤٢ كما أن الكونجرس الأمريكي أيضًا أبدىٰ تعاطفه وتأييده لقرارات المؤتمر الصهيوني بل وقام بالضغط علىٰ بريطانيا لفتح باب الهجرة اليهودية علىٰ مصراعيه، وإنهاء الانتداب البريطاني وإقامة الدولة اليهودية.

وبما أن الانتخابات الرئاسية كانت ستعقد في عام ١٩٤٤ فقد رشح الحزبان الديمقراطي (الرئيس روزفلت) والجمهوري السناتور جون ديو للرئاسة، وتبارىٰ الحزبان والمرشحان في استرضاء اليهود وتأييد قرارات مؤتمر بالتيمور السالف الذكر، وتعهد كلا المرشحين بتحويل فلسطين إلىٰ دولة يهودية.

ولقد فاز الرئيس روزفلت في انتخابات عام ١٩٤٤ حيث حصل علىٰ نسبة كبيرة من أصوات اليهود، وبالتالي ازداد ارتباط الرئيس روزفلت بالصهيونية العالمية واللوبي اليهودي حتىٰ أنه عندما اجتمع بالملك عبد العزيز آل سعود في فندق الفيوم القائم علىٰ بحيرة قارون في مصر بلغت به الوقاحة أن يطلب من الملك عبد العزيز أن يسمح لليهود بسكنىٰ خيبر والأراضي المجاورة للمدينة المنورة باعتبارها أراضيهم التي طردهم منها محمد ﷺ وخليفته عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك في مقابل عشرين مليون جنيه ذهبًا يقدمها هبة للملك السعودي، واغتاظ الملك عبد العزيز رحمه الله كما اغتاظ من قبل السلطان عبد الحميد من مثل هذا العرض الحقير مع حاجة كل منهما إلىٰ المال، ورفض الملك الشهم بكل إباءٍ وعزَّة هذا العرض الصهيوني المولغ في الوقاحة والحقارة.

الرئيس ترومان يخلف الرئيس روزفلت واعترافه بإسرائيل عند إعلان قيامها

عندما تُوفي الرئيس روزفلت عام ١٩٤٥ بعد فوزه بانتخابات ١٩٤٤ تولىٰ نائبه الرئيس هاري ترومان رئاسة الجمهورية، وكان ترومان أشد من

جميع الرؤساء الذين سبقوه تعصبًا لليهود وارتماءً في أحضانهم، وهذه ظاهرة عجيبة في الولايات المتحدة حيث يتبارىٰ الرؤساء في إخلاصهم وولائهم للصهيونية اليهودية والمسيحية، وكلما جاء رئيس جديد كان أشد ولاءً لليهود من سلفه ما عدا قلة لم يبدوا مثل هذا الحماس المتزايد مثل الرئيس أيزنهاور.

وبمجرد أن تولىٰ هاري ترومان مقاليد الأمور في الولايات المتحدة سنة ١٩٤٥ أرسل رسالة إلىٰ رئيس وزراء بريطانيا كليمنت أتلىٰ يطلب منه إدخال مئة ألف مهاجر يهودي جديد إلىٰ فلسطين دفعة واحدة، وأن تفتح بريطانيا أبواب الهجرة اليهودية إلىٰ فلسطين بدون قيود.

وقد أيد الرئيس الأمريكي الجديد جميع الجهود الصهيونية لإقامة دولة إسرائيل، وضغطت أمريكا علىٰ الدول الأعضاء في الأمم المتحدة من أجل مشروع تقسيم فلسطين بين العرب واليهود، والذي أعطىٰ لليهود ٥٦،٤٧ بالمائة من مساحة فلسطين في الوقت الذي كانوا لا يملكون فيه سوىٰ ٦ بالمائة من أرض فلسطين، بينما لم يعط العرب سوىٰ ٤٢،٨٨ بالمائة من أراضيهم وديارهم، واقترح المشروع الدولي أن تكون القدس تحت وصاية الأمم المتحدة أي تكون مدينة دولية.

وقد استطاعت الضغوط الأمريكية الحثيثة في إدارة الرئيس ترومان أن تضمن لهذا المشروع أغلبية الأصوات في الجمعية العامة، وأعلنت كثير من الدول الصغيرة أنها واجهت ضغوطًا شديدة من الولايات المتحدة اضطرتها إلىٰ التصويت لصالح مشروع التقسيم والذي صدر بالقرار ١١/١٨١ في ١٩٤٧/١١/٢٩، وقد قبلته إسرائيل رغم أنها كانت تعتزم

كما صرح بذلك بن جريون عدم الالتزام به بالنسبة للمساحة المعطاة، وبالذات عدم الالتزام بتدويل القدس، إذ يرىٰ الصهاينة أن القدس هي عاصمتهم الأبدية التي لا يمكن التنازل عنها بأي حال من الأحوال.

وقد أشار القرار المذكور إلىٰ إيجاد دولتين أحدهما يهودية والأخرىٰ عربية فلسطينية بعد شهرين من انتهاء الانتداب المحدد له ١٩٤٨/٥/١٥ كما نص علىٰ تكوين لجنة فلسطينية عربية ويهودية مهمتها استلام إدارة البلاد من بريطانيا تدريجيًا.

ولكن هذا كله لم يحدث، بل قامت العصابات الصهيونية بالمجازر والمذابح بتأييد كامل من بريطانيا والولايات المتحدة، وقد تخلت بريطانيا عن مخازن الأسلحة لصالح اليهود كما تدفق المهاجرون اليهود بمئات الآلاف علىٰ فلسطين.

وفي ١٩٤٨/٥/١٥ أعلنت الوكالة اليهودية قيام دولة إسرائيل، وفي خلال بضع ساعات تم الاعتراف بهذه الدولة الهجينة من قبل الرئيس ترومان وتبعه مباشرة ستالين، وبذلك اعترفت أعظم قوتين في الأرض آنذاك بالدولة اليهودية خلال ساعاتٍ من مولدها.. وتتالت الاعترافات، واشترطت الأمم المتحدة أن تعترف إسرائيل بجميع مواثيق الأمم المتحدة، وحقوق الإنسان، وبكل القرار رقم ١٨١، وقد فعلت إسرائيل ذلك، ولكنها بمجرد حصولها علىٰ الاعتراف الدولي لم تلتزم بأي من هذه القرارات كما سيأتي معنا.

ترومان أشد صهيونية من وايزمان

وقد ذكر وايزمان في مذكراته أنه قابل الرئيس الأمريكي ترومان في ١٩٤٧/١١/١٩ قبل صدور قرار التقسيم (١٨١ في ١٩٤٧/١١/٢٩)، وطلب من الرئيس الأمريكي أن تكون العقبة من نصيب اليهود، ولكنه يقبل أن تُقسَّم النقب بين اليهود والعرب، فما كان من الرئيس الأمريكي إلىٰ أن قال: «بل يجب أن تكون كل النقب يهودية»، وهذا ما فعله الوفد الأمريكي في الأمم المتحدة حيث طالب بأن تكون النقب كلها يهودية.

وبمجرد أن بدأ القتال انهالت المساعدات علىٰ الدولة الجديدة من الولايات المتحدة وتبرعت الحكومة الأمريكية بمنحة مقدارها مائة مليون دولار (وهي تساوي عدة بلايين اليوم) بالإضافة إلىٰ قرض بخمسة وثلاثين مليون دولار لمشاريع التنمية، وقد تحول هذا القرض أيضًا إلىٰ منحة.

وفي نفس الوقت انهالت الأسلحة من المعسكر الاشتراكي وبالذات من تشيكوسلوفاكيا، كما قامت الطائرات الأمريكية بنقل الأسلحة من براغ (الشيوعية) إلىٰ إسرائيل، (انظر إلىٰ هذا التعاون التام بين المعسكرين العدوين اللدودين اللذين كانا علىٰ وشك مجابهة عسكرية).

وقد تقم رئيس حاخامات يهود أمريكا إلىٰ الرئيس ترومان بالشكر علىٰ هذه الخدمات التي لا يتصورها الإنسان ولو في الخيال، وقال للرئيس ترومان: «إن الله قد وضعك في رحم أمك لتولد علىٰ يديك إسرائيل من جديد بعد ألفي عام من النفي والتشريد».

ورد علىٰ ذلك ترومان بقوله: «أنا قورش الذي سيبني أورشليم، والهيكل من جديد»، وأنه مثله قد أعاد اليهود من المنفىٰ إلىٰ أرض الآباء والأجداد، إلىٰ أرض الميعاد.

وكان ترومان مثل سلفه من الرؤساء الأمريكان صهيونيًا مسيحيًا، وقد درس التوراة دراسة عميقة، وكان يؤمن بالتبرير التاريخي لقيام وطن قومي لليهود في فلسطين، وكان يقول: إنه كمعمداني يحس بشيء عميق له مغزاه في فكرة البعث اليهودي»، وكان كثيرًا ما يردد النص الوارد في المزمور ١٣٧ والذي يقول: «لقد جلسنا قرب أنهار بابل، وأخذنا نبكي حين تذكرنا صهيون». وقد نقل عن ترومان أنه ما من مرة قرأ قصة إنزال الوصايا العشر علىٰ موسىٰ في سيناء إلا وشعر بوخز خفيف يسري في عروقه، وقد قال ترومان: «لقد تلقىٰ موسىٰ المبدأ الأساسي لقانون هذه الأمة علىٰ جبل سيناء».

لم يكتف ترومان بكل ذلك التأييد المادي والمعنوي للدولة الجديدة، ولكنه فرض حظرًا كاملاً علىٰ بيع الأسلحة للعرب.

وكان الصهاينة اليهود والمسيحيون يعقدون المؤتمرات ويتحدثون إلىٰ الشعب الأمريكي وإلىٰ الساسة فيقولون لهم: «إن إسرائيل اليوم هي إسرائيل الله التي وعد بإنشائها علىٰ تلة جبل صهيون»، «وإن اليهودي هو بؤبؤ عيني الله، ومن يؤذي اليهودي كأنه يضع أصبعه في عين الله»، «وإن الله يبارك أمريكا لأنها باركت إسرائيل وساندتها»، ويقول أحدهم: «لا أعتقد أن في وسع أمريكا أن تدير ظهرها لشعب إسرائيل وتبقىٰ في عالم الوجود، والرب يتعامل مع الشعوب بقدر ما تتعامل هذه الشعوب مع ابنه البكر إسرائيل».

ولقد لعبت خلفية ترومان الدينية والمعمدانية دورًا مهمًا في حياته، وجلعت منه متعصبًا للكيان الصهيوني حتىٰ قبل ولادة هذا الكيان، وكان معظم المعمدانيين محافظين ومن أتباع مذهب العصمة الحرفية للكتاب المقدس، أي للتوراة والعهد القديم والإنجيل، وكانوا يؤمنون بقوة أهمية إقامة دولة إسرائيل لتحقيق النبوءات التوراتية، وحتىٰ يتمكن المسيح المخلص من الظهور ثانية علىٰ مسرح الأحداث ليحقق الألفية السعيدة.

ويقول الأستاذ محمد السماك في كتابه: «الصهيونية المسيحية» نقلاً عن كتاب «سيف العدالة المثلوم»: «إسرائيل والمأساة الفلسطينية لمارجريت أراكي»[١]: «إن اعتناق الرئيس هاري ترومان المسيحية الصهيونية قد حمله علىٰ منح تقرير المصير إلىٰ الأقلية اليهودية، وعلىٰ حرمان الأكثرية العربية في فلسطين من هذا الحق».

وفي التاسع من نيسان (ابريل) ١٩٤٨، أبلغ الدكتور وايزمان الرئيس ترومان القرار الصهيوني بإعلان ولادة إسرائيل عند منتصف ليل ١٤ أيار (مايو) ١٩٤٨، واقتنع الرئيس ترومان بأن تكون الولايات المتحدة أول دولة في العالم تعترف بالدولة الجديدة، وأن تضغط علىٰ الدول الأخرىٰ للسير في ركابها.

ومن أجل حماية الكيان الجديد أرست الولايات المتحدة قاعدتين لسياسة مستمرة حتىٰ اليوم: الأولىٰ هي إغراق إسرائيل بالمساعدات

---

(١) Margaret Arakie: The Broken Sword of Justice: Israel and Palestine Tragedy (London 1973) P.32 - 34

كما نقله محمد السماك: «الصهيونية المسيحية»، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٣، ص٩٦.

العسكرية والمالية، والثانية: هي مراقبة التسلح العربي، وجعل إسرائيل باستمرار متفوقة علىٰ جميع الدول العربية مجتمعة.

الرئيس جونسون وتأييد إسرائيل

سار الرئيس جونسون علىٰ سنن أسلافه من الرؤساء في تأييد إسرائيل، ولكنه تورط في حرب فيتنام بشكل أدخل الولايات المتحدة في أتون حرب بربرية همجية تقتل الملايين الأبرياء من سكان فيتنام وتبيدهم بجميع وسائل الدمار المتاحة لأكبر دولة في الأرض، ورغم ذلك واجه الأمريكان حربًا ضروسًا وارتفعت أعداد الضحايا، بحيث جعلت المعارضة الداخلية لها تزداد بشكل مؤثر جدًّا، مما اضطر الرئيس جونسون إلىٰ مزيد من طلب التأييد من اللوبي اليهودي الذي يملك أجهزة إعلان ضخمة جداً، وبالمقابل زود إسرائيل بالمعدات العسكرية الهامة للجيش الأمريكي مباشرة من مخازنها لإسرائيل، وتغاضىٰ الرئيس جونسون عما فعلته إسرائيل بالسفينة الأمريكية ليبرتي حيث هاجمتها السفن الحربية الإسرائيلية في ١٩٦٧/٦/٨ لأنها كانت تتجسس علىٰ مجريات حرب يونيه (حزيران) ١٩٦٧ مما أدىٰ إلىٰ مقتل ٣٤ بحارًا أمريكيًا وجرح ١٦٤ (سيأتي تفصيل ذلك).

الرئيس كارتر (جيمس)

الإنجيلي الأصولي التدبيري الصهيوني المسيحي

لقد كان وصول الرئيس كارتر معلمًا جديدًا في الصهيونية المسيحية وظاهرة ملفتة لوصول مسيحي أصولي صهيوني يعلن ذلك عن نفسه إلىٰ سدة الحكم.

يقول الرئيس كارتر: «بعد زيارتي الأولىٰ لإسرائيل في أيار (مايو) ١٩٧٣، واستماعي إلىٰ شروحات جولد مايير وإسحاق رابين، كان لهذه الزيارة أثر كبير علي، إذ لاحقًا عندما بدأت استعداداتي لمعركة الرئاسة تابعت دراستي لتاريخ المنطقة المعقد، وعندما أعلنت ترشيحي عمدت إلىٰ تخصيص إسرائيل بالذكر معلنًا دعمي للالتزام الأمريكي بتأمين أمن وسلامة إسرائيل. وكنت أحسُّ أن عاطفتي نحو إسرائيل يشاركني بها أهل الجنوب البروتستانت (المعمدانيون)، وأن الأماكن المقدسة يجب أن يكون بالإمكان أن يزورها المسيحيون، وكذلك يجب أن ينال المنتمون للأديان الأخرىٰ نفس الضمانة بالنسبة لأماكنهم المقدسة.. وإن المناقبية اليهودية المسيحية ودراسة التوراة، كانت دومًا الوشائج التي تربط ما بين اليهود والمسيحيين، وهي التي كانت جزءًا من حياتي.. واعتبرت أن إقامة وطن لليهود هنا علىٰ أرض فلسطين هو أمرٌ من الله، وهذه المعتقدات الخُلقية والدينية هي التي كانت أساس التزامي بسلامة إسرائيل أمرًا ثابتًا لا يهتز..»(١).

وعندما زار الرئيس كارتر إسرائيل للمرة الثانية وهو رئيس للولايات المتحدة خاطب الكنيست الإسرائيلي في آذار (مارس) ١٩٧٩ بقوله:

«إن علاقة أمريكا بإسرائيل أكثر من مجرد علاقة خاصة، لقد كانت ولا تزال علاقة فريدة، وهي علاقة لا يمكن تفويضها لأنها متأصلة في وحدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكي»(٢)، ويقول أيضًا:

---

(١) مذكرات الرئيس كارتر: صحيفة الشرق الأوسط ١٩٨٧/٣/١٦ بقلم د. أمين الحافظ.

(٢) مقدمة كتاب «أمريكا وإسرائيل» للأستاذ محمد علي دولة، والكتاب من تأليف الدكتور محمد معروف الدواليبي، دار القلم، دمشق ـ الطبعة الثانية ٢٠٠٠، ص٢٣.

«لقد آمن وأظهر سبعة من رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية أن علاقة أمريكا بإسرائيل أكثر من مجرد علاقة خاصة، لقد أقام الرواد وأقوام تجمعوا في كلا الشعبين من دول شتىٰ إسرائيل والولايات المتحدة فشعبي كذلك أمة لاجئين ومهاجرين.. إننا نتقاسم معًا ميراث التوراة»[١].

وكان كارتر يعلن أن دولة إسرائيل هي أولاً وقبل كل شيء، عودة إلىٰ الأرض التوراتية التي أُخرج منها اليهود منذ ألفي عام، «إن إنشاء دولة إسرائيل هي إنجاز النبوءة التوراتية وجوهره..»[٢].

لقد سجل الرئيس كارتر في عهده من عام ١٩٧٦ حتىٰ عام ١٩٨٠ إنجازات كثيرة لمصلحة إسرائيل والحركة الصهيونية، وعبَّرت مواقفه عن إيمان لاهوتي بإسرائيل وبالتزام بدعمها إلىٰ الأبد[٣]، ومن أهمها اتفاق كامب دافيد للسلام بين مصر وإسرائيل.

وقد عبرت الجماعات اليهودية الأمريكية عن سعادتها حينما أعلن الرئيس كارتر عن إدانته لمن يتهم اليهود بقتل المسيح وقال عنهم أنهم لا ساميون (وهو أمر مناقض لنص إنجيل متىٰ الإصحاح ٢٧: ٢٦ حيث قالوا لبيلاطس الحاكم الروماني دمه علينا وعلىٰ أولادنا)، وهذا الأمر في منتهىٰ الغرابة حيث يزعم شخص أنه متمسك بالمسيحية، بل وشديد التعصب لها ثم يرفض ما جاء في كتابه المقدس الذي يؤمن بأنه من عند الله ويؤمن

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) د. يوسف الحسن: «البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني» سلسلة أطروحات الدكتوراه (١٥)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٠، ص٨٣.

بحرفية ما فيه، ومع ذلك يعلن بكل وقاحة أنه لا يؤمن بهذه النصوص بل يعتبر كل من يؤمن بها عدوًا للسامية وبالتالي عدوًا للإله وللبشرية، وقد قال مدير الشؤون الدينية في المنظمة الصهيونية المعروفة باسم اللجنة اليهودية الأمريكية: «لأول مرة في تاريخ الرؤساء الأمريكيين، يُصدر رئيس أمريكي إعلانًا مباشرًا عن قضية مجحفة ضد اليهود، ولها جذور تاريخية تقليدية»[(١)].

وقد تسلمت إسرائيل في عهد الرئيس كارتر من المساعدات ما يفوق جميع سلفه من الرؤساء، فقد استلمت في عهده عشرة مليارات دولار وهو مبلغ يفوق نصف ما تسلمته طوال تاريخها حتىٰ عهده، وكان الرئيس كارتر أول رئيس أمريكي يؤسس لجنة رئاسية لموضوع المحرقة (الهولوكوست) التي يتهم بها النازيون في الحرب العالمية الثانية President's Commission on the Holocaust وذلك في عام ١٩٧٨، وقد قاوم الرئيس كارتر بشدة المقاطعة العربية لإسرائيل وفرض قانونًا أمريكيًا لمواجهة هذه المقاطعة الجائرة في نظره عام ١٩٧٧[(٢)].

وقد تشكلت السياسة الخارجية الأمريكية تجاه قضية الشرق الأوسط ضمن المعتقدات التوراتية الدينية التي ترىٰ أن إسرائيل هي تحقيق لنبوءات العهد القديم، وأنها تثمل إرادة الله، ولا بد من قيام دولة تمثل شعب التوراة في أرض التوراة بأبناء التوراة وعلىٰ هديها.

وكان الرئيس كارتر يؤمن إيمانًا عميقًا بالعلاقات الخاصة المبنية

---

(١) المصدر السابق، ص٨٤.

(٢) المصدر السابق.

علىٰ ما يسمىٰ التراث المشترك بين المسيحيين واليهود والمبني علىٰ تعاليم التوراة والعهد القديم، وهو يمثل تراثًا دينيًا وأخلاقيًا مشتركًا لا يمكن فصم عراه، كما أن الشعبين الأمريكي والإسرائيلي في وجهة نظره يؤمنان كلاهما بالقيم الديمقراطية بينما تعيش إسرائيل الواحة الديمقراطية، في غاية من الأنظمة الأوتوقراطية والديكتاتورية العسكرية وبعضها ذات مرجعيات دينية رجعية ظلامية!! ولهذا فإن العلاقات الوطيدة والتي تنمو باستمرار بين الدولة العبرية وبين الولايات المتحدة هي علاقات وشيجة ووطيدة ومبنية علىٰ إرث أخلاقي وديني وسياسي واستراتيجي ومصلحي مشترك؟

وكان الرئيس كارتر مثل كل الإنجيليين يؤيد بقوة الدعاوىٰ اليهودية المتطرفة، فقد أيَّد ما قاله مناحيم بيجن في ديسمبر (كانون أول) ١٩٧٨: «إن هذا البلد قد وُعدنا به من قبل الرب، ولنا كل الحق فيه..» وقال بيجن: «لست أخجل من تأسيس حق إسرائيل في يهودا والسامرة (الضفة الغربية) علىٰ أساس وعود إلٰهية Divine Promises[(١)] كما تحدث بيجن عن القدس العاصمة الأبدية والموحدة لدولة إسرائيل.

وازدادت في عهد الرئيس كارتر العلاقات الوطيدة بين إسرائيل والمنظمات الصهيونية اليهودية من جهة مع الولايات المتحدة والمنظمات المسيحية والإنجيلية الأصولية بحيث أصبح التحالف بينها قويًا لدرجة يبدو فيها أن الحلف بينهما لا يمكن أن تنفصم عُراه لأي سبب من

(١) المصدر السابق، ص٨٥، نقلاً عن روجيه جارودي دراسة في الصهيونية السياسة: حالة إسرائيل (باللغة الإنجليزية)، ص٦٩، دار الشروق لندن، ومجلة «الأخبار الدينية» بالإنجليزية في ١٩٧٨/٢/٢م.

الأسباب، بل ويبدو وكأن الفريقين يمثِّلان وجهة نظر واحدة صادرة عن مشكاة واحدة وتنظير واحد ومصدر واحد، وتحول الاهتمام المشترك إلىٰ دعمٍ سياسي صلب لسياسات إسرائيل وأن أي معارضة لمطالب إسرائيل والصهيونية في أرض فلسطين هي معارضة لإرادة الرب ذاته، والتوراة قد أعطت اليهود أرض فلسطين، أرض كنعان، أرضًا تفيض سمنًا ولبنًا وعسلاً، وأن من يعارض سياسة إسرائيل فهو كمن يعارض إرادة الله، ومن يحارب إسرائيل هو كمن يحارب الله.

واجتمعت أكثر من مائة كنيسة وتنظيم ديني في الولايات المتحدة لإصدار بيانات مدفوعة الثمن نشرت في جميع أجهزة الإعلام الأمريكية وكلها تتغنَّىٰ بإسرائيل التوراتية ووجوب دعمها دعمًا تامًا كاملاً وأن أي معارضة لإسرائيل هي محادَّة لله ومحاربة له.

وصول ريجان إلىٰ الحكم
وهوسه بنهاية العالم وهرمجدون واليهود

يعتبر الرئيس ريجان أحد الرؤساء القلائل الذين يؤمنون إيمانًا كاملاً بالتدبيرية المسيحية وبأن موعد مجيء المسيح (الدجال في الواقع) قد صار قاب قوسين أو أدنىٰ، وهو شخص محدود الثقافة، وكان ممثلاً من الدرجة الثالثة ولكنه وجد من يدفعه إلىٰ أن يكون حاكمًا لولاية كاليفورنيا ثم رئيسًا للولايات المتحدة في دورتين كاملتين.. والواقع أنه من أكثر الرؤساء في الولايات المتحدة شعبية رغم مطباته المضحكة حين كان يخاطب رئيس دولة أجنبية فيذكره باسم دولة أخرىٰ، كما كان يخطئ حتىٰ

في أسماء مساعديه، وتبين بعد ذلك أنه يعاني من مرض الخرف المبكر المعروف باسم ألزهايمر وهو مرض يصيب مجموعة كبيرة ممن هم فوق السبعين ويبتدئ بفقدان الذاكرة تدريجيًّا وينتهي إلىٰ الخرف الكامل مع فقدان الإدراك والمعرفة والذاكرة، وقد يتبول علىٰ نفسه أو يصاب بأنواع من الشلل.

صار رونالد ريجان من أتباع الصهيونية المسيحية بل ومن الدعاة لها عندما كان حاكمًا لولاية كاليفورنيا، وبقي علىٰ ذلك، بل ازداد بها إيمانًا بعد انتخابه رئيسًا للولايات المتحدة عام ١٩٨٠ وبعد التجديد له ولاية ثانية عام ١٩٨٤.. وكان يتوقع قيام معركة هرمجدون في المستقبل المنظور بين قوىٰ الخير وقوىٰ الشر حسب زعمه ثم ينزل المسيح لينقذ الصهاينة من المسيحيين واليهود، وبعد أن تتم إبادة الشر المتثل في وجهة نظره في الاتحاد السوفيتي (يأجوج ومأجوج حسب تعبيره) والمسلمين (أتباع الدجال حسب قوله) ينزل عيسىٰ مرة أخرىٰ ليحكم العالم الألفية السعيدة.

ويعتقد ريجان مثل بقية أتباع الصهاينة المسيحية أنه لكي يأتي المسيح المخلص لا بد من حدوث ثلاث علامات وهي:

١ ـ عودة بني إسرائيل كما تعود الطير إلىٰ أوكارها، وهذا قد تحقق منذ قيام دولة إسرائيل، بل بدأ قبل قيامها بأكثر من نصف قرن، ولا يزال يتحقق حيث تستمر أفواج المهاجرين من اليهود من أصقاع الدنيا، وقد بلغ عدد اليهود في إسرائيل بحلول عام ٢٠٠٠ أكثر من ٤,٨ مليون شخص، وهم إلىٰ ازدياد حيث أن شارون قد خطط لوصول مليون مهاجر

يهودي وخاصة من روسيا ودول أوربا الشرقية السابقة.

٢ ـ احتلال مدينة القدس وعودة أورشليم لحكم اليهود وهذا قد تحقق في حرب يونيه (حزيران) ١٩٦٧، وعليه يجب أن تبقىٰ القدس واحدة وعاصمة أبدية لإسرائيل، وهو ما أجمع عليه الكونجرس الأمريكي بمجلسيه، ولذا أكد علىٰ وجوب نقل السفارة الأمريكية إلىٰ أورشليم، وهو ما أكده الرئيس الأمريكي كلينتون ويؤكده الآن جورج بوش الابن، وقد أعلن وزير خارجيته كولن باول بأنه ملتزم بذلك أمام لجنة الكونجرس المسؤولة عن السياسة الخارجية وهي مسألة وقت فقط.

٣ ـ إعادة بناء هيكل سليمان المزعوم علىٰ أنقاض المسجد الأقصىٰ المبارك، وقد وضعت خطة بناء الهيكل وخريطة البناء وجميع التفاصيل.. وتتواصل الحفريات تحت المسجد وبجواره بحجة البحث عن آثار يهودية مطمورة لم يجدوا منها شيئًا حتىٰ اليوم، وما الاعتداءات المتتابعة علىٰ المسجد الأقصىٰ إلا إحدىٰ العلامات الظاهرة لما ينويه اليهود المسيحيون المتصهينون من نية مبيَّتة لهدمه وبناء الهيكل المزعوم محلَّه، وقد سبق الإشارة إلىٰ الاعتداءات المتعددة علىٰ المسجد الأقصىٰ.

بعد بناء الهيكل يعتقد هؤلاء الصهيونيون المسيحيون بأن معركة هرمجدون ستقع في سهل المجدل بين القدس وعكا في فلسطين فيقتل فيها الملايين، حيث ستستخدم فيها الأسلحة النووية، ولكن المسيح يظهر ليرفع المؤمنين به إلىٰ السماء قبيل المعركة مباشرة، فإذا انتهت المعركة الرهيبة نزل المسيح والمؤمنون به، فيحكم الأرض ألف سنة هي الألفية السعيدة قبل نهاية العالم وقيام يوم الدينونة.

وقد تحدث الرئيس ريجان عندما كان حاكمًا لولاية كاليفورنيا ثم بعد توليه الرئاسة عن إيمانه الشديد بما جاء في أسفار العهد القديم من إشارات لقيام إسرائيل وعودة المنفيين من اليهود وقيام أورشليم ولا بد بالتالي أن يقام الهيكل وتحدث المجزرة الرهيبة في هرمجدون، ويروي جيمس مايلز الرئيس السابق لمجلس الشيوخ في ولاية كاليفورنيا في مجلة سان دياجو San Digo Magaine (عدد أغسطس ١٩٨٥) الحادثة التالية فيقول: «في السنة الأولىٰ لولاية ريجان للمرة الثانية كحاكم لكاليفورنيا كنت أجلس بجوار ريجان في مأدبة عشاء أقيمت في سكرامنتو، وفي أثناء الاحتفال سألني ريجان بصور غير متوقعة إذا كنت قد قرأت الإصحاحين الثامن والثلاثين والتاسع والثلاثين من سفر حزقيال من العهد القديم، فأكدت له أنني قد قرأتهما مرارًا لأني ترعرعت في بيت مؤمن بالكتاب المقدس، وأنني قرأت المقاطع التي تتحدث عن يأجوج ومأجوج (Gog amd Magog) كما قرأت ما جاء في سفر الرؤيا لجون (يوحنا) عن نهاية الزمان وخاصة الإصحاحين ١٦ و١٩ (Book of Revelation).

عندئذ قال لي ريجان: «إن حزقيال قد رأىٰ في العهد القديم المذبحة التي ستدمر عصرنا»، وتحدث ريجان عن ليبيا التي تحولت في رأيه إلىٰ الشيوعية، وتلك علامة هامة في نظره علىٰ قرب يوم هرمجدون».

يقول مايلز: «قلت لريجان إن حزقيال أيضًا يقول إن أثيوبيا ستكون من بين قوىٰ الشيطان، وأنا لا أستطيع أن أرىٰ هيلاسلاسي، أسد يهوذا سيكون في زمرة الشيطان»، ولما سقط هيلاسلاسي وجاء الشيوعي منجستو مريام كان ريجان في منتهىٰ السعادة وقد حدث ذلك بعد ثلاث

سنوات فقط من هذا الحوار، وأكد ريجان أن ما جاء في سفر حزقيال يتحقق أمام أعيننا، وقال ريجان بالحرف: إن جميع النبوءات التي يجب أن تتحقق قبل هرمجدون قد مرَّت». ففي الإصحاح ٣٨ من سفر حزقيال أن الله سيأخذ أولاده (اليهود) من بين الوثنيين حيث سيكونون مشتَّتين فيعودون جميعًا إلىٰ أرض الميعاد، لقد تحقق ذلك أخيرًا بعد ألفي عام، ولأول مرة يبدو كل شيء في مكانه بانتظار هرمجدون والعودة الثانية للمسيح، وعندما قال مايلز أن الكتاب المقدس يقول بوضوح أن لا أحد يعرف متىٰ سيعود المسيح، قال له ريجان: «إن كل شيء يأخذ مكانه، لن يطول الوقت الآن، إن سفر حزقيال يقول: إن النار والحجارة المشتعلة سوف تمطر علىٰ أعداء شعب الله، إن ذلك يجب أن يعني أنهم سوف يدمرون بالسلاح النووي، إنهم موجودون الآن، وحزقيال يخبرنا أن يأجوج ومأجوج الأمة التي ستقود قوىٰ الظلام ضد إسرائيل سوف تأتي من الشمال، إن أساتذة الكتاب المقدس يقولون منذ أجيال: إن يأجوج ومأجوج يجب أن تكون روسيا!!».

وفي عام ١٩٧٦ ناقش ريجان موضوع معركة هرمجدّون في مقابلة مع جورج وتيس الذي تنبأ لريجان بأنه سيصبح رئيس الولايات المتحدة وقد نشر أوتس ذلك في كتابه «شبح هاجر» The Ghost of Hagar وقال أنه سأل ريجان ما إذا كان يعتقد أنه سوف يُنقذ من هذه المذبحة الرهيبة فأجاب ريجان نعم لأنه من المؤمنين بالولادة الثانية في المسيح (يعتقد هؤلاء التدبيريون الأصوليون أن المؤمنين بالمسيح ولادة ثانية حيث يتجسد فيهم المسيح هم الذين سينقذهم المسيح من هرمجدون،

وقد أعلن الرئيس كارتر بأنه يؤمن بالولادة الثانية وأنه هو مولود ولادة ثانية، وكذلك فعل ريجان).

وتكررت أحاديث ريجان عن هرمجدون وسفر حزقيال مع أصدقائه حيث يذكر أوتيس أن ريجان تحدث عن هرمجدّون مع الإنيجلي الأصولي هارولد برتسون وسأل ريجان قائلاً: «إذا كان اليهودي غير مخلص لله فهل سيشتته الله في أطراف الأرض؟ وإذا فعل الله ذلك هل سيغسل يديه منهم، إن الأسفار المقدسة تقول إن الله سوف يعيد ابنه إلىٰ أرضه المقدسة، أرض الميعاد وأنه سيجمع اليهود جميعًا في فلسطين، وقد وصفت الأسفار عودتهم وأن بعضهم سيعود بالباخرة وبعضهم سيعود كما تعود الطير إلىٰ أوكارها (أي أنهم سيعودون بالطائرات).

وأشار ريجان إلىٰ أن أورشليم ستبقىٰ بين العامة الجنتيل (أو الجوييم) وتدنس تحت أقدامهم إلىٰ أن ينتهي وقت هؤلاء العامة (غير اليهود)، وها هي النبوءة تتحقق في حرب حزيران (يونيه) ١٩٦٧، وعادت أورشليم لتتوحد تحت العلم الإسرائيلي.

ويقول برتسون: «لقد تملكني شعور بأن ريجان يدرك تمامًا أهداف الله في الشرق الأوسط، ومن أجل ذلك فإنه يشعر بأن المرحلة الحالية هي هامة جدًا لأن أحداثها قد أشار إليها الكتاب المقدس بكل وضوح»!!

وفي عام ١٩٨٠ قال ريجان في مقابلة تلفزيونية مع الإنجيلي جيم بيكر (غير وزير الخارجية أيام بوش الأب): إننا قد نكون الجيل الذي سيشهد مذبحة هرمجدّون، وردد ريجان مرارًا: إن نهاية العالم في متناول يدنا وأن الاتحاد السوفيتي هو دولة الشر المتمثل في يأجوج ومأجوج.

وفي مارس (آذار) ١٩٨١ قال جيري فولويل (أحد كبار الدعاة من الإنجيليين الأصوليين) أن الرئيس ريجان قال له: إن تدمير العالم قد يحدث بأسرع مما تتوقع، وأن التاريخ قد وصل إلىٰ نهايته: «وهو ما ذكره بعد ذلك الكتاب المشهور باسم نهاية التاريخ لفوكوياما الأمريكي الياباني الذي أثار ضجة، وتحدث ريجان أيضًا عن صراع الحضارات (أي حضارة المسيحية الإنجيلية وهي تمثل الخير وحضارة الشر المتمثلة في الاتحاد السوفيتي والمسلمين أعداء المسيح المخلص وأنصار الدجال) وصراع الحضارات أيضًا يصبح بعد ذلك عنوانًا لكتاب أثار ضجة كبرىٰ في التسعينات من القرن العشرين ألفه هينتنجتون ولم ينتبه مثقفونا الذين أكثروا الحديث عن هذين الكتابين إلىٰ الخلفيات الدينية لهذين الكتابين والمتمثلة في الأصولية الإنجيلية المسيحية التدبيرية والمؤمنة بالصهيونية المسيحية إيمانًا تامًا وكاملاً.

والغريب أن ريجان قد دعا جيري فولويل ليحضر اجتماع مجلس الأمن القومي وليناقش كبار المسؤولين في مجلس الأمن والبنتاجون عن احتمال وقوع حرب نووية مع روسيا، كذلك قام ريجان بدعوة الأصولي الإنجيلي التدبيري هول ليندسي وملف كتاب (آخر أعظم كوكب أرضي The Last Grreat Planet Earth) ليلقي محاضرة عن الحرب النووية المقبلة مع روسيا أمام رجال البنتاجون.

وفي أكتوبر (تشرين أول) ١٩٨٣ اتصل ريجان هاتفيًا بتوم داين مسؤول العلاقات العامة الأمريكية الإسرائيلية وقال لداين اليهودي: «كما تعرف فإنني أستند إلىٰ أنبيائك القدامىٰ في العهد القديم وإلىٰ المؤشرات

التي تخبرنا بهرمجدون، وإني أتساءل عما إذا كنا نحن الجيل الذي سيشهد هذه المعركة الفاصلة الأخيرة»، وتحدث ريجان مرارًا مع الاتحاد الوطني للمذيعين الدينيين عن هرمجدون وأن الحرب النووية مقبلة علينا، وأن ذلك قد يحدث بأسرع مما نتصور!!

وفي عام ١٩٨٣ كشف ريجان لهؤلاء المذيعين الدينيين عن أهمية الكتاب المقدس في حياته وقال: «بين دفَّتي هذا الكتاب فقط توجد جميع الإجابات علىٰ جميع المشاكل التي تواجهنا اليوم».

وقال ريجان سنة ١٩٨٠ كما ينقله عنه ويليام سافير معلق صحيفة نيويورك تايمز: «إن إسرائيل هي الديمقراطية الثابتة والوحيدة التي يمكن أن تعتمد عليها كموقع لحدوث معركة هرمجدون» وقال في مناسبة أخرىٰ: «صحيح أن سفر حزقيال قد تنبأ بانتصار قوىٰ الخير المتمثلة في إسرائيل وحلفائها في معركتهم الرهيبة ضد قوىٰ الظلام في هرمجدون، ولكن ذلك لا يعني أخذ هذا الانتصار كقضية مسلَّمة بل يجب أن نستعدَّ لهذه المعركة بكل ما نستطيع من قدرات حتىٰ تتحقق النبوءات».

وحين زار الرئيس ريجان عام ١٩٨٤ معبدًا يهوديًا في نيويورك قال: «يجمعنا اليوم أننا جميعًا من أحفاد إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أبناء وبنات الإله نفسه»، وعلىٰ نفس السنن تحدث كثير من المسؤولين الأمريكان، فقد قال السناتور روجر جبسون (عن ولاية ايدوا): «أعتقد أن أسباب البركة في أمريكا أننا أكرمنا اليهود أبناء الله الذي لجؤوا إلىٰ هذه البلاد، وقد بورك فينا لأننا دافعنا عن إسرائيل بانتظام».

وقال مستشار الأمن القومي في عهد الرئيس كارتر المستر «بريجنسكي»: «إن علىٰ العرب أن يفهموا أن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية لا يمكن أن تكون متوازنة مع العلاقات الأمريكية العربية، فعلاقة أمريكا بإسرائيل مبنية علىٰ التراث التاريخي والديني والأخلاقي والذي يُعزَّز باستمرار بواسطة النشاط السياسي لليهود الأمريكيين، بينما العلاقات العربية الأمريكية لا تحتوي علىٰ أي من هذه العوامل الهامة».



هرمجدون وسيناريو نهاية العالم

وقد كتب رئيس القساوسة الإنجيليين س.كريب عام ١٩٧٧ فقال: «في هرمجدون المعركة النهائية سوف يسحق المسيح المخلص كليًا ملايين العسكريين الذين يقودهم الديكاتور المعادي للمسيح (المسيح الدجال).

ويرسم هول ليندسي في كتابه «آخر أعظم كوكب أرضي» الذي طبع منه أكثر من ١٨ مليون نسخة سيناريو هرمجدون كالآتي:

١ ـ قيام إسرائيل

٢ ـ اكتمال عودة اليهود من الشتات إلىٰ أرضي الميعاد.

٣ ـ عودة أورشليم موحدة.

٤ ـ بناء هيكل سليمان.

٥ ـ تعرض إسرائيل إلىٰ هجوم كبير من الكفار (المسلمين).

٦ ـ قيام ديكتاتور أسوأ من هتلر وستالين يتزعم القوات المهاجمة ويعرف بعدو المسيح (المسيح الدجال) وخضوع العالم لسيطرته.

٧ ـ تحول ١٤٤ ألف يهودي إلىٰ المسيحية.

٨ ـ وقوع معركة هرمجدون النووية وارتفاع المؤمنين بالولادة الثانية للمسيح بمعجزة إلٓهية فوق أرض المعركة إلىٰ السماء بينما تذوب أجسام بقية البشر.

٩ ـ ينزل المسيح مرة أخرىٰ إلىٰ الأرض ومعه المؤمنون به.

١٠ ـ يحكم المسيح العالم الألفية السعيدة (ألف عام قبل نهاية الكون).

وفي تفاصيل سيناريو ليندسي في كتابه «آخر أعظم كوكب أرضي» أن الأرثوذكس والكاثوليك وجزء من أوربا يقفون مع المسلمين ضد المؤمنين بالعود الألفية للمسيح من الإنجيليين الأصوليين، وفيها أيضًا أن نهر الفرات سوف يجف.

أحاديث آخر الزمان

والغريب حقًّا أنه قد ورد في الأحاديث النبوية الصحيحة والحسنة ما يشير إلىٰ بعض ما جاء في النبوءات، وأن الآتي سيحدث في آخر الزمان.

١ ـ سيجف نهر الفرات ويظهر تحته كنز من الذهب يقتتل عليه الناس فلا يبقىٰ من كل مائة من المتقاتلين إلا عشرة.

وها هي تركيا تكثر من السدود علىٰ نهر الفرات حيث ينبع من جبالها.. وها هو منسوبه يقل في كل من سوريا والعراق، ومن المتوقع أن يجف تمامًا.

٢ ـ وردت أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر في المسيح الدجَّال وهي موجودة في الصحيحين البخاري ومسلم وغيرها من أمهات كتب الحديث، والواقع أن صفات المسيح الذي يؤمن به اليهود والنصارىٰ والذي سيأتي في آخر الزمان حسب قولهم يدَّعي الألوهية، وهم يؤمنون به كإله، ولا شك أن مسيحهم الذي يدعون إليه هو المسيح الدجال الأعور العين كأن عينه عنبة طافية والمكتوب بين عينيه كافر، يقرأ ذلك كل مؤمن مسلم.

٣ ـ وردت أحاديث كثيرة بلغت حدَّ التواتر المعنوي كما يقول الإمام الشوكاني والشيخ عبد العزيز بن باز رحمهما الله في المهدي وأنه من آل البيت ومن نسل الرسول من ابنته فاطمة رضي الله عنها وأبوه حسني (أي ينتسب إلىٰ الحسن بن علي) وأمه حسينية (تنتسب إلىٰ الحسين بن علي) ويجمع الله بن شتات المسلمين في آخر الزمان، وينتصر علىٰ أعداء الله، وصفاته تدل علىٰ أنه هو الذي يخشاه اليهود والنصارىٰ ويطلقون عليه اسم «عدو المسيح» Antichrist وأنه سينتصر عليهم أول الأمر.

٤ ـ وردت أحاديث كثيرة عن حلف بين المسلمين والروم ضد عدوٍ لهم مشترك ثم إن الروم ينقضون هذا الحلف وينضمون لأعداء الإسلام، وتقوم معركة رهيبة في مرج دابق، وهي أشبه بما جاء في سفر الرؤيا ليوحنا وأسفار العهد القديم عن معركة هرمجدون التي ستقع في آخر الزمان في سهل مجدو (المجدل) من أرض الشام أو ما تسميه الأسفار القديمة وادي يزرعيل، ولا شك أن هناك اختلافات كثيرة في التفاصيل.

وتقول الأحاديث أن ثلث المسلمين ينهزمون ويفِرُّون من المعركة لا يغفر الله لهم وثلث يستشهدون، وثلث يفتح عليهم فينتصرون نصرًا مؤزَّرًا ضد الروم وأحلافهم الذين يأتون تحت مائة غاية (راية) تحت كل راية اثنا عشر ألفًا.

٥ ـ تنتهي المعارك بأن ينزل عيسىٰ بن مريم عليه السلام (في رواية من منارة دمشق الشرقية في المسجد الأموي، وفي رواية أخرىٰ في بيت المقدس أو في أكناف بيت المقدس) ويصلي عيسىٰ عليه السلام خلف الإمام المهدي عند نزوله حيث تكون الصلاة قد أقيمت له، وقد تقدم

المهدي عليه السلام للإمامة فيتراجع المهدي فيقول له عيسىٰ: لك قد أقيمت ويصلي خلفه تكرمة لهذه الأمة.

ثم إن عيسىٰ عليه السلام (ومعه المهدي) يدرك الدجال في باب لُدٍّ (مدينة في فلسطين قريبة من تل أبيب) فيقتل الدجال، وذلك بعد أن ينتصر المسلمون علىٰ اليهود ويقتلونهم حتىٰ يقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله تعال هاهنا يهودي ورائي فاقتله.

هذا هو ملخص للسيناريو الذي تعرضه الأحاديث النبوية العديدة والصحيحة أو الحسنة السند والرواية، ولا شك أن هناك اختلافات كثيرة بين ما يرويه الإنجيليون عن فهمهم لنبوءات الكتاب المقدس وبين ما جاء في الأحاديث النبوية، ولكن هناك نقاط لقاء، وهو أن أحداثًا هامة ومرعبة ستحدث آخر الزمان وأن نهر الفرات سيجف، ثم تختلف بعد ذلك التفاصيل فاليهود والنصارىٰ يؤمنون بالمسيح الدجال الأعور ويحاربون المهدي (ع)، ويعلنون أنه عدو المسيح، وهو حقًّا عدو المسيح الدجال ومعه المسلمون ثم ينضم إليه بعض النصارىٰ وهم من الأرثوذكس والكاثوليك حسب تفسيرات الإنجيليين الأصوليين، وأن معركة رهيبة ستحدث في أرض الشام (الأرض المباركة في أكناف بيت المقدس) وهو موقع تسميه الأسفار القديمة وسفر الرؤيا ليوحنا هرمجدون، بينما تسميه الأحاديث النبوية مرج دابق، وتختلف بعد ذلك التفاصيل اختلافًا شاسعًا فعند الإنجيليين أن المسيح يختطف المؤمنين بالولادة الثانية له ويرفعهم إلىٰ السماء حتىٰ تنتهي المعركة ثم ينزل هو والمؤمنون به من السماء ليحكم العالم الألفية السعيدة الأخيرة، وعند المسلمين أن عيسىٰ عليه السلام ينزل ويشترك مع

المسلمين في القتال فيقتل الدجال ويدركه عند باب لُدٍّ فيقتله هناك، بينما يقتل المسلمون اليهود حتىٰ أن الشجر والحجر يقول: يا مسلم يا عبد الله تعال هاهنا يهودي ورائي فاقتله.

اتجاه مضاد للصهيونية المسيحية

وبطبيعة الحال فإن كثيرًا من المسيحيين لا يؤمنون بما يؤمن به هؤلاء الإنجيليون الأصوليون بل وينتقدونه انتقادًا شديدًا، ومن ذلك ما ذكرته صحيفة الإيندبندنت (Independent) البريطانية في عددها الصادر في ٥ أيار (مايو) ١٩٩٠ حيث نشرت مقالاً بعنوان: «الاندثار في معركة هرمجدون» فقالت: «إنه ليس للمسيحيين علاقة بهذه الخزعبلات، رغم أن المسيحية تعرضت حتىٰ تميز نفسها، إن التاريخ أشدُّ تعقيدًا، والحياة الإنسانية والمجتمع الإنساني هما أغنىٰ في تنوعهما، وهذا التنوع هو أثمن من أن يحشر في خطة مبرمجة واحدة، ومهما كان نوع الاعتقاد بالمسيح، فإنه لا يمكن أن يعني تحقير وتقزيم تاريخ الإنسانية غير اليهودي وغير المسيحي».

ولا شك أن موقف النصارىٰ في البلاد العربية موقف مضاد تمامًا لمواقف الإنجيلية الأصولية الأمريكية، وقد وقفت الكنائس الشرقية في مصر وسوريا وفلسطين بقوة ضد هذه التفسيرات للكتاب المقدس ولسفر الرؤيا علىٰ وجه الخصوص، ومعظم هذه الكنائس أرثوذكسية كما أن بينها كنائس كاثوليكية، وقليل منها بروتستانتية، ولكنها جميعًا ضد هذه التوجيهات الإنجيلية الأصولية.

ولا شكَّ أيضًا أن موقف البابا في روما كان ضد الصهيونية المسيحية والصهيونية اليهودية، ثم إن هذه المواقف قد تغيرت تدريجيًا بفعل الضغوط المتتالية، وبدخول مجموعة من اليهود الكاثوليكية ووصولهم إلىٰ مرتبة الكرادلة، وتأثيرهم إلىٰ حدٍّ ما في القرارات البابوية، فتم تبرئة اليهود من دم المسيح رغم أن ذلك يناقض ما جاء في إنجيل متىٰ [الإصحاح ٢٧ الآية ٢٦]، وتم إيجاد علاقات مع دولة إسرائيل كأمر واقع de facto وليس كأمر قانوني de jure ولكن التطبيع بين الفاتيكان وإسرائيل يسير حثيثًا رغم الصعوبات التي تعترض ذلك من حينٍ لآخر، بينما كان الموقف إلىٰ عام ١٩٤٨ مناهضًا لليهود، ففي عام ١٩٤٤ أوفد الفاتيكان المونسينيور توماس ماكماهون ليطالب المسيحيين في أصقاع الأرض بأن يحافظوا علىٰ أرض المسيح وعلىٰ قداستها أن تدنس، واقترح تدويل ليس القدس فحسب بل كل فلسطين، وكان البابا دائمًا يدعو إلىٰ تدويل القدس، ولا يزال وإن كان بصورة خافتة.

وقد أصدر مجلس كنائس الشرق الأوسط بيانًا يندد فيه بالمحاولات الإنجيلية الأصولية للتسلل وتغيير عقائد نصارىٰ الشرق الأوسط، وقد جاء في البيان: «إن التعاظم المفاجئ في نشاط الحركات الإنجيلية الغربية وعددها، وفي نشاط المراسلين العاملين في الشرق الأوسط، هو مسألة تهم كنائس الشرق الأوسط، ففيما نجتهد لاستعادة وحدتنا في المسيح، تعترينا مخاوف من أن بعض هذه المجموعات تحدث أثرًا انقساميًا، فبعضها لا يعترف للكنائس في الشرق الأوسط بتاريخها وشهادتها ورسالتها الخاصة، وبعضها الآخر يصرُّ علىٰ زرع رؤية لاهوتية غريبة علىٰ

ثقافتنا، بل إن اختلاط المفاهيم أحدث قلقًا، وبخاصة بين الإنجيليين والأسقفيين من أعضاء مجموعة كنائس مجلس الشرق الأوسط، الذين نجحوا في أداء شهادة أصلية وملائمة ثقافية».

وقد صدر البيان في ليماسول بقبرص في نيسان (ابريل) ١٩٨٦، وهو يمثل الكنائس الأرثوذكسية بشقَّيها، والكاثوليكية، والإنجيلية المسكونية في الشرق الأوسط.

وجاء في البيان أن المجوعات الإنجيلية الغربية الجديدة تجنح إلىٰ القول بأن كنائس الشرق الأوسط ليست مسيحية بصورة كافية، وينطلق بعضها إلىٰ الهجوم علىٰ كنائس الشرق الأوسط إلىٰ درجة نفي مسيحيتها، مما يؤدي إلىٰ زعزعة الوحدة المسيحية وإيجاد انشقاقات خطيرة وعداوات دائمة.

وقد رد بيان كنائس الشرق الأوسط علىٰ البيان الذي صدر عن القيادة المسيحية الصهيونية في مؤتمر بال بسويسرا عام ١٩٨٥، والذي دعا لدعم إسرائيل دعمًا كاملاً، وأن القدس ينبغي أن تكون العاصمة الأبدية الموحدة لإسرائيل كما أشار إلىٰ وجوب قيام الهيكل حتىٰ يتمكن المسيح المخلص من العودة الثانية، ومما جاء في الرد علىٰ هذا البيان: «لما كنا نعي المسؤوليات الملقاة علىٰ عواتقنا حيال الطوائف المسيحية والرأي العام العالمي، فإننا نؤكد أن اجتماع مؤتمر بال (الصهيوني المسيحي) كانت له صفة سياسية مفضوحة علىٰ الرغم من الإشارات الدينية الكثيرة.. إننا ندين استغلال التوراة وأسفار العهد القديم واستثمار المشاعر الدينية في محاولة لإضفاء قدسية علىٰ إنشاء واستمرار دولة

إسرائيل ولجعل سياسة هذه الدولة محاطة بهالة من القداسة..».

«ولا حاجة للقول إن أي جماعة لا تستطيع التحدث نيابة عن مسيحيي الشرق الأوسط لا كنائس هذه المنطقة، ولما كان مؤتمر بال حاول ذلك، فإنه يتعين علينا أن نرفض علنًا مقرراته وتوصياته».

نماذج من نصارىٰ الغرب المعارضين للصهيونية المسيحية الإنجيلية الأصولية

إن هناك العديد من نصارىٰ الغرب المعارضين للإنجيلية الأصولية التدبيرية وهم يمثلون معظم الكاثوليك في معظم أقطار العالم بما في ذلك الولايات المتحدة، وعددًا كبيرًا من البروتستانت.

يقول اللاهوتي ديوي بيجل من كلية ويسلىٰ للاهوت: «إن الأساس الذي يعتمده المسيحيون المؤيدون للصهيونية بناء علىٰ فهمهم للكتاب المقدس بشأن قيام إسرائيل الحديثة لا يصمد أمام التمحيص الدقيق وذلك أن نبوءة عودة بني إسرائيل إلىٰ فلسطين قد تحققت بالعودة من بابل علىٰ يد قورش الفارسي في القرن السادس قبل الميلاد (٥٣٨ ق.م) ولا علاقة لكل ما جاء في النصوص من عودة المنفيين من اليهود بقيام إسرائيل الحديثة علىٰ الإطلاق.

وثانيًا: إن وعد الله لإسرائيل بالأرض لم يكن دائمًا، بل كان مشروطًا، وقد خرقت إسرائيل هذه الشروط منذ أيام التوراة بتقصيرها في إطاعة وصايا الله وأوامره وهكذا تكون قد خسرت الوعد».

ويكرر كثيرون هذه النقطة، ويقولون أن قاصمة الظهر كانت برفض

المسيح ومعاداته، بل والسعي إلىٰ صلبه (وصلبه بالفعل كما يعتقدون)، وبالتالي تحولت الوعود لبني إسرائيل إلىٰ المؤمنين بالمسيح فقط.

ويقول القس روبرت بيرس الكاثوليكي الأمريكي: «إن مساهمة الغرب في قيام إسرائيل هو خطيئة محزنة ومأساة فظيعة أنتجت الشر الذي نراه اليوم، لقد آن التعلم أننا لا نستطيع أن نغش الله ونستغفله، إن ما يزرعه الإنسان هو الذي يحصده، ولا يمكن لأمة أن تسرق وطنًا وتشرِّد شعبًا وتمضي آمنة، كما أن الأمم المتحدة لا تملك الحق في أن تأخذ وطن آخرين وتعطيه لهم.

«إن زعماءكم قالوا لكم إن ما وقع هو الحق لأن شيطانهم قد زيَّن لهم أن أصوات خمسة ملايين يهودي أهم من الشرق الأوسط كله، ومعنىٰ هذا أنهم في سبيل أصوات الناخبين لا يتورعون عن طمس الحقيقة وسوق العالم إلىٰ الدمار».

«إن سبب هذا الفساد المستشري أن الصهيونية تتحكم في مصائر هذه البلاد وفي أقدار رجالها، لأنها تملك وسائل الدعاية والإعلام فوق امتلاكها وسائل الإغراء، إنني أعرف الكثيرين من حملة الأقلام الذين يؤمنون معي بكل ما قلته ولكنهم لا يستطيعون الجهر بحرفٍ واحد، خوفًا من جبروت الصهيونية وشرِّها المستطير».

وقد كتب السناتور بول فندلي كتابه المشهور «من يجرؤ علىٰ الكلام» وأوضح قوة النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة، وكيف أسقطوه في الانتخابات وأساؤوا إلىٰ سمعته لأنه وقف بعض المواقف المعارضة لسياسة إسرائيل.

وأصدرت الصحفية جريس هالسيل كتابًا هامًّا يتحدث عن المسيحية الأصولية بعنوان «النبوءة والسياسة» وقد فضحت الكاتبة القديرة مؤامرات الصهيونيين المسيحيين من أمثال جيري فالويل وبات روبرتسون وجيمي سواجارت الذين يتحكمون في خمسين مليون أمريكي بواسطة مجموعة من الإذاعات والتلفزيونات الخاصة والذين يدعون صراحة لقيام أرتز إسرائيل وقيام أورشليم الموحدة والعاصمة الأبدية لإسرائيل ولهدم المسجد الأقصىٰ وبناء الهيكل حتىٰ يمكن للمسيح المخلص أن يبدأ رحلة عودته إلىٰ الأرض ليقيم الألفية السعيدة الأخيرة.

ويدين الكتاب السياسة الخرقاء لمجموعة من الرؤساء الأمريكيين وخاصة كارتر وريجان كما تدين التعصب الأعمىٰ لإسرائيل وإسقاط نصوص التوراة والعهد القديم والنبوءات القديمة علىٰ إسرائيل القرن العشرين مع الوهم بأن المسيح المخلص قادم في زماننا نحن.

كما ظهر كتاب آخر بعنوان «إسرائيل واجبنا.. إسرائيل ورطتنا» لتيدبايك وقد ابتدأ الكاتب البارع مؤلفه بنص التوراة: «إن الله يبارك من يبارك إسرائيل ويلعن من يعلن إسرائيل» وكيف استطاع مجموعة من اليهود الأذكياء ومعهم مجموعة من الصهاينة المسيحيين الإنجيليين التدبيريين أن يقنعوا جمهرة الشعب الأمريكي بأن إسرائيل التوراتية هي إسرائيل الحالية وأن علىٰ كل أمريكي أن يدعم إسرائيل وأن يباركها حتىٰ لا تهبط عليه لعنات السماء.

وقام المؤلف بتذكير مواطنيه بأن إسرائيل التوراتية لا علاقة لها باليهود الذين رفضوا عيسىٰ (عليه السلام) بل وشتموه وعذَّبوه ثم صلبوه

(حسب زعمهم)، وأن دولة إسرائيل الحالية تنتمي أساسًا إلىٰ طائفة الفريسيين والتلموديين الذين وبَّخهم المسيح عليه السلام، وقال لهم: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السماوات فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ولعلّة تطيلون صلواتكم!! أيها القادة العميان الذين يتظاهرون بالتورع عن البعوضة ويبلعون الجمل». وانتهىٰ الكاتب إلىٰ أنه من العار علىٰ المسيحيين أن يدعموا إسرائيل الفريسيين والكتبة أعداء المسيح والمسيحيين علىٰ مدىٰ التاريخ والزمان.

الرئيس جورج بوش الأب ودعم إسرائيل

يختلف الرئيس جورج بوش الأب عن سلفه الرئيس ريجان في عدة أمور، فهو واسع الاطلاع علىٰ مجريات الأمور، وكان رئيسًا للمخابرات المركزية الأمريكية (C.I.A) ولم يكن مثل سلفه متعصبًا للمسيحية الإنجيلية، كما أنه لم يكن مهووسًا بنهاية العالم، ومع ذلك بقي تأييده لإسرائيل ثابتًا، وقدم لها أعظم خدمة في تنفيذ المخطط الرهيب في تشجيع العراق علىٰ مهاجمة الكويت وإدخال البلاد العربية كافة في مستنقع وخيم لم تستطع الخروج منه إلىٰ اليوم، وقد أدت حماقة وغرور صدام إلىٰ أن يهاجم الكويت بعد أن أخذ عدة تطمينات من السفيرة الأمريكية بأن الولايات لن تتدخل لو حدث أن صدام هاجم الكويت، وسجل صدام المحادثة في شريط فيديو وظن أن ذلك سيجديه فتيلاً، فوقع في الفخ، وأوقع المنطقة كلها في أزمة خطيرة أنهكت البلاد العربية اقتصاديًا وسياسيًا وفتت البلاد العربية ومزَّقتها تمزيقًا، مما أدىٰ إلىٰ انهيار

البلاد العربية ومبادرتها إلىٰ مؤتمر مدريد للسلام مع إسرائيل سنة ١٩٩١، وتحول مدريد بعد ذلك إلىٰ محادثات أوسلو السرية التي انتهت بما يعرف باتفاق أوسلو عام ١٩٩٣ في عهد الرئيس كلينتون بين ياسر عرفات وإسحاق رابين، والذي لم يؤد إلىٰ سلام بل إلىٰ مزيد من الاستسلام وابتلاع إسرائيل للمزيد من الأراضي وزيادة الهجرة اليهودية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وبناء مئات المستوطنات في الضفة الغربية وعشرات المستوطنات في قطاع غزة، وبداية مشروع القدس الكبرىٰ التي ابتلعت ثلث ما تبقىٰ من الضفة الغربية (سيأتي تفصيل ذلك)، وقد عاقب اليهود في الانتخابات الأمريكية الرئيس جورج بوش الأب وأسقطوه لأنه أوقف ضمان القروض لإسرائيل بعشرة بلايين دولار عندما رفضت إسرائيل إيقاف المستوطنات، وأتىٰ اليهود بشخصية جديدة تتمتع بذكاء حادٍّ وانحلال أخلاقي لم يسبق له مثيل لدىٰ رؤساء الولايات المتحدة وهو الرئيس كلينتون.

الرئيس بيل كلينتون

لقد استطاع حاكم أركنساه أن يهزم الرئيس جورج بوش في انتخابات عام ١٩٩١ بسبب مواقف بوش من قضية ضمان القروض لإسرائيل، واستطاع الرئيس كلينتون أن يفوز بالانتخابات بالرئاسية للولايات المتحدة لدورتين متتاليتين، وقد أدت حرب الخليج التي خطط لها وقادها الرئيس بوش إلىٰ أن تكسب الولايات المتحدة مئات البلايين من الدولارات من البلاد البترولية الغنية بالإضافة إلىٰ البترول الرخيص ودخول القوات الأمريكية إلىٰ أرض الخليج برًا وبحرًا وجوًّا، وقد وصلت فواتير الأسلحة

وتكاليف حرب الخليج وما تبعها لمدة عشر سنوات وإلىٰ ما يقرب من تريليون دولار أدت إلىٰ أن تتحول دول الخليج العربي الغنية والمترعة بالبترول إلىٰ دول مدينة بمئات الآلاف من الملايين من الدولارات!!

وقد أدت خدمة الرئيس بوش لبلاده بهذه الحرب إلىٰ أن يستفيد منها كلينتون فيتحسن الاقتصاد في عهده بدرجة لم تعهدها الولايات المتحدة منذ عهود طويلة واستطاعت خلال الفترتين من رئاسته أن تحول الديون علىٰ الولايات المتحدة التي وصلت إلىٰ أكثر من ترليوني دولار إلىٰ فائض وكذلك تحسن ميزان المدفوعات وعجز الميزانية الذي انتهىٰ وتحول إلىٰ فائض سنوي يقدر ببلايين الدولارات.

وتميز عهد الرئيس كلينتون بأن أصبحت إدارته مليئة باليهود، فوزيرة الخارجية أولبرايت يهودية، والمسؤول عن ملف الشرق الأوسط دينس روس يهودي، ونائب وزيرة الخارجية مارتن انديك يهودي، ووزير المالية يهودي، ومندوب الولايات المتحدة في الأمم المتحدة يهودي، ومستشار الأمن القومي يهودي، ولأمر مرة يصل يهودي إلىٰ رئاسة المخابرات المركزية الأمريكية، وهكذا تحولت الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس كلينتون إلىٰ إدارة يهودية تمامًا.

ورغم أن الرئيس كلينتون لا يدين بالإنجيلية الأصولية التدبيرية إلا أنه خدم إسرائيل بما لم يفعله أي رئيس قبله، وقدم لها من المساعدات المالية والعسكرية واللوجستية مع تعاون تام في ميدان صناعة الصواريخ والصواريخ المضادة للصواريخ.. ومع هذا فكانت سقطات الرئيس كلينتون الجنسية ومغامراته مع بولا جونس ومونيكا لوينسكي (والأخيرة

يهودية) تؤدي إلىٰ ضجة كبرىٰ ضده واتهامات له بالتزوير والكذب والحلف أمام لجان الكونجرس زورًا وهي كلها تهم تؤدي إلىٰ إقالته أو إلىٰ زعزعة حكمه.. وقد فعل اليهود ذلك كله ليبقوه تحت السيطرة، فهو من أذكىٰ الناس وأقدرهم علىٰ فهم قضية الشرق الأوسط، ولكن هذه الضغوط المتتالية جعلت إدارته كلها يهودية وجعلته لا يرىٰ إلا مصلحة إسرائيل والتفاني في العمل لها.

وكذلك كانت زوجته هيلاري كلينتون فقد كانت لها تعليقات هامة ضد إسرائيل ولكنها سرعان ما سحبتها ورشحت نفسها لتكون عضوة في الكونجرس في مدينة نيويورك.. وهي مدينة يسيطر عليها اليهود سيطرة تامة، وقد نجحت في الانتخابات بسبب ارتباطها التام بالصهاينة ودفاعها عن إسرائيل، وتحولها عن مواقفها السابقة.

إن كلينتون وزوجته يمثلان مواقف انتهازية من أشخاص أذكياء يعرفون مواقع القوة والتأثير في بلدهم فاتجهوا الاتجاه الصحيح لتحقيق مصالحهم.. ولكن أعمالهم تلك لم تكن عن عقيدة بل عن اتجاه براجماتي نفعي بحت..

الخلاصة في الصهيونية المسيحية

وهكذا نجد أن الصهيونية المسيحية كانت تقوم علىٰ:

١ ـ اعتبار اليهود شعب الله المختار.

٢ ـ أن الله أعطىٰ اليهود عهدًا أبديًا ليسكنوا أرض كنعان إلىٰ قيام الساعة.

٣ ـ أن تجميع اليهود في فلسطين وإقامة وطن قومي لهم هو تنفيذ لمشيئة الله، ومساهمة فعالة في تقريب مجيء المسيح المخلص.

واستمرت هذه الأيديولوجية بعد قيام إسرائيل مع:

١ ـ إعطاء كلمة إسرائيل معنىٰ دينيًا رمزيًا بالغ الأهمية، والالتزام الأخلاقي الدائم بدعم إسرائيل وأمنها، وهو التزام ديني وأخلاقي ثابت لا يمكن أن يتزحزح ولا يتغير حسب أهواء ومقتضيات السياسة.

٢ ـ اعتبار شرعية قيام الدولة اليهودية مستمدة من التشريع الإلهي ذاته، واعتبار قيام دولة إسرائيل تحقيقًا للنبوءات الدينية الكثيرة المنبثة في تعاليم العهد القديم.

٣ ـ التشديد علىٰ أن أرض إسرائيل هي كل الأرض التي وعدها الله إبراهيم وذريته.. وهي تمتد من النيل إلىٰ الفرات كما ورد في أسفار التوراة.

٤ ـ إن الله يبارك من يبارك إسرائيل، ويعلن من يلعن إسرائيل أو كل من يقف ضدها بأي وسيلة من الوسائل.

وعندما يتناقض أي قرار إسرائيلي مع النظام الدولي ومع المواثيق والمعاهدات الدولية الأخرىٰ، فإن القرار الإسرائيلي هو الذي يجب أن يحترم لأنه يمثل إرادة الله، وأما القانون الدولي فهو لا يعكس سوىٰ إرادة الإنسان، وحيثما تناقضت إرادة الله وإرادة البشر فإن إرادة الله هي التي يجب أن تحترم وتسود.

العدوان والإرهاب الإسرائيلي

لقد تمرَّد اليهود منذ عهود أنبيائهم الأولىٰ، فكذبوهم واستهزؤوا بهم وقتلوا أعدادًا منهم، ولقد شهد عليهم القرآن الكريم وأوضح قصص إجرامهم وكفرهم بأنبيائهم، وقتلهم العديد من هؤلاء الأنبياء الأطهار البررة.

قال تعالىٰ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران].

وهو أمر غريب أن تجتمع الذلة والمسكنة مع التجبر والطغيان، وكلاهما نقيض للآخر، ولكن بني إسرائيل يجمعون كل النقائض، وتتجلىٰ فيهم كل الرذائل، بل إن سبب ذلهم ومهانتهم ومسكنتهم هو عدوانهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق، فسلَّط الله عليهم الأعداء علىٰ مدىٰ التاريخ من أيام الآشوريين الذين قوضوا علىٰ دولة الشمال (إسرائيل) ثم تلاهم البابليون الذين قضوا علىٰ دولة الجنوب في أورشليم سنة ٥٨٤ قبل الميلاد، وتتالت عليهم النكبات والويلات في زمن اليونان ثم في زمن الرومان ثم بعد ذلك في زمن الدولة البيزنطية، ولا يأتِ زمان إلا وتظهر النكبات علىٰ اليهود بعد أن يزداد عتوهم وتجبرهم وعدوانهم.

وقد قصَّ القرآن الكريم أذيَّتهم لموسىٰ عليه السلام واستهزاءهم به

ورفضهم القتال معه قائلين له: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة]. وكم لوَّثوا سير هؤلاء الأنبياء الأطهار من لدن آدم عليه السلام حيث زعموا أنه كانت له عشيقة من الجن اسمها ليليليت كان يخادنها وأنجب منها الجبابرة، وكذلك حسب زعمهم فعلت حواء، ثم اتهموا نوحًا عليه السلام بأنه سكر وتعرَّىٰ، كما اتَّهموا إبراهيم عليه السلام أنه تزوج أخته من أبيه سارة، وأنه عرض زوجته علىٰ ملك مصر ليأخذ منه مالاً وغنمًا وبقرًا كثيرًا، واتهموا لوطًا عليه السلام بالزنا بابنتيه بعد أن شر الخمر، واتهموا إسحاق عليه السلام كذلك بالدياثة مثلما فعلوا مع أبيه، أما يعقوب عليه السلام فاتهموه بالكذب والخداع والسرقة والغش والجبن مع قيامه بقتل الكنعانيين الذي خطبوا ابنته لابنهم بعد أن طلب منهم يعقوب وأولاده ـ حسب زعمهم ـ أن يختتنوا فلما اختتنوا وكانوا في وجعهم هجم عليهم يعقوب وقتلهم جميعًا.

واتهموا أبناء يعقوب جميعًا بالزنا والكذب والحقارة، فروابين يزني بزوجة أبيه، ويهوذا يزني بكنته ثامار (زوجة ابنه) وكل واحدٍ من الأنبياء الآخرين يقتل برئيًا أو يفسد في الأرض، وابنة يعقوب دينه تزني مع شكيم بن حمور الحوي.

واتهموا موسىٰ عليه السلام بقتل النساء والأطفال، كما اتهموا هارون بعبادة العجل، واتهموا يوشع بن نون بالمجازر، وجاء أن النبي صموئيل أمر شاول (طالوت) بإبادة العناقيين وعماليق ولا يترك منهم طفلاً ولا شيخًا بل ولا غنمًا ولا بقرًا.

وأما داود عليه السلام فقد اتهموه بالكذب والخيانة والخداع والجبن

وقتل الأبرياء وإقامة المذابح لسكان الأردن وفلسطين، ولم يترك طفلاً ولا شيخًا ولا امرأة إلا قتله، وأوقد لهم الأتون وألقاهم في النار، ومجموعة جعلهم في النوارج، يفرمهم كما يفرم اللحم ثم قام بالزنا بحليلة جاره وقائد جنده أوريا الحثّي، ثم دبَّر مكيدة لقتله.

والأسفار مليئة بهذه القاذورات، وأبناء داود مثله فابشالوم يزني بجواري أبيه أمام الملأ من بني إسرائيل، وأخوه يزني بأخته، وداود يسكت ويوافق حسب زعمهم علىٰ هذه الجرائم، وسليمان عليه السلام يتهمونه بالكذب والخيانة والسحر وعبادة الأوثان.

وهكذا لم يسلم منهم أحد، وكم قتلوا من الأنباء، فقد قتلوا النبي أشعيا، نشروه بالمنشار، وقتلت إيزابيل وزوجها آخاب مئات الأنبياء من بني إسرائيل لأنهم أنكروا عليهم عبادة الأوثان، ونشر الفجور والزنا في المعابد والهياكل، وقتلوا زكريا عليه السلام ثم قتلوا ابنه يحيىٰ عليه السلام، قال تعالىٰ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المائدة].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران].

وقد جاء في إنجيل متىٰ الإصحاح ٣٢: «أيها الحيات وأولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونية جهنم، لذلك ها أنا أرسل لكم أنبياء وحكماء

وكتبة، فمنهم تقتلون وتصلبون، ومنهم تجلدون في مجامعكم، وتطردون من مدينة إلىٰ مدينة لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك علىٰ الأرض من دم هابيل الصدّيق إلىٰ دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح.. يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء ويا راجمة المرسلين».

وفي إنجيل متىٰ الإصحاح (٢٧: ٢٤ ـ ٢٦) حكم السنهدرين (المحكمة العليا اليهودية) بقتل عيسىٰ عليه السلام بتهمة الهرطقة والسحر وإثارة الفتنة، وبما أن اليهود كانوا تحت الحكم الروماني فإنهم لا يستطيعون تنفيذ الأحكام بدون موافقة الحاكم الروماني فذهبوا إلىٰ بيلاطس ليقوم بصلب المسيح، فرفض ذلك وقال لهم: إني بريء من دم هذا البار، أبصروا أنتم، فأجاب جميع الشعب وقالوا: دمه علينا وعلىٰ أولادنا، فأسلمهم المسيح فصلبوه حسب زعمهم، مع لصٍّ وقاطع طريق.

وقال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣].

فالخيانة والخداع والكذب دأبهم أبدًا، والوقاحة والتجبر والطغيان وقتل الأبرياء والأنبياء شأنهم دائمًا متىٰ وجدوا في أنفسهم القوة، والتذلل والمهانة والمسكنة وسيلتهم عندما يجدون في أنفسهم ضعفًا، وعندما يواجهون من هو أقوىٰ منهم.

هذه هي صفاتهم أبد الدهر منذ خلقهم الله تعالىٰ لا يُستثنىٰ من ذلك إلا أفرادًا منهم آمنوا وصدَّقوا بالأنبياء والرسل وكانوا جندهم وأتباعهم.

وقد نقضوا العهود مرات ومرات مع النبي محمد ﷺ واستهزؤوا به وكذَّبوه، وحاولوا قتله في بني قريظة عندما ذهب إليهم حسب العهود معهم ليسهموا في دفع بعض الديات فتآمروا لقتله، ورمي حجر كبير عليه وهو جالس مع بعض أصحابه ينتظرهم ليحضروا المال، فأخبره جبريل بذلك وتركهم، ثم حاولت اليهودية في خيبر أن تسمَّه في شاة مصليَّة (مشويَّة)، فأخبره الذراع أنها مسمومة وأقرَّت اليهودية بما فعلت فعفىٰ عنها، ولكن لما مات أحد الصحابة من هذا السم قتلها به، وسَحَرَهُ لبيد بن الأعصم اليهودي في مشط ومشاطة، حتىٰ أنه كان يرىٰ أنه فعل الشيء ولا يفعله، وخاصة في أمر النساء، حتىٰ أعلمه الله بمكان السحر فأخرجه وعافاه الله منه، وكانت مكيدتهم الكبرىٰ يوم قريظة حيث قام حُييُّ بن أخطب بتحريض قريش وغطفان والأعراب للهجوم علىٰ المدينة، فهجم عليهم بجيش مكون من عشرة آلاف مقاتل، بالإضافة إلىٰ قريظة الذين نقضوا العهد، وكانوا أشدَّ خطرًا من هؤلاء المهاجمين كلهم لأنهم من داخل المدينة وهم خطر علىٰ النساء والأطفال، لهذا حكم عليهم حليفهم سعد بن معاذ رضي الله عنه وأرضاه بقتل المقاتلة، بعد أن انتهت غزوة الخندق بفشل الأعداء وانكفائهم إلىٰ أوطانهم بعد فشل الحصار.

الإرهاب الصهيوني في العصر الحديث

لقد دبَّر اليهود اغتيال قيصر روسيا اسكندر الثاني سنة ١٨٨١ ولما فشلت المؤامرة زاد الضغط علىٰ اليهود، وهو ما كان يسعىٰ إليه هيرتزل

والقيادة الصهيونية، وفي خلال الفترة ما بين ١٨٨٢ إلىٰ عام ١٩٠٤ هاجر ١،٥٠٠،٠٠٠ يهودي من روسيا ودول أوربا الشرقية، وكان ذلك ما يسعىٰ إليه ويريده هيرتزل، ولكن كثيرًا من هؤلاء فضَّل الهجرة إلىٰ الولايات المتحدة بعد أن أُوصدت أمامهم أبواب أوربا الغربية، ولم يذهبوا إلىٰ فلسطين.. ومع ذلك فقد تمكَّن هيرتزل من إرسال مئات الآلاف من هؤلاء اليهود إلىٰ فلسطين في تلك الفترة.

وعمل اليهود منذ بداية تجمعهم في فلسطين منذ بداية القرن العشرين وأواخر القرن التاسع عشر علىٰ التدريب العسكري لأنهم موقنون بأنه لا يمكن للفلسطينيين أن يتخلوا عن ديارهم وأراضيهم بدون القوة، ولما كانت قوة اليهود محدودة جدًا في بداية الأمر فإنهم استعانوا بقوة الاحتلال البريطاني التي مكَّنت لليهود في فلسطين، وكانت تقمع كل مظاهرة أو حركة مضادة للاستيطان اليهودي بقوة سلاح الإمبراطورية البريطانية، وهي أقوىٰ دولة في الأرض آنذاك.. وقد اضطرت بريطانيا لاستخدام مائة ألف جندي لإخضاع الثورات المتتالية في فلسطين وخاصة ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ كما سبق أن أوضحناه.

وكان الإنجليز يدرِّبون اليهود علىٰ الأعمال العسكرية الإرهابية لقتل الفلسطينيين وترويعهم، ومن هؤلاء الضابط الإنجليزي أورد وينجت الذي قام سنة ١٩٣٨ بتكون فرق عسكرية يهودية وتدريبها تدريبًا عاليًا علىٰ أعمال القتال والإرهاب، بل كان يقود بنفسه هذه الفرق الليلية التي كانت تغير علىٰ القرىٰ الفلسطينية فتقتل النساء والأطفال والشيوخ والرجال حتىٰ تثير فيهم الرعب، وتضطرهم إلىٰ الهجرة من قراهم فيستولي عليها اليهود.

وتكونت المنظمات اليهودية التالية من أجل بثِّ الرعب لدىٰ الفلسطينيين وبالتالي الاستيلاء علىٰ أراضيهم:

١. منظمة الهاجاناه

وهي أكبر المنظمات العسكرية اليهودية أقامتها الوكالة اليهودية بتشجيع كامل ودعم تامٍّ من بريطانيا دولة الانتداب، وقد تشكلت من اليهود الذي خدموا في الجيش البريطاني في الحرب العالمية الأولىٰ، وذلك تحت اسم «حراس المستعمرات»، واتخذت لها شعار «فلسطين لليهود»، وضمَّت عدة تشكيلات من المشاة وعناصر الاستخبارات.

وفي أوائل الأربعينيات من القرن العشرين تكونت وحدات هجومية باسم «البالماخ» وأسندت لها مهمة مساعدة القوات البريطانية ضد القوات الألمانية المحتمل تقدمها من مصر باتجاه فلسطين، ولكن الألمان بقيادة ثعلب الصحراء روميل انهزموا في العلمين أمام قائد القوات البريطانية مونتجمري، وكانت معركة «العلمين» أكبر معركة اشتركت فيها الدبابات في العالم حتىٰ ذلك الوقت.

وكان قائد البالماخ آنذاك إيجال ألون (وهو أحد القادة الأوائل للجيش الإسرائيلي فيما بعد)، وعمل معه ضباط عديدون منهم إسحاق رابين الذي تولىٰ رئاسة الوزارة الإسرائيلية فيما بعد، ونفذ اتفاق أوسلو مع ياسر عرفات عام ١٩٩٣، مما أدىٰ إلىٰ اغتياله من يهودي متطرف، ومنهم حاييم بارليف صاحب خط بارليف المشهور الذي حطمه الجيش المصري في حرب العاشر من رمضان (٦ أكتوبر ١٩٧٣).

وقد وصل عدد الهاجاناه في ١٩٤٨/٥/١٥ غداة إعلان قيام دولة

إسرائيل ٢٩،٦٧٧ فردًا مدربين تدريبًا قتاليًا عاليًا، وقامت هذه المنظمة بقتل العديد من الفلسطينيين واحتلال قراهم ومدنهم.

واشتركت الهاجاناه مع عصابات شترن وعصابات الأرجون تسفاي ليومي بأعمال إرهابية عديدة في الفترة ما بين ١٩٤٣ ـ ١٩٤٨.

وتقول مصادر أخرىٰ أن الهاجاناه تحولت عام ١٩٤٦ إلىٰ جيش كامل مكون من:

١ ـ قوة ثابتة من سكان المستوطنات اليهودية والمدن التي صار أغلب أو كل سكانها من اليهود، ويبلغ تعداد هذه القوة أربعين ألفًا.

٢ ـ جيش ميداني متفرغ للقتال والأعمال الإرهابية وقوامه ستة عشر ألف مقاتل.

٣ ـ قوة كاملة الدوام تسمىٰ المباباخ مكونة من ستة آلاف مقاتل يردفهم ألفان من قوات داعمة ومساندة.

٢ـ منظمة الأيتسل:

وهي منظمة عسكرية انشقت عن الهاجاناه في الثلاثينات من القرن العشرين، وعملت علىٰ تشكيل «الاتحاد القومي للعمل» المعارض للهستدروت التابع للهاجاناه.

وقد كان لهذه المنظمة نشاط إرهابي سرِّي غير معروف، ولكن صحيفة معاريف الإسرائيلية نشرت في ١٩٩٨/٣/١٣ تقارير سريّة قديمة تقول أن منظمة الأيتسل كانت تنفذ عملياتها الإرهابية ضد الفلسطينيين

بدم بارد، وكان أحد قوادها حاييم هنجبي يقول: «إن كنت لا تريد الموت فأطلق النار ولا تثرثر» وعندما كانوا يقتلون النساء والأطفال كانوا يلصقون التهمة علىٰ الضحايا كما تفعل قوات باراك وشارون ونتنياهو إلىٰ اليوم.

وقد ذكر التقرير الذي نشرته معاريف أن إرهابيين من منظمة إيتسل وضعوا قنبلتين في وعاء حليب كبير وسط سوق حيفا المكتظ بالفسطينيين، وقد أدىٰ الانفجار إلىٰ قتل ٢١ وجرح ٥٢ من الفلسطينيين ومعظمهم من النساء والأطفال كما تم تدمير عدد من الدكاكين والسيارات.

وفي مدينة القدس ألقىٰ الإرهابيون من هذه المنظمة القنابل من علىٰ أسطح بعض المنازل علىٰ سوق مكتظ مما أدىٰ إلىٰ قتل العشرات وجرح المئات.

وفي القدس أيضًا، في موقف للباصات علىٰ خط القدس ـ الخليل بالقرب من شارع يافا فجَّروا عبوة ناسفة أدَّت إلىٰ قتل ثلاثة وجرح ١٩ شخصًا. وفي الأسبوع التالي فجَّروا عبوة ناسفة في سوق الخضار المزدحم بالناس مما أدىٰ إلىٰ قتل عشرة وإصابة ثلاثين كلهم من الفلسطينيين.

وفي حيفا نقل إرهابي يهودي متنكر بزي حمَّال قنبلة كبيرة في صندوق خيار أدىٰ انفجارها في السوق إلىٰ قتل ٣٥ فلسطينيًا وجرح ٧٠ منهم، حسب بيان حكومة الانتداب وإن كانت هناك تقارير غير رسمية تشير إلىٰ أن العدد الفعلي للضحايا كان أكثر من ضعف هذا الرقم.

٣. منظمة الأرجون:

وتسمىٰ أرجون تسفائي ليومي أي المنظمة العسكرية لشعب إسرائيل، أسسها الإرهابي العنصري فلادمير جابوتنسكي (أستاذ مناحيم بيجن) وشعارها بندقية محمولة بيد، كتب تحتها: «هكذا فقط»، أي بالبندقية فقط سنقيم دولة إسرائيل ونقتل جميع الفلسطينيين، وقد أوضح بكل جلاء مؤسس هذه الحركة هدفه، وهو قتل الفلسطينيين وإرهابهم حتىٰ يتخلّوا عن وطنهم حيث قال ما نصُّه: «هل حدث أن تخلَّىٰ شعب عن أرضه بمحض إرادته؟» ثم يجيب بقوله: «إن العرب الفلسطينيين لم يكونوا ليوافقوا علىٰ فقدان سيادتهم وأرضهم بدون إرغامهم علىٰ ذلك بالقوة»[١].

وقد قام جابوتنسكي بالإعداد العسكري لعناصر حركته في أوربا والولايات المتحدة، وفي فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وأطلق اسم بيتار علىٰ الجانب العسكري من هذه المنظمة الإرهابية.

وقد أدت منظمة بيتار دورًا حاسمًا في تهيئة وإعداد الكادر العسكري والقيادي لليمين اليهودي المتطرف، وكان أعضاء هذه المنظمة يتدربون تدريبًا عسكريًا عاليًا علىٰ كيفية القيام بالعمليات الإرهابية لترويع السكان، وبالتالي اضطرارهم إلىٰ الهروب واللجوء خوفًا من العمليات الإرهابية الدموية، وقد كوَّن عصابة (بيتار) يوسف ترمبلدور، وهو أحد رواد الفيلق اليهودي الذي خدم في الكتيبة اليهودية في الجيش البريطاني

---

(١) برودسكي ويواشوليتز: «الصهيونية في خدمة الرجعية» منشورات وزارة الإرشاد، دمشق ١٩٧٧، ص٧٥.

مع نهاية الحرب العالمية الأولىٰ، وقد هاجر إلىٰ فلسطين من روسيا عام ١٩١٨ وبدأ بتنظيم اليهود وتدريبهم عسكريًا، وقتل في معركة مع المجاهدين الفلسطينيين عام ١٩٢٠ وتحول ترمبلدور في الأدبيات الصهيونية إلىٰ أسطورة، وسُمِّيت منظمة بيتار باسمه بعد مقتله.

وأطلق اسم «الفرقة السوداء» علىٰ فرقة الاستخبارات التي كونتها منظمة الأرجون.

وقد بلغ عدد أفراد «بيتار» العسكرية ثلاثة آلاف عنصر مدرَّب، وتلقَّت هذه المنظمة الإرهابية دعمًا كاملاً من كثير من دول أوربا ومن الولايات المتحدة وأقامت حكومة إيطاليا الفاشية مركزًا لتدريب عناصر بيتار علىٰ الأعمال العسكرية البحرية، كما قامت فرنسا بافتتاح مركز لحركة بيتا قرب باريس يتم فيه تدريب الطيارين اليهود علىٰ المهمات القتالية، وكان للحركة مراكز تدريب في جنوب أفريقيا العنصرية، ونيويورك في الولايات المتحدة.

ولعل القارئ الذكي قد لاحظ كيف يستخدم الصهاينة نفوذهم الأخطبوطي لتحقيق أغراضهم مع مجموعات ودول متحاربة، فهم يتلقّون دعمًا كاملاً من الدول الليبرالية وخاصة الولايات المتحدة ومن قبلها بريطانيا، بالإضافة إلىٰ فرنسا وهولنده وغيرها من الدول الأوربية، كما يتلقون دعمًا كاملاً من الدولة الفاشية في إيطاليا.. ويتعاونون مع هتلر وحكومته النازية في ألمانيا من أجل تهجير يهود أوربا إلىٰ فلسطين.

وهتلر لم يكن يريد من اليهود أكثر من ذلك، ومع ذلك قدَّم له إسحاق شامير خدمات كثيرة بإطلاق أموال ألمانيا من البنوك البريطانية

والأوربية والأمريكية في مقابل تدريب بضعة آلاف من شباب اليهود علىٰ الزراعة، وبضعة آلاف علىٰ القتال، وإرسالهم إلىٰ فلسطين مع مجموعة من الجرارات الزراعية، وبعض الأسلحة الخفيفة، وقد ألمحنا إلىٰ دور اليهود في الحركة الشيوعية البلشفية وكيف كان معظم أعضاء المكتب السياسي (البوليتبيرو) في روسيا من اليهود، ومعظم أعضاء الدولة وأعضاء الحزب المهيمن والقادة من اليهود.. ومعظم أعضاء قادة الأحزاب الشيوعية في أوربا بل وفي البلاد العربية كانوا من اليهود.

ولم يكن اليهود كما يزعم كثيرون أدوات الاستعمار الغربي، بل كانوا يتفقون مع أهداف هذا الاستعمار لتحقيق مصالح مشتركة فإذا اختلفت هذه المصالح قام اليهود بضرب مصالح هؤلاء الأصدقاء، والمثال علىٰ ذلك واضح مع بريطانيا العظمىٰ التي لا يوجد لأي دولة في العالم فضل علىٰ اليهود مثل فضلها، فهي التي أصدرت وعد بلفور، وهي التي دعمت الصهيونية واليهود، وهي التي مهَّدت لهم سبل الاستيلاء علىٰ فلسطين ومقدراتها، وهي التي أخمدت ثورات الشعب الفلسطيني والشعوب العربية منذ أن وطئت أقدام اللنبي أرض فلسطين في ١٩١٧/١٢/١١ إلىٰ حين قيام دولة إسرائيل في ١٩٤٨/٥/١٥ بل وما بعدها، ومع ذلك فقد قام اليهود بالعديد العديد من العمليات الإرهابية ضد القوات البريطانية في فلسطين، ونسفوا مقر الحكومة في فلسطين الذي كان مقامًا في فندق الملك داود، وقاموا بالعديد من الأعمال الإرهابية لليد التي أحسنت إليهم علىٰ مدىٰ قرون كاملة، مما سيأتي ذكر أمثلة له من الأعمال الإرهابية اليهودية ضد بريطانيا العظمىٰ.

جابوتنسكي

وكان جابوتنسكي مؤسس منظمة أرجون الإرهابية يعمل مستقلاً عن المنظمة الصهيونية العالمية منذ بداية الثلاثينات من القرن العشرين، وذلك لأن المنظمة في وجهة نظره لم تتخذ الإرهاب والعنف وسيلة في ذلك الوقت المبكر سبيلاً لتحقيق أهدافها، وكان هو مقتنعًا بأن لا سبيل سوىٰ العنف بينما ترىٰ المنظمة أن هناك وسائل أخرىٰ متعددة تستطيع بها أن تحقق الاستيلاء علىٰ الأراضي الفلسطينية بواسطة الانتداب البريطاني دن اللجوء إلىٰ العنف، وأن تتحمل بريطانيا وجيشها مهمة الدفاع عن اليهود في تلك الفترة المبكرة، إذ أن العرب الفلسطينيين سيضطرون لمقاتلة جنود الاحتلال الذين يقفون لهم بالمرصاد، وهم الذين ينتزعون منهم الأراضي ويعطونها اليهود، ولم يكن في نظر المنظمة الصهيونية العالمية من مصلحة اليهود أن تقوم بأعمال إرهابية في تلك الفترة المبكرة، إذ أن عليها أولاً أن تبني قواها الإدارية والتنظيمية، وأن تقيم مئات بل آلاف المستوطنات والكيبوسات، وأن تستعدَّ بالتدريب العسكري، وبالفعل أقامت الهاجاناه التي تحولت فيما بعد إلىٰ جيش الدفاع الإسرائيلي، ولكن ذلك كله لم يقنع جوبوتنسكي مما جعله ينسحب من المنظمة الصهيونية العالمية في نسيان (ابريل) ١٩٣٥، وفي أيلول (سبتمبر) من نفس العام عقد أول مؤتمر لأنصاره في فينّا تحت اسم «المنظمة الصهيونية الجديدة» وتضمَّن برنامجها ما يلي:

١ ـ إقامة دولة يهودية في فلسطين تمتدُّ عبر الأردن علىٰ أساس وروح التوراة (أي علىٰ أساس ديني واضح).

٢ ـ تصفية المهجر اليهودي، وإجلاء اليهود من شرق ووسط أوربا حيث كان يقيم أكثر من خمسة ملايين يهودي وترحيلهم جميعًا إلىٰ فلسطين، ووضع خطة أولية لترحيل ١,٥ مليون خلال عشر سنوات.

٣ ـ تكوين أغلبية يهودية علىٰ كلتا ضفتي نهر الأردن، ورفض تقسيم فلسطين بين العرب واليهود (وهو ما كانت تنادي به بعض المنظمات الدولية)، واعتبار الأردن وجنوب لبنان والجولان وجبل الشيخ جزءًا من إسرائيل. (سياسة التوسع الإسرائيلية).

وعند نشوب الحرب العالمية الثانية، أعلنت المنظمة الصهيونية الجديدة تأجيل العنف ضد السياسة البريطانية في فلسطين، وعمَّقت نفوذها في الولايات المتحدة، واستخدمت ذلك النفوذ للضغط علىٰ بريطانيا لإنهاء الانتداب بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة، بل وحتىٰ قبل انتهاء الحرب، فعندما زار ونستون تشرشل الولايات المتحدة عام ١٩٤٣، والحرب العالمية لم تنتهِ بعد، تقدَّمت المنظمة الصهيونية بمذكرة إلىٰ تشرشل تطالبه فيها بأن تتخلىٰ بريطانيا عن انتداب فلسطين، وأن تسلّم مناطق الانتداب لليهود ليقيموا عليها دولتهم، وقد أيّدت المذكرة مجموعات ضغط أمريكية بما فيها أعضاء من الكونجرس الأمريكي.

وعند سفر الرئيس ترومان إلىٰ مؤتمر بوتنسدام في يوليه ١٩٤٥ عند نهاية الحرب العالمية الثانية، قدمت المنظمة الصهيونية الجديدة مذكرة موقعة من مائة عضو من أعضاء الكونجرس الأمريكي، تطالب بإعلان فلسطين في حدودها التاريخية (شاملة الضفة الشرقية من نهر الأردن

وأجزاء من سوريا وجنوب لبنان والجولان وسيناء) دولة يهودية.

ودعمت منظمات كثيرة في الولايات المتحدة الأمريكية المنظمات اليهودية المتطرفة مثل منظمة بيتار والأرجون وشتيرن والإيتسل، وضغطت علىٰ بريطانيا من أجل إعادة فتح باب الهجرة الذي أقفلته بريطانيا أو علىٰ الأقل حدَّت منه في كتاب مكدونالد الأبيض الذي سبق توضيحه[(١)] وفيه: «أنه بعد السماح لخمسة وسبعين ألف مهاجر يهودي بدخول فلسطين في مدىٰ خمس سنوات (من عام ١٩٣٩ إلىٰ عام ١٩٤٤) ينبغي أن توقف الهجرة اليهودية»، وطالبت هذه المنظمات الأمريكية الصهيونية بريطانيا بإنهاء الانتداب، وإعطاء اليهود الحق في تكوين دولتهم المستقلة!! وقد تكونت ست منظمات أمريكية في الولايات المتحدة فيما بين ١٩٣٩ - ١٩٤٨ لمساندة المنظمات العسكرية الإرهابية اليهودية في فلسطين!! ومن تلك المنظمات واللجان: اللجنة العسكرية من أجل تكوين جيش يهودي، وهي لجنة عسكرية أمريكية تمد المنظمات الصهيونية بالعتاد والرجال والتدريب العالي للقتال.

ومنها صندوق دعم المقاومة الصهيونية ضد بريطانيا والفلسطينيين، وذلك للتسريع بانسحاب بريطانيا من فلسطين وإنهاء الانتداب، ولو أدىٰ ذلك إلىٰ قتل مجموعة من البريطانيين حلفاء الولايات المتحدة!!

ومنها الرابطة الأمريكية من أجل قيام دولة يهودية حرة في فلسطين.

وعندما تحولت المنظمة الصهيونية العالمية إلىٰ استخدام الإرهاب

---

(١) انظر الثورة من ١٩٣٦ - ١٩٣٩ وكتاب مكدونالد الأبيض، ص٢٨٥ من هذا الكتاب.

باعتبار الوقت قد صار ملائمًا لذلك، وتنفيذ ما كان يطالب به جابوتنسكي، اتخذت منظمة جابوتنسكي (المنظمة الصهيونية الجديدة) قرارًا بالعودة إلىٰ أحضان المنظمة الأم لأنها أصبحت تنادي بالإرهاب وسيلة لتحقيق قيام الدولة اليهودية، ولم يكن الإرهاب مقتصرًا علىٰ قتل الفلسطينيين نساءً وأطفالاً، رجالاً وشيوخًا، بل تعداه إلىٰ الجنود والموظفين البريطانيين الذين تلكؤوا في تنفيذ الانسحاب، واستمروا في حكم فلسطين تحت الانتداب، واستطاعت الصهيونية بمنظماتها العديدة أن تتحول من الرعاية البريطانية التي استمرت عدة قرون إلىٰ الرعاية الأمريكية المستمرة حتىٰ يومنا هذا.

مناحيم بيجن يتولىٰ قيادة الأرجون

وقد تولىٰ مناحيم بيجن (رئيس وزراء إسرائيل فيما بعد وزعيم حزب الليكود وهو الذي وقَّع اتفاق السلام مع السادات في كامب دافيد عام ١٩٧٨ ونال بذلك جائزة نوبل!!) رئاسة منظمة الأرجون الإرهابية بعد وفاة أستاذه جابوتنسكي، ومناحيم بيجن هو الذي قام مع إسحاق شامير رئيس عصابة شترن الإرهابية بنسف فندق الملك داود في القدس في ١٩٤٦/٧/٢٢، والذي كان فيه مقر سكرتارية حكومة الانتداب وجزء من القيادة العسكرية البريطانية العامة في فلسطين، ونتج عن ذلك الانفجار المروع قتل أكثر من مائة شخص من كبار موظفي دولة الانتداب، وأغلبهم من البريطانيين وفيهم عدد من العرب وبعض اليهود.

ومناحيم بيجن نفسه هو مدبر مذبحة دير ياسين التي تمت في نيسان (ابريل) ١٩٤٨ والتي تقع علىٰ بعد ميل ونصف عن القدس والتي راح

ضحيتها ثلاثمائة شخص من المدنيين العزل وأغلبهم من النساء والأطفال والشيوخ، وقد وصف دي رينيه رئيس بعثة الصليب الأحمر الدولي في فلسطين مجزرة دير ياسين فقال: «وقع ثلاثمائة شخص ضحية للذبح والتنكيل دون أي سبب عسكري أو استفزاز، ذُبح الشيوخ والنساء والأطفال والرضع بوحشية علىٰ أيدي الجنود واليهود من منظمة الأرجون الذين استخدموا القنابل اليدوية والسكاكين لتنفيذ جريمتهم، وذلك بتوجيه رؤسائهم».

وقال الصحفي اليهودي جون كمحي عن هذه المذبحة: «إنها أسوأ لطخة في السجل اليهودي، وإن الإرهابيين اليهود قد دبروا هذه المذبحة لأنها أدَّت إلىٰ ذعر وهرب الآلاف من العرب من ديارهم وتركها للدولة اليهودية».

وقال دوف جوزيف الذي أصبح فيما بعد وزيرًا للعدل في دولة إسرائيل: «إن مذبحة دير ياسين هجوم متعمد جرىٰ بدون أي استفزاز».

وقد اعترف بيجن نفسه في مذكراته بأنه هو الذي قام بهذه المذبحة ودبَّرها وأنه يفتخر بذلك، وقال: «لقد كان لهذه المذبحة ما يبررها، ليس هذا فحسب، بل لولا الانتصار في دير ياسين لما كان هناك ما يسمىٰ بدولة إسرائيل»، وقد صدق فدولة إسرائيل قامت علىٰ الإرهاب وسفك الدماء وقتل الأبرياء، وكان اليهود ينادون العرب بمكبرات الصوت بعد مذبحة دير ياسين: إن الطريق إلىٰ أريحا ما زالت مفتوحة، اهربوا من القدس قبل أن يحلَّ بكم القتل»، «وأخذ العرب يفرُّون» كما يقول مناحيم بيجن: «والقوات اليهودية تتقدم نحو حيفا كتقدم السكين في الزبد».

وقال محرر النيوز ليتر News Letter اليهودية الصادرة في نيويورك ويليام زوكرمان: «إن هروب عرب فلسطين بعد مذبحة دير ياسين، والذي خلق مشكلة اللاجئين لم يكن عملاً عفويًا بل عملاً مخططًا أحكمت منظمة الأرجون حلقاته بأعصاب باردة، مع تعاون تامٍّ مع الهاجاناه والوكالة اليهودية في ذلك الوقت».

وقد أدىٰ الرعب النفسي للمذبحة ونشر أخبارها علىٰ نطاق واسع لدىٰ الفلسطينيين إلىٰ نزوح وهجرة ثلاثمائة ألف فلسطيني من ديارهم وأراضيهم وتحولهم إلا لاجئين، وذلك يعتبر مكسبًا رائعًا بالنسبة للحركة الصهيونية ككل ولحركة الأرجون علىٰ وجه الخصوص، وهو من الأعمال التي ظل مناحيم بيجن يفتخر بها حتىٰ نهاية حياته.

ونشرت صحيفة إيديعوت أحرانوت في عددها الصادر ١٩٧٢/٤/١٤ تقريرًا عن ما يسمونه حرب الاستقلال وفيه أن مجموعة البالماخ والأرجون وعصابة شتيرن قامت بعدد من المذابح المشابهة لدير ياسين.. «ففي الأشهر الأولىٰ من حرب الاستقلال قام جنود الهاجاناه والبالماخ بعشرات من العمليات من هذا النوع (المشابهة لعملية دير ياسين)، أما الأسلوب المتبع فكان يتمثل في الإغارة علىٰ إحدىٰ قرىٰ العدو ونسف أكبر عدد من منازلها، وقتل الكثيرين من الشيوخ والنساء والأطفال لإثارة الرعب، حتىٰ ولو لم توجد مقاومة»، وتورد الصحيفة عددًا من الأمثلة: «ففي قرية بلد الشيخ تم قتل أكثر من ستين شخصًا من النساء والأطفال والشيوخ، وقرية سعسع التي نُسِفَ فيها عشرون منزلاً وقتل من سكانها ستون عربيًا معظمهم من النساء والأطفال، ومعركة حي القطمون في القدس حيث تم

قتل النساء العربيات (المسيحيات) اللاتي كن يعملن في دير القديس شمعون (سايمون) كما تم قتل عدد من الراهبات، وفي مدينة اللّد فتح جنود منظمة يفتاح نيرانًا غزيرة علىٰ المارة العرب وقتلوا أكثر من ٢٥٠ عربي من المتظاهرين، كما كانت هناك هجمات عشوائية انتقامية علىٰ وسائل المواصلات المدنية العربية التي قتل فيها الكثير من المواطنين العرب الأبرياء.

ويقول الرائد ادجار أوبلنس: «كانت سياسة اليهود هي تشجيع العرب علىٰ هجر ديارهم وقراهم، واستعملوا الحرب النفسية علىٰ نطاق واسع لحملهم علىٰ القيام بذلك، ولو بالقوة، وقد نجحت هذه السياسة نجاحًا مذهلاً، وأدت إلىٰ خلق مشكلة اللاجئن للدول العربية، كما أدت إلىٰ عدم وجود طابور خامس وسط اليهود».

مذبحة الحولة(١)

تقع بلدة الحولة (الحولا) في أقصىٰ الجنوب اللبناني، علىٰ إحدىٰ تلال جبل عامل المحاذية للأرض الفلسطينية، وقد قامت القوات الإرهابية الإسرائيلية بمذبحة الحولا ضمن سلسلة من المذابح في الأراضي الفلسطينية والتي امتدت شمالاً إلىٰ جنوب لبنان، وقد تمت

(١) نشرت صحيفة الحياة اللندنية في عددها الصادر ٢٠٠٠/١١/١ العدد رقم ١٣٧٤٨ تحقيقًا مفصلاً عن مذبحة الحولا وحاورت فيه شخصين ممن نجوا من المذبحة حسن عبد الله مزرعاني (أبو شوقي) وحسين رزق (أبو فهد) وزوجته، ومن هذا التحقيق نقلنا معظم المعلومات المذكورة أعلاه.

المجزرة في صباح يوم ١٩٤٨/١٠/٣١ عندما دخلت القوات الإسرائيلية القرية، وقتلت ٧٠ شخصًا بدون وجود أي مبرر بدم بارد.

وتقول المصادر إن مجزرة حولا ارتكبت ضمن عملية «حيرام» (والمقصود بذلك عمليات تحريم أي إبادة لكل السكان الفلسطينيين من أجل إرعابهم وتفريغ فلسطين منهم) وقد تمت هذه العملية بالذات في الجليل الفلسطيني والجنوب اللبناني لتنظيف المنطقة، وقتل وتهجير أكبر عدد ممكن من سكانها.

وقد جاء في كتاب حرب فلسطين ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ الرواية الرسمية الإسرائيلية ما يلي: «كان هدف عملية حيرام إبادة العدو في هذه المنطقة من الجليل الأوسط والسيطرة عليها، وتثبيت خط دفاعي على طول حدود الانتداب الشمالية لأرض إسرائيل، وبدأت العملية في ليل ٢٨ ـ ١٩٤٨/١٠/٢٩ واستغرق إنجازها ستين ساعة»، وتستدعي عملية حيرام ارتكاب مجازر فظيعة في بعض البلدات الفلسطينية واللبنانية، من بينها حولا، ولم تكن حولا هي المجزرة الوحيدة في عملية حيرام بل سبقتها وتلتها مجموعة من المجازر مثل مجزرة الصفصاف، ومجزرة سعسع، ومجزرة البعنة، ومجزرة نحف، ومجزرة دير الأسد، ومجزرة عيلبون، ومجزرة المالكية، ومجزرة صلحة، وقد تم احتلال ١٤ قرية حدودية لبنانية ضمن هذه الخطة، وتمَّ تهجير سكانها، ولم يعودوا إليها إلا بعد توقيع اتفاقية الهدنة بين لبنان وإسرائيل في ٢٣ آذار (مارس) ١٩٤٩م.

وقد ذكر أحد الناجين من مجزرة حولا وهو حسين رزق (أبو فهد) أن المنطقة شهدت قبل المذبحة تراشقًا لإطلاق النار بين اليهود الذين

كانوا يعتدون علىٰ مزارع أهل الحولا وكرومهم وبين أهالي البلدة، وخاصة أن مجموعة ما يسمىٰ جيش الإنقاذ كانت موجودة في المنطقة، وسقط من أهالي الحولة في هذه المناوشات خمسة شهداء بينهم امرأة، ثم فجأة انسحبت مجموعة جيش الإنقاذ، ولم يعرف سبب انسحابها، وقد روج الإسرائيليون أن مجموعة من المسلحين اليوغسلاف المسلمين سيحلون محل جيش الإنقاذ، ولذا لما هجم الجيش الإسرائيلي، ظن الأهالي أول الأمر أنهم من اليوغسلاف المسلمين فرحبوا بهم ودلوهم علىٰ طريق القرية.. ثم فوجئ أهل القرية بأنهم قاموا بالترحيب بالجيش الإسرائيلي.. ولهذا لم يتمكن من الفرار إلا عدد قليل كان في الحقول.. وقام اليهود باعتقال السكان وقسموهم إلىٰ مجموعات: الشباب في بيت والنساء والأطفال في بيت والشيوخ في بيت، وكان أبو فهد من ضمن الشباب والرجال، وبدأ الجنود المشرفين بإطلاق الرصاص، ثم فجروا البيت بكامله.. وكان أبو فهد ضمن الذين أطلقت عليهم الرصاصات ولكنه أصيب ولم يمت، وبعد جهد تمكن من الخروج والفرار.. واستطاع أحد أفراد قريته الفارين أن يحمله بعيدًا إلىٰ مجدل سلم ومنها إلىٰ مستشفىٰ خاص في صور حيث تمَّ معالجته.

ويعترف ديفيد بن جوريون في مذكراته بهذه المذابح ويقول عن عملية «حيرام»: «لقد حدثت في الجليل أعمال شاذة تقشعرُّ لها الأبدان (تصور هولها وفظاعتها بحيث أن جلد بن جوريون وضميره الميت يقتشر لها) وهي تتعلق بأعمال فظيعة ارتكبها الجنود في الجليل».

❊ ❊ ❊

مذبحة الدوايمة

وفي في منطقة الجليل ومن ضمن المذابح التي اقشعرَّ لها جلد بن جوريون (رغم أنه هو الذي أمر بها) فقد لجأ مائتا شخص أغلبهم من كبار السن الذين لم يستطيعوا الفرار، إلىٰ مسجد قرية الدوايمة.. وهجم عليهم اليهود فأبادوهم عن بكرة أبيهم ثم فجروا المسجد ليكون قبرًا لهم.

وقد ذكر البروفسور إسرائيل شاحاك (وهو كيميائي من رعيل بن جوريون، ولكنه حي الضمير بالمقارنة مع الآخرين) العديد من هذه المجازر وأدانها بصراحةٍ في العديد من كتبه، بل وأدان إسرائيل التلمودية التي تتكوَّن أمام ناظريه.. وهي مبنية كما يقول علىٰ التعصُّب واحتقارِ جميع الجوييم (أي غير اليهود) وإبادتهم واستلاب أراضيهم وأموالهم وكل ما هو لهم.

ويقول شاحاك أن حاخامات الجيش الإسرائيلي (الهاجاناه) كانوا يدعون إلىٰ قتل المدنيين والعزل والنساء والأطفال، ويستشهدون بمقاطع من سفر يوشع ومن الأسفار الأخرىٰ، وتعاليم التلمود والتي تنادي بقتل الجميع: النساء والأطفال مع الشيوخ والعجزة فضلاً عن الشباب والرجال القادرين علىٰ القتال، وينقل شاحاك عن الحاخام المقدم ابراهام أفيدان، رئيس حاخامات القيادة المركزية نداءه الذي يقول فيه: «عندما تواجه قواتنا المدنيين أو أثناء شنِّ الغارات فإن هؤلاء المدنيين يجب أن يقتلوا حسب قوانين الهالاكاه في التلمود»، ويقول أن تعاليم التوسوفات Tosa Fat (وهي تعاليم التلمود المتأخرة) تقول: «في زمن الحرب، وعندما يهاجم الجنود الإسرائيليون العدو فإنه يجب علىٰ الجنود الإسرائيليين أن يقتلوا

المدنيين المطيعين والمسالمين، وتقول تعاليم التلمود: «اقتل أحسن الكفرة واقتل الصالح من غير اليهود، كما يجب عدم منح الثقة لأي كافر (أي غير يهودي) حتىٰ ولو كان مسالمًا ولا يؤذي جنودنا، بل يجب قتله علىٰ الفور»، وينتهي إلىٰ القول: «تشير مصادرنا بوضوح إلىٰ أنه لا ينبغي الوثوق بالكافر (غير اليهودي) مهما كان تقدُّميًّا أو متحضِّرًا، ولهذا ينبغي أن يعاملوا كأعداء يجب قتلهم».

ويصف الصحفي دافيد هيرست الإرهاب الإسرائيلي المتكرر قبل وبعد إنشاء دولة إسرائيل فيقول: «إسرائيل قامت علىٰ الإرهاب واستمرأت الإرهاب، ولم تتوقف عن الإرهاب، وإن كان بأساليب مختلفة فقد اختفىٰ الإرهاب السري الذي كان سائدًا قبل ١٩٤٨ ليحل محله إرهاب الدولة التي تقوم بشنِّ حملات الذي يقوم علىٰ هدم مساكن الفلسطينيين والاستيلاء علىٰ مزارعهم وقُراهم وتفريغها منهم، ولا يزال مستمرًّا علىٰ ذلك إلىٰ اليوم».

وتمجد إسرائيل إرهابيها ومنهم مارسيل نينو اليهودية المصرية التي قامت في سنة ١٩٥٤ بالاشتراك مع عملاء إسرائيليين بوضع قنابل في المؤسسات الأمريكية في القاهرة والإسكندرية بهدف إساءة العلاقات العربية الأمريكية التي كانت آخذ في التحسن، وقد تم إلقاء القبض علىٰ هذه العصابة وتم اعتقال مارسيل والعملاء الآخرين، ولكن مارسيل عادت إلىٰ إسرائيل كبطلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ في عملية تبادل للأسرىٰ، وعند عودتها أقيم لها احتفال رسمي وخاطبتها جولدا مايير (رئيسة وزراء إسرائيل) وموشي ديان (وزير الدفاع) بإضفاء لقب البطلة الإسرائيلية عليها.

كما أن إسرائيل سعت لاستعادة جثة الإرهابِيَّيْن اللذَيْن قتلا اللورد موين في القاهرة سنة ١٩٤٤، وقد تمت الاستعادة في عام ١٩٧٥ في عملية تبادل الأسرىٰ، وقامت الدولة رسميًا بتكريم جثمانهما عند وصوله إلىٰ إسرائيل.

ويقول المؤرخ البريطاني المشهور سير أرنولد توينبي في كتابه «دراسة التاريخ» عن اضطهاد اليهود العرب وما قاموا به من مذابح:

«كان رد الفعل الفوري لليهود تجاه ما عانوه من مجازر واضطهاد، هو أنهم أنفسهم أصبحوا الذين يضطهدون غيرهم، وذلك لأول مرة منذ عام ١٣٥ (عندما طردهم هادريان من فلسطين) وقد فعلوا ذلك في أول فرصة أتيحت لهم، فأنزلوا بأناس آخرين ممن لم يتسببوا في إيذائهم أبدًا، بعض المصائب والآلام التي كانت قد نزلت بهم، لا لشيء سوىٰ أنهم كانوا أضعف منهم، ففي عام ١٩٤٨ كان اليهود يعملون، بسبب من تجاربهم الذاتية، مدىٰ ما كانوا يقومون به من اضطهاد لغيرهم، إلا أن مأساتهم الكبرىٰ تتمثل في أن الدرس الذي تعلموه من صدامهم مع النازيين، كان انكبابهم علىٰ تقليد الشرور التي ارتكبها النازيون ضدهم، وذلك بدلاً من محاولة تجنبهم لهذه الشرور».

ويقول في موضع آخر من نفس الكتاب: «إذا كان ينبغي قياس بشاعة الإثم، فإن عذر اليهود في طرد عرب فلسطين من بيوتهم عام ١٩٤٨ أقل حتىٰ من عذر نبوخذ نصر (البابلي الذي طرد اليهود من فلسطين عام ٥٨٦ ق.م) وتيطوس (الروماني الذي هدم أورشليم وذبح اليهود سنة ٧٠ بعد الميلاد) وهادريان (الروماني الذي ذبح اليهود وطردهم من أورشليم طردًا

أبديًا سنة ١٣٥ بعد الميلاد)، ومحاكم التفتيش الإسبانية والبرتغالية (في القرون الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر الميلادية التي اضطهدوا فيها اليهود) في اقتلاع اليهود واضطهادهم في أوقات مختلفة من الماضي، ففي عام ١٩٤٨ بعد الميلاد كان اليهود يدركون من خبرتهم الشخصية ما الذي كانوا يفعلونه، ولقد كانت مأساتهم الكبرىٰ هي أن الدرس الذي تعلموه من اصطدامهم بالنازيين لم يحملهم علىٰ تجنب الأفعال الشريرة التي ارتكبها النازيون ضد اليهود بل علىٰ تقليدها».

وهو كلام واضح في اتهام اليهود بأنهم نازيون في أفعالهم مع الفلسطينيين، ولا يقلون بحالٍ عما فعله هتلر بهم، وقد ألقىٰ توينبي محاضرة في جامعة ماكجيل بمونتريال في كندا عن موضوع اضطهاد اليهود للفلسطينيين، وقال فيها: «كانت معاملة اليهود للعرب شبيهة بالمجزرة التي أوقعها النازيون بستة ملايين يهودي».. ثم قال: «إن أشد ما هو مفجع في الحياة البشرية هو أن ينزل شعب قد عانىٰ من الآلام، مثل هذه الآلام بغيره من الشعوب».

ولما اعترض السفير الإسرائيلي في كندا علىٰ هذا التشبيه لإسرائيل بألمانيا النازية وقال إن اليهود لم يقتلوا الملايين من العرب وإنما بضعة مئات أو الآلاف علىٰ الأكثر ضمن حرب استقلال وتحرير وبناء للوطن وأرض الميعاد ردَّ عليه توينبي قائلاً: «ما زلت أشعر بأن المذابح التي نزلت بالمدنيين العرب علىٰ أيدي القوات الإسرائيلية المسلحة قد نُفِّذت بدون استفزاز، وذلك للوصول إلىٰ هدف معين، من المستحيل أن يكون المرء شريرًا مائة بالمئة، فجريمة القتل هي جريمة القتل، وإذا قتلت أنا

رجلاً واحدًا أصبحت بذلك قاتلاً، إذ لا يتطلب الأمر أن يصل مجموع من أقتلهم إلىٰ ستة ملايين أو حتىٰ إلىٰ ألف لكي أوصف بهذه الصفة».

وهو ردٌّ حاسم في أن من يقتل نفسًا بدون وجه حق فكأنما قتل الناس جميعًا، وهو نفس ما جاء في القرآن الكريم وأنه مكتوب علىٰ بني إسرائيل كذلك، قال تعالىٰ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

وقال توينبي أن اليهود قد حصلوا علىٰ معظم الأراضي في فلسطين عن طريق تجريد العرب من ممتلكاتهم، ثم قال: «بصراحة، إنها سرقة، وأنا متيقن أن الضمير اليهودي يعاني (الواقع أن الضمير اليهودي ميت ما عدا عند أفراد محدودين جدًا) إن ما قلته قد يصدم اليهود صدمة علاجية خفيفة، فقد قلت بصوت مرتفع الشيء ذاته الذي يدور في ضمائركم، وأقول لكم: أصغوا إلىٰ الأصوات التي تتحدث إليكم من داخل نفوسكم».

وبالفعل هناك أصوات قليلة ضمن هؤلاء اليهود الذين ماتت ضمائرهم منذ زمن التلمود وتعاليم التوراة المحرفة التي تأمر بقتل النساء والأطفال والصالح من غير اليهود ومن هؤلاء الحاخام بنيامين الذي قال: «لا بد في النهاية من أن نخرج إلىٰ الناس، ونعلن الحقيقة، وهي أنه ليس لنا أي حق أخلاقي في معارضة رجوع اللاجئين العرب إلىٰ بلادهم وديارهم، وأنه ليس لنا حق في تجميع اليهود من أصقاع الدنيا إلىٰ فلسطين إلا بعد أن نكون قد كفّرنا عن خطيئتنا ضد اللاجئين العرب،

وليس لنا حق في مطالبة يهود أمريكا بهجر البلاد التي ارتبطوا بها والاستقرار في بلاد سُرقت من الآخرين (أي فلسطين) هذا بينما أصحابها (الفلسطينيون) بلا مأوىٰ وبائسين».

ويذكر أنه لا حق لليهود في البيوت والورش والمزارع التي استولوا عليها من العرب الفلسطينيين لأن ذلك هو السرقة بعينها، «وإنني لمندهش لموافقة الحاخام هيرزوج علىٰ مثل هذه الأمور هو وكل الذين يتحدثون باسم الأخلاق اليهودية ويذكرون الوصايا العشر».

ويقول محرر الجيوش نيوز ليتر (اليهودية النيويوركية): «إن هرب اللاجئين العرب هلعًا بسبب خطر حقيقي أو متخيل، لا يبرر إطلاقا حرمانهم من بيوتهم وحقولهم ووسائل معيشتهم..» ويقول: «كيف يمكن لشعب عاش قرونًا طويلة عيش اللاجئين وخبر جميع آلام النفي المُرَّة أن يبدأ بعثه السياسي بإنزال الظلم بغيره من اللاجئين؟ إن أشدَّ جوانب هذه القضية إثارة للأسىٰ لا يتمثل فقط في أن ظلمًا جماعيًا فادحًا قد ارتكب، بل وإن غالبية الإسرائيليين ويهود الشتات يبرِّرونه ويمجدونه باعتباره عملاً من أعمال العزة والعدالة والبطولة».

ونشرت صحيفة نيوزليتر اليهودية في ١٩٦٦/٥/١ مقالاً بعنوان «رسول من إسرائيل» جاء فيه: «إننا نتساءل والألم يملأ نفوسنا: هل لإسرائيل الحق في الجلوس في مقعد القاضي، وهي التي ظلت مدة ١٣ سنة تفرض النفي والبؤس علىٰ مئات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال لا لذنب اقترفوه، بل لمجرد كونهم عربًا؟ إسرائيل التي حرمت سكانها العرب من حقوقهم الإنسانية الأولية، وصادرت معظم أراضيهم، وهي

إلىٰ ذلك تجبرهم إلىٰ استجداء التصاريح لكل حركة يقومون بها داخل البلاد، إسرائيل التي اقترفت مذابح قبية وغزة وكفر قاسم وقامت بهجماتها الوحشية علىٰ مصر، إن قادة إسرائيل وصحفييها يشجبون أشد الشجب أولئك الألمان الذين التزموا الصمت خلال العهد النازي الوحشي، حتىٰ إنه ليقال أن المتحررين واليساريين الألمان قد كانوا نازيين، ولكن ما هي الطريقة التي يتصرف بها يهود إسرائيل؟ أليسوا مؤيدين للأعمال اللاإنسانية التي تقترفها حكومتهم؟ وهل هناك العديد من البيوت في إسرائيل خالية من الممتلكات العربية؟ أولا تقوم الكيبوتسات ببناء الاشتراكية فوق ما انتهبوه من الأراضي العربية؟ يا له من منظر رائع أن يجلسوا في مقاعد القضاء وفي مدينة الأنبياء (القدس) وتحت أبصار الإنسانية!!؟

٤ ـ حركة همزراحي (المركز الروحاني):

شعارها: «أرض إسرائيل لشعب إسرائيل وفق شريعة إسرائيل» أغلب عناصرها من يهود أوربا الشرقية حيث تأسست، وبدأت تنشط في فلسطين عن طريق منظمتها «هبوعيل همزراحي» أي العامل المتدين، في مجال الاستيطان، وأسست مستوطنة «موشاف» التعاونية ومستوطنة جماعية «كيبوتس» وذلك في الثلاثينات من القرن العشرين وازداد نشاطها في الأربعينات.. وتركز نشاطها في استيعاب ما يسمىٰ بهجرة الأولاد وإيوائهم في المدارس الدينية والزراعية التابعة للحركة، وتحالفت مع الماباي.

٥ ـ حركة أجودات يسرائيل:

أقامت مجموعته من المستوطنات بأموال الصندوق القومي اليهودي «كيبوتس حافتس حاييم» وكونوا حزبًا للعمال كما انضم كثير من أفراد هذه المنظمة إلىٰ الهاجاناه العسكرية الإرهابية.. وكان لحركة أجودات دور في تربية اليهود المستوطنين علىٰ روح الكراهية والحقد ضد ما هو كل عربي وفلسطيني.

٦ ـ حزب بوعالي تسيون (عمال صهيون):

استخدمت المفاهيم الماركسية المطعمة بالصهيونية العنصرية الدينية، وتركزت جهودها علىٰ تهجير فقراء اليهود بالترغيب والترهيب إلىٰ فلسطين حسبما قرر هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية حيث قال: إن فقراء اليهود سيهاجرون في البداية للقيام بالأعمال الجسمانية الشاقة لتهذيب الأرض استعدادًا لاستقبال الميسورين منهم، وسيكون العمل منظمًا علىٰ النمط العسكري، وسيربىٰ الأولاد منذ البداية في الاتجاه المطلوب».

وقد كشف بن جوريون أبعاد الصهيونية العمالية بقوله: «لولا استقطاب جماهير اليهود إلىٰ التراب وإلىٰ العمل اليدوي، لما كان بإمكاننا تحقيق الدولة».

٧ ـ الهستدروت:

تأسس كجهاز نقابي وإداري ضخم مشكلاً دولة داخل الدولة في أيام الانتداب البريطاني، وكانت مهماته المعلنة:

أ ـ توحيد العمال والموظفين من أجل ترتيب الشؤون الاستيطانية والاقتصادية والثقافية وإنشاء كتائب العمل والزراعة.

ب ـ استقبال المهاجرين اليهود وتدبير أعمال وسكن لهم.

جـ ـ تنظيم حراسة وحماية الهاجاناه.

د ـ تدريس اللغة العبرية لجميع العاملين والمستوطنين.

هـ ـ إصدار صحافة مهنية والاتصال مع المؤسسات والنقابات اليهودية داخل وخارج فلسطين.

و ـ تكوين الفصائل العسكرية.

وقد ترأس بن جوريون جهاز الهستدروت لمدة ١٤ عامًا، وتحول حزب الماباي (العمل) المنبثق من الهستدروت إلىٰ أكبر حزب سياسي صهيوني في فلسطين، وكرَّس هيمنته علىٰ مجمل الحياة السياسية فيها قبل وبعد قيام دولة إسرائيل، واستمر بعد ذلك إلىٰ يومنا هذا باسم حزب العمل.

٨ ـ عصابة شتيرن:

وقد انشقت هذه العصابة من منظمة الأرجون الإرهابية وهي أشد منها تعصبًا وإرهابًا، وتولىٰ قيادتها الإرهابي إسحاق شامير الذي تولىٰ رئاسة الوزارة في إسرائيل وقيادة حزب ليكود فيما بعد، وكان إسحاق شامير أحد الذين كان لهم دور في تفجير فندق الملك داود، بل كان هو ومناحيم بيجن المخططين والمنفذين في هذه العملية الإرهابية، كما كانا هما الرأسمين المدبرين لمذبحة دير ياسين وكثير من المذابح التي عانىٰ منها

الفلسطينيون، بل إنهما شاركا في المذابح المدبرة للقوات البريطانية ولعدد من الاغيالات الهامة مثل اغتيال الكونت برنادوت واغتيال اللورد موين البريطاني، وكانت الأمم المتحدة قد عينت الكونت فولكه برنادوت وسيطًا للأمم المتحدة، وعهدت إليه مهمة التوصل إلىٰ تسوية وتنفيذ قرار التقسيم الصادر في ١٩٤٧/١١/٢٩ برقم ١١/١٨١ مع ما يقترحه من تعديلات.

وقام الكونت برنادوت بعد دراسة ميدانية واسعة وقدم الاقتراح التالي إلىٰ الأمم المتحدة:

أ ـ ضم كل النقب أو جزء منه إلىٰ الأردن.

ب ـ ضم كل الجليل الغربي أو جزء منه إلىٰ إسرائيل.

جـ ـ أن تكون القدس بكاملها تحت سلطة الأمم المتحدة.

د ـ أن تكون حيفا ميناء حرًا واللد مطارًا حرًا.

هـ ـ تعود اللد والرملة إلىٰ العرب.

في ١٩٤٨/٩/١٦ قدم الكونت برنادوت مقترحاته للجمعية العامة للأمم المتحدة حول تسوية المشكلة الفلسطينية، وقد لفت نظر الجمعية العامة إلىٰ أن الدولة اليهودية لم تولد بسلام كما كان مأمولاً في القرار ١١/١٨١ الصادر في ١٩٤٧/٩/٢٩، بل ولدت في العنف والدماء، وأكد في تقريره علىٰ حقِّ الفلسطينيين في العودة إلىٰ ديارهم إلا من اختار بنفسه حق التعويض، وقد تحدث عن سلب الممتلكات العربية واستيلاء اليهود عليها، وعن تدمير كبير للقرىٰ العربية دون ضرورة عسكرية، وأنه من الواجب الجليّ أن تعيد الحكومة الإسرائيلية المؤقتة جميع الممتلكات

الخاصة إلىٰ أصحابها العرب، وتعويض الذين دمرت ممتلكاتهم دون مبرر».

لهذا كله دبر إسحاق شامير اغتيال الكونت فولكه برنادوت في اليوم التالي لتقديم تقريره إلىٰ الجمعية العامة للأمم المتحدة أي في ١٩٤٨/٩/١٧ وقد تم اغتيال برنادوت مع مساعده الفرنسي الكولونيل سيرو في القطاع الذي تحتله إسرائيل من مدينة القدس (أي القدس الغربية) علىٰ أيدي رجال يرتدون زي الجيش الإسرائيلي.

وقد اشتركت قوات شتيرن مع قوات الأرجون والهاجاناه في مذبحة دير ياسين المشهورة والتي أدت إلىٰ فرار الفلسطينيين من ديارهم خوفًا من هذه المذابح التي امتدت متتالية علىٰ مدىٰ ستة أشهر والتي أدت إلىٰ طرد ثلاثمائة ألف عربي من ديارهم وأراضيهم بحيث أصبحوا لاجئين، أما مجموع من طرد من سكان فلسطين من ديارهم وأراضيهم وقراهم في عام ١٩٤٨ فإنه يبلغ ٨٥٠,٠٠٠ انتقلوا إلىٰ الأردن ولبنان وسورية وغزة والضفة الغربية وغيرها من البلدان.

العصابات اليهودية تهاجم الإدارة البريطانية وتقوم بعمليات إرهابية

عندما بدأت بريطانيا تتلكأ في تنفيذ المخططات اليهودية أثناء الحرب العالمية الثانية بسبب حاجتها لدعم العرب لها في أثناء الحرب وعدم تحولهم إلىٰ معسكر دول المحور (ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية واليابان) وجاءت بعد الحرب حكومة اتلىٰ العمالية وكان وزير خارجيتها بيفن يرىٰ عدم الإسراع بالهجرة اليهودية حتىٰ لا يغضب حلفاء بريطانيا

من العرب وفي نفس الوقت لم يكن بيفن مغرمًا باليهود كسلفه، بل كان يعتبر العهد القديم نفسه كتاب لا أخلاقي يحث علىٰ الفجور والقسوة والإرهاب.

لهذا كله قامت العصابات اليهودية بالهجوم علىٰ الجنود البريطانيين في فلسطين، كما هاجمت الإدراة المدنية البريطانية، وكان أول عمل إرهابي تقوم به عصابات الأرجون بقيادة بيجن وعصابة شتيرن بقيادة إسحاق شامير هو الهجوم علىٰ فندق الملك داود في القدس والذي كان مقرًا لسكرتارية حكومة الانتداب، كما أن فيه مقرًا لجزء من القيادة العسكرية العامة في فلسطين، وقد وقع ذلك الهجوم الإرهابي الفظيع في ١٩٤٦/٧/٢٢ ونتج عن ذلك الهجوم قتل أكثر من مائة شخص من كبار موظفي الدولة ومن القادة العسكريين وأغلبهم من البريطانيين، وفيهم بعض العرب وأفراد من اليهود.

وفي ١٩٤٤/١١/٦ اغتال مسلحان من عصابة شتيرن وزير الدولة البريطاني اللورد موين Moyane في القاهرة لأنه كان ينادي بسياسة اعتبرت معادية للصهيونية، ولمعارضته الهجرة اليهودية بدون حدود إلىٰ فلسطين عندما كان وزيرًا للمستعمرات في عامي ١٩٤١ و١٩٤٢، وقد صرَّح في مجلس اللوردات في ١٩٤٢/٦/٩ بأن اليهود المعاصرين لم ينحدروا من نسل العبرانيين القدامىٰ، وأنه بالتالي ليس لهم أي حق شرعي في البلاد المقدسة قد تم قتل الجانِيَيْن في القاهرة عام ١٩٤٤، ولكن إسرائيل استعادت رفاتهما سنة ١٩٧٥ في مقابل ٦٠ أسيرًا مصريًا، وقامت الدولة رسميًا بتكريم جثمانهما.

وفي ١٩٤٤/١١/١٧ صرَّح رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل، وهو صهيوني مسيحي شديد التعصب لليهود، في مجلس العموم بقوله: «إذا كانت أحلامنا بشأن الصهيونية ستنتهي في دخان مسدسات القتلة، ومجهوداتنا التي نقوم بها لصالح مستقبلها ستتمخض عن خلق مجموعة من رجال العصابات الذين يستحقون أن يكونوا في ألمانيا النازية، فإنه يجب علىٰ الكثيرين من أمثالي (المتعصبين للصهيونية) أن يعيدوا النظر في الموقف الذي ظللنا متمسكين به دائمًا، وإذا كان هناك من أمل في أن يصبح مستقبل الصهيونية مستقبلاً مفعمًا بالسلام والنجاح فيجب أن تتوقف هذه النشاطات الشريرة، كما يجب القضاء علىٰ أولئك المسؤولين عنها».

وفي ١٩٤٦/١٢/٢٩ اختطف رائد وثلاثة ضباط إنجليز من الجيش البريطاني، وقام اليهود الذين اختطفوهم بجلدهم انتقامًا لجلد إرهابي يهودي.

وفي ١٩٤٧/٧/٣٠ قام اليهود باختطاف رقيبين (شاويشين) بريطانيين وتم شنقهما انتقامًا لإعدام إرهابيين يهوديين، وقد عُلِّقت جثتاهما وكتب علىٰ الجثتين عبارة تقول: «هذا حكم القيادة العليا لأرجون».

وفي ١٩٤٧/٧/٢٤ أصدرت حكومة الانتداب البريطانية إدانة شديدة اللهجة لهذه العصابات اليهودية وقالت إن الوكالة اليهودية ذاتها تقود أعمال العنف ضد بريطانيا من وراء ستار، وبعث المندوب السامي البريطاني في فلسطين برقية إلىٰ وزير خارجية بلاده في مايو ١٩٤٧ يقول فيها: إن الطائفة اليهودية كلها تمتنع عن تقديم أي معلومات أو مساندة للكشف عن هذ العصابات التي تقوم بأعمال العنف والإرهاب.

وفي شهر يوليه ١٩٤٧ قالت حكومة الانتداب البريطانية في مذكرة سلمتها إلىٰ الأمم المتحدة: «إن اليهود يستعملون أسلحة الإرهاب والخروج علىٰ القانون دعمًا لأهدافهم وأطماعهم السياسية، وقد دأب اليهود من عام ١٩٤٥ علىٰ الادعاء بأن لهم الحق في تنفيذ مخططاتهم ولو بالقتل والتخريب والخروج علىٰ القانون، واعتقادهم بأنه لا ينبغي السماح لأي شيء في الوقوف في طريق إنشاء دولة يهودية في فلسطين أو طريق الهجرة إليها».

ولم تكتف المنظمات الصهيونية في الولايات المتحدة بدعم هذه المنظمات الإرهابية بالمال والرجال ولكنها تعدت ذلك إلىٰ تأييد العمليات الإرهابة ضد بريطانيا حليفة الولايات المتحدة في حربين عالميتين وأقرب المقربين لها، فقد نشرت صحيفة الينويورك هيرالد تربيون في عددها الصادر في ١٩٤٧/٥/١٥ مقالاً بعنوان: «رسالة إلىٰ المناضلين (الإرهابيين) اليهود في فلسطين» ومما جاء فيه: «إن يهود أمريكا يؤيدونكم في كفاحكم ضد الاستعمار البريطاني فأنتم أبطالهم وأنتم البسمة التي تعلو وجوههم، والريشة المغروسة في قبعاتهم» ثم قال كاتب المقال: «خلال الألف وخمسمائة عام الماضية قامت كل أمة من الأمم الأوربية بإيذاء اليهود، وهاهم البريطانيون يفعلون الشيء ذاته، إنكم أيها الأبطال أول رد معقول بالنسبة للعالم الجديد (أي الولايات المتحدة الأمريكية) فكلما نسفتم مخزن أسلحة بريطاني، أو دمرتم سجنًا بريطانيًا، أو أرسلتم قطارًا بريطانيًا إلىٰ كبدِ السماء، أو سطوتم علىٰ مصرف بريطاني، أو أطلقتم العنان لبنادقكم وقنابلكم باتجاه الخونة البريطانيين من غزاة وطنكم، فإن

يهود أمريكا يحتفلون بعيد صغير داخل قلوبهم.. إننا نعمل لمساعدتكم ونجمع الأموال لنصرتكم».

وهكذا تحولت بريطانيا التي بذلت كل غالٍ ورخيص في سبيل اليهود منذ القرن السادس عشر الميلادي أي منذ قيام كروموبل بثورته، والتي مكنت للهجرة اليهودية إلىٰ فلسطين منذ القرن التاسع عشر الميلادي.. والتي قامت باحتلال فلسطين وأصدرت وعد بلفور منذ عام ١٩١٧ والتي واجهت في سبيل اليهود غضب العرب والشعوب الإسلامية التي للأسف ناصرت بريطانيا ضد الدولة العثمانية.. وقد واجهت بريطانيا العديد من الثورات في فلسطين وقتل العديد من رجالها منذ احتلالها لفلسطين في ديسمبر ١٩١٧، وبالذات منذ عهد الانتداب ١٩٢٠... وكل تلك التضحيات التي بذلتها بريطانيا من أجل اليهود وإسكانهم في فلسطين، وسرقة أراضي العرب، بل وقتل المئات منهم أثناء الثورات المتعددة وسنِّ القوانين المجحفة في صالح اليهود وتحويل فلسطين إلىٰ منظمات إرهابية يهودية بدعم كامل من رجال بريطانيا وجيشها، وتدريب اليهود علىٰ القتال وإعطائهم العديد من الأسلحة، بل والتغاضي عن سرقة مخازن الأسلحة البريطانية في فلسطين، وتعاون كثير من الضباط الإنجليز مع هؤلاء اليهود ليأخذوا هذه الأسلحة بطريقة غير رسمية، ولكن ذلك كله لم يجدِ فتيلاً مع هؤلاء اليهود ناكري الجميل.. والذين تحولوا إلىٰ عضِّ اليد التي أحسنت إليهم، وهو أمر ليس بالغريب من اليهود، وستلاقي أمريكا نفس المصير، بل إن إسحاق شامير ردَّ علىٰ الولايات المتحدة في صلف شديد عندما ذكرت بعض الصحف الأمريكية أن

الولايات المتحدة قد أنفقت علىٰ إسرائيل أكثر من ٧٠ مليار دولار فقال: إننا نحافظ علىٰ مصالح أمريكا (وهو أمر غير صحيح بل علىٰ العكس يُفقد أمريكا كثيرًا من مصالحها في العالم العربي ويهدد تلك المصالح) بما يزيد عن مائة بليون دولار وعلىٰ أمريكا أن تدفع لنا الفرق إذ الفضل لنا عليها وليس لها علينا الفضل.

ولا غرابة في ذلك، فتعاليم التلمود تقول: «أن أرواح اليهود تتميز عن بقية الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده، وأن أرواح اليهود عزيزة عند الله، أما أرواح غير اليهود فهي أرواح شيطانية، ولو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض ولما خلقت الأمطار والشمس، والفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهودي وباقي الشعوب، وأن غير اليهودي ملك لليهودي فضلاً عن ماله، ويحق لليهودي أن يسرق مال غير اليهودي، والسرقة من غير اليهودي لا تعتبر سرقة بل استردادًا لمال اليهودي إذ العالم كله لم يخلق إلا من أجل اليهود، والخارجون عن دين اليهود خنازير نجسة، وقد خلق الله الأجنبي علىٰ هيئة إنسان ليكون لائقًا لخدمة اليهود الذين ما خلقت الدنيا إلا من أجلهم، والإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، وإذا ضرب أممي (غير يهودي) إسرائيليا فكأنما ضرب العزة الإلّهية، ويستحق الموت، وليس من العدل أن يشفق الإنسان علىٰ أعدائه ويرحمهم، وإذا احتاج الأجنبي بعض النقود فعلىٰ اليهودي أن يغلظ له الربا حتىٰ يعجز عن سداد ما عليه ويتنازل لليهودي عن جميع ممتلكاته، واقتل الصالح من غير اليهود، ومحرَّم علىٰ اليهودي أن ينجّي أحدًا من الأجانب من هلاك أو يخرجه من حفرة وقع فيها، بل عليه أن يسدَّ الحفرة التي وقع فيها الأجنبي

بحجر، والشفقة ممنوعة للأجنبي فإذا رأيته واقعًا في نهر أو مهددًا بخطر فيحرم علىٰ اليهودي إنقاذه، ومن العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر لأن من يسفك دم الأجنبي يُقَرِّب إلىٰ الله قربانًا.. ويجوز لليهودي أن يحلف مائة يمين كاذبة عند معاملته لغير اليهودي وبقية الشعوب، إذ أن اليمين جُعلت لحسم النزاع بين الناس، أما لغير اليهود من الحيوانات فلا اعتبار لها، ويجوز لليهودي أن يشهد زورًا وأن يقسم علىٰ ذلك حسبما تقتضيه مصلحته مع غير اليهودي، وعلىٰ اليهود أن يعاملوا النصارىٰ كحيوانات دنيئة غير عاقلة وأن يستغلوهم ويستفيدوا منهم علىٰ شرط أن يلعن النصارىٰ كل يوم ثلاث مرات، وإن من حكمة الدين وتوصياته قتل الأجانب (غير اليهود) الذين يجب تقديمهم قرابين إلىٰ إلهنا الأعظم».

اليهود يهاجمون ويقتلون الأمريكان

❊ مارسيل نينو

إن هذا أمر غير متصور، ولكنه قد حدث بالفعل، ففي عام ١٩٥٤ قامت إسرائيل بتجنيد مجموعة من إرهابييها وإرسالهم إلىٰ مصر بالاشتراك مع بعض اليهود المصريين، وتولت قيادة المجموعة الإرهابية اليهودية المصرية مارسيل نينو، وقامت هذه المجموعة بالهجوم علىٰ المؤسسات الأمريكية في القاهرة ووضع قنابل فيها مما أدىٰ إلىٰ قتل وجرح العديد من الأمريكان، وكان الهدف من ذلك إلصاق التهمة بالمصريين ونعتهم بالإرهاب وإساءة العلاقات المصرية الأمريكية التي شهدت تحسنًا في تلك الفترة، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ فضح هذه المجموعة، واستطاعت

المخابرات المصرية ورجال الأمن أن يكشفوا هذه العصابة، واعترف أفراد هذه العصابة بجريمتهم النكراء، مما أدىٰ إلىٰ أن تحكم المحاكم المصرية علىٰ بعضهم بالإعدام وعلىٰ آخرين بالسجن المؤبد أو السجن لفترة طويلة، وممن حكم عليه بالسجن مارسيل نينو، وقد بقيت في السجن في مصر إلىٰ ما بعد حرب حزيران ١٩٦٧ عندما تم إطلاق سراحها في عملية تبادل للأسرىٰ، وقد قامت جولدا مايير رئيس وزراء إسرائيل آنذاك ووزير دفاعها موشي ديان باستقبالها رسميًا حين قدومها وأطلقت عليها جولدا مايير لقب بطلة إسرائيل!!

سفينة التجسس ليبرتي وقتل وجرح ١٩٨ بحارًا أمريكيًا

كانت الولايات المتحدة قد أرسلت السفينة ليبرتي لرصد مجريات حرب يونيه ١٩٦٧، وكان الرئيس جونسون المشهور بتعاطفه الشديد مع اليهود عمومًا وإسرائيل خصوصًا، قد قدم دعمًا لإسرائيل يفوق ما قدمه سلفه من الرؤساء، وهذه ظاهرة أمريكية فريدة حيث يقدم كل رئيس أمريكي جديد دعمًا لإسرائيل يفوق ما قدَّمه أسلافه من الرؤساء، لكأنما هم يتبارون فيمن يكون أكثر دعمًا لإسرائيل.

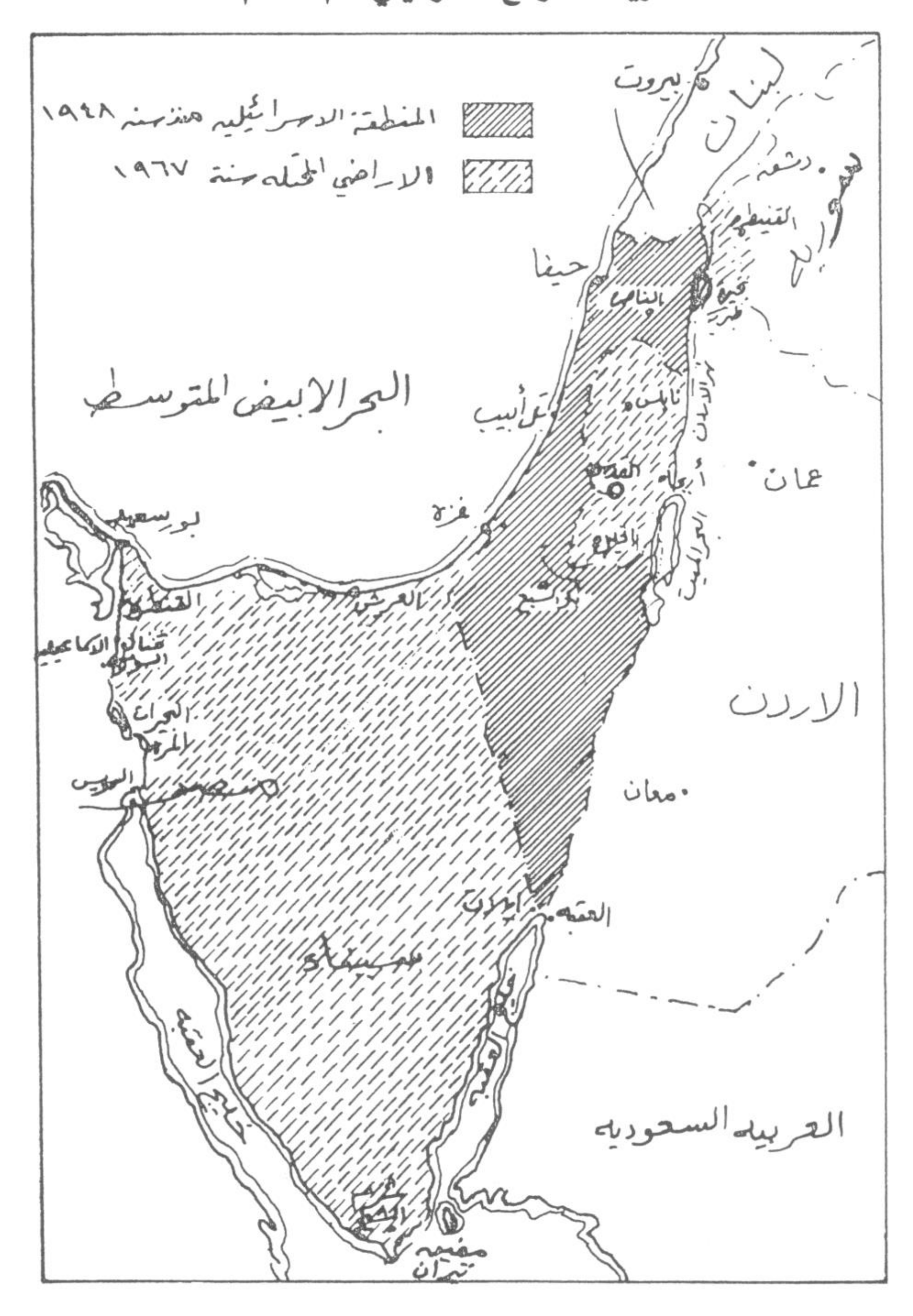
وكان الرئيس جونسون يقول بعد انتهاء حرب يونيه ١٩٦٧ إن ليفي اشكول رئيس وزراء إسرائيل قد خدعه حيث اتفق معه أثناء مقابلته في ١٩٦٧/٦/٥ بأن تؤجل إسرائيل هجومها علىٰ مصر، وأن أمام الرئيس الأمريكي فرصة أسبوعين ليحل المشكلة مع جمال عبد الناصر، وبالفعل اتصل جونسون بالرئيس عبد الناصر وتم ترتيب موعد لسفر نائب الجمهورية

آنذاك زكريا محيي الدين ليقابل الرئيس جونسون في واشنطن في ١٩٦٧/٦/٧ ليحل مشكلة المرور في مضايق تيران، ولكن إسرائيل باغتت الجميع بالهجوم، كما أن الاتفاق الأولي مع جونسون كان علىٰ قيام حرب محدودة مع مصر فقط، ولكن إسرائيل رتبت أمورها علىٰ هجوم مباغت علىٰ الجبهات الثلاث مصر وسوريا والأردن حيث رأت أن الوقت مناسب جدًا لتوسيع رقعة احتلالها إلىٰ ما يسمىٰ إسرائيل التوراتية أو قريبًا منه، وبالفعل استطاعت إسرائيل في هذه الحرب الخاطفة أن تضاعف مساحتها عدة مرات وأن تستولي علىٰ الضفة الغربية بكاملها وغزة والقدس بالإضافة إلىٰ سيناء والجولان. (انظر الخارطة).

وعندما أرسلت الولايات المتحدة سفينة التجسس ليبرتي بأجهزتها المعقدة لمعرفة مجريات الحرب بعد أن وجدت حليفتها إسرائيل تخالف ما اتفقت معها عليه، رأت إسرائيل أن توقف عمل هذه السفينة بأي ثمن.

ورغم أن العلاقات الإسرائيلية الأمريكية كانت علىٰ أحسن ما يرام والدعم الأمريكي لإسرائيل يزداد إلا أن إسرائيل رأت في موقف أمريكا الأخير ما يعرقل تحقيق بعض أهدافها التوسعية، لهذا كله ضربت السفن الحربية الإسرائيلية السفينة ليبرتي في ١٩٦٧/٦/٨ مما أدىٰ إلىٰ قتل ٣٤ بحارًا أمريكيًا وجرح ١٦٤ وتعطيل أجهزة الاستقبال والإرسال.

خريطة التوسع الاسرائيلي عام ١٩٦٧م



وقد استطاعت إسرائيل فك الشفرة السرية المصرية والأردنية والسورية، وتمكنت من إعادة صياغة الرسائل بين مصر والأردن بحيث خدعوا الملك حسين وأبدلوا الرسائل المصرية إلىٰ الملك حسين التي توضح له حقيقة ضياع الطيران المصري وتدميره علىٰ الأرض بينما كانت الرسائل البديلة تزعم له أن مصر قد دمرت ثلاثة أرباع سلاح الجو الإسرائيلي حتىٰ يتورط الحسين في الحرب، وبالتالي تستولي إسرائيل علىٰ الضفة الغربية والقدس الشرقية، أما سوريا فقد تم خداعها أيضًا، ولكن تمَّ إشعارهم بسوء الوضع في سيناء حتىٰ يسارعوا بسحب قواتهم في الجولان كي لا يكون مصيرها مثل مصير القوات المصرية في سيناء.

وهكذا قامت إسرائيل بتدمير السفينة ليبرتي العائدة لصديقتها حكومة الولايات المتحدة وتم قتل ٣٤ بحارًا وجرح ١٦٤ آخرين، وحاولت إسرائيل التنصل من هذه التهمة، ولكن لما تأكدت أن الولايات المتحدة تعرف يقينًا أن الهجوم جاء من السفن الحربية الإسرائيلية الصديقة ادَّعت إسرائيل أن الهجوم حدث خطأ واعتذرت لصديقتها الولايات المتحدة، وقام أصدقاء إسرائيل في الكونجرس والحكومة بلملمة الموضوع وقفل ملفه بأسرع ما يمكن.

التجسس علىٰ الولايات المتحدة

رغم الصداقة الوطيدة التي تربط إسرائيل بالولايات المتحدة، ورغم تبادل المعلومات إلا أن اليهود في الولايات المتحدة يقومون في مواقعهم الحساسة بإرسال المعلومات المهمة والسرية إلىٰ إسرائيل، ونادرًا ما يقع

هؤلاء في قبضة المخابرات الأمريكية لأن إدارة المخابرات نفسها مليئة باليهود، وكان يرأسها في عهد الرئيس كلينتون في رئاسته الثانية يهودي، ورغم ذلك فقد وقع الجاسوس بولارد في الفخ واعترف بإرسال مئات بل آلاف الوثائق السرية والهامة إلىٰ إسرائيل، ولهذا حكمت عليه المحكمة بالسجن مدىٰ الحياة، ورغم الجهود الحثيثة التي بذلتها إسرائيل لتخفيف الحكم أو العفو عن السجن بعد مضي عدة سنوات علىٰ سجنه إلا أن الرئيس كلينتون رغم كل الضغوط لم يستطع أن يطلق سراح بولارد، بسبب عِظَم جرائمه.

وقد اتهم أيضًا مارتن انديك عرّاب سياسة الشرق الأوسط في وزارة الخارجية ونائب وزيرة الخارجية الأمريكية مادلين أولبرايت بأخذ كمبيوتره الشخصي والمحتوي علىٰ بيانات غاية في السرية إلىٰ منزله، وهو أمر تعاقب عليه القوانين الأمريكية إلا أنه استطاع أن يفلت من العقاب، وتم إرساله إلىٰ إسرائيل سفيرًا للولايات المتحدة ليقوم في الواقع بإبلاغها بما يريده مباشرة.

وقد اتُّهم العديد من الشخصيات اليهودية في الولايات المتحدة بالتجسس لصالح إسرائيل أو لصالح الاتحاد السوفيتي، ويكفي في ذلك أن نذكر ج.روبرت أو بنهايمر المشهور باسم أبي القنبلة الذرية، وهو عالم ذري ألماني الأصل هرب منها في بداية العهد النازي إلىٰ الولايات المتحدة وصار له دور هام في صنع القنبلة الذرية حيث تولىٰ في الفترة ما بين ١٩٤٣ و١٩٤٥ إدارة المختبر الذري في لوس ألموس في نيو مكسيكو بالولايات المتحدة حيث أُعدَّت فيه تصاميم أول قنبلة ذرية.

وقد اتُّهم هذا العالم مع زوجته في عام ١٩٥٣ في تسريب أسرار القنبلة الذرية إلىٰ الاتحاد السوفيتي، وكانت علاقة أوبنهايمر وزوجته بالشيوعيين وطيدة، كما أنه عارض صراحة برنامج القنبلة الهيدروجينية، وقد لعب اليهود دورًا هامًّا جدًّا في إضعاف التهمة لأوبنهايمر وزوجته، وقد قامت لجنة أمنية تابعة للجنة الطاقة الذرية بالتحقيق معه ومع زوجته ولكن أطلق سراحه لعدم كفاية الأدلة، وتم إبعاده من الوظائف الحساسة وحرمانه من الوصول إلىٰ المزيد من المعلومات السرية.

إنهاء الانتداب

بريطانيا تضطر إلىٰ إنهاء الانتداب

اضطرت بريطانيا نتيجة الهجمات المستمرة عليها من قوات العصابات اليهودية ونتيجة الغضط عليها من الولايات المتحدة خاصة ودول الحلفاء بصورة عامة، اضطرت بريطانيا إلىٰ أن تنهي الانتداب في فترة مبكرة بالنسبة لها، ففي ١٩٤٧/٢/١٨ أعلن وزير الخارجية (بيفن) في مجلس العموم بأن حكومة جلالته قد وجدت أن الانتداب قد أثبت أنه غير عملي من الناحية التطبيقية، وأن التعهدات المقطوعة للطائفتين (أي العرب واليهود) قد أظهرت أنه لا يمكن التوفيق بينهما، «ولذلك تعلن عزمها عن التخلي عن الانتداب علىٰ فلسطين».

ومع هذا فقد أعلنت بريطانيا لدىٰ مجلس الأمن بأنها ستظل مسوؤلة عن الأمن والنظام حتىٰ يتم انسحابها، وحذرت بأن أي تدخل خارجي (من الدول العربية) في شؤون فلسطين سيواجه بقوة السلاح، وهكذا

سلَّمت بريطانيا اليهود فلسطين بدون ترتيب ولم تحمِ الفلسطينيين بينما أكدت علىٰ حمايتها لإسرائيل حتىٰ يتم قيامها.

وقد آلت واجبات اللجنة الدولية إلىٰ الوسيط الدولي الكونت فولكه برنادوت الذي اغتالته يد الغذر الصهيونية لأنه لم يكن محابيًا لليهود.

وقد وصلت شحنات الأسحلة من تشيكوسلوفاكيا لليهود في شهر مارس ١٩٤٨ مما زاد من الدعم العسكري الذي جعلهم يكونون جيشًا ومليشيات عديدة قوية مسلحة بأحدث الأسلحة ومدربة تدريبًا عاليًا في الجيش البريطاني والجيوش الأخرىٰ التي خدم فيها اليهود في أثناء الحرب العالمية الثانية، وسرعان ما سقطت المدن الفلسطينية الواحدة تلو الأخرىٰ رغم المقاومة الباسلة التي أبداها الفلسطينيون الذين لم يكن لهم من سلاح سوىٰ بعض البنادق القديمة والمسدسات، فسقطت مدينة طبرية في ١٩٤٨/٤/١٨ وتبعتها حيفا في ١٩٤٨/٤/٢١ وفي ١٩٤٨/٤/٣٠ احتلت الهاجاناه حي القطمون في القدس، وفي ١٩٤٨/٥/١٠ سقطت صفد وتلتها بعد ثلاثة أيام حيفا.

وكانت القوات البريطانية تسلم القوات اليهودية كثيرًا من المناطق، بل وتترك لها بعض أسلحتها وعتادها عند الانسحاب في الوقت الذي كانت تمنع فيه العرب من أي تملك للسلاح.

وقامت بريطانيا بتسليم مدينة حيفا مع جميع المعسكرات والأسلحة الموجودة هناك إلىٰ اليهود وذلك في ١٩٤٨/٤/٢٠ بعد أن كانت أعلنت أنها لن تنسحب إلا في الأول من شهر أغسطس (آب) ١٩٤٨، ثم قامت بريطانيا بترحيل الفلسطينيين من ميناء حيفاء علىٰ ظهر سفنها المتواجدة

فيه بحجة حمايتهم من الوجود اليهودي والدفاع عنهم حتىٰ لا يقعوا فريسة للقوات اليهودية التي سلحتها وموَّلتها ودرَّبتها بريطانيا.

ورغم أن بن جوريون وقادة اليهود قد قبلوا قرار التقسيم ١٨١ الصادر في ١٩٤٧/١١/٢٩ إلا أن ذلك كان مجرد تكتيك حتىٰ يتم قبول العالم بقيام دولة إسرائيل، ومن الناحية العملية استولت قوات العصابات اليهودية المدربة علىٰ ٧٧ بالمئة من أراضي فلسطين (التي حددتها خرائط الانتداب البريطاني) مع أن قرار الأمم المتحدة لم يعطها سوىٰ ٥٦٪ من هذه الأراضي، كما أن قرار تدويل القدس تم رفضه رفضًا عنيفًا وجازمًا.

ومما يدل علىٰ أن اليهود لم يكونوا يعتزمون قبول قرار التقسيم إلا بصورة مرحلية ما قاله دافيد بن جوريون نفسه عندما كان رئيسًا للوكالة اليهودية عام ١٩٣٧ عند مناقشة توصيات لجنة بيل (Peel) البريطانية والداعية إلىٰ تقسيم فلسطين بين العرب واليهود فقد قال بن جوريون للصحفيين بعد خروجه من الاجتماع بلجنة بيل: «لم يجر النقاش حول شرعية تقسيم أرض إسرائيل (فلسطين)، إذ لا يمكن لأي صهيوني التنازل عن أصغر جزء من هذه الأرض، ولكن النقاش كان يدور حول طريقين لإيجاد دولة إسرائيل، وأيهما أسرع في بلوغ الهدف».

وقال حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ردًّا علىٰ لجنة بيل التي جعلت جنوب فلسطين في القسم العربي المقترح: «إن جنوب فلسطين لن يفلت منا».

وقد أوضح مبعوث الرئيس روزفلت إلىٰ فلسطين في رسالته للرئيس

الأمريكي أهداف الصهيونية بقوله: «إن المنظمة الصهيونية في فلسطين تهدف إلىٰ:

١ ـ إقامة دولة يهودية ذات سيادة تشمل كل فلسطين، وربما شرق الأردن.

٢ ـ نقل السكان العرب من فلسطين إلىٰ العراق وغيرها من البلاد العربية.

٣ ـ تزعم اليهود لكافة أنحاء الشرق الأوسط في حقلي التنمية والاقتصاد».

وهي أهداف واضحة لا تزال إسرائيل تسعىٰ لتنفيذها حرفيًّا.

المشكلة الفلسطينية أمام الأمم المتحدة وقرار التقسيم رقم ١١/١٨١ في ١٩٤٧/١١/٢٩

في ١٩٤٧/٤/٢ قدمت بريطانيا طلبًا إلىٰ الأمم المتحدة لدراسة القضية الفلسطينية ودعوة الجمعية العامة لتشكيل لجنة خاصة لدراسة القضية.

في ١٩٤٧/٤/٢١ سلمت مصر والعراق وسوريا ولبنان والسعودية مذكرة إلىٰ الأمين العام للأمم المتحدة تطلب فيه إلىٰ جدول أعمال الجلسة الخاصة بفلسطين «إنهاء الانتداب علىٰ فلسطين وإعلان استقلاله» وقد رفض هذا البند بأغلبية الأصوات.

في ١٩٤٧/٥/٥ قررت الجمعية العامة بأنه ينبغي علىٰ اللجنة الخاصة بفلسطين أن تستمع إلىٰ الوكالة اليهودية لمعرفة وجهة نظرها، ثم

صدر في ١٩٤٧/٥/٧ قرار مشابه لسماع رأي اللجنة العربية، وقد تم عقد الاجتماع في ١٩٤٧/٥/١٥ وأعلن مندوب بريطانيا أن بلاده فشلت في حل المشكلة الفلسطينية وتكونت لجنة من ١١ دولة لدراسة القضية الفلسطينية وقد اعترضت الدول العربية الممثلة في الجمعية العامة آنذاك علىٰ تكوين هذه اللجنة وقررت اللجنة العربية العليا بصفتها المتحدث الرسمي عن عرب فلسطين عدم تعاونها مع هذه اللجنة المنحازة إلىٰ الجانب الصهيوني، وعللت ذلك في برقيتها للأمين العام للأمم المتحدة بالأسباب التالية:

١ ـ رفض الأمم المتحدة إنهاء الانتداب وإعلان استقلال فلسطين.

٢ ـ امتناع الأمم المتحدة عن فصل موضوع اللاجئين اليهود والعالمي عن المشكلة الفلسطينية.

٣ ـ الافتئات علىٰ مصالح سكان فلسطين باسم المصالح الدينية العالمية.

ورغم ذلك فقد سارت اللجنة الخاصة في عملها وأصدرت ١٢ توصية نصت علىٰ إنهاء الانتداب، واستقلال فلسطين بعد فترة انتقالية يعهد فيها إلىٰ الأمم المتحدة بإدارة البلاد وعلىٰ المحافظة علىٰ الأماكن المقدسة، ومعالجة مشكلة البائسين من يهود أوربا الذين كان يوجد منهم في أماكن التجمع ربع مليون شخص، وحماية حقوق الأقليات (في فلسطين أي أصبح العرب في نظر اللجنة أقلية في وطنهم!!) وإقامة علاقات سليمة قبل منح الاستقلال، وإقامة وحدة اقتصادية في فلسطين، وإلغاء الامتيازات، ومناشدة الطرفين وقف أعمال العنف، ولا يمكن

اعتبار أي حل لمشكلة فلسطين علىٰ أنه حل للمشكلة اليهودية بشكل عام، ثم قدمت اللجنة الخيارين التاليين:

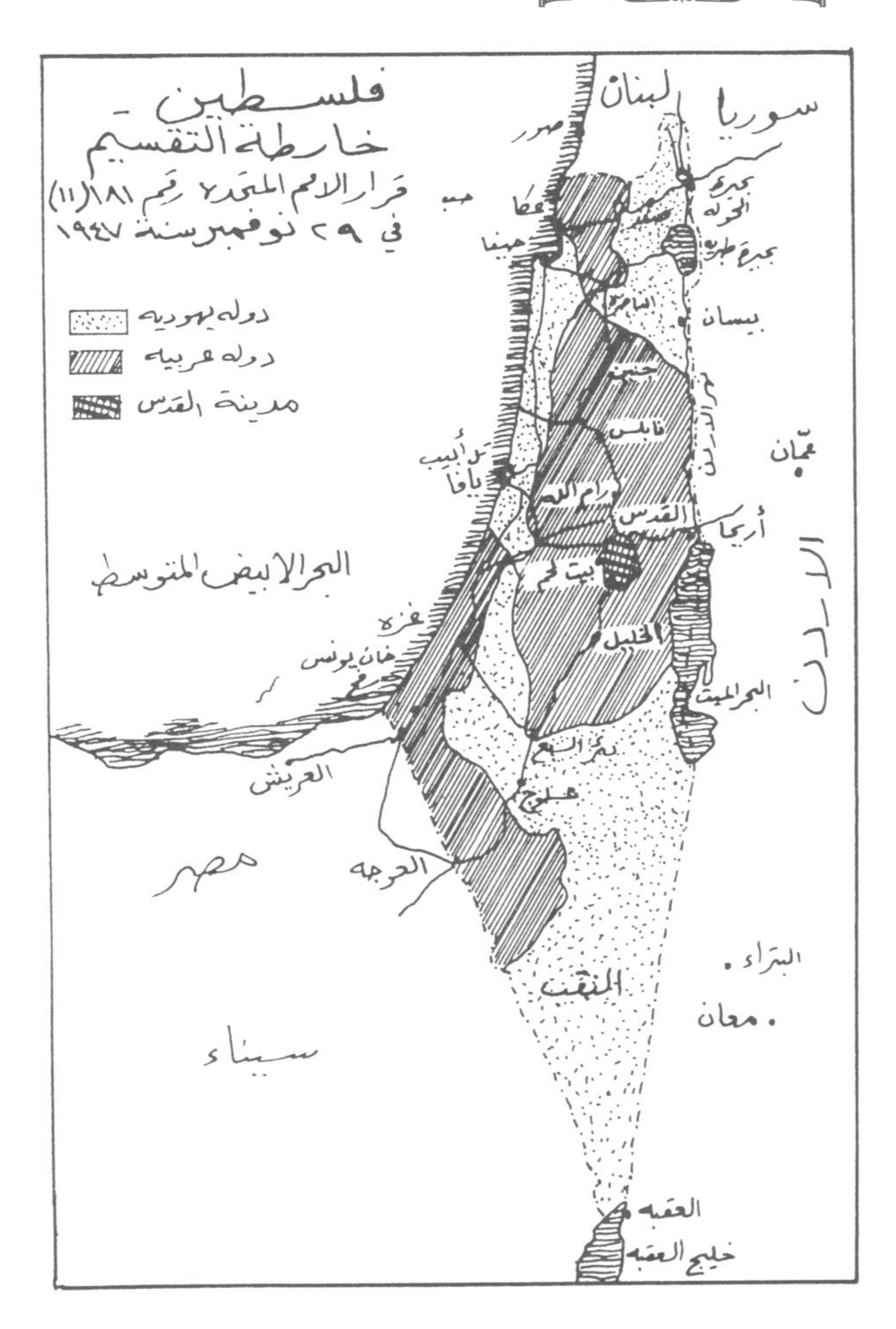
١ ـ مشروع تقسيم فلسطين بين العرب واليهود مع إقامة وحدة اقتصادية بين القسمين، وبموجب هذا المشروع تقسم فلسطين إلىٰ دولة عربية ودولة يهودية وقطاع دولي يضم القدس وضواحيها يخضع للأمم المتحدة.

ـ دولة عربية مساحتها ٤٤٧٦ ميلاً مربعًا (٤٢,٨٨٪ من مساحة فلسطين) وسكانها ٤٩٧,٠٠٠ عربيًا.

ـ دولة يهودية مساحتها ٥٨٩٣ ميلاً مربعًا (٥٦,٤٧٪ من مساحة فلسطين) وسكانها ٤٩٨,٠٠٠ يهوديًا.

ـ القدس (دولية) مساحتها ٦٨ ميلاً مربعًا (٠,٦٥٪) وسكانها ١٠٥,٠٠٠ عربي، و١٠٠,٠٠٠ يهودي.

والغريب أن اليهود في ذلك الوقت الذي أعطوا فيه ٥٦,٤٧٪ من مساحة فلسطين لم يكونوا يملكون بالفعل سوىٰ ٦ بالمائة من مساحتها، وهكذا أعطىٰ الاقتراح ثم القرار الدولي أكثر من نصف مساحة فلسطين لليهود دفعة واحدة، بينما استمروا ٣٠ سنة (من ١٩١٧ ـ ١٩٤٧) تحت الانتداب البريطاني ولم يستطيعوا فيه أن يزيدوا ممتلكاتهم في فلسطين عن ٦٪.


فلسطين -
خارطة التقسيم
قرار الامم المتحدة رقم ١٨١ (١١)
في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧
دوله يهوديه
دوله عربيه
مدينة القدس
لبنان
سوريا
صور
عكا
حيفا
بحيرة الحوله
بحيرة طبريه
الناصرة
بيسان
جنين
نابلس
عمّان
تل أبيب
يافا
رام الله
القدس
أريحا
البحر الابيض المتوسط
بيت لحم
غزة
خان يونس
الخليل
البحر الميت
العريش
مصر
العوجه
البتراء
النقب
معان
سيناء
العقبه
خليج العقبه

٢ ـ مشروع الدولة الاتحادية (الفيدرالية) وقد أيدته ثلاث دول فقط من اللجنة المكونة من إحدىٰ عشر دولة وهي الهند وإيران ويوغسلافيا، وقد نص هذا المشروع علىٰ تكوين دولة اتحادية وحكومة عربية وأخرىٰ إسرائيلية يجمعهما مجلس اتحادي ودولة اتحادية، وتكون القدس عاصمة لهذه الدولة الموحدة.

وقد استقبل الصهاينة المشروع الأول (الأكثرية) بحماس بالغ وإن كانوا يخططون لابتلاع فلسطين كاملة كما نص علىٰ ذلك حاييم وايزمان ودافيد بن جوريون فضلاً عن مناحيم بيجن وإسحاق شامير وغيرهم من قادة اليهود.

وقد قدم ممثل الهيئة العربية العليا إلىٰ اللجنة الخاصة في الأمم المتحدة في ١٩٤٧/٩/٢٣ مشروعًا مضادًا وفيه:

١ ـ إقامة دولة عربية فلسطينية علىٰ أسس ديمقراطية.

٢ ـ احترام الحقوق الإنسانية والمساواة أمام القانون لجميع السكان من العرب واليهود.

٣ ـ ضمان حرية العبادة والوصول للأماكن المقدسة للجميع.

ولكن اللجنة الخاصة رفضت هذا المشروع وتبنَّت بدلاً منه المشروع الصهيوني القاضي بتقسيم فلسطين وإعطاء اليهود ٥٦،٤٧٪ من جملة مساحتها، ورغم معارضة كثير من الدول لمشروع التقسيم إلا أن الضغوط الأمريكية بالذات جعلت الأغلبية توافق علىٰ هذا المشروع في ١٩٤٧/١١/٢٩، فقد صوتت ٣٣ دولة لصالحه وعارضته ١٣ دولة وامتنعت

١٠ دول في عن التصويت، وصدر القرار رقم ١١/١٨١ في ١٩٤٧/١١/٢٩ بتقسيم فلسطين إلىٰ دولة يهودية (٥٦,٤٧٪ من مساحة فلسطين) ودولة عربية (٤٢,٨٨٪) ومنطقة دولية هي القدس التي تضم بيت لحم وتشكل ٠,٦٥٪ من مساحة فلسطين (٦٨ ميلاً مربعًا) ونص المشروع علىٰ عدم مصادرة الأراضي التي يملكها العرب في الدولة اليهودية إلا للمقاصد العامة.. وأنه يجب دفع تعويض كامل قبل حدوث المصادرة!!

ونص القرار علىٰ ظهور دولتين عربية ويهودية إلىٰ حيز الوجود بعد شهرين من انتهاء الانتداب الذي كانت الحكومة البريطانية قد حددته بتاريخ ١٩٤٨/٥/١٥، كما نص علىٰ تكوين لجنة فلسطينية (عربية ـ يهودية) مهمتها استلام إدارة البلاد تدريجيًا تمهيدًا لنقل المسؤولية بصفة نهائية إلىٰ الحكومتين العربية واليهودية.

وكان عدد اليهود في فلسطين عند إعلان قرار التقسيم ٦٥٠ ألفًا سرعان ما ازدادوا بعد إعلان قيام دولة إسرائيل بسبب وصول مئات الآلاف من المهاجرين اليهود، وبحلول عام ١٩٦٠ وصل عدد اليهود إلىٰ ١,٩١١,٢٠٠ شخص، وازدادت الهجرة من الاتحاد السوفيتي بعد انهياره عام ١٩٩١ ووصل عدد اليهود في فلسطين إلىٰ ٤,٨ مليون بحلول عام ١٩٩٨ ولا تزال الزيادة مستمرة.

وقد لخص ذو الفقار خان ممثل باكستان موقف الوفود المعارضة لهذا القرار الذي قال: «بأن قرارًا مشؤومًا قد اتخذ، وقد سبق السيف العذل، وكما يقول أعظم أمريكي: فقد حاولنا القيام بما هو حق، وذلك حسبما أرانا الله الحق»، ولقد نجحنا في إقناع عدد كافٍ من زملائنا

الممثلين برؤية الحق كما رأيناه، غير أنه لم يسمح لهم بتأييد الحق كما شاهدوه، إن قلوبنا حزينة ولكن ضميرنا مرتاح.. إننا نخشىٰ كثيرًا من أن المنفعة (إن كانت هناك منفعة) التي قد يؤدي إليها التقسيم ستكون ضئيلة، بالمقارنة مع الضرر الذي قد يبدأ في إشاعته، فهو يفتقر إلىٰ الشرعية افتقارًا تامًا، إننا لا نشعر بالأسىٰ مما فعله أصدقاؤنا وزملاؤنا الممثلون الذين أجبروا تحت الضغط الشديد علىٰ تغيير رأيهم والتصويت في مصلحة اقتراح لا يؤمنون هم بعدالته وإنصافه.

ويقول المؤلف الفريد ليلنثال (Alfred Lilienthal) وهو كاتب يهودي معارض للصهيونية: «لقد وجهت الأمم المتحدة ضربة قاسية إلىٰ كرامة القانون والنظام الدوليين، وذلك بمعالجتها للقضية الفلسطينية معالجة تتسم بالتسرع والاستهتار والعجرفة، فالجمعية العامة رفضت الاقتراحات المعقولة الوحيدة ـ أي إجراء استفتاء في فلسطين وإحالة المشاكل القانونية إلىٰ محكمة العدل الدولية، أما مشكلة المهجرين فقد عولجت علىٰ نحوٍ فظيعٍ من عدم التفكير، وذلك لأن الأشخاص الذين أجلتهم الحرب العالمية الثانية عن ديارهم، ومهما كانت عقيدتهم، يقعون بكل تأكيد ضمن مسؤوليات المنظمات الخيرية العالمية، ولم يكن ينبغي استخدامهم كحجارة شطرنج في لعبة القومية اليهودية كثيرة النزوات».

وبذل اليهود في الولايات المتحدة جهودًا جبارة ومكثفة في فرض آرائهم علىٰ الإدارة الأمريكية مستخدمين نفوذهم المالي والانتخابات، والإعلام وكل الوسائل المتاحة لهم.

رفض العرب للتقسيم

(قرار الجمعية العامة ليس إلا توصية من التوصيات وبالتالي يمكن رفضه أو قبوله) لقد رفض العرب قرار التقسيم لأنه قرار ظالم مجحف بحقهم، بينما قبله الصهاينة لأنه يعطيهم أرضًا لم يكونوا يمتلكونها حيث كانوا يمتلكون ٦٪ من أرض فلسطين وأعطاهم القرار ٥٦,٤٧٪ من أرضها، وجعل القدس تحت إدارة دولية، وكان القرار بالنسبة لهم الخطوة الأولىٰ لتنفيذ أطماعهم في دولة إسرائيل الكبرىٰ وبالفعل قام دافيد بن جويون رئيس أول دولة في إسرائيل بعد أن حققت إسرائيل وجودها فأعلن في ١٩٥٣ بأن قرار الأمم المتحدة الصادر في ١٩٤٧/١١/٢٩ يعتبر لاغيًا وباطلاً، فقد حققت إسرائيل بدعم الولايات المتحدة الأمريكية أكثر مما جاء في القرار واستولت علىٰ أراضي واسعة، ورفضت قرار تدويل القدس، واستولت علىٰ أغلبية أراضي القدس (القدس الغربية ٨٨٪ من أراضي القدس) وبقي مع العرب القدس الشرقية ١٢٪ من أراضي القدس) والتي كانت ستسقط لولا بسالة الجيش الأردني الصغير في الدفاع عنها واستماتته في الإبقاء عليها.

معارضة بعض اليهود لسياسة إسرائيل

١ ـ الفريد ليلنثال (سبق الإشارة إليه).

٢ ـ موشىٰ مينوهين الذي غادر فلسطين بعد أن هاجر إليها، وقال عن قرار التقسيم أنه يؤدي إلىٰ تطورات تحمل في ثناياها الحروب الجائرة، وانحطاط الديانة اليهودية، وقال في كتابه «انحطاط اليهودية في

عصرنا الحاضر»: «إن القوميين السياسيين من متعصبي اليهود قد قبلوا طبعًا التقسيم بكل ابتهاج، وذلك لأن مشروع التقسيم كان يمثل مجرد موطئ قدم علىٰ طريق تحقيق فكرة «أرض إسرائيل» كما ظلَّ بن جوريون ومناحيم بيجن المفترسان يتخيلانها طوال الوقت في صراحة وبلا خجل، وهما آخذان في الاقتباس من الكتاب المقدس، وفي الإعداد للتخليص والتجميع».

ويعتبر بيجن أكثر صراحة وصدقًا عندما قال ببساطة: «إن الوطن اليهودي هو تلك المساحة التي تغطي جانبي نهر الأردن (شاملاً الضفة الغربية والضفة الشرقية لنهر الأردن أي أن ذلك يشمل دولة الأردن الحالية وما تحلم به السلطة الفلسطينية الضفة الغربية وقطاع غزة)، وإن تقطيع الوطن هو عمل غير مشروع، كما أن الاتفاقية التي ترمي إلىٰ التقطيع هي أيضًا غير مشروعة، وغير ملزمة للشعب اليهودي، وإنه لمن واجب هذا الجيل أن يعيد السيادة اليهودية إلىٰ هذه الأجزاء من الوطن، وهي التي انتزعت منه وأعطيت إلىٰ الحكم الأجنبي[1] (أي إلىٰ الأردن).

ولم ينتظر اليهود تنفيذ قرار الأمم المتحدة بإيجاد دولتين عربية ويهودية بعد شهرين من انسحاب بريطانيا في ١٥/٥/١٩٤٨، وتحت إشراف الأمم المتحدة وإنما قاموا بالمبادرة في ١٤/٥/١٩٤٨ بإعلان قيام دولة إسرائيل.. وكانوا قد استولوا علىٰ مناطق واسعة من أرض فلسطين رغم وجود بريطانيا، السلطة المنتدبة، وبدلاً من أن تكون لليهود ٥٦٪ من مساحة فلسطين كان لهم ما يوازي ٧٧٪ من أرض فلسطين، وبدلاً من

(١) موشىٰ منيوهين: «انحطاط اليهودية في عصرنا» ص١١٥.

السماح للعرب بالعيش في بيوتهم ووطنهم تم طردهم منها بعد تنفيذ مجموعة من العمليات الإرهابية الإجرامية مثل مذبحة دير ياسين وقبية ومذبحة الدوايمة ومجزرة سعسع ودير الأسد والبعنة ومجزرة نحف ومجزرة عيلبون، ومئات المجازر التي سبقتها ولحقتها والتي سبق الإشارة إلىٰ بعضها.

وعندما رأت الأمم المتحدة عنف المذابح والإجراءات اليهودية أوصىٰ المجلس بفرض وصاية مؤقتة علىٰ فلسطين وكان رد الوكالة اليهودية رفض هذه الوصاية وقال بن جوريون: «إن موقف الولايات المتحدة (التي وافقت علىٰ الوصاية) لا يغير بحال من الأحوال الوضع في البلاد، كما أنه لا يقوض موضوع إنشاء الدولة اليهودية، فإنشاء الدولة اليهودية لم يعط في الواقع في قرار الأمم المتحدة الصادر في ١٩٤٧/١١/٢٩، علىٰ الرغم من أن ذلك القرار كان ذا قيمة أدبية وسياسية كبيرة، بل بقدرتنا علىٰ إحداث قرار في البلاد بالقوة، فبواسطة قوتنا إذا شئنا ذلك، وإذا عبأنا هذه القوة تعبئة تامة، سيتم إنشاء هذه الدولة».

«وقد ولدت الدولة، وأُجبرنا علىٰ القتال في سبيل وجودها، ثم انتصرنا، وليس لدي شكٌّ في أن هذا كان واحدًا من أعظم إنجازاتنا في تاريخنا كأمة، إن حرب الاستقلال التي استمرت من ١٩٤٨/٥/١٥ إلىٰ ١٩٤٨/٧/١ قد أعطتنا دولة أكبر وأوفىٰ من الدولة التي رسمها قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٧م».

تدويل القدس

كان قرار مجلس الأمن، والجمعية العامة بتقسيم فلسطين في ١٩٤٧/١١/٢٩ الذي جعل القدس وما حولها منطقة دولية (جسمًا منفصلاً Corpus Sepratum)، مرفوضًا رفضًا حاسمًا وقاطعًا من إسرائيل، وقد رد بن جوريون بقوله: «إن الأمم المتحدة قد رأت أنه من المناسب أن تقرر هذه السنة بأن تكون مدينتنا الخالدة جسمًا منفصلاً تحت السيطرة الدولية، أما ردُّنا علىٰ هذه النصيحة الشريرة، فقد كان ردًّا حاسمًا لا يحتمل التأويل وهو انتقال الحكومة والكنيسة فورًا إلىٰ مقرهما في القدس (الغربية)، وجعلها تاج إسرائيل وعاصمتها علىٰ رؤوس الأشهاد وبشكل لا رجعة فيه».

وقال حاييم وايزمان في ١٩٤٨/١٢/١ لقومه اليهود: «لا تقلقوا لأن جزءًا من القدس واقع الآن خارج الدولة وإنني أكرر نصيحتي لكم بالتزام الصبر، ولا تجزعوا يا أصدقائي فالكُنُس القديمة سيعاد بناؤها من جديد، والطريق إلىٰ حائط المبكىٰ سيتم فتحه ثانية، لقد جددتم بدمائكم وتضحياتكم الميثاق القديم مع الله، والقدس بأكمله لنا، بما أراقه أبناؤكم من دماء في الدفاع عنها».

وسقطت أجمل أحياء القدس (وتقع في غربي القدس) بيد اليهود، واستولىٰ اليهود علىٰ حيِّ القطمون في ١٩٤٨/٤/٢٥ وحي الشيخ جرَّاح في ٣٠ نيسان (ابريل) واجتاحت القوات اليهودية الأحياء العربية في القدس الجديدة في ١٤ و١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨.

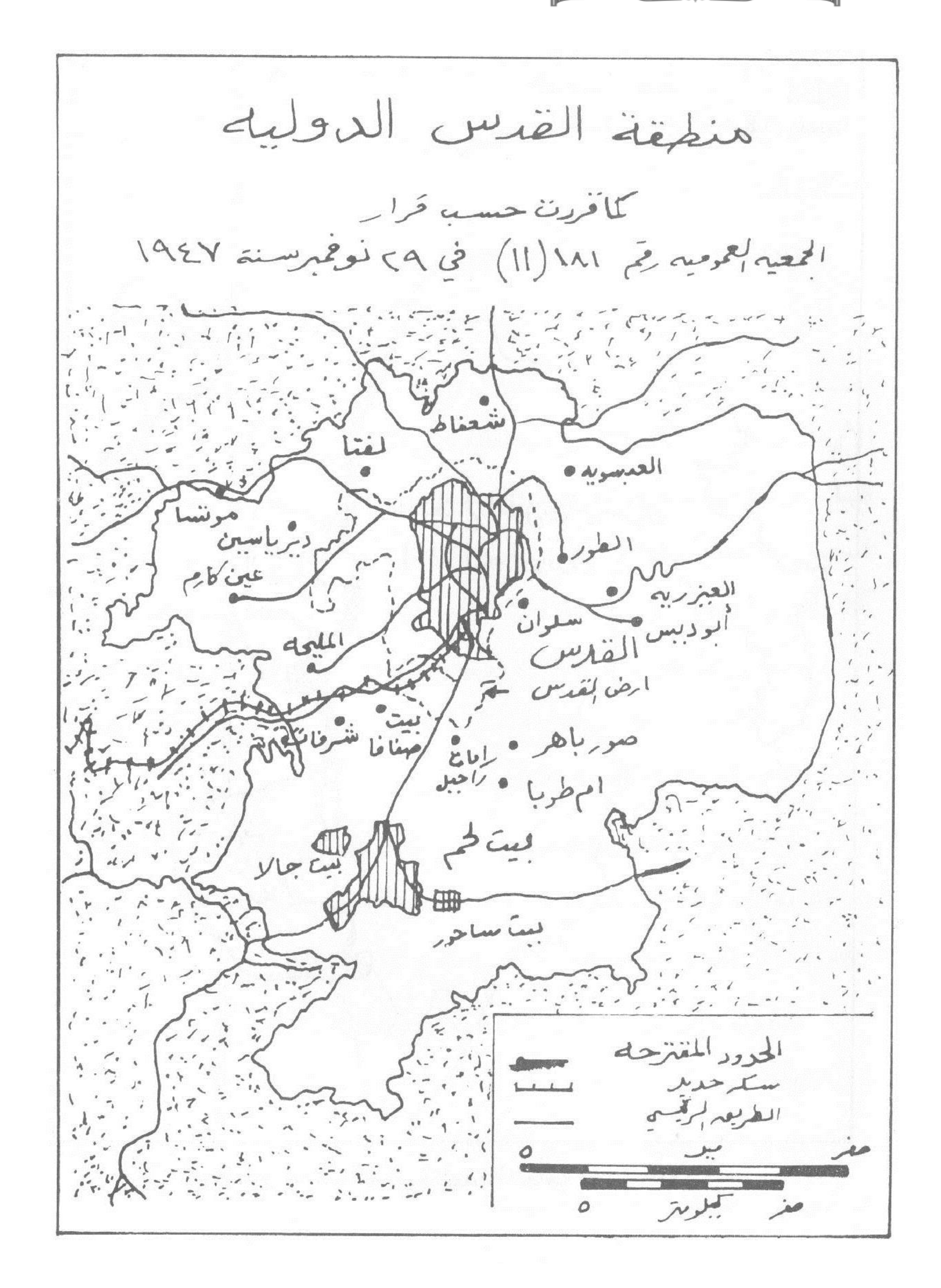
ثم قام اليهود بالهجوم علىٰ القدس القديمة إلا أن مناعة أسوار القدس القديمة التي بناها السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٤٢م/٩٤٨هـ، وبسالة المدافعين عنها أفشل الهجمات الصهيونية، ثم دخل الجيش الأردني القدس الشرقية في ١٨ مايو (أيار) ١٩٤٨ واستطاع أن ينقذ المدينة القديمة، وتم طرد اليهود من الحي اليهودي في القدس القديمة وعددهم فيها ضئيل في مقابل عشرات الآلاف الذين فرُّوا من القدس الجديدة من العرب، وتمت الهدنة بين الحكومة الأردنية وإسرائيل في ٣ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ وفقد العرب ١٣ حيًّا من أحيائهم في القدس، واستولىٰ عليها اليهود، وهي القطمون، والمصرارة، والطالبية، والبقعة العليا، والبقعة السفلىٰ، والشيخ جراح، ودير أبو طور، ومأمن الله، والنبي داود، والشيخ بدر، والمستعمرات اليونانية والألمانية.

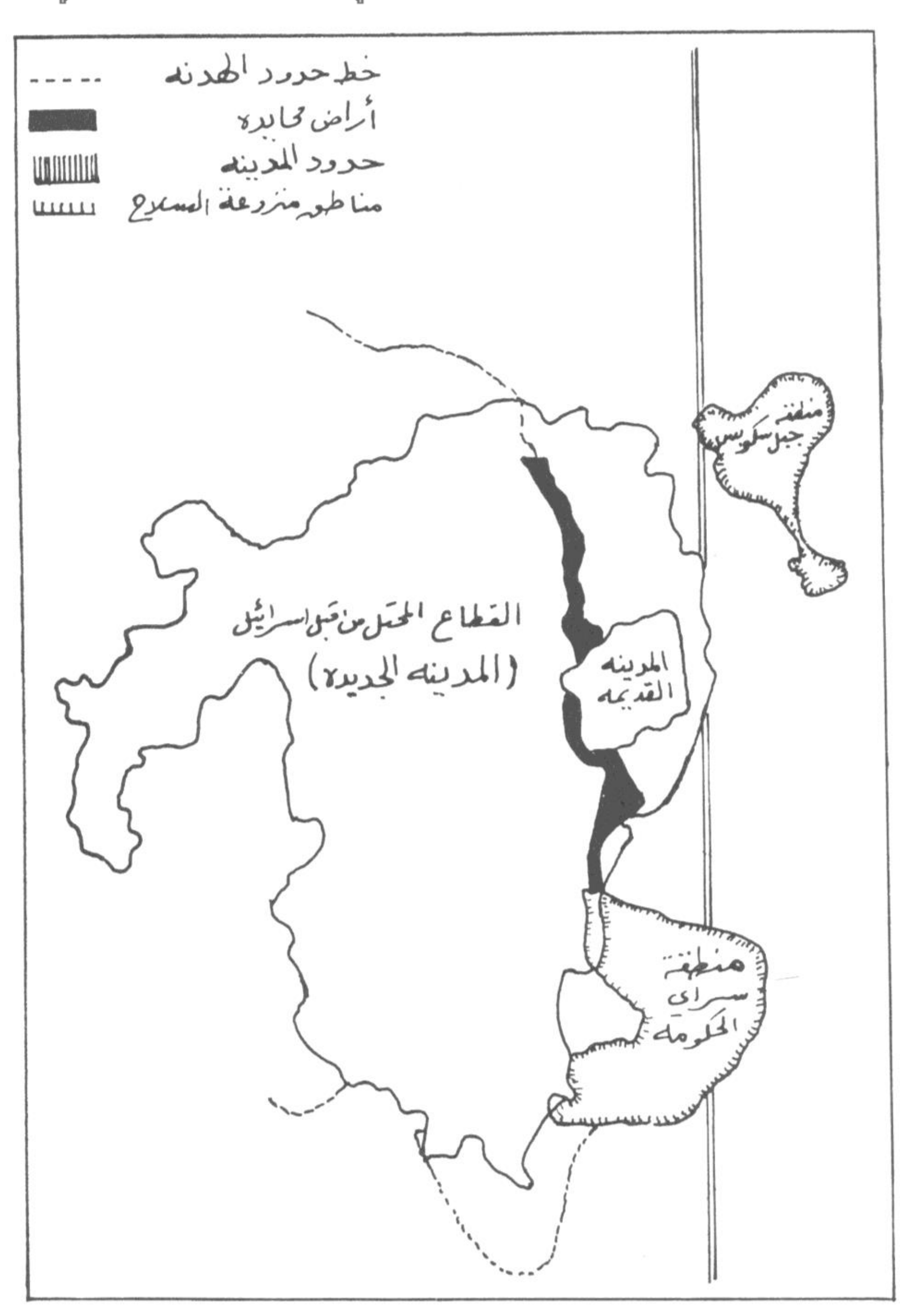
بعد وقف إطلاق النار عملت إسرائيل علىٰ إلحاق القدس بإسرائيل رغم قرارات الأمم المتحدة بتدويلها (٢٩ نوفمبر ١٩٤٧) وأعلنت في ٢٣ يناير ١٩٥٠ القدس عاصمة للدولة اليهودية، وبدأت الوزارات بالانتقال إليها عام ١٩٥١ وزادت من عدد المستوطنين اليهود حتىٰ وصل عددهم عام ١٩٦٧ قبيل حرب حزيران (يونيه) إلىٰ ١٩٦ ألف نسمة.

وبحلول عام ١٩٩٣ ارتفع سكان القدس الغربية إلىٰ ٢٦٠،١٩٠ شخصًا كلهم من اليهود، أما القدس الشرقية فقد تمَّ احتلالها في حرب يونيه ١٩٦٧ ولم يكن بها يهودي واحد، ولكن سرعان ما قامت السلطات الإسرائيلية بهدم حي المغاربة المجاور للحائط الغربي الذي يسميه اليهود حائط المبكىٰ، ثم امتلأ هذا الحي باليهود، وأقامت إسرائيل العديد من الأحياء في القدس الشرقية وعشرات المستوطنات مما جعل سكانها من

اليهود يرتفع من صفر قبل حرب يونيه (حزيران) ١٩٦٧ إلىٰ أكثر من ١٦٠ ألفًا في عام ١٩٩٣ وصاروا أكثر من سكانها من العرب.

مشروع الأمم المتحدة لتدويل القدس


منطقة القدس الدولية
كما قررت حسب قرار
الجمعية العمومية رقم ١٨١ (١١) في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧
شعفاط
لفتا
العيسوية
مونتسا
دير ياسين
عين كارم
الطور
العيزريه
أبوديس
سلوان
القدس
المليحه
ارض القدس
بيت صفافا
شرفات
صور باهر
رامات راحيل
ام طوبا
بيت لحم
بيت جالا
بيت ساحور
الحدود المقترحة
سكة حديد
الطريق الرئيسية
صفر ميل ٥
صفر كيلومتر ٥



القدس حسب اتفاقية الهدنة العامة لسنة ١٩٤٩

ووسع اليهود المستوطنات باستمرار ووضعوا مشروع القدس الكبرىٰ التي تمتد من الشمال إلىٰ الجنوب لمسافة ٤٥ كيلو مترًا كما تمتدُّ من الشرق إلىٰ الغرب لمسافة ١٥ كيلو مترًا لتبتلع ثلث ما بقي من الضفة الغربية، وبحيث تشمل مدينة القدس (الشرقية والغربية) بالإضافة إلىٰ مدن رام الله والبيرة وبيت جالا وبيت ساحور وقراها التي تبلغ ٤٥ قرية، وكل هذه المناطق تحاط بمستوطنات يهودية، ويتم الضغط علىٰ العرب اقتصاديًا وعسكريًا وإداريًا لتهجيرهم بحيث لا يبقىٰ من سكانها إلىٰ القليل، وهو مخطط رهيب قد تم تنفيذ الكثير من عناصره.

عرب ١٩٤٨ الذين بقوا في قراهم وديارهم رغم عمليات التهجير

كان عدد من الفلسطينيين الذين ظلوا في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ (مايو) ١٧٠,٠٠٠ منهم ١١٩,٠٠٠ مسلم، ٣٥,٠٠٠ مسيحي ١٥,٠٠٠ درزي وقد ازداد عددهم بسبب كثرة الولادات المرتفعة بينهم كالآتي:

عام ١٩٦٠ ٣١٢,٥٠٠ ٢٣٣,٠٠٠ مسلم

٥٨,٠٠٠ مسيحي

٣١,٠٠٠ درزي

عام ١٩٧٠ بلغوا ٥٠٠,٠٠.

عام ٢٠٠٠ وصلوا إلىٰ أكثر من مليون وأغلبيتهم الساحقة مسلمون.

واجه هؤلاء السكان مصاعب عديدة في كافة الأصعدة، ولكنهم صمدوا صمودًا عظيمًا يستحق الثناء، وقامت إسرائيل بمصادرة أملاك الفلسطينيين المقيمين في وطنهم (فلسطين المحتلة - إسرائيل) حيث صادرت ٧٠٪ من أراضيهم، ويجري التمييز ضدهم في مجالات التعليم والوظائف وتوفير مياه الري، وبما أن غالبية الدروز قد تعاونوا مع اليهود منذ عام ١٩٢٩، وحاربوا معهم واشتغلوا جواسيس لهم، فإن وضعهم كان أفضل بكثير من وضع المسلمين أو المسيحيين، إلا أن بعض أراضي الدروز قد تمت مصادرتها أيضًا، ولكنهم سُمِحَ لهم بارتقاء الوظائف العديدة في الجيش، ولكن لم يسمح لهم هناك بتجاوز درجة عقيد رغم إخلاص الدروز التام لليهود وقتالهم معهم في كل معركة منذ قيام إسرائيل بل من قبل قيام إسرائيل وإلىٰ اليوم، حيث يشتركون في قتل أطفال الانتفاضة الباسلة (انتفاضة الأقصىٰ سبتمبر ٢٠٠٠ ولا تزال مستمرة) وقد وصل بعضهم إلىٰ درجة وكيل وزارة ومستشار ووزير بلا حقيبة في وزارة شارون في مارس ٢٠٠١.

وقد تم مصادرة ٤٣٨,٠٠٠ أكر (أكر = ٤,٠٠٥ دونم) من أراضي الفلسطينيين المقيمين في فلسطين المحتلة ١٩٤٨ (إسرائيل) وكان معدل ما تملكه القرية العربية من أراضٍ ١٩٤٨ يبلغ ١٦,٥٠٠ دونم، وفي عام ١٩٧٤ انخفضت إلىٰ ٥٠٠٠ دونم وكان ما يملكه الفرد في القرية ١٦ دونم انخفضت إلىٰ أقل من دونم واحد عام ١٩٧٤، وقرية أم الفحم كانت تملك ١٤٠,٠٠٠ دونم انخفضت عام ١٩٧٤ إلىٰ ١٢,٠٠٠ وهكذا في بقية البلدات والقرىٰ، وعاش عرب ١٩٤٨ تحت قوانين وتنظيمات

الطوارئ حيث لا يسمح لهم بالانتقال إلا بتصريح خاص، كما يمكن لأي عذر طردهم من أراضيهم واستيلاء السلطة عليها دون تعويض، وكان كل عربي فلسطيني قد غادر مدينته أو قريته بعد ١٩٤٧/١١/٢٩ عرضه لأن يصنف كغائب حتىٰ ولو انتقل من منطقة في نفس الأرض المحتلة (أي في الأرض المسماة إسرائيل) كما أن قانون تملك الأرض يسمح بامتلاك ليس الأراضي الوقفية فحسب، بل أي أرض بحجة المصلحة العامة أو حتىٰ إقامة مستوطنات.

وقد يعلن الحاكم العسكري أن إحدىٰ المناطق العربية هي منطقة محظورة، وبهذه لا يستطيع العرب أصحاب هذه الأرض دخولها وبالتالي يترك أرضه دون اعتناء، وهنا يطبق عليه قانون ١٩٧٣ حيث أن الأرض الزراعية المهملة تصبح عرضة للمصادرة، وتقول الجيروز سالم بوست أن الأراضي الزراعية لعشرين قرية في الجليل تمت مصادرتها بهذه الطريقة.

وفي عام ١٩٥٨ صدر قانون يفرض علىٰ ملاك الأراضي العرب أن يثبتوا ملكيتهم لأراضيهم لمدة ١٥ سنة متتالية ملكية مستمرة لا نزاع فيها، وإلا آلت ملكيتها إلىٰ الحكومة الإسرائيلية، وهناك قيود عديدة علىٰ إعطاء الجنسية الإسرائيلية لعرب ١٩٤٨ مما جعل صحيفة هاآرتز العبرية تقول: «إن سياسة الحكومة الإسرائيلية لا تحتمل التأويل، فالعرب كاليهود في ألمانيا النازي، هم رسميًا مواطنون من الدرجة الثانية، وهي مسجلة علىٰ هوياتهم».

وقد تم إجلاء سكان العديد من القرىٰ أحيانًا بحجة الأسباب الأمنية، وأنهم سيعودون إليها قريبًا، ولكن بمجرد طردهم من قراهم يتم

الاستيلاء الكامل عليها ولا يعودون إليها أبدًا.. ومثال ذلك قرية أكرت في الجليل الغربي (وهي قرية مسيحية) وذلك في نوفمبر ١٩٤٨، وفي ١٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٣ تم طرد سكان قرية كفر برعم.

وتم تحطيم وتغيير العديد من المساجد والكنائس (أكثر من ٣٥٠ مسجدًا وكنيسة منذ ١٩٤٨ وحتىٰ عام ١٩٧٤).

وقد قامت إسرائيل بطرد ٣٥،٠٠٠ من العرب من سكان إسرائيل وصادرت ١،٢٥٠،٠٠٠ دونم من الأراضي الخصبة، واستولت علىٰ الأراضي الوقفية، وهدمت وغيَّرت مئات المساجد والكنائس وحولت بعضها إلىٰ نوادي أو صالات أو إسطبلات.

ويقول جيمس واربورج (يهودي) James Warburg: «ليس ثمة ما يدعو إلىٰ الأسىٰ أكثر من مشاهدة دولة يهودية تخرج إلىٰ حيز الوجود فتعامل فيها الأقليات غير اليهودية، معاملة مواطني الدرجة الثانية، ولا يستطاع فيها دفن الميسحية التي تزوجت يهوديًا ودفن أولادها في نفس المقبرة التي دفن فيها الزوج»، ثم يقول: «إن خلق مأوىٰ للمضطهدين المظلومين (أي اليهود وإعادتهم إلىٰ فلسطين) يختلف اختلافًا كبيرًا عن خلق قومية شديدة التطرف، ودولة قائمة علىٰ التعصب الديني الأعمىٰ الشبيه بتعصب القرون الوسطىٰ، وعلىٰ الخرافة التي استغلها النازيون، والقائلة بوجود جنس يهودي».

ويقصد أن اليهودية دين ولم تعد جنسًا وعرقًا بذاته لدخول أجناس وأعراق عديدة في الدين اليهودي.

تحدِّي الأمم المتحدة من قِبَل إسرائيل

*** القرارات التي لم تنفِّذها إسرائيل والمتعلقة بحرب ١٩٤٨م.**

١ - القرار رقم ٣/١٨١ الصادر في ١٩٤٧/١١/٢٩ والمتعلق بتقسيم فلسطين.

٢ - القرار رقم ٣/١٩٤ المتعلق بعودة اللاجئين وتعويض من يرفض العودة في ١٩٤٨/١٢/١١م.

٣ - القرار رقم ٤/٣٠٣ الصادر في ١٩٤٩/١٢/٢٩ وإعلان القدس (المدينة المقدسة) جمسًا منفصلاً تحت سلطة الأمم المتحدة Corpus Separatum.

٤ - القرار رقم ٣/٢٧٣ في ١٩٤٩/٥/١١ المتعلق بقبول إسرائيل عضوًا في الأمم المتحدة بشرط التزامها بقرارات الأمم المتحدة السابقة (أعلاه).

٥ - القرار رقم ٥/٣٩٤ في ١٩٥٠/١٢/١٤ والمتعلق بحماية حقوق اللاجئين وممتلكاتهم ومصالحهم إلىٰ أن يتم التوصل إلىٰ تسوية نهائية وحقهم في العودة إلىٰ وطنهم وممتلكاتهم، وتعويض من لا يريد العودة.

وكان الجواب علىٰ ذلك من قبل إسرائيل وأن «قوة السلاح، لا القرارات الرسمية، هي التي ستبتُّ في ذلك»، «وهذه القرارات لم تعد حيَّة ولن تبعث ثانية»، «وكل ما أخذناه سنظل متمسكين به».

الهدنة

في ١٩٤٨/٥/٢٢ صدر قرار من مجلس الأمن لإيقاف القتال وتبعه قرار آخر في ١٩٤٨/٥/٢٩، وتم في هذه الفترة إطلاق آلاف المهاجرين

اليهود الذين كانوا احتجزوا في قبرص قبل نهاية الانتداب وتم إحضارهم لفلسطين، كما تمَّ تدريبهم وتسليحهم، وتمت صفقات سلاح مع براغ في تشيكوسلوفاكيا وكانت الأموال تأتي من المتبرعين في الولايات المتحدة من اليهود وغيرهم، وعندما انتهت الهدنة كان الجيش الإسرائيلي مسلحًا تسليحًا جيدًا وفي حوزته سلاح طيران صغير ولكنه فعال، وأسطول بحري حربي، أيضًا صغير، ولكنه معد إعدادًا جيدًا.

وفي ١٩٤٨/٦/١٠ أعلن بن جوريون قبوله بوقف إطلاق النار (لفترة) قائلاً: «ها هي حدودنا تتسع وقواتنا تتضاعف وتصل إلينا أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود يوميًا، وسنحتفظ بكل ما أخذناه، وفي خلال فترة وقف إطلاق النار سنقوم بتنظيم الإدارة ونثبِّت أقدامنا في المدن والقرىٰ، ونسارع في عمليات الاستعمار والهجرة ونعتني بالجيش».

اتفاقية الهدنة العامة: في ١٩٤٨/١١/١٦ أصدر مجلس الأمن قرارًا بإقامة هدنة دائمة، وتم التوقيع عليها بين إسرائيل ومصر في ١٩٤٩/٢/٢٤ وبينها وبين لبنان في ١٩٤٩/٣/٢٥ وبينها وبين الأردن في ١٩٤٩/٤/٣ وبينها وبين سوريا في ١٩٤٩/٧/٢٠.

ولم يمض ١٣ يومًا من توقيع الاتفاق بين مصر وإسرائيل حتىٰ شنت إسرائيل هجومًا علىٰ جنوب النقب ووصلوا بقواتهم إلىٰ مياه خليج العقبة، واحتلوا قرية أم رشراش العربية وطردوا سكانها واستولوا علىٰ ممتلكاتهم، وأقيمت مدينة إيلات علىٰ الأراضي المملوكة للعرب.

المناطق المنزوعة السلاح

اتفاقية الهدنة مع سورية ومصر: ثلاثة منها علىٰ الحدود السورية والرابعة في منطقة العوجة علىٰ حدود شبه جزيرة سيناء، واتفاقية الهدنة مع الأردن نصَّت علىٰ وجود أربع مناطق حرام، إحداها فوق جبل المكبر في القدس، والثانية منطقة مستشفىٰ هداسا والجامعة العبرية فوق جبل سكوبس، وفوق جبل الزيتون، والثالثة شريط يفصل القطاع الأردني من القطاع الإسرائيلي من القدس، والرابعة منطقة زراعية في منطقة اللطرون بين يافا والقدس.

وقد انتهك الإسرائيليون هذه الخطوط عشرات المرات قبل حرب حزيران (يونيه) ١٩٦٧ بل وأبلغوا أنها غير فعالة وميتة ولا قيمة لها بالنسبة لهم، وتعددت الاعتداءات الإسرائيلية والشكاوىٰ العربية لدرجة تسبب الغثيان والإحباط.

وفي ديسمبر ١٩٥٨ نصح الإسرائيليون رئيس مراقبة الهدنة الجنرال كارل فون هورن بأن يمتنع عن الالتزام باتفاقية الهدنة، لأن الاتفاقية من وجهة نظرهم قد ماتت، وقد زاره السفير الإسرائيلي كومي Comay في مكتبه في نيويورك وقال له: «من الأفضل أن تنسىٰ كل ما يتعلق بفكرة الأمم المتحدة العتيقة المتعلقة بتسيير قارب دورية في بحيرة طبرية، فالفكرة ولدت ميتة لأن البحرية تقع بشكل رئيسي ضمن السيادة الإسرائيلية..»، ثم قال له مهدداً: «من الحكمة أن تصغي لهذه النصيحة، وإلا فلا شك أن حياتك ستصبح محفوفة بالكثير من المتاعب».

وقد طرد الإسرائيليون أربعة آلاف بدوي ممن كانوا يسكنون

في منطقة النقب داخل منطقة العوجة المنزوعة السلاح عام ١٩٥٠ واحتل الجيش الإسرائيلي المنطقة المعزولة السلاح بينه وبين مصر في ١٩٥٣/١١/٩ واعتبرها منطقة إسرائيلية.

مناطق الهدنة مع الأردن

١ - في القدس منطقة جبل سكوبس.

(شمال القدس، وتتحكم في مداخل المدينة من الناحية الشرقية والشمالية) ويقع التل بكامله في المنطقة الأردنية، ولكن اتفاقية الهدنة الموقعة من الجانبين بإشراف الأمم المتحدة في ١٩٤٨/٧/٧ جعلت هذه المنطقة منزوعة السلاح وتحت حماية الأمم المتحدة مباشرة، وأكدت اتفاقية الهدنة العامة الموقعة ١٩٤٩/٤/٣ أن هذه المنطقة تقع علىٰ الجانب الأردني من خط الهدنة وسمح للشرطة الأردنية بدخول هذه المنطقة.

وسرعان ما انتهك الإسرائيليون هذا الخط في ١٩٥٢/٦/٤ واستولت إسرائيل علىٰ مكاتب الأمم المتحدة ذاتها، ثم أدخلوا كمية من الذخيرة والأسلحة، وحاولوا الاستيلاء علىٰ جبل سكوبس لولا وقوف الحكومة الأردنية بحزم وقوة.

٢ - جبل المكبر

استعمل مقر دار الحكومة علىٰ جبل المكبر كمقر رئيس لهيئة مراقبة الهدنة التابعة للأمم المتحدة، وحاولت إسرائيل مرارًا التعدي علىٰ هذه المنطقة، ولكنها بقيت خارج السيادة الإسرائيلية والأردنية وبقيت

تحت علم الأمم المتحدة حتىٰ يونيه ١٩٦٧م.

واعتدت إسرائيل مرارًا وتكرارًا علىٰ المناطق المنزوعة السلاح بين القدس العربية والإسرائيلية، كما هاجموا منطقة اللطرون علىٰ الطريق بين يافا والقدس رغم كونها واقعة في المنطقة المنزوعة السلاح، وسجلت عشرات الاعتداءات الإسرائيلية كما تمت مذبحة قبية في ١٩٥٣/١٠/١٥ في الضفة الغربية حيث دمرت ثلاث قرىٰ.

إسرائيل تعد لغزو مصر عام ١٩٥٦م

لقد كانت سياسة إسرائيل مبنية علىٰ التوسع باستمرار كلما كانت الفرصة مناسبة، ولم يكن هناك ما يوقف أطماع إسرائيل التوسعية، ومما يشجعها علىٰ ذلك ضعف العرب وكثرة خلافاتهم، وتأييد الدول الغربية لها، ففي عام ١٩٥٥ بدأت إسرائيل تُعِدُّ لغزوِ مصر، وخاصة أن العلاقات بين مصر وبريطانيا قد ساءت بسبب رفض بريطانيا التخلي عن السويس، كما كانت علاقة فرنسا بمصر سيئة جدًا بسبب تأييد مصر للحركات الثورية التحررية في تونس والجزائر والمغرب والتي كانت تحت الهيمنة أو الاستعمار المباشر الفرنسي، ولهذا وثَّقت إسرائيل علاقتها مع فرنسا، وبدأت معها مشروع النشاط النووي والقنبلة الذرية في مفاعل ديمونة في صحراء النقب بمساعدة كاملة وقوية من حكومة جي موليه الفرنسية، وقد تولىٰ شمعون بريز الإشراف الكامل علىٰ البرنامج النووي الإسرائيلي، وبدأت تظهر تصاريح من المسؤولين الإسرائيليين تدل علىٰ الاستعداد للهجوم علىٰ مصر، ومن ذلك تصريح مناحيم بيجن في البرلمان الإسرائيلي.

قال مناحيم بيجن زعيم حزب حيروت (ليكود فيما بعد) في البرلمان

الإسرائيلي في ١٩٥٥/١٠/١٢: «إنني أومن إيمانًا عميقًا بوجوب شنِّ حرب وقائية ضد الدول العربية وبلا تردد، فإذا ما فعلنا ذلك فإننا سنحقق هدفين: أولهما القضاء المبرم علىٰ القوة العربية، وثانيهما توسيع حدودنا».

وأعلن المتحدث الرسمي باسم حزب حيروت في يناير ١٩٥٦ (قبل حرب السويس بعشرة أشهر تقريبًا): «إن السلام مع الأقطار العربية مستحيل مع وجود الحدود الحالية لإسرائيل لأنها تجعل البلاد عرضة للهجوم، وعليه يجب علىٰ إسرائيل القيام بهجوم فوري للاستيلاء علىٰ نقاط إستراتيجية علىٰ طول الحدود بما في ذلك قطاع غزة، وينبغي عليها بعد ذلك الاستيلاء علىٰ المملكة الأردنية التي تدعمها بريطانيا.

حرب ١٩٥٦/١٠/١٩ والهجوم علىٰ مصر بالاتفاق مع فرنسا (جي موليه) وبريطانيا (ايدن) المشهورة بحملة السويس واستيلاء إسرائيل علىٰ غزة والعريش ورفح وسيناء بكاملها ووصولها إلىٰ شرق السويس وقناة السويس مباشرة، ولكن مجلس الأمن وموقف إيزنهاور مع موقف روسيا اضطر بريطانيا وفرنسا وإسرائيل إلىٰ وقف العدوان والعودة إلىٰ الحدود السابقة مع استفادة إسرائيل من المرور في مضايق تيران وخليج العقبة.

وصرح دافيد بن جوريون في الكنيست قائلاً: لم يعمل الجيش الإسرائيلي علىٰ احتلال أرض للعدو داخل مصر ذاتها، بل حصر عملياته في تحرير المنطقة الممتدة من شمال سيناء إلىٰ رأس البحر الأحمر، وسمىٰ جزيرة تيران باسمها التوراتي جزيرة يوتفات، وأقيمت إيلات (وهي أيلة حاضرة البحر التي كانت تتحايل علىٰ الصيد يوم السبت فعاقبهم الله بأن مسخهم قردة) مكان قرية عربية اسمها أم الرشراش، والتي جرىٰ احتلالها بعد أسبوعين من توقيع اتفاقية الهدنة مع مصر.

وقال بن جوريون: «أما الهدنة مع مصر فقد توفيت، وكذلك الحال بالنسبة لخطوط الهدنة وليس من ساحر أو عرَّاف يستطيع بعث هذه الخطوط من جديد».

ورغم موقف الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ضد العدوان الثلاثي آنذاك إلا أن إسرائيل كسبت حق المرور في خليج العقبة ومضايق تيران، وصدر تعديل للقانون البحري الدولي عام ١٩٥٨ بحيث ينص علىٰ عدم جواز تعطيل المرور البريء للسفن الأجنبية عبر الممرات المائية التي تستعمل في الملاحة الدولية بين جزء من بحر وآخر من أعالي البحار أو المياه الإقليمية لدولة أجنبية.

بعض الاعتداءات الإسرائيلية بعد حرب ١٩٥٦

في ١٩٦٢/٢/١ دمَّرت قرية التوافيق السورية، في ١٩٦٢/٣/١٦ هوجمت الأراضي السورية إلىٰ شرق بحيرة طبرية، في ١٩٦٤/١١/١٣ هوجمت قرىٰ النخيلة العباسية وتل العزيزيات السورية، وفي ١٩٦٥/٥/٢٧ هوجمت مدينة قلقيلية وجنين في الضفة الغربية، وفي ١٩٦٥/١٠/٢٩ هوجمت قرية الحولة وميس الجبل في لبنان.

مجلس الأمن يوجه اللوم ويحذ إسرائيل علىٰ اعتدائها المتكرر وخرق الهدنة

وقد وجهت اللجنة المشتركة للهدنة ومجلس الأمن اللوم الإسرائيلي علىٰ انتهاكاتها العديدة للهدنة وأُدينت إسرائيل بالاعتداء وانتهاك الهدنة في ٣١ هجوم، وذلك في الفترة الواقعة بين ١٩٥١/٤/٥ و١٩٦٧/٤/٧

(قبل حزيران يونيه ١٩٦٧) وقد ذكرت لجان الهدنة المشتركة أن الدول العربية قد أوفت بالتزاماتها وتعهداتها بكل دقة بينما لم تلتزم إسرائيل رغم تعهداتها التي دائمًا ما تخرقها في أول فرصة تسنح لها، ورغم أن ضباط وجنود مراقبة الهدنة من الأمم المتحدة كانوا يأتون إلىٰ المنطقة وهم متعاطفون مع إسرائيل بسبب الدعاية إلا أن وقوفهم علىٰ الحقائق وأرض الواقع تجعل غالبيتهم الساحقة تتبين كما يقول الجنرال هورن أحد الذين تولوا مراقبة الهدنة: «غش الإسرائيليين وخداعهم.. وهو أمر محزن ولكنه بالغ الدلالة».

مذبحة كفر قاسم

في ١٩٥٦/١٠/٢٩ حيث قتل ٥١ شخصًا من سكان القرية الذين كانوا عائدين من حقولهم إلىٰ قريتهم وكان بين القتلىٰ ١٢ امرأة وفتاة، وقد حكمت المحكمة علىٰ قائد المذبحة بغرامة رمزية قدرها سِنْتَان (أي ٢٪ من الدولار).

معاملة عرب ١٩٤٨

ونشرت صحيفة همشمار الإسرائيلية في ١٩٧٦/٩/٧ مذكرة كوينج التي اقترحت علىٰ الحكومة الإسرائيلية:

١ ـ منع أي لين في معاملة عرب إسرائيل وفرض السيطرة عليهم من قبل الشرطة والجيش وسلطات السجون.

٢ ـ فرض زعامة خائنة عليهم في شكل حزب عربي قومي تديره وكالة الاستخبارات الإسرائيلية.

٣ ـ نظام دقيق التجسس علىٰ العرب.

٤ ـ إغلاق الجامعات في وجه الطلبة العرب، وتسهيل هجرة الشباب ومنع رجوعهم.

٥ ـ إبقاء العرب مشغولين ٢٤ ساعة في اليوم بحثًا عن الرزق.

٦ ـ فرض ضرائب وغرامات مرتفعة علىٰ العرب مما سيؤدي إلىٰ حرمانهم وإبقائهم في حالة عوز.

٧ ـ إلغاء التأمين الاجتماعي للعرب وجعله خاصًّا باليهود.

٨ ـ مصادرة المزيد من الأراضي العربية لإقامة المستوطنات اليهودية.

٩ ـ إعاقة تزايد السكان العرب بكل وسيلة ممكنة.

الجمعية العامة للأمم المتحدة
تصدر عشرات القرارات تدين إسرائيل

أصدرت الأمم المتحدة العديد من القرارات التي تدين إسرائيل ومنها القرار رقم ٢٥٣٥، وكلها تؤكد حق اللاجئين في العودة والتعويض.

نص القرار ٢٥٣٥ في ١٠/١٢/١٩٦٩

وفيه: «إذ نعترف بأن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين العرب قد نتجت عن حرمانهم من حقوقهم الثابتة بموجب ميثاق الأمم المتحدة وإعلان حقوق الإنسان العالمي، لتعبر الجمعية العامة للأمم المتحدة عن قلقها الشديد من أن عدم الاعتراف بحقوقهم قد ازداد تفاقمًا بسبب ما تتحدث

عنه التقارير من أعمال العقاب الجماعي والاعتقال التعسفي، وحظر التجول، وتدمير المنازل والممتكات والطرد وغيرها من أعمال القمع المتخذة ضد اللاجئين وغيرهم من سكان الأراضي المحتلة.. وتعاود التأكيد علىٰ حقوق الشعب الفلسطيني الثابتة، وتلفت نظر مجلس الأمن إلىٰ الوضع الخطير الناتج من سياسات إسرائيل وممارساتها في الأراضي المحتلة، وإلىٰ رفض إسرائيل تنفيذ قرارات الأمم المتحدة وتطالب مجلس الأمن باتخاذ الإجراءات الفعالة، والمرتكزة إلىٰ مبادئ الأمم المتحدة، لضمان تطبيق هذه القرارات».

وفي عام ١٩٧٠ كررت الأمم المتحدة (الجمعية العامة) مطالبة إسرائيل بالانسحاب من الأراضي التي احتلها عام ١٩٦٧ وتأكيد حق اللاجئين في العودة إلىٰ ديارهم في فلسطين.. وقد جاء في ذلك القرار:

«تعترف الجمعية العامة بأن للشعب الفلسطيني الحق في التمتع بما تتمتع به الشعوب الأخرىٰ من حقوق، وبحق تقرير المصير، وذلك حسبما ينص عليه ميثاق الأمم المتحدة، وتعلن بأن الاحترام الكامل للحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني يعتبر عنصرًا لا غنىٰ عنه في إقامة سلام دائم وعادل».

وفي عام ١٩٧٣ أعلنت حق الشعب الفلسطيني في الكفاح المسلح لاستعادة أراضيه (القرار ٣٠٧٠ في ١٩٧٣/١١/٣٠).

وفي ١٩٧٢/١٢/٨ القرار ٢٩٤٩ (والقرار ٢٩٦٣ والقرار ٣٠٠٥) أصدرت الجمعية العامة قرارًا شديد اللهجة يشجب ممارسات إسرائيل ورفضها اقتراحات مندوب الأمم المتحدة السفير بتاريخ ١٩٧١/٢/٨ بانسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلها عام ١٩٦٧، وأدانت

الاستيلاء علىٰ أراضي الغير بالقوة، وإن إقامة سلام دائم في الشرق الأوسط يجب أن يشتمل علىٰ:

أ ـ انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من أراض جرىٰ احتلالها خلال النزاع الأخير (يونيه ١٩٦٧).

ب ـ إنهاء حالة الحرب بجميع أشكالها مع الاعتراف بسيادة ووحدة أراضي واستقلال كل دولة من دول المنطقة وبحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها، وبلا خوف من تهديد باستعمال القوة أو من استعمالها بالفعل»، «وأن تغييرات أحدثتها إسرائيل في الأراضي العربية المحتلة، مخالفة بذلك مواثيق جنيف، تعتبر لاغية وباطلة، وتدعو إسرائيل إلىٰ أن تلغي فورًا جميع السياسات والممارسات التي تؤثر في التركيب السكاني والوضع الجغرافي للأراضي العربية المحتلة».

ودعا الدول جميعها إلىٰ عدم الاعتراف بأي من هذه التغييرات التي أحدثتها إسرائيل، واحترام حقوق الفلسطينيين يعتبر عنصرًا لا يمكن الاستغناء عنه في إقامة سلام دائم وعادل في الشرق الأوسط.

وقد أشار وزير الخارجية المصري الذي ألقاه في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في شهر حزيران (يونيه) عام ١٩٧٣ إلىٰ ندوة عقدها سبعة من رؤساء أركان الحرب الإسرائيليين وأنهم كانوا متفقين علىٰ النقاط التالية:

١ ـ أن الزعماء العرب مستعدون لتوقيع اتفاقية سلام مع إسرائيل علىٰ أساس انسحابها إلىٰ الحدود التي كانت قائمة قبل ٥ حزيران ١٩٦٧م.

٢ ـ أنه من الأفضل لإسرائيل تجاهل هذا الاستعداد العربي لأن العرب سيستسلمون استسلامًا تامًا خلال ثلاثين عامًا.

٣ ـ أن العرب مجتمعين لا يشكلون أي تهديد لأمن إسرائيل بل إن العكس هو الصحيح.

وقد تكررت إدانات الجمعية العامة للأمم المتحدة لإسرائيل، أما في مجلس الأمن فكانت أي إدانة شديدة تواجه بالفيتو الأمريكي، ومن ذلك مشروع القرار رقم ٥/١٠٩٧٤ المقدم من مجلس الأمن في ١٩٧٣/٧/٢٤ الذي أيدته ١٣ دولة وامتنعت الصين عن التصويت لأنها رأته غير كافٍ وواجهته الولايات المتحدة بالفيتو، وينص مشروع القرار هذا علىٰ:

١ ـ التأكيد علىٰ القرار ٢٤٢ لمجلس الأمن الصادر في ١٩٦٧/١١/٢٢ والقاضي بانسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها في حرب حزيران ١٩٦٧م.

٢ ـ يجب المحافظة علىٰ حقوق الفلسطينيين.

٣ ـ يشجب بقوة استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي التي احتلت في حرب حزيران ١٩٦٧،

٤ ـ يُعبّر عن قلقه الشديد من عدم تعاون إسرائيل مع الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة.

٥ ـ يؤيد مبادرات الممثل الخاص للأمين العام وضمنها مذكرته بتاريخ ١٩٧١/٢/٨م.

٦ ـ إن حل مشاكل الشرق الأوسط حلاً عادلاً وسليمًا لا يمكن

تحقيقه إلا علىٰ أساس احترام سيادة جميع دول المنطقة ووحدة أراضيها وحقوقها، واحترام حقوق الفلسطينيين وتطلعاتهم المشروعة.

٧ ـ يعلن عدم جواز إحداث تغييرات في المناطق المحتلة من شأنها إعاقة السلام والتسوية النهائية، وغيرها من الحقوق الأساسية لجميع سكان هذه المناطق، ويعلن عدم جواز الاعتراف بمثل هذه التغييرات.

وكونت الأمم المتحدة لجنة لدراسة حقوق الشعب الفلسطيني في ١٩٧٥/١١/١٠ بالقرار رقم ٣٣٧٥، وفي نفس اليوم صدر من الجمعية العامة القرار رقم ٣٣٧٦ الذي عبَّرت فيه الأمم المتحدة عن قلقها لأن سلامًا عادلاً للمشكلة الفلسطينية لم يتم التوصل إليه، ولأن تقدمًا لم يحدث في مجال ممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الثابتة في فلسطين بما في ذلك حقه في تقرير المصير، وحقه في السيادة والاستقلال وممارسة الفلسطينيين لحقهم الثابت في العودة إلىٰ ديارهم وممتلكاتهم التي أزيحوا عنها واقتلعوا منها.

وبموجب هذا القرار أنشأت الجمعية العامة «لجنة لمعالجة ممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الثابتة»، وأُنيطت بهذه اللجنة وضع برنامج تنفيذي بهدف تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقوقه التي تشمل: حق تقرير المصير والاستقلال والسيادة والعودة إلىٰ ديارهم.

وأكدت هذا القرار السجلات الرسمية للجمعية العامة في الاجتماع العام في الدورة ٣١ الملحق ٣٥ رقم (A/31/35) والوثيقة الرسمية الصادرة عن الأمم المتحدة رقم (ST/SC/SER.F/2) والذي أكد حق الفلسطينيين في العودة إلىٰ وطنهم وممتلكاتهم وديارهم، وحقهم في

التعويض عما لحق بهم من أضرار، وتعويض الذين لا يريدون العودة تعويضًا كاملاً ومنصفًا، وأشار إلىٰ أن إسرائيل ملزمة بعودة جميع اللاجئين الذين شُرِّدوا في الحربين عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧، وينبثق هذا الالتزام من موافقة إسرائيل بأن تفي بالتزاماتها بموجب ميثاق الأمم المتحدة وأن تنفذ القرار رقم ٢/١٨١ الصادر في ١٩٤٧/١١/٢٩، والمتعلق بالحفاظ علىٰ كافة حقوق عرب فلسطين داخل إسرائيل، وأن تنفذ القرار رقم ٣/١٩٤ الصادر في ١٩٤٨/١٢/١١ والخاص بعودة اللاجئين إلىٰ ديارهم وممتلكاتهم وتعويض من اختار عدم العودة، وقرار الجمعية العامة رقم ٣/٢٧٣ بالإضافة إلىٰ إعلان حقوق الإنسان العالمي وميثاق جنيف الرابع المتعلق بحماية المدنيين وممتلكاتهم في زمن الحرب والصادر في ١٩٤٨/٨/١٢ الذي وقَّعت عليه إسرائيل.

ولذا يجب أن تعطىٰ الأولوية لحق العودة لكل فلسطيني طرد من أرضه، ويجب تمكينهم من ممارسة هذا الحق، وينفذ برنامج العودة علىٰ مرحلتين تشمل المرحلة الأولىٰ عودة الفلسطينيين الذين شُرِّدوا نتيجة حرب حزيران والمرحلة الثانية تشمل عودة جميع الفلسطينيين الذين شُرِّدوا عام ١٩٤٨ والذين شُرِّدوا في الفترة ما بين ١٩٤٨ و١٩٦٧، أما الذين يختارون عدم العودة فيجب أن تدفع لهم تعويضات عادلة ومجزية.

وقد أدان مجلس الأمن والجمعية العامة إسرائيل لعدم التزامها بقرارات مجلس الأمن والجمعية العامة ولإنشائها مستوطنات في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧، وتكرر ذلك عشرات المرات منذ حرب حزيران ١٩٦٧ وحتىٰ يومنا هذا، ومن ذلك مداولات الجمعية العامة في الدورة ٣١، الاجتماع العام،

والوثيقة رقم (S/PV 2041)، والسجلات الخاصة لمجلس الأمن في شهر ابريل ومايو ويونيه ١٩٧٦ الوثيقة رقم (S/12119) والوثيقة رقم (S/PV 1938) والوثيقة رقم (S/PV 2041) والقرار رقم ٢٠/٣١ في ١٩٧٦/١١/٢٤ والقرار رقم ٤٠/٣٢ في ١٩٧٧/١٢/١٥ والوثيقة رقم (ST/SG/SER.F/1) لعام ١٩٧٨ والقرار رقم ١١٢/٣٣ في ١٩٧٨/١٢/١٨.

وقد جاوزت قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن التي تدين إسرائيل والتي تطالبها بالعودة إلىٰ حدود ٤ حزيران ١٩٦٧، وحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلىٰ وطنهم، وتعويض من لا يريد العودة، والحفاظ علىٰ كيان القدس (الشرقية)، وإدانة قيام إسرائيل بإنشاء المستوطنات في الأراضي المحتلة في حرب حزيران ١٩٦٧، أكثر من ١٥٠ قرارًا وتوصية، وذلك منذ قيام إسرائيل وحتىٰ اليوم، وأدانت القرارات إسرائيل لانتهاكها قرارات الأمم المتحدة وتهديدها للسلام العالمي «وليس من حق إسرائيل الاستمرار في تهديد الكوكب الذي نعيش عليه بالفناء»، وأكدت حق الفلسطينيين في إقامة دولتهم المستقلة حسب قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة.

وقامت الأمم المتحدة (الجمعية العامة) بموجب القرار الصادر في ١٩٧٧/١٢/٢ بتكوين لجنة لدراسة نشوء المشكلة الفلسطينية وتطورها، وقد عالجت في الجزء الأول: الأصول التاريخية للمشكلة من عام ١٩١٧ وحتىٰ عام ١٩٤٧، وهي الفترة التي كانت فلسطين خاضعة في معظمها للانتداب البريطاني (الاحتلال البريطاني من عام ١٩١٧ ثم الانتداب من عام ١٩٢٢ إلىٰ ١٩٤٧).

ويعالج الجزء الثاني: تطور القضية من عام ١٩٤٧ حتىٰ نهاية ١٩٧٧، وأكدت هذه الدراسة حق الشعب الفلسطيني في وطنه، وفي إقامة دولتهم المستقلة (حدود ١٩٤٧/١١/٩ وحق اللاجئين في العودة إلىٰ وطنهم وممتلكاتهم وتعويض من يرفض العودة.

وعبَّرت الجمعية العامة في القرار رقم ١١٢/٣٣ الصادر في ١٩٧٨/١٢/١٨ عن أسفها العميق لعدم تنفيذ القرار رقم ١٩٤/٣ (الفقرة ١١) الخاصة بعودة اللاجئين إلىٰ ديارهم وممتلكاتهم وتعويض من لا يريد العودة تعويضًا عادلاً ومجزيًا. ولهذا فإن وضع اللاجئين الفلسطينيين ما زال مبعث قلق شديد للأمم المتحدة، وأكدت علىٰ وجوب اتخاذ الخطوات الفورية الكفيلة بعودة جميع السكان المرحَّلين، وبالتوقف عن اتخاذ جميع الإجراءات التي تعرقل عودة السكان المرحَّلين بما في ذلك الإجراءات التي تغيّر التركيب السكَّاني في المناطق المحتلَّة.

قرارات الأمم المتحدة في عودة اللاجئين وحق التعويض والإجراءات الإسرائيلية

أصدرت الأمم المتحدة أكثر من مائة قرار كلها تؤكد حق اللاجئين في العودة إلىٰ وطنهم وأهمها:

ـ القرار ١٩٤/٣ في ١٩٤٨/١٢/١١ المتعلق باللاجئين وحقهم في العودة والتعويض.

ـ القرار ٣٩٤/٥ في ١٩٥٠/١٢/١٤ حول اللاجئين وممتلكاتهم ومصالحهم إلىٰ أن تتم التسوية النهائية.

وقد تم تأكيد القرار ٣/١٩٤ والصادر في ١٩٤٨/١٢/١١ أكثر من مائة مرة حتى اليوم بقرارات صادرة من الجمعية العامة.

وقد قُدِّرت ممتلكات الفلسطينيين عام ١٩٤٨ بمائة مليون جنيه فلسطيني أي ما يوازي ٢٨٠ مليون دولارًا في ذلك الوقت، ولا شك أن القيمة قد تضاعفت خلال الخمسين عامًا الماضية عشرات المرات وأصبحت تساوي عشرات المليارات من الدولارات، وكانت التقديرات سنة ١٩٤٨ كالآتي:

	مليون جنيه فلسطيني
أراضي ريفية (زراعية وغيرها)	٦٩,٥
أراضي مدنية (بدون القدس)	٢١,٥
أراضي القدس	٩
	١٠٠ مليون جنيه فلسطيني أي ٢٨٠مليون دولار

٭ التشريعات الإسرائيلية بمصادرة أملاك اللاجئين:

- قانون الأراضي المتروكة لعام ١٩٤٨.

- تنظيمات أملاك الغائبين لعام ١٩٤٨.

- تنظيمات الطوارئ لعامي ٤٨ - ١٩٤٩ المتعلقة بفلاحة الأراضي البور.

ووزير الزراعة الإسرائيلي هو حارس أملاك الغائبين وبالتالي يقوم بمصادرتها للمصلحة العامة، وتعريف الغائب هو كل شخص كان في ١٩٤٧/١١/٢٩:

أ - أحد مواطني أو رعايا أية دولة عربية.

ب ـ كان موجودًا في أيٍّ من هذه الدول.

ج ـ كان موجودًا في أي جزء من فلسطين خارج المناطق التي تحتلها إسرائيل.

د ـ في أي مكان خارج مكان إقامته العادية، حتىٰ ولو كان ذلك ضمن المنطقة التي تحتلها إسرائيل.

وكل من غادر قريته أو مدينته بعد ١٩٤٧/١١/٢٩ ولو لداخل المنطقة المحتلة يعتبر غائبًا وتتم مصادرة أملاكه وأرضه ومنزله، ولو كان غيابه لأيام قليلة فقط.

وصدر قانون أملاك الغائبين لعام ١٩٥٠ لينظم عملية الاستيلاء ويمكن للحارس (وزير الزراعة) بيع هذه الأراضي إلىٰ سلطة للتنمية (أي لإقامة مستوطنات) ولا يمكن نقل الملكية إلا إلىٰ الصندوق القومي اليهودي أو إلىٰ مؤسسات حائزة علىٰ موافقة الحكومة أو إلىٰ السلطات المحلية اليهودية.

وقد وضع هذا القانون للتمويه علىٰ الدول الغربية حتىٰ لا يقال أن الدولة الإسرائيلية صادرت أراضي الفلسطينيين، ولهذا تم وضع جهة تسمىٰ سلطة التنمية، وهي تنمية لليهود فقط.

انتهاك حقوق الإنسان

وصف الدكتور إسرائيل شاحاك[١] (I.Shahak) (وهو كيميائي

(١) The Shahak report Dr. Israel Shahak Chairman of the Israeli League for Human Rights in tel Aviv,15 Feb 1973.
تقرير إسرائيل شاحاك رئيس لجنة حقوق الإنسان في إسرائيل، وقد صدر التقرير في تل أبيب بتاريخ ١٥ فبراير (شباط) ١٩٧٣.

وكاتب ورئيس لجنة حقوق الإنسان الإسرائيلية مشهور في إسرائيل وغيرها ويعتبر من رعيل بن جوريون) إخراج العرب من ديارهم وتدمير اليهود لقراهم ومنازلهم بأنه أمرٌ يثير القشعريرية، وأضاف: «كانوا يهاجمون القرية العربية، ثم يقومون بتدمير كل بيت فيها وكل سور وكل حديقة وكل مقبرة وشواهد قبورها تدميرًا كاملاً حتىٰ يسووها حرفيًا بالأرض، أما هدفهم من وراء ذلك فكان محو الوجود العربي».

* مواثيق حقوق الإنسان: ميثاق لاهاي ١٩٠٧.
* ميثاق الأمم المتحدة ١٩٤٥.
* إعلان حقوق الإنسان ١٩٤٨.
* ميثاق جنيف المتعلق بحماية المدنيين وقت الحرب ١٩٤٩.
* ميثاق جنيف الرابع ١٩٦١.

وقد صادقت إسرائيل علىٰ هذه المواثيق كلها ولم تنفذ أيًّا من بنودها.

وقد جاء في ميثاق جنيف الرابع ١٩٦١: «ينطبق الميثاق علىٰ جميع حالات الاحتلال الجزئي أو الكلي لأراضي الدولة الموقعة عليها.. وتقول المادة الرابعة منه: «يحمي هذا الميثاق الأشخاص الذين يجدون أنفسهم في لحظة من اللحظات وبأي شكل من الأشكال ونتيجة لنزاع مسلح أو احتلال في قبضة طرف من أطراف النزاع أو دولة محتلة لا يكونون من مواطنيها، ويعتبر المدنيون في المناطق المحتلة أشخاصًا تجب حمايتهم (كما نص علىٰ ذلك ميثاق لاهاي) ويتمتعون بالحريات المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة، وإعلان حقوق الإنسان».

وقد أدانت الأمم المتحدة موقف إسرائيل المنتهك لحقوق الإنسان

في الأراضي المحتلة في يونيه ١٩٦٧ مرات عدة أولها في ١٩٦٧/٧/٤ (أي بعد أقل من شهر من احتلال إسرائيل لها) ثم ١٩٦٨/٣/٨ عندما أرسلت لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة برقية إلىٰ الحكومة الإسرائيلية تدعوها إلىٰ التوقف عن تدمير بيوت المدنيين في المناطق المحتلة، وفي ١٩٦٨/٥/٧ اتخذ المؤتمر الدولي لحقوق الإنسان قراره رقم (١) الذي يعبر فيه عن أشدِّ القلق بخصوص انتهاك حقوق الإنسان في الأراضي العربية التي جرىٰ احتلالها نتيجة لحرب يونيه ١٩٦٧ وفي ١٩٦٨/١٢/٩ شكلت الأمم المتحدة لجنة خاصة للتحقيق في الممارسات الإسرائيلية التي تنتهك حقوق الإنسان، وقد رفضت إسرائيل دخول هذه اللجنة إلىٰ فلسطين المحتلة، كما منعت أي لجنة مماثلة منذ ذلك التاريخ، ودأبت الأمم المتحدة علىٰ إصدار قرارات سنوية تدين إسرائيل بسبب استمرارها في انتهاك حقوق الإنسان في المناطق المحتلة وخاصة تدمير منازل المدنيين العرب وترحيل السكان واللجوء إلىٰ العنف المفرط في معاملة المواطنين الذين يعبِّرون عن استيائهم من الاحتلال، وتدعو إسرائيل إلىٰ وضع حدٍّ فوريٍّ لمثل هذه الأعمال.

وقد جاء في أحد هذه التقارير بأنها تعتبر الانتهاكات الخطيرة لميثاق جنيف الرابع والتي ارتكبتها إسرائيل في الأراضي العربية المحتلة بمثابة جرائم حرب وتحدٍّ للإنسانية، وتبنِّي مؤتمر اليونيسكو العام قرارًا يعبر عن القلق لعدم تمتع سكان المناطق المحتلة بحقوقهم الثابتة في تعليم قومي وحياة ثقافية قومية، وناشد إسرائيل أن تمتنع فورًا عن اتخاذ أي إجراء من شأنه إعاقة ممارسة الحق في تعليم قومي وحياة ثقافية قومية.

وأصدرت منظمة الصحة العالمية قرارًا جاء فيه أن انتهاكات إسرائيل

لحقوق الإنسان الخاص باللاجئين والنازحين وسكان المناطق المحتلة تشكل عقبات خطيرة في الشؤون الصحية لسكان المناطق المحتلة، «وتدعو إسرائيل إلىٰ عدم التدخل في نشاطات اللجنة العالمية للصليب الأحمر داخل الأراضي المحتلة»، وآخر هذه التقارير صدر بعد زيارة ماري روبنسون مسؤولة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة بعد زيارتها للأراضي المحتلة وتعرضها شخصيًا للعدوان وذلك في يناير ٢٠٠١.

إسرائيل تتحدَّىٰ المجتمع الدولي والأمم المتحدة

١ ـ ضم القدس الشرقية وتدمير حيِّ المغاربة الملاصق للحائط الغربي واحتلال مئات المساكن وإقامة أحياء يهودية داخل القدس القديمة وخارجها، وتوسيع بلدية القدس في مشروع القدس الكبرىٰ والاستيلاء علىٰ عشرات القرىٰ الفلسطينية وهدمها وبناء مستوطنات لليهود الصهاينة، وبناء طرق التفافية وعزل ما بقي من هذه القرىٰ عن بعضها، وتم الاستيلاء علىٰ ٢٢,٠٠٠ دونم من المدينة القديمة وضواحيها، وطرد عشرات الألوف من سكانها (١٩٦٧ ـ ١٩٧٤)، وقد زادت الوتيرة بعد اتفاق أوسلو ١٩٩٣م.

٢ ـ تدمير مئات القرىٰ والأحياء والمنازل مثل قرية عمواس وجالو وبيت نوبا ومصادرة الممتلكات، وقد دمر في الفترة ما بين حزيران ١٩٦٧ و١٩٧٤ ما يلي:

١٠٨٩٧ مبنىٰ في قطاع غزة

٦٢٥٥ مبنىٰ في الضفة الغربية

٢٠٠٠ مبنىٰ في الجولان

كما تمت مصادرة أكثر من مليون دونم في نفس الفترة، وتم طرد آلاف البدو في النقب وتمت مصادرة مائة ألف دونم من أراضيهم، وتضاعفت هذه الأرقام عدة مرات منذ اتفاقات أوسلو عام ١٩٩٣ وحتىٰ اليوم بقدوم حكومة الإرهابي المجرم شارون في مارس ٢٠٠١.

تقول المحامية الإسرائيلية فيليشيا لانجر (Felicia Langer): «إن هدم المنازل يعتبر واحدًا من أقسىٰ أنواع العقوبات التي يفرضها الحاكم العسكري إداريًا ودون الاستناد إلىٰ أي قرار من أية محكمة قانونية، أما ضحايا هذه العقوبة فهم دائمًا تلك العائلات البريئة التي ينتمي إليها المعتقلون، والتي لا تدري شيئًا عن نوع الجريمة (المزعومة) المتهم بها ابنها أو أخوها».

وتقول: «بالإضافة إلىٰ مصادرة الأراضي والطرد وهدم المنازل فهناك وسيلة أخرىٰ للإرهاب، وهي المحاكم العسكرية، فقد أصدرت المحاكم العسكرية أحكامًا بآلاف السنين من السجن بحق الفلسطينيين دون وجود أية إمكانية لاستئناف هذه الأحكام.. وليس هناك ما هو شرعي في نظر السلطات كمظاهرة سلمية أو توزيع نشرة أو حتىٰ إعطاء كأس من الماء إلىٰ ابن أو زوج أو ابنة أو أب متهم بنشاط تخريبي، فالآباء والأمهات والزوجات والأخوات مجبرون بحكم القانون علىٰ إعلام السلطات إن شكُّوا في أن أحباءهم يعملون ضد السلطات».

ومنذ عام ١٩٧٣ قامت إسرائيل باختطاف وقتل العديد من المناهضين لها في الأقطار الأخرىٰ، وقد اختطفت إسرائيل عددًا من ركاب سفينة يونانية في عرض البحر، كما اختطفت العديد من المناضلين

من لبنان وغيرها، واغتالت العشرات بل المئات حتىٰ ممن لم يكن لهم أن نشاط مباشر ضد إسرائيل، مثل عالم الذرة المصري الدكتور المشد والدكتور الفاروقي وزوجته الأمريكية في الولايات المتحدة، وقام إيهود باراك (رئيس وزراء إسرائيل فيما بعد) باغتيال كمال ناصر وكمال عدوان ويوسف النجار في لبنان، وتم اغتيال أبو جهاد خليل الوزير في تونس ثم أبو إياد وهايل عبد الحميد، واغتيال يحيىٰ عياش وفتحي الشقاقي والدكتور ثابت ثابت ومحاولة اغتيال خالد مشعل وغيرهم كثير، وقصص التعذيب في السجون الإسرئيلية وصلت إلىٰ أسماع العالم أجمع.

وفي ١٩٧٧/٦/١٩ نشرت صحيفة التايمز اللندنية تحقيقًا موسَّعًا عن تعذيب المعتقلين والسجناء الفلسطينيين، ومما جاء فيه: «إن تعذيب السجناء العرب في السجون الإسرائيلية هو من سعة الانتشار والانتظام بحيث لا يمكن صرف النظر عنه بزعم أن من يقوم به هو مجموعة من أوغاد الشرطة الذي تخطوا الأوامر، بل يبدو أنه مجاز كسياسة مدروسة متعمدة».

وقد وافقت المحكمة العليا الإسرائيلية علىٰ استخدام التعذيب ضد الفلسطينيين أثناء استجوابهم للحصول علىٰ اعترافات ومعلومات منهم، مما أدىٰ إلىٰ تفاقم أعمال التعذيب ووفاة العديد من المعتقلين في السجون الإسرائيلية.

التمييز العنصري

أصدرت الأمم المتحدة عدَّة قرارات ضد التمييز العنصري ومنها الآتي:

ـ في سنة ١٩٤٥ مسودة ميثاق الأمم المتحدة (وفيه حقوق الإنسان ومنع التمييز).

ـ وفي سنة ١٩٤٨ تبنت الأمم المتحدة بيان حقوق الإنسان العالمي.

ـ وفي سنة ١٩٤٩ أصبح ميثاق جنيف حول المدنيين زمن الحرب نافذ المفعول.

ـ وفي سنة ١٩٦١ صدر ميثاق جنيف الرابع.

ـ وفي ١٩٦٣/١١/٢٠ صدر قرار بإزالة جميع أشكال التمييز العنصري، وينص القرار في مادَّته الأولىٰ علىٰ الآتي: «إن التمييز بين أفراد الجنس البشري علىٰ أساس الجنس أو اللون أو الأصل العرقي يعد إهانة للكرامة الإنسانية وينبغي إدانته»، وإن أيَّة عقيدة قائمة علىٰ التمييز أو التفوق العنصري هي عقيدة زائفة علميًا، مستحقة الإدانة أخلاقيًا، ثم هي ظالمة وخطيرة اجتماعيًا».

وفي سنة ١٩٦٥ صدر الميثاق العالمي لإزالة جميع أشكال التمييز العنصري المتمثل في أي امتياز أو استثناء أو قيد أو تفضيل قائم علىٰ أساس الجنس أو اللون أو النسب أو الأصل العرقي.

والثلاث الدول المدانة بالتمييز العنصري هي اتحاد جنوب أفريقيا وروديسيا (وكلاهما قد انتهىٰ فيها النظام العنصري الأبيض البغيض) وإسرائيل، وهي أكبر دولة عنصرية باقية حتىٰ اليوم.

وقد عادلت الأمم المتحدة الصهيونية بالعنصرية عام ١٩٧٥، في ١٩٧٥/١١/١٠ حيث تبنت الجمعية العامة قرارًا يؤكد أن الصهيونية هي

نوع من العنصرية والتمييز العنصري، وقد صوتت ٧٢ دولة لصالح القرار وامتنعت عن التصويت ٢٧ دولة وعارضته ٣٥ دولة.

وقد شنت الولايات المتحدة هجومًا شديدًا علىٰ هذا القرار وعلىٰ الأمم المتحدة وسمَّته عداءً مقيتًا للسامية، وقال الاتحاد الصهيوني الكندي: «إن فصل الصهيونية عن اليهودية هو بمثابة فصل محمد عن الإسلام أو المسيح عن النصرانية».

ثم استطاع مناحيم بيجن عند توليه الوزارة بدعم كامل من الولايات المتحدة أن يقلبوا هذا القرار باعتبار أن الصهيونية واليهودية شيء واحدٌ ولا يمكن التفريق بينهما، وقد تم إلغاء القرار الصادر في عام ١٩٧٥ الذي أكد أن الصهيونية هي نوع من العنصرية البغيضة والتمييز العنصري في ١٦/١٢/١٩٩١ وكان ذلك يومًا سعيدًا في الولايات المتحدة وإسرائيل.

ولقد أقرَّ وزير الداخلية الإسرائيلي في البرلمان (الكنيست) بأن التمييز العنصري قائم فعلاً في إسرائيل، غير أنه أشار إلىٰ أن هذا نابع من قانون العودة الذي يمنح أي يهودي في العالم حق العودة لإسرائيل والمواطنة فيها فورًا، بينما يَحرم العرب الفلسطينيين من حقهم في وطنهم والعودة إليه، وعلل ذلك بأن إعادة أعدادٍ كبيرة من المرحَّلين اليهود هي السبب في هذا القانون».. ورغم انتهاء مشكلة المرحلين واللاجئين اليهود إلا أن هذا القانون لا يزال ساري المفعول حتىٰ بداية الألفية الثالثة وإلىٰ أمدٍ غير منظور.

وتحدص بعض اليهود علىٰ اعتبار أن قانون العودة هذا عرقي ونازي

ومن هؤلاء صحيفة الجويش نيوزليتر (نيويورك) في ١٩٥٢/٥/١٢ التي قالت عن هذا القانون بأنه يعيد إلىٰ الحياة نظرية عرقية تشبه العرقية الألمانية النازية.

ويقول آحاد هاعام (Ahad Ha'am) وهو يهودي ذو ضميرٍ حيٍّ: «عبيدًا كانوا هم اليهود في بلاد الشتات، وفجأة وجدوا أنفسهم في جو الحريَّة فأيقظ هذا التغيير فيهم مَيلاً إلىٰ الطغيان، إنهم يعاملون العرب بعداء ووحشية ويحرمونهم من حقوقهم ويسيئون إليهم بلا سبب، حتىٰ أنهم يفاخرون بهذه الأفاعيل، وليس ثمة أحد بيننا يقاوم هذه النزعة الخسيسة الخطرة».

ويقول إسرائيل شاحاك[1]: «في اعتقادي الجازم أن دولة إسرائيل هي دولة عنصرية بكل ما في الكلمة من معنىٰ، ففي هذه الدولة يجري التمييز ضد أناس، بشكل دائم وقانوني، وفي أهم مجالات الحياة، لا لشيء سوىٰ أصلهم اللايهودي، لقد نشأ هذا التمييز أول ما نشأ في العقيدة الصهيونية، وها هو يطبق الآن بشكل رئيسي بالتعاون مع مؤسسات الحركة الصهيونية».

وكتب آري بوهر (Arie Boher) قائلاً: «تستخدم الدولة الصهيونية في المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ أسلوب القمع العسكري المباشر لطرد عرب فلسطين من أراضيهم وضمان استعمار اليهود لها، ولسحق كل أنواع المقاومة الفلسطينية، وأما داخل حدودها ذاتها، فهي تضطهد الأقلية

---

(١) I. Shahak: the Racist Nature of Zionism in the Zionist State of Israel.1972 The link (Americans for Middle Est Understanding VOL 8,P.10 1975.

العربية بشكل مدروس وعلىٰ نطاق الأمة بأسرها»[١].

لماذا تتحدىٰ إسرائيل القوانين الدولية والأمم المتحدة؟

إن إسرائيل بطبيعة تكوينها منذ اليوم الأول هي طبيعة عدوانية، ووجودها كله مبني علىٰ احتلال أراضي الغير وطرد هؤلاء من ديارهم ومدنهم وقُراهم وأراضيهم.. فإذا أقرَّت إسرائيل بالقوانين الدولية فإن كيانها كله يصبح باطلاً ولاغيًا.. وبما أن اليهود أقاموا دولتهم علىٰ أساس أنهم شعب الله المختار، شعب التوراة، فإن من حقهم أن يعودوا إلىٰ أرض التوراة التي جعلها الله لهم بموجب المواثيق العديدة التي قطعها الرب حسب زعمهم مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب ثم مع موسىٰ ويوشع بن نون ووصولاً إلىٰ داود وسليمان، وعليه فإن مملكة إسرائيل هذه هي مملكة الرب ذاته، وكما تقول جولدا مايير فإنه لا يحق لنا أن نسأل الرب لماذا أعطىٰ شعبه المختار أرض كنعان فهو قرار إلهي لا يمكن نقضه ولا ردُّه.

وتؤيد الصهيونية المسيحية المتغلغلة بصورة خاصة في الولايات المتحدة هذه الدعاوىٰ اليهودية التلمودية ـ التوارتية، ولذا تتجه الولايات المتحدة إلىٰ تأييد إسرائيل والوقوف معها ضد كل القرارات الشرعية الصادرة من الجمعية العامة للأمم المتحدة أو تلك الصادرة من مجلس الأمن، حيث تقوم الولايات المتحدة منذ خمسين عامًا أو تزيد بالضغط علىٰ مختلف الدول للتصويت لصالح إسرائيل، فإذا فشلت في ذلك استعملت حق النقض (الفيتو) لإيقاف القرارات المؤيدة للحق الفلسطيني والعربي.

---

(١) Arie Boher: The Other Israel: The Radicle Case against Zionism. Garden City, N.Y. 1972, P.1

وخلاصة هذه النظرية المسيطرة علىٰ الولايات المتحدة هو أنه لا يجوز أن يطبق علىٰ شعب الله المختار القانون الوضعي الإنساني، بل القانون الإلهي فقط، والقانون الإلهي في نظر الصهيونية المسيحية يقول بأن الله قد أعطىٰ اليهود حقًّا أبديًا في فلسطين وأرض كنعان، وأرضًا تفيض لبنًا وعسلاً تمتد من النيل إلىٰ الفرات، وإن إسرائيل الحالية لم تستعمل بعد حقها الإلهي في استرجاع هذه الأراضي التي أعطاها الرب إياها، أما القدس فهي في نظر الولايات المتحدة العاصمة الأبدية لشعب إسرائيل، كما قرر الرب ذاته، ولهذا وافق الكونجرس الأمريكي بمجلسيه بالإجماع تقريبًا علىٰ كون القدس عاصمة أبدية لإسرائيل، وبالتالي نقل السفارة الأمريكية إليها، وهو ما أكده أخيرًا كولن باول وزير الخارجية الأمريكي في حكومة جورج بوش الابن في ٩ مارس ٢٠٠١.

وخلاصة الموقف الأمريكي المبني علىٰ مفاهيم الصهيونية المسيحية: هو أن القانون الذي ينبغي أن يطبق علىٰ اليهود هو قانون إلهي مخصوص لشعبه المختار من دون جميع شعوب العالم، ولذا فإنه حين يتعارض القانون الدولي البشري مع القانون الإلهي المؤيد أبدًا لابن الله البكر إسرائيل، يجب فورًا أن ينفذ قانون الله ولا يلتفت إلىٰ القوانين الوضعية، وإرادة الله كما نصت عليها أسفار التوراة والعهد القديم مرارًا وتكرارًا هي أن يجتمع أبناء الله اليهود من أشتات الأرض ليعودوا إلىٰ وطنهم الذي أعطاهم الله إياه وهو أرض كنعان بكاملها، وحقهم غير المشروط في استيطانها، وعليه يجب علىٰ شعوب الأرض جميعًا أن تخضع لإرادة الله هذه، وتبارك إسرائيل لأن الله يبارك من يبارك إسرائيل ويسحق من يعادي

إسرائيل، وعلىٰ جميع سكان الأرض أن يتمجدوا بلعق حذاء إسرائيل، لأن إسرائيل هي أمة الله وشعبه المختار وهم يسمون فوق كل قانون ويعلون علىٰ كل نظام، وأن كل عمل يقومون به، ولو كان ظاهره بغيضًا وتبدو فيه القسوة وقتل الأبرياء، وتشريدهم من ديارهم، فإنه في الواقع يمثل إرادة الله العليا التي ينبغي للجميع أن ينصاع لها وينفذها دون تردد.

ولذا فإن الالتزام الأخلاقي (Moral Commitment) بدعم إسرائيل في كافة الظروف، وفي جميع الأحوال مهما فعلت إسرائيل من مخالفات للقوانين والأعراف الدولية هو التزام ديني وأخلاقي ثابت لا يمكن أن يتزحزح، واعتبار شرعية الدولة اليهودية مستمدة من التشريع الإلهي ذاته وليس فقط من القانون الدولي والقرار ١٨١ الصادر في ١٩٤٧/١١/٢٩، بل إن قيام إسرائيل ليس إلا تحقيقًا للنبوءات الكثيرة التي جاءت في أسفار العهد القديم مثل سفر حزقيال ويوئيل.

وعليه فلا بد من التأكيد المرة تلو المرة أن أرض (ارتس) إسرائيل لا تشمل حدود عام ١٩٤٨ ولا حدود عام ١٩٦٧ بل تشمل بكل تأكيد يهودا والسامرة أي الضفة الغربية وقطاع غزة، وكل الأرض الموعودة من النيل إلىٰ الفرات.

وعندما يتناقض القرار الإسرائيلي مع النظام الدولي والمواثيق والمعاهدات الدولية فإن القرار الإسرائيلي هو الذي يجب أن يحترم لأنه يمثل إرادة الله مباشرة، أما القانون الدولي فهو لا يعكس سوىٰ إرادة واضعيه من بني البشر، وحيث تتناقض الإرادات، فإن إرادة الله هي التي يجب دومًا أن تحترم وتنفذ ويتم خضوع الجميع لها.

إسرائيل والمقدسات الدينية الإسلامية

يقول بن جوريون: «لا معنىٰ لإسرائيل بدون أورشليم ولا معنىٰ لأورشليم بدون الهيكل»، وتسعىٰ إسرائيل ويدعمها في ذلك أكثر من خمسين مليون مسيحي صهيوني أصولي لهدم المسجد الأقصىٰ، وبناء الهيكل المزعوم علىٰ اعتبار أن المسيح المنتظر لن يأتي إلا بتحقق ثلاثة شروط قد تنبأت بها أسفار العهد القديم وهي:

١ ـ عودة بني إسرائيل إلىٰ فلسطين كما تعود الطير إلىٰ أوكارها، وقد تحقق ذلك منذ عهد الانتداب البريطاني علىٰ فلسطين إلىٰ قيام دولة إسرائيل في ١٤/٥/١٩٤٨، ولا تزال مصاريع الهجرة إلىٰ إسرائيل مفتوحة لجميع يهود العالم، وقد تضاعفت الأعداد وازدادت المسيرة تسارعًا بعد اتفاقات أوسلو المهينة عام ١٩٩٣ حتىٰ وصل عدد اليهود إلىٰ ٤,٨ مليون في فلسطين.

٢ ـ عودة أورشليم إلىٰ أحضان إسرائيل: وقد تحقق جزء من هذا الحلم في حرب ١٩٤٨ حيث احتلت إسرائيل ٧٨٪ من القدس، وهي التي تُدعىٰ القدس الغربية، وتم طرد جميع سكانها العرب والاستيلاء علىٰ مساكنهم ومحلاتهم وجميع ما هو لهم، وهو يشكل ٧٥٪ تقريبًا من ممتلكات القدس الغربية، واستعصت عليهم القدس الشرقية (٢٢ بالمئة من القدس) وخاصة بعد دخول الجيش الأردني ودفاعه عنها.

ـ سقوط القدس الشرقية بيد إسرائيل في حرب حزيران (يونيه) ١٩٦٧ وهي التي تحتوي علىٰ القدس التاريخية وعلىٰ المقدسات الدينية للمسلمين (المسجد الأقصىٰ وقبة الصخرة وعشرات المواقع الإسلامية

الهامة) وللنصارىٰ (كنيسة القيامة وغيرها من الأماكن الدينية المهمة)[1].

٣ ـ **بناء الهيكل**: ويدَّعي اليهود والنصارىٰ الأصوليون أن موقعه هو المسجد الأقصىٰ وقبة الصخرة أو ما يسمىٰ الحرم الشريف، ويسعون جميعًا لهدمه وبناء هيكلهم المزعوم.

وقد واجه المسجد الأقصىٰ اعتداءات متعددة منذ أن احتلت إسرائيل القدس الشرقية في حرب حزيران ١٩٦٧ أهمها ما يلي:

أ ـ في ٢١ آب (أغسطس) ١٩٦٩ أقدم نصراني صهيوني أصولي استرالي الجنسية بدعمٍ كاملٍ من السلطة الإسرائيلية علىٰ إحراق المسجد الأقصىٰ فأتت النيران علىٰ الأثاث والجدران والقبة الخشبية ومنبر صلاح الدين، ولولا مسارعة حرَّاس المسجد الأقصىٰ من المسلمين وجميع سكان القدس الشرقية المجاورين للمسجد من المسلمين لإطفاء الحريق لأتىٰ الحريق علىٰ المسجد كله، خاصة وأن السلطات الإسرائيلية كانت تعيق محاولات الإطفاء، فكان الناس يأتون بالجرادل من المياه ليطفئوا الحريق، بينما أعاقت السلطات سيارات الحريق من الوصول، ويُدعىٰ هذا الاسترالي الأصولي دنيس مايكل، وتظاهرات السلطات الإسرائيلية بالقبض عليه ثم ادعت أنه مختل عقليًا وأطلقت سراحه وأرسلته إلىٰ بلده.

ب ـ في ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٦ أصدرت المحاكم الإسرائيلية حكمًا بحق اليهود في الصلاة بساحات المسجد الأقصىٰ في أي وقتٍ يشاؤون، هذا بالإضافة إلىٰ ما فعلته الحكومة الإسرائيلية من هدم حي المغاربة المجاور للحائط الغربي الذي يسمُّونه حائط المبكىٰ،

(١) انظر فصل أهم الآثار والمعالم الإسلامية في القدس، ص٤١ ؟؟؟؟؟

واستولىٰ اليهود علىٰ الحائط الغربي (حائط البراق) وكل ما حوله من الأرض، وهدموا الحي العربي المعروف بحي المغاربة وزاوية الغوث أبي مدين، وجعلوها ساحة لمكان تعبدهم وأحاطوه بمباني يهودية بعد أن هدموا جميع المساكن العربية.

ج ـ في ١١ نيسان (ابريل) ١٩٨٢ اقتحم جندي إسرائيلي يُدعىٰ آلان جودمان المسجد الأقصىٰ عبر باب الغوانمة برشَّاشه، وأطلق النار علىٰ الحارس الفلسطيني فأصابه، ثم هرع إلىٰ مسجد قبة الصخرة، وأطلق النار علىٰ المصلِّين، فأصاب عددًا منهم، واستشهد أحد حراس المسجد الأقصىٰ.

د ـ في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٩٠ تمت مجزرة المسجد الأقصىٰ حيث هجم مجموعة من اليهود المسلَّحين بأسلحتهم الرشاشة علىٰ المصلين في المسجد وأطلقوا عليهم النار وهم ركع وسجود، فقتلوا منهم ٣٤ وجرحوا حوالي مائة شخص.

هـ ـ استمرت الحفريات من جهات متعددة حول وتحت المسجد الأقصىٰ لخلخلة أُسسه ومبانيه حتىٰ ينهار، وعمل نتنياهو في أثناء وزارته علىٰ فتح مجموعة من الأنفاق تحت المسجد، وكل هذه الأفعال الإجرامية أثارت ردود فعل قوية ومظاهرات واستنكارات محلية ودولية.. وقامت السلطات الإسرائيلية كما هو معتاد بالرد علىٰ المظاهرات بالحديد والنار مما أدىٰ إلىٰ استشهاد العشرات وإصابة المئات.

و ـ قام أريل شارون في ٢٠٠٠/٩/٢٨ بتدنيس المسجد الأقصىٰ حيث دخله مع مئات من الجنود والحراس الخاصين به مما أدىٰ إلىٰ

انفجار الشارع الفلسطيني وبداية انتفاضة الأقصىٰ المباركة والتي لا تزال مستمرة حتىٰ اليوم[١].

ز ـ استعدَّ اليهود لبناء هيكلهم المزعوم مع دعمٍ كامل من ملايين المسيحيين المتصهينين الأصوليين، والذين يجمعون مئات الملايين من الدولارات لبناء الهيكل، وبما أن تعاليم التوراة المحرَّفة قد أفردت سفرًا كاملاً اسمه سفر اللاويين وهم الأحبار وكيفية بناء الهيكل ولباس الأحبار وطريقة مشيهم وكيفية تقديم القرابين، فإن هؤلاء اليهود قد أقاموا العديد من المدارس بجوار الحرم الشريف (المسجد الأقصىٰ وقبة الصخرة والباحات) وكلها تدرِّس كيفية إقامة الهيكل والمذبح وتقديم القرابين ولباس الكهَّان ودرجاتهم.. الخ الخ.

هذا فيض من غيض بالنسبة للمسجد الأقصىٰ أُولىٰ القبلتين وثالث الحرمين ومسرىٰ رسول الله ﷺ، أما المسجد الإبراهيمي الذي يوجد فيه قبر خليل الرحمن وزوجته سارة وابنه إسحاق وحفيده يعقوب عليهم السلام، فقد هجم عليه اليهود بعد احتلالهم الخليل (حبرون) في الضفة الغربية، ومنعوا المصلين من الاقتراب منه لفترات متعددة ثم قسموه إلىٰ قسمين:

١ ـ قسم للمسلمين يصلون فيه مع مضايقات مستمرة وتفتيش وتطفيش.

---

(١) نشرت الصحف في ٢٠٠١/٤/١١ تصريحات الرئيس الإسرائيلي كتساف بأن من حق اليهود الصلاة في المسجد الأقصىٰ، «ولن نتنازل عن حقنا في الحرم» وسماه جبل الهيكل، ومن الواضح جدًّا أن خطط اليهود ويدعمهم في ذلك الصهاينة المسيحيون في بناء الهيكل المزعوم قد اقتربت جداً.

٢ ـ قسم وفيه قبر الخليل وزوجته وابنه وحفيده لليهود، ومنعوا المسلمين من دخوله منعًا باتًّا.

ورغم أن الخليل (حبرون) لم يكن فيها يهودي واحد منذ حرب ١٩٤٨ وحتىٰ حرب ١٩٦٧ إلا أن اليهود استولوا علىٰ العديد من المساكن وأقاموا مستوطنات وبدأ عددهم يتزايد، وفي أواخر التسعينات كانوا قد تجاوزوا ثمانية آلاف مستوطن.

وفي ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٩٤ الموافق ١٥ رمضان ١٤١٥هـ، هجم المستوطن اليهودي الأمريكي الأصل باروخ جولد شتاين علىٰ المصلين أثناء سجودهم في صلاة الفجر، يسانده بعض المستوطنين واستخدموا الرشاسات والقنابل اليدوية فقتلوا ٢٩ وجرحوا ثلاثمائة، وكانت تلك المجزرة من أبشع المجازر علىٰ المصلين بعد مجزرة الأقصىٰ.

أما في أراضي ١٩٤٨ فقد شهدت تحطيمًا كاملاً للعديد من المساجد كما حوَّل اليهود كثيرًا منها إلىٰ صالات ومقاهي وملاهي.

وكم دنَّسوا القرآن الكريم بأقدامهم النجسة وكم مزَّقوا من مصاحفه وعبثوا به، وكم مرة أهانوا الرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليه وصوروا كلبًا وحمارًا وخنزيرًا وكتبوا عليه اسم الحبيب المصطفىٰ.. وهم هم إخوة القردة والخنازير.

* * *

لماذا قتل محمد الدرة؟(١)

الخلفيات التوراتية للإرهاب الإسرائيلي

«اقتل طفلاً ورضيعًا، شيخًا وامرأة، هكذا قال الرب»

لقد صدم العالم بالمشهد الرهيب لقتل الطفل البريء محمد الدرة وهو يختبئ وراء أبيه، المختبئ أيضًا وراء برميل إسمنتي.. والرصاص ينهمر عليهما حتىٰ قُتل الطفل بدم بارد كما قتل سائق سيارة الإسعاف عندما حاول أن يقترب لينقذ الطفل.. وتتالت صور الأطفال الأبرياء الذي تصطادهم رصاصات الغدر والعدوان حتىٰ اهتزَّ كل ضمير حيٍّ في العالم.

أي نوع من البشر هؤلاء الذين يقتلون الأطفال بدمٍ باردٍ؟ أي دوافع لهم؟ أي تربية تجعلهم يتلذذون بقتل الأطفال والنساء والشيوخ والأسرىٰ؟ لماذا يتكرر في تاريخ هذه العصابة الإجرامية قتل النساء والأطفال والشيوخ والأبرياء؟ هل نسينا مجزرة دير ياسين ومجزرة قبية، هل نسينا مجزرة أطفال المدارس في حوض البقر؟ هل نسينا قتل الأسرىٰ المصريين في الحربين ١٩٥٦ و١٩٦٧ بدم باردٍ بل وباستمتاع بعملية القتل؟ هل نسينا مجزرة قانا؟ هل نسينا عشرات المجازر للنساء والأطفال والشيوخ التي تتم منذ العشرينات من القرن العشرين والتي تزداد وتيرتها وعنفها مع نمو هذه الدولة الآثمة الحقيرة المدعومة ببريطانيا وأوربا، ثم بدعم مطلق متناهي من الولايات المتحدة؟ هل نسينا الآلاف الذين ذبحوا في صبرا وشاتيلا؟

---

(١) مقال للمؤلف نشرته صحيفة «المدينة» علىٰ حلقتين.

إن المصدر الأول لكل هذه المذابح هو التوراة المحرَّفة التي كذبوا فيها علىٰ الله وعلىٰ موسىٰ الكليم عليه السلام وعلىٰ جميع أنبيائهم والمرسلين، ففي سفر العدد الإصحاح ٣١: ٧ ـ ١٩ زعموا أن موسىٰ عليه السلام غضب علىٰ قواد الجيش عندما تركوا النساء والأطفال ثم أمرهم بقتل جميع الأطفال والنساء الأسرىٰ!! أما الرجال فقد تم قتلهم جميعًا، وإليك نص هذه الأقوال الإجرامية التي يتربىٰ عليها اليهود في مدارسهم: «فتجندوا علىٰ مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر، وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم.. وأحرقوا مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار، وأخذوا كل الغنيمة والنهب من السلب والبهائم وأتوا إلىٰ موسىٰ.. فخطَّ موسىٰ علىٰ وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات، وقال لهم موسىٰ هل أبقيتم كل أنثىٰ حية؟ فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة».

وجاء في سفر يشوع الإصحاح السادس عند فتح أريحا: «وحرَّموا (أي أبادوا) كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتىٰ البقر والغنم والحمير بحدِّ السيف» [يشوع: ٦: ٢١]، وهكذا أمرتهم التوراة المزعومة بقتل النساء والأطفال والشيوخ والعجزة، بل حتىٰ البقرة والغنم والحمير أبادوها بحدِّ السيف.. هكذا أمر رب الجنود الجالس علىٰ الكروبيم!!

وفي الإصحاح الثامن من سفر يشوع: «قال الرب ليشوع: قم واصعد إلىٰ عاي (اسم مدينة) انظر قد دفعت بيدك ملك عاي وشعبه ومدينته وأرضه، وتفعل بعاي وملكها كما فعلت بأريحا غير أن غنيمتها وبهائمها تنهبونها لنفوسكم» وكان لما انتهىٰ إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في

الحقل وفي البريّة حيث لحقوهم وسقطوا جميعًا بحدِّ السيف حتىٰ فنوا أن جميع إسرائيل رجع إلىٰ عاي وضربوها بحد السيف، فكان جميع الذين سقطوا في ذلك من رجال ونساء وأطفال اثني عشر ألفًا، جميع أهل عاي، ويشوع لم يردّ يد التي مدَّها بالمزارق حتىٰ حرَّم جميع سكان عاي، لكن البهائم وغنيمة تلك المدينة نهبها إسرائيل لأنفسهم حسب قول الرب الذي أمر به يشوع، وأحرق يشوع عاي وجعلها تلاً أبديًا خرابًا إلىٰ هذا اليوم».

ويستمر سفر يشوع في وصف المجازر التي يدَّعون أن يشوع (يوشع بن نون عليه السلام) قام بها فهناك مجزرة في لخيش وأخرىٰ في جعبون وثالثة في عجلون ورابعة في حبرون (مدينة الخليل اليوم) وأخرىٰ في يرموت وسادسة في أورشليم.. وسابعة وثامنة.. وفي كل واحدة من هذه المدن التي دفعها الرب حسب زعمهم لابنه البكر إسرائيل يقوم يشوع بتدميرها وحرق أهلها ونسائها وأطفالها «وضربها يشوع بحدِّ السيف، لم يبق شاردًا ولا طفلاً ولا شيخًا ولا رجلاً ولا امرأة.. حسب أوامر الرب فعل يشوع»، نعم هكذا تقول هذه التوراة المحرَّفة المقررة علىٰ أطفال المدارس العامة في إسرائيل.

ويقول السفر المذكور: «فضرب يشوع كل الأرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها.. لم يبق شاردًا، بل حرَّم (أباد وقتل) كل نسمة من الطفل الرضيع إلىٰ الشيخ الفاني، كما أمر الرب إليه إسرائيل، فضربهم يشوع من قادش إلىٰ غزة وجميع أرض جوشن إلىٰ جعبون وأخذ يشوع جميع أولئك الملوك وأرضهم دفعة واحدةً لأن الرب إله إسرائيل حارب عن إسرائيل».

واستمرَّ يشوع حسب زعمهم في إقامة المجازر والمحارق حتىٰ انطلق إلىٰ حاصور التي ضربها بحدِّ السيف وحرَّمها بحيث لم تبق بها نسمة، وأحرق يشوع حاصور بالنار كما فعل بالمدن السابقة، فأخذ يشوع حسب أقوال التوراة المحرفة كل تلك الأراضي وكل الجنوب وكل أرض جوشن والسهل والعربة وجبل إسرائيل وسهله من الجبل الصاعد إلىٰ سعير إلىٰ بعل جاد في بقعة لبنان تحت جبل حرمون، وأخذ جميع ملوكها وضربهم بحدِّ السيف، لم يبق بها شاردًا ولا أبقىٰ علىٰ نفس بها.. أباد الجميع من الطفل الرضيع إلىٰ الشيخ الفاني، وأباد كل امرأة.

«وجاء يشوع وقرض (أي أباد) العناقيين من الجبل من حبرون، ومن دبير، ومن عناب ومن جميع جبل يهوذا، ومن كل جبل إسرائيل، حرَّمهم يشوع مع مدنهم.. فأخذ يشوع كل الأراضي حسب ما كلم به الربُّ موسىٰ، وأعطاهم يشوع ملكًا لإسرائيل.

وفي الإصحاح ١٣ من سفر يشوع قام يشوع قبل وفاته بتقسيم الأراضي التي لم يحتلها «قال الرب ليشوع: قد بقيت أرض كثيرة للامتلاك، هذه هي الأرض الباقية، كل دائرة الفلسطينيين، وكل الجشوريين من الشيمور الذي هو أمام مصر إلىٰ تخم عقرون شمالاً.. من التيمن كل أرض الكنعانيين، مغارة التي للصيدونيين إلىٰ أفيق تخم الأموريين وأرض الجبلين، وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون إلىٰ مدخل حماة، جميع سكان الجبل من لبنان إلىٰ مسرفوت مايم، جميع الصيدونيين أنا أطردهم من أمام بني إسرائيل، إنما أقسمها بالقرعة لإسرائيل ملكًا كما أمرتك».

وفي الإصحاح ٢٣ يقول يشوع: «انظروا قد قسَّمتُ لكم بالقرعة هؤلاء الشعوب الباقين (الذين لم يحتل أراضيهم بعد) ملكًا لكم حسب أسباطكم من الأردن وجميع الشعوب التي قرضتها والبحر العظيم نحو غروب الشمس (البحر الأبيض المتوسط) والرب إلهكم هو ينفيهم من أمامكم ويطردهم من قدامكم فتملكون أرضهم».

ويقول رجاء جارودي في كتابه «إسرائيل الصهيونية السياسية» أن بن جوريون قرر منذ قيام إسرائيل عام ١٩٤٧ تدريس نصوص التوراة التي تحث علىٰ إبادة الفلسطينيين، ويُدَرَّس سفر يشوع بكامله في المرحلة الابتدائية من الصف الرابع إلىٰ الثامن، وقد قام الباحث النفسي ج تاماران من جامعة تل أبيب بسؤال الأطفال في المرحلة الأولية (من السنة الرابعة حتىٰ الثامنة حيث يدرّس سفر يشوع) قائلاً: لنفترض أن الجيش الإسرائيلي احتل قرية عربية في الحرب فهل يفعل مع أهلها ما فعله يشوع مع أهل أريحا؟ وكانت الإجابات مرعبة حيث أن ٩٥٪ من الطلبة أجابوا بنعم.

ولما نشر هذا الأستاذ دراسته فصلته الجامعة من وظيفته لأنه فضح سياسة إسرائيل المبنية علىٰ القتل وسفك الدماء، وقتل النساء والأطفال والشيوخ والعجزة والعُزَّل بدمٍ بارد.. إن الذي قتل محمد الدُّرَّة وآلاف الأطفال منذ قيام إسرائيل إلىٰ اليوم إنما يفعل ذلك بدمٍ بارد، ويتقرب إلىٰ الله رب الجنود الجالس علىٰ الكروبيم بدم هؤلاء الأبرياء.

وقد صرَّح الحاخامات في جيش إسرائيل أثناء عزو لبنان وإقامة مذابح صبرا وشاتيلا لصحيفة هاأرتيس الإسرائيلية في ١٩٨٢/٧/٥ بما

يلي: «علينا ألا ننسىٰ أجزاء التوراة التي تبرِّر هذه الحرب، فنحن نؤدي واجبنا الديني بتواجدنا هنا (في أرض لبنان) فالنصُّ المكتوب يفرض علينا واجبًا دينيًا هو أن نغزو أرض العدو، وأن نبيده، وأن نقتل كل نفس حية من الطفل الرضيع إلىٰ الشيخ الفاني».

ويقول جارودي معلقًا علىٰ نصوص التوراة المحرَّفة التي تطالب دومًا بتوسيع أراضي إسرائيل وطرد جميع سكانها الأصليين منها وإبادة كل من يقاوم: «لهذا يظهر حاخامات إسرائيل حماسًا جنونيًا لتوسيع حدود إسرائيل باستمرار ويبرِّرون كل المغامرات العسكرية الدموية ومجازر صبرا وشاتيلا».

ولم يقتصر الحاخامات أثناء غزو لبنان علىٰ تشجيع الغزو ومباركته والسير في داخل الدبابات والمصفحات وهم يتلون التوراة المحرفة، بل اعتبروا أن تدمير مدينتي صور وصيدا ودك بيروت بالقنابل، ومجازر صبرا وشاتيلا هي عمل ديني باركه الربُّ، إله إسرائيل، حيث أمر الرب مرارًا وتكرارًا بقتل كل الفلسطينيين والشعوب المجاورة قائلاً: «**اقتل الكل: الرجال والنساء والأطفال والرضع والأبقار والخراف والجمال والحمير**».

ويقول روجيه جارودي في كتابه «إسرائيل الصهيونية السياسية»: «هذا التبرير التوراتي للقتل والإبادة.. وهذا الإضفاء للشرعية علىٰ العدوانات المتتالية، وضم أرض الغير من جانب الدولة اليهودية الصهيونية الحالية التي يقدِّمونها علىٰ أنها الوريث الشرعي والامتداد الطبيعي لإسرائيل التوراتية، يجعل اليهود يرضون ويقبلون ما لا يمكن قبوله عقلاً، ويجعل كثيرًا من المسيحيين (في الغرب) يعتقدون بصحة بعض الأقوال

الكاثوليكية، وبصحة أقوال مدارس الأحد البروتستانتية هم يسيرون من غير وعيٍ منهم علىٰ سنن الأسطورة الصهيونية (الموجودة في نصوص التوراة المحرَّفة) والتي أثبت علم التفسير (والآثار المتعلقة بالمنطقة) منذ قرن، وبخاصة في السنين الأخيرة، عدم صحتها وفندها تفنيدًا».

ويعتمد قادة إسرائيل وشعبها علىٰ ما ورد في التوراة المحرَّفة من أوامر متعددة من الرب إلىٰ إسرائيل بإقامة المذابح المروِّعة لجميع الساكنين في أرض كنعان (فلسطين) وما حولها، التي وعدها الرب لإبراهيم ونسله من بعده إلىٰ أبد الآبدين، وعودًا مؤكدة وموثقة بدم الغرلة!!

وقد جاء في سفر التثنية من التوراة المحرفة الإصحاح ٢٠: «وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا فلا تستبق منهم نَسَمَةً بل تحرّمها تحريمًا (أي تقتل كل نفس بما في ذلك كل الأطفال والشيوخ والنساء والبهائم) الحيثيين والعموريين والكنعانيين والفرزيين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك».

وجاء في سفر صموئيل الإصحاح الأول: ١٥ ما يلي: «وقال صموئيل (النبي) لشاول (وهو طالوت الذي جاء ذكره في القرآن الكريم): إياي أرسل الرب لمسحك ملكًا علىٰ شعبه إسرائيل (يدعىٰ الممسوح بالزيت مسيحًا) والآن فاسمع صوت كلام الرب: هكذا يقول رب الجنود: إني افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر، فالآن اذهب واضرب عماليق، وحرِّم (أي اقتل كل نفس) كل ما لهم ولا تعف عنهم، بل **اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعًا، بقرًا وغنمًا**».

إن هذه المذابح والمجازر المتتالية للفلسطينيين هي أوامر من رب الجنود الجالس علىٰ الكروبيم لابنه البكر إسرائيل ومما يؤكد أننا سنواجه المزيد من قتل الأطفال والشيوخ ما نشرته وكالات الأنباء من أن نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل السابق دعا إلىٰ سياسة القبضة الحديدية إزاء الفلسطينيين.. وأنا ما يحدث حاليًا من قتل للفلسطينيين وسفك لدمائهم وذبح لأطفالهم هو سياسة متهاونة غير كافية واعتبرها سياسة تؤدي إلىٰ مزيد من العنف الفلسطيني، وأن علىٰ حكومة باراك أو حكومة الوحدة الوطنية أن تقوم بإبادة حقيقية لهؤلاء الفلسطينيون المجرمون الذين تجرَّؤوا وقتلوا اثنين من الجنود الإسرائيليين المستعمرين الذين دخلوا رام الله بلباس مدني واكتشفتهم السلطة وهاجت الجماهير حتىٰ قتلتهم ضربًا بالأيدي!! أوما علم هؤلاء الفلسطينيون المجرمون حسب قوله أن ضرب يهودي يعادل ضرب العزة الإلَهية ذاتها، ألم تذكر التوراة والتلمود أن اعتداء الأممي (غير اليهودي) علىٰ الإسرائيلي اليهودي هو اعتداء مباشر علىٰ الله ذاته، وأن الله لا يسكت عن هذا الاعتداء إلا بإبادة لهذا المعتدي من الجوييم علىٰ شعبه وابنه البكر.. وبالتالي قتل كل طفل وكل امرأة وكل شيخ فضلاً عن الرجال والشباب.

إن قتل الطفل محمد الدرة ليس الأول من قبل اليهود المجرمين ولن يكون الأخير، فالتوراة بين أيديهم تأمرهم بقتل المزيد من هؤلاء الأطفال.. والمفجع حقًّا أن الساعين للسلام مع إسرائيل والذين جعلوه خيارهم الاستراتيجي الذي لا خيار لهم سواه يجهلون تمامًا ما ورد في التوراة وما يدرسه الطلبة يوميًا في المدارس الأولية فضلاً عما يدرسه

المتدينون في مدارس التوراة والتلمود المنتشرة في كافة أرجاء فلسطين المحتلة، والمصيبة أعظم لو كانوا يعلمون هذه الخلفية التوراتية التلمودية لهذا العدو الهمجي البربري الذي تدفعه تعاليم التوراة والتلمود إلىٰ مزيد من المجازر لكل من يرمي حجرًا في وجه إسرائيل.. فإلىٰ متىٰ يظل هؤلاء سادرون في غيهم وراء سراب السلام؟ ومتىٰ سيفيقون؟ والشعوب تغلي مما يحدث ويجري.. والخوف كل الخوف أن تنتقل النقمة من الشعوب إلىٰ هؤلاء الذين يفرضون علىٰ شعوبهم هذا السلام المخزي.



إسرائيل الصهيونية

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري في «الصهيونية بعد مائة عام» من كتاب القضية الفلسطينية في نصف قرن (منشورات فلسطين المسلمة لندن ١٩٩٩) بتصرف واختصار: أن جميع الفئات في إسرائيل متفقة علىٰ الآتي رغم اختلافاتها الأيديولوجية:

١ ـ اليهود شعبٌ واحد وفلسطين هي أرض الميعاد أو «أرتس يسرائيل» وطن اليهود القومي، وعلىٰ يهود العالم أن يهاجروا إلىٰ أرتس إسرائيل، وأن يلتفوا حول دولتهم الصهيونية القومية، ويقوموا بدعمها ماليًا وسياسيًا فهي المركز، وهم الهامش. هذه الدولة يجب أن تكون يهودية خالصة: دولة اليهود ودولة يهودية في آن واحد، تجسد الرؤىٰ اليهودية، وبإمكان اليهودي أن يحقق فيها ذاته.

ولكن الدولة الصهيونية لم تعد تطلب من يهود العالم الهجرة إليها وإلا اعتبروا كفرة، ومن هنا قبول الصهيونية التوطينية بشرط أن يعمل يهود المنفىٰ علىٰ دعم الدولة الصهيونية الأم بكل ما يملكون من قوة ونفوذ ومال، وأن يهاجروا إليها وقتما تسنح الفرصة وتستدعي الحاجة، فلا وطن لهم إلا أرتس يسرائيل، وهذه الأوطان التي أعطتهم جنسيتها ليست إلا مَنَافٍ لهم مهما بلغت مكانتهم فيها.

٢ ـ وجود الفلسطينيين فيما يسمونه وطنهم وليس إلا أمرًا عرضيًا زائلاً، ولا بد من التخلص منهم، إما بالطرق السلمية (وهذا غير ممكن

عمليًا) أو بالطرق الإرهابية، وهذا هو السبيل الممكن وانطلاقًا من كل هذا يصبح من حقِّ الدولة الصهيونية أن تدافع عن نفسها، وعن حقوقها المطلقة بكل ضراوة من خلال «جيش الدفاع الإسرائيلي» والمستوطنين ضد إرهاب السكان المحليِّين أي الفلسطينيين!!

وقد تتفاوت مفاهيم السلام بين حزب صهيوني يميني وآخر يساري، ولكن مفهوم الأمن لدى الجميع من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار يشير إلى مضمون جوهري واحد، وهو إخراج الفلسطينيين من أرتس يسرائيل وطردهم منها بأي شكل من الأشكال، ويتبنى حزب العمل (الماباي سابقًا) الاشتراكي اليساري مقولة بن جريون: «إن العرب لا يفهمون سوى لغة القوة» بينما يتبنى التيار الراديكالي التصحيحي مفهوم فلادمير جابوتنسكي المتمثل في الطرد بالقوة واستخدام الجدار الفولاذي، وهو مفهوم نادى به نتنياهو ووافق عليه باراك ويسعى لتنفيذه شارون في حكومته الائتلافية الجديدة (مارس ٢٠٠١).

ويؤكد جميع الساسة في إسرائيل (بكل ألوان الطيف) رفضهم القاطع لعودة الفلسطينيين المهجَّرين إلى فلسطين، ويرون توطينهم في البلاد العربية التي يعيشون فيها منذ النكبة ١٩٤٨ والنكسة ١٩٦٧، وتهجير الأذكياء والمثقفين منهم إلى كندا والولايات المتحدة وأوربا مع تعويضات تدفعها الولايات المتحدة والدول المانحة والدول العربية البترولية.

ومما يزعج دولة إسرائيل عدم استطاعتهم الفعلية طرد الفلسطينيين الموجودين في فلسطين المحتلة ١٩٤٨، كما أن طردهم من الضفة الغربية

وقطاع غزة والقدس أمر متعذر رغم المضايقات الشديدة والعنت والإرهاب الذي يلقاه الفلسطينيون للضغط عليهم للهجرة، وخاصة سكان القدس الشرقية، أما القدس الغربية فقد تم تفريغها بالكامل من الفلسطينيين منذ حرب ١٩٤٨م.

٣ ـ سياسة الأمر الواقع هي السياسة الوحيدة التي يمكن أن يفهمها العرب، وذلك يعني فرض واقع صهيوني جديد بابتلاع المزيد من أراض الضفة الغربية وغزة وابتلاع كامل القدس باسم توحيدها ثم بعد ذلك توسيعها لتشمل القدس الكبرىٰ ثلث أراضي الضفة الغربية.. والقدس (أورشليم) هي قلب إسرائيل.

٤ ـ إبقاء جميع المستوطنات القائمة بالفعل مع توسيعها باستمرار، وبناء المزيد من المستوطنات باستمرار، ويعتبر الاستيطان هو حجر الزاوية في الإجماع الصهيوني، والخلاف حوله في التفاصيل ولا يمس الجوهر أبدًا.

٥ ـ القدس (أورشليم) هي العاصمة الموحدة والأزلية للدولة الصهيونية، وليست موضوعًا للمساومة، وهو أمر مجمع عليه من جميع أحزاب اليمين واليسار.

٦ ـ الدولة الصهيونية تضم الضفة الغربية، وحدودها نهر الأردن، ويرىٰ أعضاء الليكود والجماعات الدينية أن الضفة الغربية هي يهودا والسامرة وهي أرض إسرائيل التي لا يمكن التنازل عنها بحال من الأحوال، بينما ترىٰ الفئات الليبرالية واليسارية أن الوجود الإسرائيلي في هذه المناطق وجود أمني، فمتىٰ ما تحقق أمن إسرائيل يمكن أن تتم

انسحابات جزئية لا تسمح بقيام دولة حقيقية في أي جزء من أجزاء الضفة ولا قطاع غزة، ولا يوجد ما يمنع وجود سلطات محلية فلسطينية تدير شؤونها اليومية، وطالما لا وجود لدولة حقيقية فلا مانع أيضًا من وجود علم وسلام وطني وحرس يصطف لتحية الرئيس الفلسطيني في كل مرة يسافر أو يعود من مدينة إلىٰ أخرىٰ داخل الضفة والقطاع، ولهذا فإن الكيان الفلسطيني الذي يمكن أن يسمح به في الضفة أو القطاع كيان هزيل منزوع السلاح وبدون جيش، ولا تزيد سلطاته في الواقع عن سلطات الحكم المحلي، ويمكن تشبيهه بوضع بورتوريكو وهي جزيرة تابعة للولايات المتحدة لسكانها حق التصويت، دون أن يحملوا الجنسية الأمريكية، ولهم سلطة محلية داخلية، كما يمكن تشبيهه بوضع أندورا وهي تحت سيادة فرنسا ولها أسقف من أسبانيا ولها حكم ذاتي.

٧ ـ تنازل كثير من الصهاينة اليساريين والليبراليين عن مفهوم إسرائيل الكبرىٰ من النيل إلىٰ الفرات وتبنوا شعارات الدياسبورا الإلكترونية، «وإسرائيل العظمىٰ اقتصاديًا» المهيمنة علىٰ منطقة الشرق الأوسط بأكمله، بينما لا يزال الصهاينة المتدينون واليمينيون يسعون لإقامة إسرائيل الكبرىٰ من النيل إلىٰ الفرات حدوديًا وفعليًا.

٨ ـ يجمع الصهاينة علىٰ استمرار الدعم الغربي وخاصة الولايات المتحدة لإسرائيل، ويعتبر الدعم الأمريكي أمرًا حيويًا وأساسيًا لبقاء واستمرار إسرائيل، ولهذا يجب استمرار ودعم النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة بكافة الوسائل والطرق.

** ** **

الخلاصة

إسرائيل دولة عدوانية من أساسها، وإذا كان اليهود قد قتلوا أنبياءهم وافتروا عليهم الأكاذيب واتَّهموهم بكل النقائض، فلا يستغرب منهم عدوانهم وأكاذيبهم وقتلهم للأبرياء، ولن تنتهي المعركة معهم إلا حينما يقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هاهنا يهودي ورائي فاقتله، وما ذلك علىٰ الله ببعيد، والجيل الرباني الذي سيقتل هؤلاء اليهود في الطريق، وسيخرجهم هؤلاء الأبطال من أطفال الحجارة الذين لم ترهبهم الدبابات ولا الرشاشات ولا قنابل الغاز السامة ولا غيرها من أسلحة الفتك والدمار، والأمر أقرب مما يتصور كثيرون، وإن غداً لناظره قريب.



الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

❊❊ ❊❊ ❊❊